الشيعة في المملكة العربية السعودية

العهد التركي

١٨٧١ ـ ١٩١٣

حمزة الحسن

الجزء الأول

مؤسسة البقيع لاحياء التراث

الطبعة الأولى

١٤١٣ ـ ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

(لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) النساء ـ ١٤٨

تقديم

لا يقصد من هذا البحث المطول لأحوال الشيعة في المملكة العربية السعودية ولمدة تزيد على ١٢٠ عاماً، خلال عهدين متلاحقين ((العثماني والسعودي))، لا يقصد منه المقارنة بين هذين العهدين، رغم ما ورد في ذلك من الاشارات الكثيرة.

ولا يناقش الكتاب قضايا فكرية ـ عقائدية، وإن جاء ذلك في مواضع قليلة محددة وبصورة سريعة للغاية.

ولا يهدف الكتاب إثارة قضايا طائفية أكل الدهر عليها وشرب، تزيد في الفرقة، وتضع المزيد من الحواجز بين أتباع الدين الواحد والوطن الواحد.

والكتاب إنما خُصص للدفاع عن المواطنين الشيعة في المملكة، فلأنهم الفئة الأكثر حرماناً واضطهاداً في المجتمع السعودي.. حيث أدى الحرمان والإضطهاد إلى خلق توترات أمنية مزمنة، أن لها أن تنتهي، وأن لطلاب الإصلاح من أبناء الوطن الاهتمام بجذرها ومعالجته إذا كانوا يعملون فعلاً من أجل بناء وطن يشعر فيه كل أبنائه بالأمن والطمأنينة والاحترام.

إن قضية التمييز الطائفي في البلاد، كان يجب أن تكون محط اهتمام كل المخلصين والعاملين من أجل رفعة الوطن، وكان من المفترض أن يدافع هؤلاء عن أبناء وطنهم وجلدتهم، من أجل مصلحة الجميع.. إلا أن هذا لم يحدث مع بالغ الأسف، إلا في حدود ضيقة للغاية، بل انخرط بعض المثقفين في مشروع السلطة الطائفي، وتجاهل البعض الآخر الموضوع، حتى لا يورط نفسه في مشاكل سياسية مع النظام، ولكن كانت هناك مجموعة من أبناء الوطن رفضوا التمييز الطائفي وحاربوه جهد امكانهم، بل ودفع بعضهم ثمن موقفه ذاك.

بديهي إن الانتماء إلى طائفة لا يجعل المرء طائفياً، فالطائفية ليست مجرد انتماء، وإلا أصبح كل إنسان في المملكة ــ بل وفي كل مكان من العالم ــ طائفياً.

كما أن دفاع المرء عن طائفته التي إنتمى إليها بحكم الوراثة أو بحكم التبني والاقتناع بفكرها، ليس أمراً معيباً، خاصة إذا كانت تلك الطائفة تتعرض لشتى اصناف القهر والإذلال.. الا إذا كان القصد من ذلك الدفاع، هضم حقوق المواطنين الآخرين، مادياً ومعنوياً.. وهذا الكتاب لا يتبنّى هذا النوع من الدفاع.

بل يدعو إلى معاملة المواطنين على قدم المساواة في الحقوق والواجبات، بغض النظر اليها المواطن، هو الذي يجعل من الإنسان طائفياً.

وقد حرص الكتاب على إيضاح معالم سياسة التمييز الطائفي التي ينتهجها الحكم السعودي ضد المواطنين الشيعة، ودعا إلى إلغاء تلك السياسة التي أحدثت توترات داخلية شديدة، وأثرت على الاوضاع الامنية في أهم منطقة من مناطق المملكة.

إن دفاع المواطن عن طائفته التي تتعرض للأذى، هو دفاع عن النفس، باعتباره احد افراد تلك الطائفة، وهذا امر طبيعي جداً لان (المواطنة) في المملكة أخضعت منذ وصول العائلة السعودية إلى الحكم لمعيار مذهبي.. فالمواطن الصالح بنظر تلك العائلة، هو ذلك المواطن الذي يتخلى عن هويته المذهبية لصالح هويتها هي، أما من يتمسك بهويته فلا يوثق به، ولا يحق له حتى مجرد المطالبة بحقوق المواطنة.

من خلال هذه الرؤية، جرى التعامل مع العديد من ابناء الوطن، فنزعت حقوقهم الدينية والوطنية، خاصة الشيعة، الذين اعتبروا رغم اغلبيتهم في مناطق النفط ذوي قيمة كميّة ضئيلة.

والغريب ان العديد من اركان النظام الطائفي في المملكة يعتبرون دفاع الشيعة عن انفسهم ودعوتهم لإلغاء سياسة التمييز المنتهجة ضدهم عملا طائفياً، فاصبح ضحايا التمييز الطائفي، والذين يمارسون الطائفية بالقول والفعل ومن مركز القرار، وهم في موقع المسؤولية الوطنية.. اولئك الذين يعتبرون انفسهم جنودا في الحرب الطائفية التي اشعلوها، خدمة لمصالح فئة أو

عائلة.. اولئك الذين يملكون وسائل الاعلام، واسلحة القتل، وأموال النفط، ويحتكرون الفتيا والتحدث باسم الدين.. أولئك وحدهم هم الوطنيون الوحدويون!!.

لقد أعدّ هذا الكتاب من أجل تحقيق غرضين اساسيين: الأول، التعريف بالمواطنين الشيعة في المملكة، تاريخا وثقافة وهوية.. لأنهم رغم كثرتهم أُريد لهم ان يكونوا مجهولين داخل وطنهم وخارجه، لا يكاد يحسُّ بهم أو يعرفهم أحد، وكأنهم غير موجودين أصلاً في هذه البلاد، وكان المطلوب منهم تسيير الصناعات النفطية في مناطقهم بصمت، حتى لا يصيب الحرج حكومة العائلة المالكة حين يقال بأن عدداً كبيراً من رعاياها هم من الشيعة.

والهدف الثاني: تسليط الأضواء على معاناة الشيعة في ظل الحكم الحالي القائم على تصورات طائفية.. والدعوة إلى مساواة المواطنين، واحترام خصوصية كل فئة ومذهب في أقاليم المملكة المختلفة في التاريخ والثقافة والعادات والطباع والاقتصاد بل وفي المناخ أيضاً.

وفي ختام هذا التقديم أود التنبيه إلى حقيقة انه رغم وجود خاصية لكل إقليم من اقاليم المملكة، والتي توحدت رسمياً قبل ستين عاماً تقريبا.. فان النزعة الانفصالية ضعيفة ولكنها موجودة، يساعد على ذلك السياسات الحكومية نفسها، فالمضطهد لكونه من الحجاز أو لأنه ينتمي إلى مذهب التشيع في الشرق، قد لا يشعر باحترام للكيان السياسي القائم، الذي لا يحترم خصوصيته، أو الذي يريد أن يلغي تلك الخصوصية بالقوة والجبر.. ومن حق المواطن أن يخشى على وحدة البلاد، يخشى أن يكون السيف الذي وحدها هو نفسه الذي ينفخ فيها الروح الانفصالية، ويجري كل ذلك تحت السطح، فاذا ما ارتفع سلطان القهر الذي يعتبر عامل التوحيد الأول والأخير، قد يكون مالنا مثل مآل الامبراطورية الروسية أو الدولة اليوغسلافية.

كلنا نعي حقيقة ان الوحدة افضل من الانفصال.. ولكن الوحدة التي تعرض حقوق شريحة واسعة من السكان إلى الخطر والضياع، لا ينظر اليها باهتمام، وتتفشى في المضطهدين الروح الانفصالية.. وهذا بالقطع موجود في مناطق الشيعة والحجاز، وربما في مناطق اخرى من المملكة.. وليس هناك من حلول للقضاء على مثل هذه الروح الآخذة بالانتشار إلا بالقضاء على عوامل التذمُّر وأن يكون توحيد المصالح والنفوس أهم من توحيد الأراضي بالقوة.. ومن هنا ينبع خطر ما تجره سياسة التمييز الطائفي والمناطقي الحكومية.. إنها تجرنا إلى التشرذم وتؤجج في نفوس مواطنينا الروح الجاهلية الانفصالية، رغم ان العائلة المالكة لا تزال تفاخر بأنها حققت الوحدة بالسيف، ولكن ألم يأن لهذا السيف أن يوضع في غمده، قبل ان يتحول ضدّ السيّاف نفسه؟

لقد أن لبلدنا أن تعيش روح التسامح، وأن لها أن تعزّز وحدتها وفق تلك الروح، حتى نصل بالوحدة إلى أرقى مستوياتها فيشعر كل مواطن بأنه محترم، فيحرص على حفظ الكيان كله، بعد أن يرى أن مصالحه مرتبطة بمصالح الآخرين.

حمزة جعفر الحسن

١٢ / اكتوبر / ١٩٩١

الجزء الاول

العهد التركي

١٨٧١ ـ ١٩١٣

الشيعة في المملكة

الهوية، التاريخ، السكان

إن تواجد الشيعة في المملكة العربية السعودية أصبح اليوم من الظواهر الشديدة الإثارة التي فرضت نفسها على الباحثين والدارسين، خاصة خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة. وبعد ان كان الشيعة في المملكة اقلية لا تثير إهتمام أحد، بل لم يكن يشعر بوجودها الاقربون فضلا عن الأبعدين، وبعد أن كان الاستغراب والدهشة يصدمان العديد من الناس حول أصل وجود هذه الاقلية في بلد تحكمه اقلية مذهبية أخرى، بدأ العالم ومنذ نوفمبر ١٩٧٩، أي بعد انتفاضة الشيعة ضدّ الاضطهاد الموجّه اليهم، يتابع تحرُكهم ويدرس أحوالهم وظروفهم ـ وعلاقة ذلك بالاضطراب السياسي وتأثيراته المستقبلية على كيان المملكة بشكل عام.

وفي خضم هذا التوجّه والاهتمام المتزايد أُثيرت الكثير من المسائل المتعلقة بوجود الشيعة في أهم منطقة في المملكة، ليس حول معتقداتهم، وإنما حول اساس تواجدهم ومناطق سكناهم وتاريخهم وظروفهم وأحوالهم اليوم، وعلاقاتهم بالسلطات الحاكمة التي تعاقبت على حكم مناطقهم.

إن الاجابة على مثل هذه التساؤلات يبدو أمراً ضروريا للغاية، وان تمّ بصورة سريعة، نظرا لان واقع أي شعب، مرتبط بتاريخه وتراثه الثقافي والفكري.

تاريخ التشيّع في المنطقة

التشيع كمذهب ليس جديداً فيما يعرف اليوم بالمنطقة الشرقية في المملكة ((الاحساء والقطيف))، باتفاق جميع من ارّخ لها من الماضين والمعاصرين، ولكنهم اختلفوا في تحديد المدّة التي دخلها التشيّع، هل في عهد الرسول صلى الله عليه وآله أم في عهد الإمام علي بن أبي طالب، حيث يرى الشيعة ان التشيّع كان معروفا في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأن العديد من الصحابة عرفوا بموالاتهم للإمام علي، ويعتقدون أن أوّل من بذر بذور التشيُّع فيما عرف قديما بمنطقة البحرين، والتي كان تشمل (أوال والخط وهجر، والمعروفة اليوم بإسم البحرين والقطيف والأحساء على التوالي).. هو الصحابي الجليل أبان بن سعيد بن العاص الأموي، الذي ولاه رسول الله صلى الله عليه وآله البحرين مسئولا عن بيت المال، وكان بأن من الموالين للإمام علي، فغرس بذور التشيُّع في المنطقة، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لم يبايع أبان أبا بكر بالخلافة حتى بايع الإمام علي نفسه، وتشير بعض الروايات التاريخية إلى ان سبب عزل أبان عن منصبه بعد وفاة الرسول مباشرة يعود، إلى موقفه هذا.

بيد أن المؤرخين الآخرين يقولون بأن التشيُّع لم يكن معروفاً حتى خلافة علي ابن ابي طالب، وان منطقة البحرين ((القديمة)) إعتنقت التشيع في عهده، وانها شاركت الامام في حروبه كلها (الجمل وصفين والنهروان).

وأياً كان الامر، فان التشيع ليس جديدا على هذه المنطقة، وانما عمره يزيد على اربعة عشر قرنا، ويثبت المؤرخون لهذه المنطقة ان رجالها من الصحابة والتابعين والشعراء كانوا من الشيعة، وهم اكثر من ان يذكروا.

منهم على سبيل المثال: الصحابي الجليل حُكيم بن جبلة العبدي، وقد تولّى امارة السند في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وكان مشهورا بالشجاعة والولاء، واستشهد في معركة الجمل (الاصغر) هو وابنه، واتباعهما بعد ان رفضوا نزع البيعة من الامام، وقد ذكره الامام علي في تبرير قتاله للخارجين عليه بقوله: ((.. قتلوا شيعتي، وقتلوا أخا ربيعة العبدي، رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين، قالوا لا ننكث كما نكثتم، ولا نغدر كما غدرتم، فوثبوا عليهم فقتلوهم ــ إلى أن قال ــ فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي، ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي، فقتلتهم بهم.

ومن رجال الشيعة الذين نبغوا من هذه المنطقة، زيد بن صوحان العبدي، وقد قُتل يوم الجمل، وكان أحد سادات الشيعة في المنطقة، وسبق أن قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله

((زيد ما زيد؟! تسبقه يده إلى الجنّة ثم يتبعها جسده)).. فكان كما قال صلى الله عليه وآله..[1]
وقد وقف الإمام علي عليه عند مقتله وفيه رمق، فقال: رحمك الله يا زيد، فلقد كنت خفيف المؤونة، كثير المعونة. فرفع زيد رأسه وقال: وأنت رحمك الله يا أمير المؤمنين، ما علمتك إلا بالله عليما، وفي أم الكتاب عليًا حكيماً، وأن الله في صدرك لعظيم، والله ما قاتلت معك على جهالة، ولكني سمعت أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (من كنت مولاه فعليٌ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)، فكرهت أن أخذلك فيخذلني الله تعالى.

ومن الصحابة، صعصعة بن صوحان العبدي، أسلم على عهد رسول الله، وكان من سادات عبد القيس وخطبائهم المفوهين، قاتل مع الامام علي في معاركه، واستشهد اخواه سيحان وزيد في الجمل، توفي في عهد معاوية وقيل ان الاخير قتله غيلة.

ومنهم التابعي صحار بن العياش العبدي، شهد مع الامام علي جملة مواقعه.. وكذلك حويرثة بن سميٌ العبدي، وقدامة بن مسروق العبدي الذي استشهد مع الامام علي في صفين.. ومنهم الصحابي الجليل عمرو بن المرجوم العبدي، كان ابوه احد رؤساء عبد القيس في الجاهلية، قاتل مع الامام في الجمل وصفين، وكان من أوائل المجيبين لدعوة الامام لقتال معاوية، كانت له وقفة مشهودة قال فيها مخاطبا الإمام علي ((وفق الله أمير المؤمنين، وجمع له أمر المسلمين، ولعن المحلّين القاسطين، الذين لا يقرأون القرآن، نحن والله عليهم حنقون، ولهم في الله مفارقون، فمتى أردتنا صحبك خيلنا ورجلنا)).

ومنهم الحارث بن منصور العبدي الذي شهد صفين مع الامام علي، والحارث بن مرّة العبدي، الذي كان قائد الميسرة في صفين، وهو الذي غزا الهند سنة ٣٩هـ بعد ان استأذن الإمام في ذلك.

ويذكر المؤرخون أن قبائل الشيعة في البحرين (الاحساء والقطيف والبحرين الحالية)، وهي قبائل ربيعة (عبد القيس وبكر بن وائل)، كانت من أشد الانصار لعلي، ولذلك كان يعتمد عليها في حروبه اكثر من أي قبيلة أخرى.. وذكروا ان الامام علي كان لا يعدل بها أحداً من الناس، كما كان كثير الثناء عليها، ومن جملة مديحه لها في صفين قوله لرؤسائها: أنتم درعي ورمحي.. أنتم انصاري ومجيبو دعوتي، ومن أوثق حيٌ في العرب في نفسي.. ووصف الإمام علي رايات ربيعة (عبد القيس وبكر بن وائل تحديداً) بأنها رايات الله.. وكان الإمام قد رأى رأيات خفاقة فقال: لمن هذه الرايات؟ فقالوا: هذه رايات ربيعة. فقال: بل هي رايات الله، عصم

[1] تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء القديم والجديد، الشيخ علي آل عبد القادر، ص ٢٠١.

الله أهلها وصبّرهم وثبّت اقدامهم.. وفي صفين أُعجب الإمام بزحف حامل راية ربيعة الحمراء (الحضين بن منذر) فقال:

لِمَن راية حمراء يخفق ظلُّها — إذا قيل قدّمها حضين تقدّما
ويدنو بها في الصفّ كيما يديرها — حمام المنايا تقطر الموت والدما

وليس هناك من شكٍّ في أن الغالبيّة العظمى ــ على الأقل ــ من سكان الاحساء والقطيف كما البحرين الحالية، كانوا شيعة موالين لأهل البيت منذ عهد الإمام علي، وقد استمرّ تشبّثهم بولائهم هذا بعد وفاة الامام وسيطرة الامويين على الحكم والذين حاولوا ترسيخ اقدامهم في المنطقة، الا انهم فشلوا في ذلك لكثرة المناوئين لهم، ولنزوح الكثير من المعارضين للحكم الاموي إلى تلك المنطقة سواء من الحجاز أو من العراق أو غيرها.. ومن الثابت ان منطقتي الاحساء والقطيف كانتا بؤرة معارضة للدولة الأموية حتى إنحلالها واستيلاء العباسيين على الخلافة.

وكما حدث للأمويين، فان العباسيين اهملوا اقليم البحرين لاضطرابه، وكانت ولايتهم عليه إسمية، وقد اتخذ العباسيون المنطقة منفى للمعارضين، ربما لكثرة المعارضة فيها، ولم يكن لهذه المنطقة في نهاية القرن الثالث الهجري أي علاقة بالخلافة العباسية.

وفي هذه الفترة سيطر القرامطة على المنطقة، وأمعنوا في الشيعة قتلاً وتحريقاً على النحو الذي وصفه شاعر الشيعة ابن المقرب العيوني:

وحرقوا عبد قيس في ديارهم — وصيروا الغرُّ من ساداتها حمما

واستطاع العيونيون الشيعة في سنة ٤٦٦هـ إنهاء حكم القرامطة والاجهاز عليهم، وحكموا المنطقة نحو ١٧٠ عاماً.

وإلى هنا فان معظم سكان المنطقة من الشيعة، وقد بقوا كذلك في عهد الدويلات المتعاقبة كبني عقيل وآل عصفور وآل جروان وآل جبر وآل مغامس.. وحين زار ابن بطوطة المنطقة لاحظ شيعيتها ــ بغضّ النظر عن موقفه المذهبي المعادي ــ، فقد قال: ((ثم سافرنا إلى مدينة القطيف، وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير، يسكنها طوائف العرب، وهم رافضية غلاة، يظهرون الرفض جهاراً لا يتّقون أحداً[2]، ويقول مؤذنهم في اذانه بعد الشهادتين: اشهد أن علياً وليّ الله، ويزيد بعد الحيعلتين: حيّ على خير العمل.. ويزيد بعد التكبير الأخير ــ أي بعد الانتهاء من الأذان: محمد وعليّ خير البشر، من خالفهما فقد كفر))[3].

[2] أي أنهم يمارسون حرياتهم الدينية دون خوف.

[3] رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، دار الكتاب اللبناني، ص ١٨٦.

كما اشار ابن بطوطة إلى هجر فقال ان بها من النخيل ما ليس ببلد سواها، وان اهلها عرب، اكثرهم من قبيلة عبد القيس ابن افصى.

بعد هذا سيطر البرتغاليون على المنطقة في أول استعمار غربي صليبي لمنطقة الخليج، فاستنجد الشيعة بالعثمانيين رغم الخلاف المذهبي، فكانت لهم الغلبة وحكموا المنطقة من سنة ٩٦٠هـ إلى سنة ١٠٨٠ هـ، حيث استطاعت قبيلة بني خالد القوية ان تنهي الحكم العثماني وتحكم المنطقة حتى سنة ١٢٠٧ هـ. وفي عهد الخوالد هذا، وبعد ان فرضوا حكمهم بالعنف في بدايته، اندمجوا مع الشيعة، وتحولت كثير من افرع قبيلتهم إلى جماعات مستقرة تعتنق المذهب الشيعي.

ومنذ عهد السعوديين الذي بدأ سنة ١٢٠٧هـ، وحتى سنة ١٢٣٣هـ، بقي العنصر الشيعي مؤثراً سكانيا واقتصاديا، واستمر هذا الحال طوال العهد المصري ثم السعودي الثاني، حتى عودة العثمانيين ثانية إلى المنطقة سنة ١٢٨٨هـ وحكمهم لها اكثر من اربعين عاما وبالتحديد حتى عام ١٣٣١هـ، أي إلى ان اجلاهم الملك عبد العزيز عنها.. طيلة هذه السنين كانت الغلبة السكانية لصالح الشيعة حتى الوقت الحاضر.

وملخص القول ان التشيُّع كان ولا يزال المذهب الاول في المنطقة، منذ دخول الإسلام اليها وحتى اليوم.. ولا صحُة للاقوال المغرضة التي تقول بأن التشيُّع انتشر أو وفد من إيران، بل ان الصحيح عكس ذلك.. فأهل هذه المنطقة كانوا عنصراً هاماً في فتوحات فارس، وكانت الهجرة منهم إليها وليس العكس، فضلا عن أن المذهب السنُي كان هو المذهب الرسمي في إيران قبل قيام الدولة الصفوية، أي ان عمر التشيُّع في إيران لم يزد عن خمسة قرون.

في الجانب الأدبي برز من قبائل الشيعة الكثير من الشعراء، وظهرت في اشعارهم مسحة التشيُّع لأهل البيت، نذكر منهم:

الأعور الشني (بشر بن منقذ العبدي): وكان أحد أهم شعراء الإمام علي في الجمل وصفين، قال بعد حرب الجمل محرُضاً الإمام على قتال معاوية:

قُــلْ لـــهذا الإمــــام قــد خَبَــت الحــر بُ وتمَّــــت بـــــذلك النَعمـــــاء
وفرغنا من حـــرب مَـــنْ نقــضَ العهـــــ ـــــدَ وبالـــشام حيَّـــة صـــمَّاءُ
تنفـــثُ الـــسمُّ مــــا لمَـــن نهـــشتهُ فارمهـــا قبـــل أن تعـــضُّ شـــفاءُ
إنَّـــه والـــذي يحـــجُّ لـــه النـــا سُ و مـــن دون بيتـــهِ البيـــداءُ
لــضعيفُ النخـــاع إن رُمـــيَ اليــــ ــــومَ بخيــلٍ كأنَّهـــا الأشــلاء
جانحـــاتٍ تحـــتَ العـــجاج ســـخالاً مجهضاتٍ تـــخالها الأســلاء
تتبـــارى بكـــلُّ أصــيدَ كالفحـــــ ـــلِ بـــكفِّيه صـــعدةٌ ســمراءُ
ثــمُّ لا ينثنـــي الحـديـــدُ و لـــمَّا يخــضبْ العـــاملين منهـــا الـــدماءُ
إنْ تـــذرهُ فمـــا مـــــعاويةُ الـــدَّ هـــر بمعطيـــك مــــا اراك تـــشاءُ
ولنيـــلُ الـــسماك اقـــرب مـــن ذا ونجــمُ العيُّـوقِ و العـــوَّاءُ
فاضــــربِ الحـــدُّ والحديــــد إليـــه لــــيس و الله غيـــر ذاكَ دواءُ

وجاء الأعور الشني إلى الإمام في صفين وقال له: ((زاد الله في هداك وسرورك، نظرت بنور الله فقدَّمت رجالاً وأخَّرت رجالاً، فعليك أن تقول وعلينا أن نفعل، أنت الإمام، فان هلكت فهذان من بعدك ـ يعني الحسن والحسين ـ، وقد قلتُ شيئاً فاسمعه)). قال الإمام: هات. فأنشد الشاعر:

أبـــا حـــسن أنــــتَ شـــمسُ النهـــار وهــــذان فــــي الحادثــــات القمــــر
وأنـــــتَ وهــــذان حتـــى الممـــات بمنزلـــــة الــــسمع بعـــدَ البـــصر
وأنـــــتم أُنــــاسُ لكــــم ســـورةٌ يقـــصِّر عنهـــا أكـــفُّ البـــشر
يخبِّرنـــا النـــاس عـــن فــضلكم وفـــضلكم اليـــوم فـــوق الخبـــر
عقـــدتُ لقـــوم ذوي نجـــدةٍ مــن أهـــل الحيـــاء وأهـــل الخطـــر
.. ضـــربناهمُ قبـــل نـــصف النهـــارِ إلـــى الليـــل حتـــى قـــضينا الـــوطر
ولـــم يأخـــذ الـــضربُ إلا الـــرؤوسَ ولـــم يأخـــذ الطعـــنُ إلاَّ الثُّغَــــر
فــــنحنُ أولئــــك فـــي أمــــسنا ونحـــنُ كـــذلك فيمـــا غَبَـــر

وقال مفاخراً بربيعة التي ينتمي إليها مبدياً إعتزازه بمديح الإمام علي لها، واعتماده عليها:

أتانـــا أميــــرُ المــــؤمنين فحـــسبنا على النــاس طــرّاً أجمعــينُ بهــا فــضلا
علـــى حــين أن زلّـــت بنـــا النعـــلُ زلّـــةً ولــم تتــرك الحــربُ العــوانُ لنــا فحــلا
وقـــد أكلـــت منّـــا ومـــنهم فوارســـاً كمــا تأكــلُ النيــرانُ ذا الحطــب الجــزلا
وكنّـــا لـــه فـــي ذلـــك اليـــوم جنّـــةً وكنّـــا لـــه مـــن دون انفـــسنا نعـــلا
فـــأثنى ثنـــاءً لـــم يـــرَ النـــاسُ مثلـــه علـــى قومنـــا طـــرّاً وكنّـــا لـــه أهـــلا

وهجا في صفين أحد أعدائه فقال:

مـــا زلـــتَ تنظـــرُ فـــي عطفيـــكَ أبّهـــةً لا يرفعُ الطــرف منــك التّيــهُ والــصلّفُ
لا تحـــسبُ القـــومَ الا فقـــع قرقـــرةٍ أو شـــحمةً بزّهـــا شـــاوٍ لـــه نطـــفُ
حتـــى لقيـــت ابـــن مخـــرومٍ وأي فتـــى أحيـــا مـــآثر آبـــاءٍ لـــه ســـلفوا
.. لمـــا رأيـــتهمُ صبْـــحاً حـــسبتهم أســدُ العــرين حمــى أشــباله الغُــرُف
ناديـــت خيلـــك إذ عـــض الثقـــاف بهـــم: خيلـــي إلـــيّ، فمـــا عـــاجوا ولا عطفـــوا
هـــلاً عطفـــت علـــى قتلـــى مـــصرّعة منهـــا الـــسكونُ ومنهـــا الأزدُ والـــصدفُ
قد كنـــتَ فـــي منظـــر مـــن ذا ومُـــستَمَعٍ يا عتـــبُ لـــو لا ســـفاهُ الـــرأي والـــسرفُ
فـــاليوم يُقـــرعُ منـــك الـــسنُّ عـــن نـــدمٍ مـــا للمبـــارز إلا العجـــز والنّـــصَفُ

وكان الشني من الرافضين للتحكيم، كما كان رافضاً أن يكون الأشعري هو ممثل جيش الإمام، وحين أُجبر الإمام علي على قبول أبي موسى الأشعري، قال الشني ساخطاً وساخراً من شريح بن هاني الذي تولى تجهيز أبي موسى:

زَفَفـــتَ ابـــن قـــيس زفـــافَ العـــروس شـــريحُ إلـــى دُومـــةِ الجنـــدلِ
وفـــي زفّـــكَ الأشـــعري الـــبلاءُ ومـــا يُقـــضَ مـــن حـــادثٍ ينـــزلِ
ومـــا الاشـــعري بـــذي إربـــةٍ ولا صـــاحب الخطبـــة الفيـــصلِ
ولا أخـــذاً حـــظ أهـــل العـــراق ولـــو قيـــل هـــا خُـــذهُ لـــم يفعـــلِ
يحـــاول عمـــراً وعمـــروٌ لـــه خـــدائع يـــأتي بهـــا مـــن عـــلِ
فـــان يحكمـــا بالهـــدى يُتبعـــا وإن يحكمـــا بـــالهوى الأميـــلِ
يكونـــا كتيـــسين فـــي قفـــرةٍ أكيلـــي نقيـــفٍ مـــن الحنظـــلِ

وفشا في الناس أن ابا موسى سيخلع الإمام علي قبل أن يصل دومة الجندل، فأرسل له الأعور الشني راكباً ومعه هذه الأبيات:

أبـــا موســـــى جــــزاك الله خيـــــراً	عراقـــك إن حظَّـــك فــــي العـــــراقِ
وإن الـــــشام قـــــد نـــــصبوا إمامــــاً	مـــن الأحـــزابِ معــــروف النفـــاق
وإنّـــــا لا نــــزال لهــــم عـــــدواً	أبـــا موســـى إلــــى يــــومِ التلاقـــي
فـــلا تجعـــل معاويـــة بـــن حـــربٍ	إمامـــاً مـــا مـــشت قـــدمٌ بـــساقِ
.. ولا تحكـــم بــــأن ســــوى علــــيٍ	إمامــــاً، إنَّ هــــذا الـــشرُّ بــــاقِ

وجاءت النتيجة المتوقَّعة من التحكيم، ورجع وفد الإمام علي إلى الكوفة مكتئباً، فقال الشني متألِّماً:

ألَـــمْ تـــر أن الله يقـــضي بحكمــــهِ	وعمــــــروٌ وعبـــــد الله يختلفــــــان
وليـــسا بمهـــدَي أمَّـــة مـــن ضـــلالةٍ	بـــدرماء ســـخما فتنـــةٍ عَميــــان
أثارا لمـــا فــــي الــنفس مـــن كـــلِّ حاجــةٍ	شــــديدانِ ضـــــرَّاران مؤتلفــــــانِ
أصـــمَّان عـــن صـــوتِ المنـــادي تراهمـــا	علــــــى دارة بيـــــضاء يعتلجـــــان

وهناك شعر كثير للأعور الشني، الذي يعدُّ من فحول الشعراء.

الصلتان العبدي: وإسمه قثم بن خبيئة من بني محارب من عبد القيس.. كان من شيعة الإمام علي، وقد رافقه في حروبه، كالجمل وصفين، كما كان أحد شعرائه المشهورين في تلك المعارك.

من شعره في صفين، هجاؤه لأحد أعدائه بعد أن وسَّدته السيوف الثرى:

ألا يـــا عُبيـــد الله مـــا زلـــت مولعـــاً ... ببكـــرٍ لهـــا تُهـــدي اللغـــا والتهـــدُّدا
كـــانُ حمـــاة الحـــيُّ مـــن بكـــر وائـــل ... بـــذي الرُّمـــث أُسـدّ قـــد تبـــوُّأن غرقـــدا
وكنـــت ســـفيها قـــد تعـــودت عـــادة ... وكـــل امـــرىءٍ جـــار علـــى مـــا تعـــوَّدا
فأصـــبحت مـــصلوبا علـــى شـــر آلـــةٍ ... صـــريع قنـــاً بـــين العجاجـــة مُفـــردا
تـــشق عليـــك الجيـــب ابنـــةُ هـــانئ ... مـــسلَّبة تبـــدي الجـــا والتلـــدُّدا
وكانـــت تـــرى ذا الأمـــر قبـــل عيانـــهِ ... ولكـــن أمـــرَ الله أهـــدى لـــك الـــردى
وقالـــت: عُبيـــد الله لا تـــأتِ وائـــلا ... فقلـــت لهـــا: لا تعجلـــي وانظـــري غـــدا
فقـــد جـــاء مـــا منِّيتهـــا فتـــسلَّبت ... عليـــك وأمـــسى الجيـــبُ منهـــا مقـــدَّدا
حبـــاك أخـــو الهيجـــا حُريـــث بـــن جـــابرٍ ... بجيَّاشـــةٍ تحكـــي الهـــديرَ المنـــدَّدا

وقال في التحكيم:

لعمـــرُك لا أُلفـــي مـــدى الـــدُّهر خالعـــاً ... عليـــاً بقـــول الأشـــعريُّ ولا عمـــرو
فـــان يحكمـــا بـــالحقُّ نقبلْـــه منهمـــا ... وإلا أثرناهـــــا كراغيـــــة البكـــــر
ولـــسنا نقـــول الـــدَّهرَ ذاك إليهمـــا ... وفـــي ذاك لـــو قُلنـــاهُ قاصـــمةُ الظهـــر
ومـــا اليـــوم إلاَّ مثـــلُ أمـــس وإننـــا ... لفـــي وَشَـــلِ الضحـــضاحِ أو لُجَـــةِ البحـــرِ

وللصلتان شعرٌ يفيض حكمة، يقول:

أشـــابَ الـــصغيرَ وأفنـــى الكبيـــر ... مـــرور الغـــداةِ وكـــرُّ العـــشي
إذا هزمـــت ليلـــة يومهـــا ... أتـــى بعـــد ذلـــك يـــومٌ فتـــي
نـــروحُ ونغـــدو لحاجاتنـــا ... وحاجـــة مـــن عـــاش لا تنقـــضي
تمـــوت مـــع المـــرء حاجاتـــه ... وتبقـــى لـــه حاجـــة مـــا بقـــي
.. بُنـــيَّ بـــدا خـــبء نجـــوى الرجـــال ... فكـــن عنـــد ســـرِّك خـــبء النُّجـــي
وســـرُّك مـــا كـــان عنـــد امـــرئٍ ... وســـرُّ الثلاثـــة غيـــر الخفـــي
كمـــا الـــصمت أدنـــى لـــبعض الرشـــاد ... وبعـــض الـــتكلُّم أدنـــى لعـــي

وقال في تحكيمه بين الفرزدق وجرير:

فـــان كنتمـــا حكمتمـــاني فانـــصتا	ولا تجزعـــا وليـــرض بـــالحق قـــانعُ
فـــان ترضـــيا أو تجزعـــا لا أقلكمـــا	وللحـــق بـــين النـــاس راضٍ وجـــازعُ
فـــان يـــكُ بحـــر الحنظليـــين واحـــداً	فمـــا تـــستوي حيتانـــه والـــضفادعُ
ومـــا يـــستوي صـــدر القنـــاة وزجُّهـــا	ومـــا يـــستوي شـــمُّ الـــذرى والأكـــارعُ
ولـــيس الـــذنابى كالقـــدامى وريـــشها	وما تـــستوي فـــي الكـــفَ منـــك الأصـــابعُ
ألا إنمـــا تحظـــى كليـــب بـــشعرها	وبالمجـــد تحظـــى دارمٌ والأقـــارعُ

زياد الأعجم: سكن إصطخر فغلبت العُجْمةُ لسانه، عاش حتى أواخر الحكم الأموي، مدح العباسيين في البداية ثم عاد فهجاهم بعد أن نكلوا بآل البيت الذين أخذو الحكم باسمهم، وقال:

يـــا ليـــت جـــور بنـــي مـــروان دام لنـــا	وليـــت عـــدل بنـــي العبـــاس فـــي النـــار

قيل أن الفرزدق أراد هجاء عبد القيس، فبعث له زياد بأبيات جعلته يتراجع، منها:

ومـــا تـــرك الهـــاجون لـــي إن هجوتـــه	مـــصحاً أراه فـــي أديـــم الفـــرزدق
ولا تركـــوا عظمـــاً يـــرى تحـــت لحمـــه	لكاســـــره أبقـــــوه للمتعـــــرّق
سأكـــسر مـــا أبقـــوه لـــي مـــن عظامـــه	وأنكـــث مـــخ الـــساق منـــه وانتقـــي
وإنّـــا ومـــا تهـــدي لنـــا إن هجوتنـــا	لكالبحر مهمـــا يلـــق فـــي البحـــر يغـــرق

محمد بن ثمامة العبدي: عاصر العهد الأموي، ومن شعره:

انـــــزعم أننـــــي أهـــــوى خلـــــيلاً	ســـــواك علـــــى دنـــــوٍ أو بعـــــاد
جحـــــدتُ إذاً مـــــوالاتي عليـــــاً	وقلـــــتُ بـــــأنني مـــــولى زيـــــاد

يحيى بن بلال العبدي: عاش في صدر الدولة العباسية، من شعره:

أمـــا الـــدعاة إلـــى الجنـــانِ فهاشـــمُ	وبنـــو أميَّـــة مـــن دعـــاة النـــار
أأمـــيُّ مالـــك مـــن قـــرار فـــالحقي	بـــالجن صـــاغرة بـــأرض بـــوار
فلـــئن رحلـــتِ لتـــرحلن ذميمـــة	وإذا اقمـــــت بذلّـــــة وصَـــــغارِ

الأمير علي بن المقرَّب العيوني: ومن شعره في مديح تاج الدين إسماعيل العلوي:

أبـــاؤه مـــن قـــريش خيرهـــا حـــسباً | وعـــزٌ حاضـــرها فـــيهم وباديهـــا
الـــضاربون الطلـــى والهـــامَ ضـــاحيةً | في الحـــرب حـــين يهـــزُّ الحـــربَ جانيهـــا
والطـــاعنو الخيـــل شـــزراً كـــلَّ نافـــذة | نجـــلاء تبـــرقُ منهـــا عـــينُ آســـيها
والموقـــدون إذا نـــارُ القـــرى خَمَـــدَت | وعـــامَ بـــين اللقـــاح الخُـــور راعيهـــا
قـــومٌ لهـــم ذروة العليـــاء يعرفهـــا | دانـــي معـــدٌ إذا عُـــدَّت وقاصـــيها
عـــافوا الظـــواهر مـــن أُم القـــرى وبنـــوا | أبيـــاتهم عـــزَّةً فـــي ســـرٌ واديهـــا
وأصـــبحت كعبـــة الله الحـــرامُ وقـــد | أضـــحتْ ومـــنهم بـــرغم الخـــصم واليهـــا
ســـادوا قريـــشاً عُـــلاً فـــي جاهليتهـــا | ومَـــنْ يُـــسامي قريـــشاً أو يباريهـــا
وكـــلُّ عليـــاء فـــي الإســـلام فهـــي بهـــم | تُبنـــى وقطـــب الرحـــى مـــنهم وهاديهـــا
يا مـــنْ يـــسامي إلـــى مجـــدٍ بنـــي حـــسن | عـــدمتَ رشـــدك هـــل خلـــقٌ يـــساميها
قبيلـــة مـــن رســـول الله عُنـــصرها | ومـــن علـــيٌ فتـــى الـــدنيا ومُفتيهـــا
إن القـــروم الـــسوامي مـــن بنـــي حـــسنٍ | يُحـــصى التـــرابُ ولا تُحـــصى أياديهـــا

الشيخ جعفر بن محمد بن حسن العبدي الخطي (المعروف بأبي البدر) ومن شعره في وطنه القطيف:

إن القطيـــف وإن كَلِفْـــت بحبهـــا | وعَلَّـــت علـــى اســـتيطانها زفرانـــي
إذ إيـــن جـــزت رأيـــت فيهـــا مـــدرجي | طفـــلاً وأترابـــي بهـــا ولـــداني
لأجـــلَ ملتمـــسي وغايـــة منيتـــي | أنـــي أقـــيم بـــتلكم الـــساحات
فـــسقى الغمـــام إذا تحمـــل ركبـــه | تلـــك الرحـــاب الفـــيح والعرصـــات

وهزل الشيخ ابو البحر مرة بشاعر قطيفي سنة ١٠٠٧هـ فقال:

يا خليليَّ من ذوابة شيبا | ن ويدعى لما ينوب الخليل
إن هذا الفتى الذي وسم الشعر | بعار ما أن نراه يزول
قد نضا مدية الجهالة يفري | ودَجَ الفضل فهو منه قتيل
يا حماة القريض هبُّوا لأخذ | الثار فالخطب لو علمتم جليل
وخذوا بالترات من قاتل الشعر | فما الحزم أن تضاع الذحول
لاك في فيه شحمة الشعر من لم | يدرِ ما فاعل ولا مفعول
وادَّعى رتبة البلاغة في القول | غبيٌّ لم يدرِ ((أيش)) يقول

ورثى شيخ القطيف الأكبر أبو علي عبد الله بن ناصر بن مقلد من بني وايل، فقال:

أكفُّ البرايا من تراثهم صفرُ | وبيض المنايا من دمائهم حمرُ
وخيل الرزايا ما تزال معدَّة | تقاتلنا فرسانها ولها النصرُ
تكرُّ علينا البيض والسمر بالردى | فتبلغ ما لا تبلغ البيض والسمرَ
.. خليليَّ من أبناء بكر ووائل | قفا واندبا شيخاً به فُجعت بكرُ
وبدراً تراءى للنواظر فاهتدت | به برهة ثم اختفى ذلك البدر
وعضباً ثنت أيدي النوائب حدَّه | فهلاَّ اعتراها من مضاربه عقر
أرامي الردى أخطاتنا واصبته | أسأت لنا جذَّت أناملك العشرُ

الشيخ فرج الخطي: من أعلام القرن الثاني عشر الهجري، ومن شعره:

هلاَّ شممتَ روائح التفاحِ | سَحَراً بقبَّة خامس الأشباحِ
ورأيتَ نور الله يشرقُ عندهُ | كالشمس يخمد نيِّر المصباح
وبكيتَ مصرعهُ المهول بلوعةٍ | تفري العيون بدمعها السفَّاحِ
وسهرت ليلك باكياً لمصابه | وشكوت ذاك لفالق الإصباحِ
خطبٌ إذا استشعرت أيسر أمره | عسرت عليَّ مسالك الأفراحِ
إنِّي لأعجب عند ذكر خطيرهِ | لتعلُّق الأبدان بالأرواح

الشيخ حسن التاروتي: صاحب الرائعة المشهورة في رثاء الإمام الحسين، والتي يقول فيها:

اللراعيبة بالأجرع ... صبابة وجدٍ فلم تهجعِ
أم استوجدت وأنت مورداً ... تمضمض منه ولم تجرعِ
أجارتنا ليس دعوى الأسى ... بانْ تخضبي الكفُّ أو تسجع
إليَّ حمامة جرع الحمى ... فليس الشجيُّ كمن يدّعي
فإمَّا استطعت حنيناً له ... يلفُّ الحنايا وإلاَّ دَعي
ودمعٌ إذا فار تنورهُ ... دماً لم أفلْ يا جفوني أقلعي
.. وداعٍ دعاه إئتنا للهدى ... ولم يكُ هيَّابة إذ دُعي
ومن حوله تبَّع إن دعا ... فما حميرُ مَنْ دعا تُبع
كان النجوم بهم تهتدي ... إذا حلَّها البدرُ في مطلعِ
.. فيا راكباً ظهر مجدولةٍ ... شاتْ أربع الريح في أربع
إذا لمعت نار طور الغري ... فأنت بوادي طوى فاخلعِ
وصلْ وسلِّم وصلْ واستلم ... لقدس أبي الحسن الأنزعِ
وناد وقل يا زعيم الصفوف ... ومركز دائرةِ الأجمعِ
.. أثرْ نقعها فحسين قضى ... وغلَّة أحشاه لم تنقعِ
وقد وتَرَتهُ أكُفُّ التُّرات ... فأغرقت الرمي بالمنزعِ
إذا قعدَ الشمرُ في صدره ... فما لقعودكَ من موضعِ

الشيخ يوسف أبو ذيب، ومن شعره:

.. كأني به والفيلقُ اللجبُ حوله ... وكل لهامٍ يقتفيهِ لهامُ
يعبُّي بقلب ثابت الجاشِ جيشه ... لخوض عباب شبُّ فيه ضرامُ
ويرمي بهم زج المغاوير غارة ... كما زجُّ من عوج القسيُّ سهامُ
مدججة تغشى الوغى فكأنُّه ... على الهولِ للحرب الضروس لحامُ
.. قضى بين اطراف الأسنَّة والضبا ... بحرُّ حشا يذكي لظاه أوامُ
ومن حوله أبنا أبيه وصحبه ... كمثلِ الأضاحي غالهنُّ حمامُ
على الارض صرعى من كهول وفتيةٍ ... فرادى على حرُّ الصفا وتوامُ
مرمَّلة الأجساد مثل أهلَّةٍ ... عراهنُّ من مورِ الرياح جهامُ
وتلك النساء الطاهرات كأنُّها ... قطا بين أجراع الطفوف هيامُ

يطفـن علـى شـمُ العـرانين سـادة | قـضوا وهـمُ بـيضُ الوجـوه كـرامُ
ويـضربن بالأيـدي النواصـي تولُّهـا | وأدمعهـا كالمعـصرات سـجامُ
وتهـوي مروعـات بـأروع أشـمط | طليـق المحيَّـا إن تعـبس عـامُ

الشيخ محسن فرج، ومن قصائده:

لعمـرك مـا البعـاد ولا الـصدود | يـؤرّقني ولا ربـع همـودُ
ولـم يجـر الـدموع حـداء حـادٍ | ولا ذكـرى ليـال لا تعـودُ
ولكـنْ أسـبلَ العينـين خطـبٌ | عظـيمٌ لـيس يخلقـه الجديـدُ
عـشيّة بـالطفوف بنـو علـيٍّ | عطاشـاً لا يبـاح لهـا الـورودُ
تـذادُ عـن الفـرات وويـل قـومٍ | تـذودهمُ انعلـمُ مـن تـذودُ؟
ألا ويـلُ الفـرات ولا اسـتهلّت | علـى جنبيـه بارقـة رعـودُ

الشيخ علي بن حبيب التاروتي، ومن شعره:

سـمعاً مهفهفـة الهفـوف مـن هجـر | أنغمـة الـصوت ذا أم رنّـة الـوترِ
وذا الـذي عطّـر الآفـاق فائحـة | ترديـد نفـسك ذا أم نفحـة العطـرِ
وصـفحة الوجـه تبـدو منـك مـسفرةً | أم قرص شمس الـضحى أم غـرّة القمـر
وذا الـذي فـوق مـتن الظهـر منـسدل | سـتر الـدُّجى مـرتخٍ أم دجنـة الـشعر
وهـذه الوجنـةُ الحمـراء خـدّك أم | نـار بـثلج فـلا بـدعاً مـن القَـدَرِ

الشيخ علي نقي ابن الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي: قال يرثي ابنه حسن، وهو من أعزّ اولاده:

أبنـيَّ لا بكـت العيـون سـواكا | وترادفـت سـحاً علـى مغناكـا
فلقـد بكيـت بدمعـة مهراقـةٍ | تـسقي مـن الـدمع الملـثّ ثراكـا
ولقـد بكيتـك والعيـون نـواعس | أرق الجفـون بمـدمع يغـشاكا
قـد كنـتُ آمـل أن تعـيش لحـادث | مـن بعـد مـا يغـشى الحمـام أباكـا
وتكـون بعـدي لليتيمـة كـافلاً | تبكـي أباهـا حـسرةً فتراكـا
نـصبَ المنـون عليـك أشـراك الـردى | فـي قبّـة لـم تتقـشع بـسواكا
سـهمٌ أصـابك لا رمـاك وليتمـا | أصـمى فـؤادي صـائبٌ أخطاكـا
.. إنـي وعيـشك لا أعـيش بفرحـةٍ | مـن أجـل موتـك أو أرى لقياكـا

ورثى زوجته ((نوار))، فقال:

.. نوارُ لقد حلّت بتربك رحمة   تعطّر منها ساكن البرُّ والبحر
نوار خذيها بالتحيّة واعلمي   بأن الليالي وصلها ليلة القدر
سقى الله قبراً يا نوار إكتنفنه   هو اطل غيث ضمُّ قلبي من قبر
وأردف قبراً ضمُّ جسمك لحده   روافل مزن الغاديات مدى الدهر
وأسكن قلبي بين جسمك والثرى   يقي ناعماً عن ناعم الترب في القبر
إذا متُّ فادفني بجانب قبرها   لعلّ فؤادي يبرد اليوم من حرُّ
.. أما والذي صلّى الإنام لوجهه   وقامت له الأشياء بالنهي والأمر
لقد خامرت قلبي فلم يبقَ موضعٌ   تحلُّ سواها فيه في عامر الدهر

وقال في الفخر راداً على بعض أعراب نجد

إذا أفتخرت قومي بمجدٍ مؤثلٍ   ففخركم شغرٌ وحلب عشار
.. لقد كانت الأنساب في جنب وائلٍ   كمثل سراج في ضياء نهار
فمن ذا يداني للمكارم غيرناً   ومن ذا يداني غيركم لشنار
أقول له كف الفخار فإنما   مفاخركم بين الأنام عواري
تفاخرُ قوماً كنتمُ أعبُداً لهم   تباعون فيهم صفقة بخسار
فخلّوا سبيل المجد تتمى لأهلها   ودونكم ذلاً بكلّ صغار
لبسنا من المجد الأثيل ملاحفاً   وإنّا عن العار الملم عواري

وقال في الفخر أيضا:

.. وإنّي أمرؤ لا ارتجي ذا خصاصةٍ   أتته الليالي فضل نائلها المرُّ
ولا أسأل الاسقاط فضل نوالهم   فما الحرُّ إلاّ أن يقال أخو الصبر
ولست بملاّقٍ أُضاحكُ عابساً   فما ذاك من خلقي وما بيَ من كبر
وما أنا ركاب المفازةِ طالباً   مطامعِ تستندي من المدح والشعر
.. سأنفق مالي ما حييت على العلا   فإن قلّ مالي كنتُ أنفقُ من صبري
أعفُ تقى حتى لقد ظُنّ أنني   نكولٌ إذا ما الأمر ضاق به صدري
وأسطو لدى الهيجاء إنْ شبّ جمرها   كما الليث يسطو حين هيج في الخدر
وأحمي ذماراً شرّف الله أصله   بفعل المعالي والمكارم والفخر
أنا ابن أباة الضيم لا أحمل الأذى   ولو كان فيه مورد البيض والسمر

أصل الشيعة العرقي

سكن منطقة البحرين (القديمة) قبائل عربية عديدة قبل الإسلام، كالأزد الذين استقروا بكثافة في عمان، وأياد التي هاجرت من الحجاز، وقبائل تنوخ – وهي قبائل جاءت من تهامة وعقدت حلفاً فيما بينها على الاقامة (التنوخ) – .. غير ان قبائل ربيعة مثل (عبد القيس وبكر بن وائل) بمختلف افرعهما، أزاحت أياداً والأزد عنها وسيطرت على البحرين جميعاً، فكانت الواحات بيد أفرع من عبد القيس، ثم يليهم إلى الغرب بنو بكر بن وائل، وإلى غربيهم في البادية بنو تميم.

وقبل ان يدخل الإسلام إلى المنطقة، وبحكم غناها وثروتها واتصالاتها بالاقوام المختلفة لاجل التجارة.. سكن فيها عدد من العناصر غير العربية كالزطّ المجهولي النسب، والنبط، والسيابجة، وعدد محدود من الفرس الذين كانوا يحكمون المنطقة في جاهليتها.. إلا أن الغالبية كانت من عبد القيس العرب حينما ظهر الإسلام واعتنقه أهلها سلماً، فكانت المنطقة ثاني منطقة تدخل الإسلام بعد المدينة المنورة.

وتدفقت على المنطقة بعد ظهور الإسلام قبائل امتزجت بالسكان.. فسكنتها بطون من بني عامر، وبني كلاب وغيرهم.. وفي نفس الوقت هاجرت أعداد كبيرة من عبد القيس إلى العراق في العقد الثاني الهجري في خلافة عمر بن الخطاب، خاصة إلى البصرة والكوفة اللتين ابتنيتا حديثاً.. ولعلّ هذا ما يفسرُ الوجود الشيعي المكثّف فيهما والذي بدأ واضحا في أواخر خلافة عثمان بن عفان.

ان كثيرا من أسر الشيعة المتحضرة – وهي كلّها متحضرةٌ – ترجع في أصولها إلى هذه القبائل العربية، وإنْ كان المتحضرون في كل بلاد الدنيا لا يهتمون بالأنساب والاعتزاز بها.. وان العديد من سكان الأحساء والقطيف يعرفون أصولهم العرقيّة، رغم انهم لا يستطيعون إثبات هذا الانتماء بذكر إتصاله بفرع معروف من فروع إحدى القبائل المذكورة، ويعتبر الباحثون ان هذا الأمر طبيعي جداً، وهي أحدى صفات التحضّر والاستقرار[4].

وبعكس هذا نجد ان البدو يعتزّون بأنسابهم ويعرفون أصولهم، وكانت بادية الأحساء والقطيف تتلقّف الكثير منهم، وهم في اغلبهم سنّة يفدون من وسط وغرب وجنوب الجزيرة العربية، في حين كان السكان الحضر وعلى الدوام شيعة. كانوا البدو يفدون إلى مناطق الشرق، طمعاً في مراعيها المعشبة، وقرباً من مصادر الثراء والغنى والمياه والزراعة التي يقوم عليها الحضر.. وكان الخلاف بين البدو والحضر أمراً مألوفاً في كل الانحاء، ومن بينها الاحساء والقطيف، ولم

[4] المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، الجزء الأول، حمد الجاسر، ص ٥٨.

يكن ذلك يعود لأسباب مذهبيّة، فالبدو كما يقول الباحثون هم من أبعد الناس عن روابط الدين فضلاً عن المذهب، ولكن لأسباب إجتماعية واقتصادية، وعادات تأصّلت في البدو.

تجدر الاشارة إلى ان كل قبيلة متى ضعفت، وزاحمتها قبيلة اخرى اقوى منها، فانها تعمد كلها أو بعض فروعها إلى احد ثلاثة أمور: إما الانضواء تحت سيطرة الأقوى، أو الهجرة إلى بلاد اخرى، أو الاستقرار في المدن والتحضر، فتترك البداوة، ويزول الاسم الا من بعض الافرع الضعيفة التي تنتسب اليها[5]. ولذا فان الكثير من الاسر الشيعية تنتمي إلى قبائل ضعفت أو هزمت في حروب سابقة، ونخصُ بالذكر قبيلة بني خالد التي ينتمي أعداد غير قليلة من الشيعة اليها.. وكان بنو خالد قد ضعفوا بهزيمتهم على يد السعوديين مرة، وبظهور العجمان مرة اخرى، فاستقرت افرع منها في المنطقة وتحضّرت وتشيّعت واندمجت مع السكان.. كما ان بعض بني خالد هاجر إلى جنوب العراق وانضوى تحت قبائل اخرى، ولم يبق من القبيلة ــ في منتصف هذا القرن ــ سوى بضعة آلاف قليلة تعيش على هامش الحياة السياسية في المنطقة بعد ان كانت زعيمة البدو والحضر معاً.

إن الشيعة عرب في أصلهم، وهم قسمان: قسم ينتمي إلى القبائل العربية الاصلية القديمة التي كانت تقطن المنطقة قبل الإسلام (عبد القيس وبكر بن وائل)، وقسم ينتمي إلى أصول بدوية تحضّرت واعتنقت المذهب الشيعي، أو عوائل وفروع قبائل أغراها السكن والرفاه، فوفدت من مدن ومناطق مختلفة ــ خاصة من نجد ــ إلى الاحساء والقطيف واندمجت مع البقيّة وذابت عصبيتها.

معظم المصادر العربية والأجنبية تجمع على ان شيعة الاحساء والقطيف من ذوي الأصول العربية، وانهم سكان المنطقة الاصليين منذ قرون طويلة.

وبرزت في السنوات الأخيرة إدّعاءات تقول بأن الشيعة غير عرب، لأسباب طائفية وسياسيّة معروفة. وكانت مثل هذه الادعاءات قد راجت قبل أن تصبح البحرين أمارة مستقلة، حيث طالب الشاه الايراني المخلوع بها وكان العداء السياسي مع إيران الشاه، ومحاولة الاخيرة الادعاء بتمثيلها لكل الشيعة في البحرين بقسميهم العربي وهو الاكثرية، والأقلية ذات الاصول الاعجمية التي وفدت قبل قرون اثناء سيطرة فارس عليها.. كان هذا هو الذي دفع بالقليل من الكتاب إلى القول بأن الشيعة غير عرب، في حين تصدّى لهم آخرون وأثبتوا عروبة البحرين من خلال عروبة التشيّع والشيعة، وبالتالي عدم أحقيّة فارس في تمثيلهم.

---

[5] المصدر السابق، ص ٥٩، ٦٠.

ومن المعلوم والشائع في كتابات المؤرخين المعاصرة والغابرة، قولهم ان سكان البحرين (القديمة) هم من البحارنة الشيعة، وانهم دون غيرهم سكان هذه المنطقة الاصليين.

وبالنسبة لمنطقتي الاحساء والقطيف، فان احتكاكهما بفارس كان ضعيفاً، عدا التوافق المذهبي، ونزوح جماعات من الشيعة إلى أقاليم فارس المأهولة بالعرب على امتداد ساحل الخليج الشرقي، وبالخصوص إلى ما عرف سابقاً باسم إمارة ((عربستان)).. ولم يثبت المؤرخون، كما لم يعهد السكان الشيعة المحليون، أن عناصر فارسية استوطنت هذه المنطقة، بعكس مناطق الخليج الاخرى، حيث تتواجد أقليّات إيرانية شيعيّة وسنيّة في الامارات وقطر والكويت.

غير ان تصاعد الخلاف بين إيران بعد ثورتها على الشاه مع الحكومة السعودية، وعزف الاخيرة على الوتر القومي – الذي سبق لها ان حاربته بالعزف على الوتر الديني في العهد الناصري – هو الذي سوّغ لبعض الطائفيين الطعن في عروبة الشيعة وعروبة التشيّع أيضاً.

وهناك العديد من الطائفيين لا تظهر عروبتهم وهم يجدون الايرانيين ذوي الأصول السنيّة في مختلف دول الخليج، ولا يهتمون بالسلالات الصينية والاندونيسية والهندية والتركية والايرانية في الحجاز، ولم يحاول هؤلاء تجريد أولئك من حقوقهم الدينية، والوطنية بدعوى عدم عروبتهم.. ولكن عددا من هؤلاء الطائفيين – وبينهم مسؤولون في الدولة السعودية – لا يتورعون عن اتهام رعاياهم الشيعة بأنهم إيرانيون، يجب طردهم من البلاد!.. إن هؤلاء يتجاهلون حقيقة أن التشيّع والشيعة ليسا طارئين في هذه المنطقة، بل ان الطارئ هم غيرهم الذي لم يمض على بقائهم في مناطق الشيعة أقل من قرن من الزمان، كما يتجاهلون حقيقة ان معارضة الشيعة السياسية للحكومة السعودية قد أُلبست لباساً مذهبياً لأغراض معروفة للقاصي والداني.

إن الشيعة في المملكة، ورغم أنهم يتبعون المذهب الاثني عشري كالايرانيين والعراقيين واللبنانيين وغيرهم، الا أنهم عرب، وفي بعض الاحيان يسمّون بالبحارنة، نسبة إلى البحرين القديمة، دلالة على اصالتهم في هذه المنطقة، وهم عرقياً قريبون من الشيعة في البحرين[6].

ولا شك أن اصول الشيعة في البحرين والمنطقة الشرقية من المملكة واحدة، فهم ينتمون جميعاً إلى القبائل العربية القديمة (عبد القيس بوجه خاص)، وتاريخ المنطقتين واحد إلى ان جاء

[6] Saudi Arabia Modernization, The Impact Of Change On Staability. By John A. Shaw & David E. Long, The Center For Stratigic And International Studies, George town University Washington D. C, 1988 P98.

الاستعمار البرتغالي، فانفصلت البحرين (أوال) عن (الخط وهجر)، كما هو ثابت لدى المؤرخين.

ويضاف إلى هذا فان العوائل في المنطقتين متقاربة نَسَبِيًّا، رغم فواصل الحدود، وتكاد لا توجد عائلة في منطقتي الاحساء والقطيف ليس لها ارتباط أو صلة بعوائل في البحرين.. وواضح من التاريخ ان الهجرات بين المنطقتين تجري بسهولة، اما لأسباب اقتصادية، أو فراراً من الاضطهاد السياسي والمذهبي.. فحينما سيطر آل خليفة سنة ١٧٨٣م على البحرين واحتلوها، امعنوا في الأهالي قتلاً وسحقاً، ففرّ هؤلاء الشيعة إلى الاحساء.. ويذكر كرستن نيبور أنه في منتصف القرن الثامن عشر كان في البحرين ٣٦٥ قرية ومدينة، وبعد احتلال آل خليفة للبحرين بغزوهم لها من البرّ، اصبحت لا تحتوي الا على مدينة واحدة محصّنة، إلى جانب ٤٠ ـــ ٥٠ قرية في حالة سيئة بسبب الحرب الطاحنة بين الغزاة والسكان الشيعة[٧].

وبالعكس حدثت هجرات قويّة للشيعة من الاحساء والقطيف إلى البحرين في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، حينما سيطر الوهابيون على المنطقة، وحدثت هجرة مشابهة لتلك سنة ١٩١٣م / ١٣٣١هـــ، وهي السنة التي احتلّ فيها الملك عبد العزيز ما يعرف اليوم باسم المنطقة الشرقية.. وتحفل دراسات المؤرخين بتأكيدات على ان الشيعة في البحرين ينقسمون إلى ثلاثة اقسام: الأصليون، والمهاجرون من الاحساء والقطيف، والايرانيون ـــ وهم قلّة ـــ .

وكما أشرنا فان الشيعة يسمّون بالبحارنة، وهي لفظة يطلقها الطائفيون للسخرية والانتقاص.. ومفرد البحارنة بحراني، وهي صيغة عربية صحيحة للانتساب، فكل من سكن البحرين (الاحساء والقطيف والبحرين الحالية) فهو بحراني، ولان كل البحارنة تقريباً هم من الشيعة، لذا اصبحت الكلمة مرادفة في المعنى للشيعي.. فالبحراني تعني الشيعي وتعني ساكن المنطقة الاصلي.. إلا انها تعطى بالنسبة للطائفيين معنى دونيًّا تمييزياً، فالبحراني الشيعي ابن المنطقة بالنسبة لهم، هو غير العربي (الذي يعني البدوي القبلي والسيّد المسيطر)[٨].. الجدير بالذكر ان هناك العديد من التابعين ممن سكن المنطقة يلقبون بالبحراني، بل أن ابن المقرّب العيوني ـــ الشاعر الفحل ـــ ورغم محاولة الطائفيين إلغاء تشيّعه، فانه يلقب بالعيوني البحراني[٩].

---

[7] مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٢٦، اكتوبر ١٩٨٢. دراسة للدكتور محمد رياض تحت عنوان: الخليج والخليجيون قبل عام ١٩٢٠ / دراسة الجغرافيا والسكان والاقتصاد، ص ٢٤٥.

[8] انظر كتاب: البحرين / التغيير السياسي والاجتماعي، للدكتور محمد الرميحي، ص ٤٨، ٤٩.

[9] راجع ديوان ابن المقرّب العيوني، تحقيق عبد الفتاح الحلو.

ويؤكد أحد الباحثين العرب في دراسته لأصول سكان منطقة الاحساء، بأنهم احفاد لقبائل عربية كانت تسود في الجزيرة العربية منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة[10].. إلا أن احد دعاة الطائفية عكس الآية فقال: ((والسنّة في الاقليم يرجعون إلى اصل عربي، وهم أحفاد العرب الأوائل الذين قطنوا هذا الاقليم منذ زمن بعيد.. اما الشيعة فيرجعون في اصولهم إلى اصل عجمي، والقليل منهم من اصل هندي))[11]!.. ولا ندري بماذا يفسّر الكاتب وجود أغلبيّة شيعية في هذه المنطقة إن كانت اعجمية أو هندية!!.

ومما يؤسف له ان الباحثين الاجانب عرفوا اصول الشيعة العربية بأكثر مما فهمها ويفهمها اولئك الذين يملي الحقد الطائفي عليهم في كتاباتهم.. قال احدهم بأن الشيعة هم عرب يعتنقون شكلاً من الإسلام يتضمن تبجيل القديسين[12]، وهو ان فهم اصل الشيعة، فانه لم يستوعب معتقدهم.

ويرد الدكتور الرميحي من الأقوال التي تورد ان شيعة البحرين غير عرب، ويعلّق على دراسة لاحدى الدانماركيات لقرية شيعية في البحرين، بأنها خلطت بين (البحارنة) و(العرب): ((ووصل بها الحدُ إلى أن تفتي بأن البحارنة غير العرب، فقالت: هم أنفسهم ــ أي البحارنة ــ يصرّون على أنهم غير عرب مثل الحاكم وعائلته.. إنهم يدعون انفسهم بحارنة)).. ويضيف الرميحي: ((لقد فشلت الكاتبة في أن تبين المعنى الواضح مما نقلته عن بعض سكان القرية، حيث أنهم يعرفون الشيعة بــ (البحارنة) والسنّة بــ (العرب). فلو سألت نفسها إذن من هم البحارنة لاستطاعت ان تتوصّل إلى انهم عرب أيضاً))[13].

غير أن الدكتور الرميحي اعترف بصعوبة التعرّف على اصل الشيعة العرقي، واشتكى ان ما بين يديه من مراجع لم يسعفه في تحديد الاصول، مع هذا قال: ((اننا نميل إلى القول بأن الشيعة في البحرين ــ ويصدق ذلك على الاحساء والقطيف ــ من اصول عربية من العراق لان اللهجة التي يتكلمون بها تقارب اللهجة العربية السائدة في جنوب العراق)).

لا شكّ ان هناك صعوبة في التعرف على انساب الشيعة، ومردّ ذلك كما اشرنا إلى قوانين التحضّر والاستقرار، فهذه المنطقة عريقة في الحضارة، ومجتمع الحضر يذيب ــ في العادة ــ الأنساب والأصول، خاصة في التجمّعات الدينية التي لا تتفاخر بأنسابها، ونحسب ان منطقة

---

[10] الخليج العربي، دراسة في اصول السكان، يوسف محمد الصميط القاهرة ١٩٧٠، ص ٣٦.

[11] الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، عبد الفتاح بوعلية، ص ٤٧، والكاتب ليس سعودياً وإن كان يحمل الجنسية السعودية.

[12] مايكل فيلد، التجار، الجزء الاول، ترجمة دهام عطاونة، ص ٦٩.

[13] الرميحي، مصدر سابق، ص ٤٨، ٤٩.

البحرين بشكل اجمالي واحدة منها.. والذي ميّز المنطقة وبعض مناطق عمان عن نجد ومشيخات الخليج الاخرى، انها كانت متحضرة قبلها بمئات ــ أن لم نقل بآلاف السنين... فهذه المنتجات ما هي الا قبائل مترحلة في اغلبها إلى ان استقرّت قبل سنوات قليلة وتحوّلت إلى امارات.. والقبائل تحافظ على انسابها لأنه لا قيام لقبيلة الا بها.

فلا الدين عندها يجمع افرادها بأقوى مما يجمعها النسب، ولا روح الاخوة والإسلام تشدّهم كعصبيّة القبيلة. ولتحضّر هؤلاء المتأخر في نجد وقطر والكويت وبعض قبائل عمان والامارات، فان من الطبيعي انهم يعرفون انسابهم.

لكن هل يمكن معرفة انساب سكان دمشق أو القاهرة أو بغداد؟!.. ان المسألة تبدو في غاية الصعوبة، وبالنسبة للشيعة فانها تبدو اكثر اغراقا في الصعوبات، لخصوصية في المذهب الشيعي الذي لا يحفل بالقوميات اكثر من أي مذهب اسلامي اخر.

ومع أن هناك الكثير من العوائل النجدية والقبلية الاخرى استوطنت الاحساء قبل حوالي ثلاثة قرون واعتنقت المذهب الشيعي، الا ان معظم افرادها لا يدركون اصولهم العرقية ولا انتماءاتهم المذهبية السابقة، الا قلّة من رجالهم المعمرين في السن.

وهناك مسألة اخرى، وتتعلق بصعوبة التعرّف على اصول السكان من خلال اللهجات.. صحيح ان الشيعة في البحرين والمنطقة الشرقية في المملكة تأثرت لهجتهم باللهجة العراقية، نظراً للتداخل المذهبي، وباعتبار ان العراق كان مهوى العلم والعلماء، وان معظم علماء الشيعة في هذه المناطق درسوا في تلك البقاع، وان معظم الشيعة يزورون الاماكن المقدسة الدينية.. قد تكون هذه اسباب تأثر لهجة الشيعة في الخليج باللهجة العراقية، لكن الاختلاف بينها واسع بيِّن.

قد تكون لهجة الشيعة في المنطقة غريبة على مسامع السكان البدو الوافدين، تماماً مثلما هي لهجتهم غريبة على اسماع السكان الاصليين، فهل يصحّ ان يقيِّم البدوي الوافد لهجة السكان الاصليين ويقرِّر أنهم ــ وبحكم اقتراب لهجتهم بلهجة سكان آخرين ــ أنهم من اصل مشترك، أو وافدين من ذلك البلد؟!

ومع وضوح عروبة سكان المنطقة، فانك تجد من يعرِّف كلمة (البحراني) بصورة خاطئة متعمَّدة، فيقول بأن شيعة البحرين والقطيف والهفوف ينطقون باللغة العربية(!).. واستكثر عليهم ان يصفهم بالعرب، أو ان يقول بأن لغتهم هي العربية، وأنهم لا يجيدون غيرها.. ثم اشار بتفاخر إلى ان السنّة في الاحساء يطلقون لقب البحراني على كلّ شيعي[١٤].

---

[14] الاصلاح الاجتماعي، ص ٤٨.

أماكن تواجد الشيعة وعوائلهم وشخصياتهم

يسكن الشيعة الاثنا عشرية (الإمامية) في مدن وقرى المنطقة الشرقية، اضافة إلى المدينة المنورة ومكة لمكرمة.. يقول الدكتور عبد الله الحامد: ((لا يوجد في كل الاقاليم ــ في المملكة ــ دين غير الإسلام.. والإماميون في مكة والمدينة، ويتكاثرون في الاحساء والقطيف. والقطيف خاصّة كل سكانها من الشيعة))[١٥]، فيما يتمركز الاسماعيليون جنوب المملكة (نجران وقراها)، وتوجد اقليّات شيعيّة (زيدية وإماميّة) في مدن وقرى مختلفة من المملكة.

أماكن وعوائل الشيعة في الاحساء

* الهفوف: وهي عاصمة الاقليم وتشمل نحو ثلث سكانه.. وتبلغ نسبة الشيعة في الهفوف نحو ستين بالمائة من سكانها، ويقطنون العديد من أحيائها بأغلبية ساحقة مثل: الرفعة الشمالية، الرفعة الجنوبية، الكوت، الفريق الشمالي، الفاضلية، التعاون، المزرع، السدرة، الحداديد، السويج، النعاثل، الرقيات، اليحيى، الأندلس، الزقيقان.

من العوائل الشيعية فيها:

* آل بوخمسين، ومنهم المرحوم الشيخ محمد بوخمسين، والمرحوم الشيخ موسى بوخمسين، والشيخ باقر بوخمسين، قاضي شيعة الاحساء للأوقاف والمواريث، وابنه الشيخ حسن بن الشيخ باقر بوخمسين، والشيخ موسى عبد الهادي بوخمسين، والشيخ حسين عبد الهادي بوخمسين، والشيخ حسن عبد الهادي بوخمسين، والشيخ ياسين بوخمسين (توفي في ١٤٠٠هـ)، والكاتب الصافي علي بن أحمد بوخمسين، وتوجد عوائل من آل بوخمسين في الكويت والبصرة نزحوا من الاحساء.

* العامر، ولهم اقرباء في الزبير، ومنهم الشيخ توفيق العامر.

* الشوّاف، ولهم اقارب في الكويت، ومنهم المرحوم الشيخ حسين الشواف، وهو من تلامذة الشيخ موسى بوخمسين، ومنهم ابنه المرحوم الشيخ عبد الله الشواف، ومنهم الشهيد الشيخ محمد نور الشواف (استشهد في عام ١٤٠٦هـ).

* البوحليقة، ولهم بعض الاقارب في الكويت، ومنهم المرحوم الشيخ احمد بن عبد الله بوحليقة الذي كان والده مؤسسا للعديد من المآتم الحسينية. ومنهم ابنه الشيخ جواد بن الشيخ احمد بوحليقة.

---

[15] الشعر في الجزيرة العربية، الدكتور عبد الله الحامد العلي، ص ٢٨، ٢٩.

* الرمضان، ولهم بعض الاقارب في الكويت، ومنهم المرحوم الشيخ احمد رمضان، وهو من تلامذة الشيخ موسى بوخمسين، والشيخ احمد بن راضي بن عبد الرضا بن عبد الله الرمضان. والشهيد الشاعر علي رمضان (استشهد في ١٣٧٠هـ)، والشاعر المعاصر الاستاذ محمد حسين الرمضان وأخوه الحاج جواد الرمضان.

* الامير، ومنهم الخطيب الشاب الشيخ عادل بن علي بن محمد الامير. وللعائلة اقارب يقطنون في الكويت.

* القطان، ومنهم المرحوم علي بن طاهر القطان، وهو شخصيةٌ اشتهرت بتأسيس المآتم الحسينية، وللعائلة اقارب في الكويت.

* آل بو علي، ومنهم المرحوم الشيخ احمد بن ابراهيم بو علي، والشيخ توفيق بن ناصر بو علي.

* البقشي، ومنهم المرحوم الشيخ محمد البقشي، وهو من تلامذة الشيخ موسى بو خمسين، والشيخ محمد أمين بن علي بن حسن البقشي، والشيخ مجيد بن عبد الله بن عبد الوهاب البقشي.

* الخرس، ومنهم المرحوم الشيخ ابراهيم الخرس، والشيخ احمد الخرس، والشيخ عبد الامير بن علي بن محمد بن شيخ ابراهيم الخرس.

* الشديث، ومنهم الشيخ علي بن يوسف الشديث، وابنه الشيخ حسين الشديث.

* السادة (آل صالح): منهم عمدة الفوارس السيد حسين الصالح.

* الوصيبعي، ومنهم المرحوم الشيخ عبد الله الوصيبعي.

* الهلال، ومنهم الشيخ حسين الهلال، وقد سكن بعض افراد العائلة في الزبير ثم انتقلوا إلى النجف الاشرف، ومن هؤلاء: الخطيب المرحوم الشيخ عبد الحميد الهلالي، وابنه الشيخ جعفر الهلالي، وأخوه المرحوم الشيخ باقر الهلالي، وغيرهم.

* الطويل، ومنهم المرحوم الشيخ احمد الطويل والشاعر الشعبي المعاصر عبد الله الطويل.

* الغريري، ومنهم الشيخ عبد الوهاب الغريري، والمرحوم الشيخ سلمان الغريري، والأخير يعدُّ من تلامذة الشيخ موسى بوخمسين.

* السادة (الحداد)، ومنهم عمدة الفريق الشمالي، السيد جواد سيد كاظم آل حدّاد.

* بو مرة، ومنهم المرحوم الشيخ عبد الله بو مرة.

* آل حمد، ومنهم الشيخ حبيب احمد آل حمد.

* آل سليمان الناصر، ومنهم آل بو خضر، ومن هؤلاء المرحوم الشيخ ناصر بو خضر، والشيخ حبيب بو خضر، والشيخ يوسف بو خضر.

* العوض، ومنهم الخطيب أحمد العوض.

* ومن العوائل، آل ابراهيم، المعيلي (ومنهم الشيخ عادل المعيلي)، آل حمادة، آل معيوف، آل عبد السلام، الغدير (ومنهم الخطيب الاستاذ عبد الله الغدير)، المبارك، الحليلي، الجاسم، التمّار، القضيب، السليمان (ومنهم الشيخ سلمان السليمان)، الحمضة (ومنهم الشيخ محمد الحمضة)، الحدّاد، البو ناصر، آل سعد، العبد النبي، محمد صالح، الغراش، العبد الرضا، العبد الباقي، الحسن، العمر، العمران، الحميدي، آل بن سليمان، الشبعان، الغانم، آل ابن الشيخ.

* ومن عوائل الهفوف: السادة (آل السويج)، ومنهم المرحوم الوجيه السيد علي السويج، وللعائلة فرع في البصرة يحمل نفس الاسم. وعائلة الحرز التي برز منها المرحوم الشيخ محمد الحرز، وعائلة الوايل التي ينتمي اليها المرحوم الشيخ عبد الله الوايل، والمرحوم الشيخ احمد بن حسن الوايل.

* ومن بين عوائل الهفوف، عائلة الهاجري، ومنها المجتهد آية الله الشيخ محمد الهاجري، وعائلة آل خليفة، التي ينتمي اليها المرحوم الشيخ احمد بن حسين آل خليفة. وعائلة المهنا، التي ينتمي اليها الشيخ علي المهنا. وعائلة البغلي، ومنها نبغ المرحوم الشيخ محمد بن علي امليخان البغلي. وعائلة القرقوش، ومنها الشيخ عبد الرؤوف القرقوش. وعائلة بن دهنين، التي ينتمي اليها الخطيب الشيخ علي بن دهنين. وعائلة الصحّاف وينتمي اليها الشيخ احمد بن الشيخ علي الصحاف المتوفى سنة ١٣١٩هـ، وأخوه الشاعر المرحوم كاظم الصحاف، والمرحوم الشيخ حسين الصحاف والمرحوم الشيخ علي الصحاف.

* المبرز: وهي المدينة الثانية في الاقليم الاحسائي، ويبلغ عدد الشيعة فيها نحو ٥٥% من سكانها، ويقطنون الاحياء التالية: الشعبة القديمة، الشعبة الجديدة، السياسب، المجابل (المقابل)، العيوني، العتبان، النزهة، اليحيى، الخرس، الراشدية، محاسن، الحمادية، القرع (قوع العتبان).

ومن العوائل الشيعية فيها:

* السادة، ومن بينهم عوائل (العلي، الهاشم، الصالح اليوسف، المحسن، الاحمد، السلمان والحسن).. ومن السادة المرحوم السيد هاشم السلمان، والمرحوم آية الله السيد ناصر السلمان، والمرحوم السيد حسين السلمان، والمرحوم السيد محمد السيد حسين السلمان، وسماحة السيد علي السيد ناصر ـ الشخصية الدينية المشهورة في الدمام ـ وابنه السيد هادي، والسيد محمد الناصر، وابنه السيد عدنان والسيد محمد علي بن السيد ناصر السلمان.

* الجبران.. ويرجح أنهم من قبيلة بني هاجر، وكان سكنهم في قرية البطالية ثم نزحوا إلى المبرز.. وعائلة الجبران عائلة علمية ظهر من بينها العديد من العلماء، منهم المرحوم الشيخ محمد الجبران، والشيخ الاستاذ صادق الجبران.

* ومن عوائل المبرز: آل ماجد، وهم قسمان شيعة وسنّة ينتمون إلى قبيلة عنزة، وينتمي اليهم الشيخ علي آل ماجد.

* الخليفة، ومنهم المرحوم الشيخ محمد الخليفة، والمرحوم الشيخ عبد المحسن الخليفة، والشيخ حسين الخليفة، والشيخ صادق الخليفة، والمرحوم الشيخ عبد الله الخليفة، والشيخ احمد الخليفة، والشيخ جواد الخليفة، والشيخ صادق الخليفة.

* البشر، ومنهم عمدة الشعبة (في المبرز) أحمد آل بشر، والمرحوم عيسى البشر، الذي أمر الملك فيصل باعتقاله بعد أن تجرّأ في حضرة الملك في المطالبة بحقوق الطائفة الشيعية.

* ومن عوائل المبرز الشيعيّة، البحراني، والكويتي، والقطيفي، والمهنا، والناصر، وآل شمس (شيعة وسنة ينتمون إلى قبيلة سبيع)، وعائلة الملا (شيعة وسنّة)، والبو صالح، والحداد، والمرهون، والاسماعيل، والبراهيم، والعلوان (شيعة وسنّة)، وعائلة العمران (شيعة وسنّة من عنزة)، والبوخضر، الحميد (شيعة وسنّة)، والخميس (ينتمي إلى هذه العائلة المرحوم الشيخ احمد بن حبيب بن خميس ــ ت ١٣١١هــ، وهو من تلامذة المرحوم السيد هاشم السيد سلمان)، والغشام، والمجحد، والزين والحمّود، وعائلتي المبارك والعيسى (شيعة وسنّة)، وعائلة العليوي، والعوضر (شيعة وسنّة)، والعويض، الحواج، النجيدي، الصايغ، الوايل، النمر، الدجاني، النجار، التمار، الوصيبيعي، آل ثاني (شيعة وسنّة، آل بن سعد.

وفيما يلي قرى الاحساء التي تسكنها اكثرية شيعية:

* الجبيل: وهي قرية تقع شرقي الهفوف، قال الشيخ آل عبد القادر عن سكانها: (وأهلها شيعة فلاحون)[16].. ومن عوائلها: السادة (آل حسين، آل هاشم، آل حسن، آل بن محسن).. آل الشايب (ومنهم الاستاذ المهندس عبد الله عبد الحسن الشايب)، آل عبد الرضا، آل بن نصر، آل عيسى، آل عبد الله، آل حيا، آل عبود، آل ممتّن.

ومن شخصيات القرية: السيد ابراهيم السلمان، وقد كان شيخ البلدة وعمدتها. والمرحوم الشيخ عبد الكريم الممتن، وهو شاعر معروف، والشيخ عبد الرحيم الممتن.

---

[16] آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ٢٩.

* الشهارين: وتقع شرقي قرية الفضول، وكلُ سكانها من الشيعة، قال صاحب التحفة عن ذلك بعبارته المعتادة: ((قرية الشهارين يمرُ بها نهر من عين برابر.. سكانها شيعة فلاحون))[١٧].

ومن بين سكنتها العوائل التالية: آل بديوي، آل صقر، آل عبّاد، آل حسين، العقيلي، الدالوي[١٨].

* البطالية: وتنسب إلى مالك بن بطّال، أحد رجال الدولة العيونية التي حكمت المنطقة، وقد مدحه ابن المقرّب العيوني بقوله:

ومالـــك حـــين نـــدعوه فـــأيُ فتـــى حرب إذا ما التقـــى الرجـــاف فالتطمـــا

والبطالية قرية قريبة من مدينة هجر التي كانت معروفة في العهد الاسلامي ــ كما يقول علامة الجزيرة حمد الجاسر ــ والذي زارها عام ١٣٥٨هـ ــ فقرّر انها قائمة على انقاض مدينة الاحساء التي اتخذها (القرامطة) منطلقاً لهم، وانها كانت تتكون من احياء اربعة، وقال انها تروى من عيني (الحارّة والجوهرية).

وشاهد الجاسر مساحة واسعة يطلق عليها الناس (قصر قريمط).. وكانت هناك آثار اخرى مثل (المسجد الجامع) الذي يسمّيه الأهالي (مسجد قريمط)، وكذلك آثار الحمّام الذي قتل فيه آخر رؤساء القرامطة. غير أن هذه الآثار زالت وأنشئت على أنقاضها أبنية حديثة[١٩].

قال لوريمر عن سكان البطالية في مطلع القرن العشرين، أن فيها ٣٢٥ منزلاً، وان سكانها من الشيعة.. وقال آل عبد القادر ((وجميع أهلها شيعة فلاحون))[٢٠].

ومن العوائل التي تسكنها: المسبّح، التي ينتمي إليها الشيخ علي المسبّح. وعائلة المسلم التي ينتمي اليها الشيخ عبد الله ناصر المسلم الذي استشهد في سجون صدام سنة ١٩٨٨م، وقد رفضت الحكومة السعودية التدخل لانقاذه. وهناك عائلة الشيخ وعائلة العبد الرضا، والكرّي، والحجّي، والمسلّمي، وآل رزق، وآل عمّار الذين ينتسب إليهم الشيخ باقر آل عمار.

---

[17] المصدر السابق، ص ٢٩.

[18] وينتمي إلى عائلة الدالوي الباحث والطبيب الشعبي المشهور: ناصر علي الدالوي، الذي اكتشف عقاراً يسبّب العقم الدائم، وآخر للعقم المؤقت. وقد سجّلت اكتشافه الاول موسوعة الطبّ العالمية. اعتقلته المباحث السعودية لعشرة ايام في عام ١٩٨٧ لمسائل تتعلق ببحوثه، وقيل أن الشيخ زايد آل نهيان ــ رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ــ عرض عليه ان يسكن في الامارات لأعداد ابحاثه وتجاربه، ولكنه اعتذر عن ذلك بانه ((لا يستطيع أن يترك وطنه)).

[19] المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، الجزء الاول، ص ٢٢١، ٢٢٢.

[20] آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ٤٥.

* المطيرفي: وجميع أهلها من الشيعة، وتكثر في القرية الينابيع الحارّة والنخيل والزروع، ويسكنها آل خويتم (من الزعب)، وقد كانوا زعماء البلدة فيما مضى. كما يسكنها عائلة البندر، والعيدون، والبخيتان التي ينتسب اليها عمدة البلدة في الوقت الحالي.

ومن عوائلها آل حجّي، والسادة (آل علي)، الجزيري.

وقد برز من هذه البلدة آية الله المرحوم الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي المتوفي ١٢٤١هـ ويعد من ابرز علماء الشيعة، كما اشتهرت البلدة بأن عمدتها كان من اقوى عُمَد المنطقة.

وكان العديد من بني خالد قد انتقلوا اليها فيما مضى من السنين وتشيّعوا[٢١].

* بني معن: وهي قرية تقع شرق الهفوف، وكل سكانها من الشيعة.. ويسكنها من العوائل: آل عطية (منهم الشيخ محمد العطيّة)، وآل خميس (قيل أنهم من سبيع)، وآل بو قرين (ومنهم الوجيه عبد الله آل علي بو قرين)، والسادة، والشقاقيق ومنهم الشيخ يوسف الشقاق الذي يعدُّ أحد أهم شخصيات البلدة، والعمدة عبد الله الشقاق[٢٢].

* الدالوة: وجميع سكانها من الشيعة. ومن عائلاتها: السادة (آل ناصر، وآل هاشم)، وآل تريكي، المطاوعة (وينتسب إليهم الشيخ حبيب المطاوعة)[٢٣].

* القارة: وكل سكانها من الشيعة.. ومن عوائلها: السادة (آل محسن وآل الشخص والسلمان)، وآل الشخص عائلة علمية نبغ منها المرحوم آية الله السيد باقر الشخص، وأبنه السيد عبد الرضا الشخص، وابنه الدكتور السيد عدنان الشخص، وابنه السيد هاشم الشخص، والشاعر الاستاذ محمد رضا بن السيد عبد الله الهاشم الشخص، والخطيب المرحوم السيد محمد حسن الشخص، والخطيب السيد هاشم بن السيد محمد الشخص.. ومن السادة المرحوم السيد باقر السيد خليفة الموسوي القاري، المتوفى سنة ١٣١٦هـ. وهناك عائلة العيثان التي ينتسب اليها المرحوم الشيخ محمد العيثان، والمرحوم الشيخ علي العيثان، والمرحوم الشيخ حسن العيثان، وعائلة العلي وينتمي إليهم الاديب الشاعر محمد العلي الذي شغل رئاسة تحرير جريدة اليوم، والشاعر الاستاذ جلال العلي.

---

[21] قال احد كبار آل خويتم، ان الامير محمد بن فهد بن جلوي ــ امير الاحساء ــ سأله عن نسب عائلته ــ والأمير له اهتمامات بهذه المسائل ــ فأجاب: انه من الزعب. فقال الأمير: لدية مصادر اعتمد عليها. فقال له: إنكم لم تتركوا الشيعة كُتباً فقد احرقتموها.

وقال آخر من زعماء العائلة أنه يحتفظ بـ ((صك)) أعطاه الملك عبد العزيز لعمدة البلدة ــ المطيرفي ــ يمنحه سلطات واسعة في بلدته، ولكنه يعترف بأنها كانت مجرد (ورقة) لا قيمة لها.

[22] لقاء في ١٥ / ٢ / ١٩٨٩ مع السيد محمد. ن. غ.

[23] لقاء مع م. ب. خ، في الثامن من محرم ١٤٠٩هـ.

وتشتهر القارة بجبلها المعروف باسمها (جبل القارة).

* المنصورة: وكل أهلها شيعة، ومن عوائلها: السلمان، العبّاد، آل حبابي، آل اوباري، الفضلي (وينتمي اليهم العلامة المجتهد المرحوم الشيخ ميرزا محسن الفضلي، وابنه الدكتور العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي، الذي شغل رئاسة قسم اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة حتى عام ١٩٨٨م).

ومن عوائلها أيضاً: السلطان، والعيسى (ومنهم الوجيه الحاج المرحوم عبد المحسين العيسى وابنه الشيخ توفيق العيسى).

ومن علماء القرية: الخطيب حبيب الهديب، والخطيب علي بو راضي.

* التيمية: وجميع سكانها من الشيعة، وكانت بلدة علم وفضل.. قيل انها كانت عامرة بالمجتهدين، الذين بلغوا اربعين مجتهدا في آن واحد، وذلك قبيل الاحتلال السعودي الاخير للمنطقة.. واشارت روايات المؤرخين الرسميين إلى ان مساجد هذه القرية وغيرها من القرى قد هدمت باعتبارها (كنائس!).

قال المرحوم الشيخ فرج العمران فيها:

قدّسوها مدينة التيميّة	فهي من خيرة القرى الهجريّة
قدّسوا تلكم الربوع اللواتي	هي بالأمس مشرقاتٌ مضيّة
.. جمعت أربعين من علماء الدّ	ين ممّن نالوا المراقي العليّة

ويسكن التيمية: آل بو عامر، آل عبد الرزاق، آل عباد وغيرهم. من الشخصيات الدينيّة التي اشتهرت بها القرية: الشيخ ابراهيم بن حسن بن أبي جمهور الشيباني الاحسائي، وهو احد كبار علماء الشيعة الاماميّة في القرن التاسع الهجري. وكذلك ابنه الشيخ علي، وحفيده الشيخ محمد علي بن أبي جمهور، صاحب كتاب ((غوالئ اللآلئ)).

* الطريبيل: جميع سكانها شيعة، وهي من القرى التاريخية القديمة.. من العوائل القاطنة بها: الهاجري، آل بو شفيع (ومنهم الخطيب محمد بو شفيع، توفي عام ١٩٨٨، والمرحوم الشيخ شفيع بو شفيع).

* الدويثير: جميع سكانها من الشيعة، وسكان القرية كغيرها من القرى، خليط من ابناء القبائل التي تحضّرت، اضافة إلى السكان الاصليين.. ويسكن القرية عدد من السادة (آل حاجي، آل برّاقي، آل بن محسن، الحسن)، ومن السادة السيد غالب السلمان. كما ويسكن القرية آل عبد الله، والشفاق.

* القرن: جميع سكانها من الشيعة.. من عوائلها: الحسين، ومنهم الشيخ حسين الحسين، وعائلة السادة، وآل عطيّة، وآل جريدان.

* الحوطة: وجميع سكانها من الشيعة، منهم عائلة الشريط التي ينتسب اليها الشيخ علي الشريط.

* القرين: جميع أهلها من الشيعة. ومن عوائلها، الجبران الذين ينتسب اليهم عمدة القرية أحمد الجبران. ومن عوائلها آل حسن الناصر، وآل بو علي، والسادة. وقد نبغ من هذه القرية المرجع الديني حبيب بن الشيخ صالح بن قرين ــ توفي في عام ١٣٦٣هـ، والشيخ جمال الدين احمد المحسني ــ توفي سنة ١٢٤٧هـ.

* العَقَار: جميع سكانها من الشيعة، كما قال الشيخ آل عبد القادر، ولكن الاستاذ حمد الجاسر نقل خطأً عن كتاب (دليل الخليج) بأن جميع سكانها من السنّة.

* الدليلة: تقع شمال شرق الهفوف، كان للدائرة السنيّة التركية فيها أراض مزروعة بالأرز، وجميع سكانها من الشيعة. من عوائلها آل مبارك (وينتمي اليهم المرحوم الشيخ عبد الله المبارك)، آل خميس، آل سلطان، البحراني (ومنهم العمدة الحالي حسين طاهر البحراني)، آل بورقيبة، آل كشي، آل عباد، الخضيري، الحليمي، الدليلي.

* غمسي: جميع سكانها من الشيعة. ومن عوائلها، الراشد (منهم الخطيب حجّي الراشد).

* المزاوي: جميع سكانها من الشيعة. ومن عوائلها، آل نصيِّر.

* المركز: جميع سكانها من الشيعة، ومن عوائلها، آل حسين، آل ناصر، السلمان، السادة (آل هاشم)، الجاسم (ومنهم الشيخ علي الجاسم).

* السيايرة: جميع سكانها من الشيعة. ومن عوائلها، الراشد، العليوي.

* بني نحو: قرب الهفوف، : جميع أهلها من الشيعة.

* ابو ثور: قرية : جميع سكانها من الشيعة.

* الرميلة:: جميع سكانها من الشيعة. ومن عوائلها، الناصر، الشقاقيق، الراشد، آل صالح، السادة (السلمان)، اللويمي (ومنهم المرحوم الشيخ عبد المحسن اللويمي، وقد هاجر إلى إيران ودفن في مدينة ((سيرجان))).

* الساباط: من قرى الهفوف، وجميع سكانها من الشيعة. ومن عوائلها، آل محسن، آل حسن، آل بطي، البحراني (ومنهم العمدة الحاج علي البحراني).

* العمران الشمالية: تقع في شمال شرقي الهفوف، وجميع سكانها من الشيعة. من عوائلها، آل علي (منهم المرحوم الشيخ عمران آل علي، وابنه المرحوم الشيخ معتوق، والمرحوم العمدة الحاج محسن العيسى العلي، وابنه عبد الهادي ــ وهو عمدة البلدة حالياً)، آل السليم، النجيدي.

* العمران الجنوبية: وتقع شمال شرقي الهفوف. ومن عوائلها، السادة، الشايب (منهم المرحوم الشيخ حسين الشايب، والمرحوم الخطيب طاهر الشايب).

* الشعبة: يقع إلى جانبها جبل كنزان الذي وقعت بالقرب منه موقعة كنزان بين الملك عبد العزيز والعجمان.. معظم سكان القرية من الشيعة.. ومن العوائل التي تسكنها: الحليمي (ينتسب اليهم المرحوم الشيخ محمد الحليمي، والشيخ حسين الحليمي، والملا ابراهيم الحليمي)، الخميس (ينتسب اليهم الشيخ موسى الخميس).

* المنيزلة: وتسكنها اكثرية شيعية، ومن عوائلها، آل حسين، آل ناصر، السلمان.

* الفضول: قرية تسكنها اكثرية شيعية، ومن عوائلها: المطر (ينتسب اليهم الخطيب المرحوم محمد صالح بن عبد الحسين المطر والمرحوم الشيخ كاظم بن مطر، وابنه الخطيب جواد بن مطر، وأخوه الخطيب الشاعر محمد صالح المطر)، آل صويّل، آل كاظم.

وكانت قرية الفضول قد صارت مثلاً بعد ان (ذبح) الوهابيون معظم سكانها ((ذبح النعاج)) كما يقول المؤرخ الوهابي حسين بن غنّام متفاخراً في كتابه ((روضة الافكار والافهام)).. وكانت المجزرة قد وقعت عام ١٢٠٣هــ.

* جليجلة: يسكنها خليط من السنّة (العجمان) والشيعة، وقد تزايدت اعداد الشيعة حتى قدّروا بنصف سكان القرية. ومن عوائلها آل جعفري، آل جعيدان، الحسن.

* الطرف: كانت الغالبية من سكانها من اهل السنّة، غير ان الكثير منهم رحلوا إلى مناطق اخرى وخاصة إلى المدن، ونزح اليها عدد من العوائل الشيعية.. يقدر الشيعة فيها بالنصف تقريباً من مجموع السكان. ومن عوائل الطرف الشيعية: البديوي، الاحمد، الشملان، آل شريدة (ومنهم الشيخ محمد شريدة).

* الجفر: يقدّر عدد الشيعة فيها بنصف السكان، ومن عوائلها، العالم (وينتسب اليها الشيخ المرحوم محمد العالم)، آل جاسم، آل احمد.

* الجشّة: يسكنها خليط من الشيعة والسنّة، ومن عوائلها الشيعيّة، آل بدر، المليفي.

* الصديايخ: وكلّ اهلها شيعة، نبغ من القرية المرحوم الشيخ حسن الجزيري، وابنه المرحوم الشيخ عبد الحميد الجزيري.

* وهناك عدة قرى يسكنها الشيعة مثل: ابو الرمل، أبو الحصى، الدويكية، الصبايخ، الشويكيّة، السيدوية، السويدر، الضاحية، العرّاميّة، الخُليّة، الغرس، واسط.

مراكز تواجد الشيعة في القطيف

** القطيف: جميع سكانها من الشيعة، ومن عوائلها:

* ابو ذيب: (ينتمي اليهم المرحوم الشاعر الشيخ احمد آل ابي ذيب القطيفي، والشاعر الأديب المرحوم الشيخ عبد الحسين ابو ذيب، وأخوه الأديب المحروم والشاعر الكبير الشيخ يوسف ابو ذيب، والمرحوم الشيخ ناصر بن محمد آل ابي ذيب القطيفي، والمرحوم الشيخ عبد الرسول بن الملا حميد آل ابي ذيب القطيفي).

* البحارنة: وينتمي اليهم الوجيه المرحوم ابراهيم بن مكي البحارنة (ت ١٣٩٦هـ. وكان وكيلا لعدد من مراجع الشيعة، وفي مقدمتهم آية الله السيد محسن الحكيم)، والمرحوم الشاعر يوشع بن حسين البحارنة، والشاعر المعاصر مهدي عبد الرسول البحارنة.

* البحر: من الميّاس، ومن هذه العائلة الشاعر علي بن الحاج علي بن بحر.

* الحجّي: من هذه العائلة، الخطيب المعاصر علي بن أحمد الحجّي، والفنان التشكيلي منير الحجّي.

* آل جمعة: من هذه العائلة، الزعيم منصور بن جمعة الباشا (توفي سنة ١٣٢٠هـ)، والزعيم عبد الحسين بن جمعة (استشهد على يد ابن سعود في ١٩١٥م)، والمرحوم الشيخ عبد علي بن منصور بن جمعة (توفي سنة ١٣٥٣هـ)، والشيخ عبد علي بن عبد الحسين بن جمعة.

* اخوان: من هذه العائلة، علي بن منصور بن اخوان (توفي ١٣٣٧هـ)، وابنه عبد الله بن علي بن منصور اخوان.

* الجشي: وهي عائلة علميّة وأدبيّة، نبغ منها: المرحوم الأديب والشاعر عبد العزيز مهدي الجشي (المتوفى سنة ١٢٧٠هـ)، والوجيه المرحوم محمد بن مسعود الجشي، والمرحوم الأديب الشيخ علي بن الحاج حسن الجشي (ت ١٣٧٦هـ، وكان قاضيا للقطيف)، والمرحوم الوجيه منصور بن محمد علي بن ناصر الجشي، والمرحوم الاديب الشاعر محمد سعيد الجشي (ت ١٤١١هـ)، والمرحوم الشيخ باقر بن الحاج منصور الجشي، والشاعر المعاصر الاستاذ عبد الرسول الجشي (وهو احد اهم روّاد الحركة الأدبية في القطيف، كان رئيس تحرير مجلة الغري التي كانت تصدر في النجف الاشرف في العقد الخامس من هذا القرن الميلادي). ومن هذه العائلة، الحاج الخطيب عبد المهدي الجشي، والاستاذ سامي الجشي، والشاعرة المعاصرة نهاد سعيد الجشي.

* المحروس: من الاسر الشهيرة في الكويكب بالقطيف، ومن اعلام العائلة المشهورين: المرحوم العلامة الشيخ رضي ابراهيم المحروس (١٢٨١هـ ـ ١٣٥٢هـ)، والمرحوم الشيخ حسن علي بن عيسى المحروس (ت ـ ١٣٦٢هـ)، والشيخ المعاصر عباس المحروس، والشاعر المعاصر وجدي محروس المحروس.

آل الخنيزي (الخطّي): منهم، الامام الشيخ علي ابو الحسن الخنيزي، والزعيم الشيخ علي ابو عبد الكريم الخنيزي، والمرحوم الشيخ عبد الله الناصر الخنيزي، والمرحوم الشيخ محمد صالح الخنيزي، والمرحوم الاستاذ الشاعر عبد الواحد الخنيزي (١٣٤٥ ـ ١٤٠١هـ)، والشهيد عبد الرؤوف الخنيزي (ولد عام ١٩٣٠، واعتقل اثناء اضرابات ١٩٥٦، كما اعتقل مرّة اخرى عام ١٩٦٤، وسجن لمدّة سبع سنوات حتى توفي متأثراً بالتعذيب في السابع من جمادى الاولى ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م).

ومن المعاصرين: العلامة الاديب الشيخ عبد الحميد الخطّي ـ قاضي الشيعة في محكمة الاوقاف والمواريث بالقطيف ـ، والأديب الكاتب الشيخ عبد الله الخنيزي، والشاعر الاستاذ محمد سعيد الخنيزي، والأديب الحاج حسن بن الشيخ علي ابو الحسن الخنيزي، والصحافي الشاعر غسان الخنيزي.

* السنان: وينتمي إلى هذه العائلة، الشيخ احمد بن الحاج عبد الله السنان (المتوفى سنة ١٣٩٠هـ)، والوجيه الحاج علي بن صالح السنان، والشهيد عبد الفتاح بن الحاج احمد السنان، والوجيه المرحوم محمد علي بن سلمان آل سنان، والأديب المعاصر عبد الرؤوف السنان.

* آل حمّار: ينتمي اليهم المرحوم الخطيب والشاعر ابراهيم بن الحاج محمد بن حسين.

* السويكت: من منطقة الدبابيّة في القطيف، ينتمي إلى هذه العائلة المرحوم الشيخ احمد بن مهدي السويكت، والمرحوم الشيخ علي بن مكي السويكت (ت ١٣٥٢هـ).

* الصفار: من هذه العائلة، صاحب السماحة الشيخ حسن موسى الصفار، احد اهم الرموز الدينية والسياسيّة الشيعيّة في المملكة، وهو خطيب وكاتب، تزيد مؤلفاته على الثلاثين مؤلّفاً، كان اخرها: التعدديّة والحريّة في الإسلام، ومنها: الشيخ محمد موسى الصفار، والفنان التشكيلي علي الصفار.

* آل العلقم: منهم الشهيد حسين العلقم (استشهد في انتفاضة المحرّم ١٤٠٠هـ)، والوجيه المرحوم رضي بن عبد الله العلقم.

* آل غريب: ومنهم الشهيدة فاطمة الغريب، استشهدت في انتفاضة المحرم ١٤٠٠هـ، حينما اصابها رصاص الطائرات وهي في منزلها.

* الجامد: من هذه العائلة الشهيد فيصل الجامد (استشهد في انتفاضة المحرم في المنطقة الشرقية ١٤٠٠هـ)، والدكتور ميرزا الجامد.

* المديفع: من هذه العائلة الشهيد الشيخ علي المديفع (استشهد عام ١٤٠٦هـ).

* الرمضان: من هذه العائلة، المرحوم الشاعر علي الرمضان (١٣١٤ هـ ــ ١٣٩٧هـ)، وهو صاحب المنظومة (ماضي القطيف وحاضرها).

* آل قيصوم: منهم الخطيب الشاعر علي بن حسن آل قيصوم.

* المأحوزي: من هذه العائلة، المرحوم الشيخ عبد علي بن محمد الماحوزي، والشيخ حسين بن محمد الماحوزي (١٠٩٢ ــ ١١٨١هـ).

* القطان (وينتمي إلى آل القطان الشاعر الشهير أحمد بن منصور بن علي القطان الذي كان معاصراً للدولة العباسية).

* الشويكي: من هذه العائلة، المرحوم الشيخ مرزوق بن محمد الشويكي (توفي سنة ١٢١٤هـ)، والشيخ محمد بن عبد الله الشويكي (توفي عام ١٢٥٤هـ)، والشيخ عبد الله الشويكي (توفي سنة ١٢٧٥هـ).

* المقابي: من هذه العائلة، المرحوم الشيخ احمد بن الشيخ محمد المقابي (توفي سنة ١١٠٢هـ)، والشيخ محمد بن يوسف المقابي (توفي سنة ١١٢٥هـ)، والمرحوم الشيخ يوسف بن محمد المقابي (توفي سنة ١١٠٢هـ).

* المسلم: من هذه العائلة، الاستاذ الكاتب والشاعر محمد سعيد المسلم، مؤلف كتاب: ساحل الذهب الاسود، وله العديد من المؤلفات الاخرى. والشاعر المرحوم سليمان المسلم (توفي عام ١٣٦٠هـ)، والكاتب المعاصر عبد الواحد بن الحاج موسى المسلم.

* الحوّاج: من السادة، ومن هذه العائلة، المرحوم الوجيه الخطيب السيد شرف بن السيد محمد الحوّاج (توفي سنة ١٣٦١هـ).

* العلويات: من هذه العائلة، الشاعر المعاصر صالح حسن العلويات، له ديوان مطبوع تحت اسم ((مصابيح الظلام)).

* البدر: من هذه العائلة، المرحوم الشيخ عبد الله بن محمد البدر، والعلامة المجاهد اية الله الشيخ حسن علي البدر (١٢٧٨ ــ ١٣٣٤هـ)، ونجله المرحوم الشيخ طاهر البدر (١٣٢٤ ــ ١٣٧٧هـ)، ونجله الاخر الشيخ عبد اللطيف البدر (توفي سنة ١٣٣٨هـ).

* المسحُر: من السادة الموسويين، قطنوا الكويكب، منها الشاعر المعاصر السيد طاهر بن السيد ناصر المسحُر.

* الغانم: عائلة تولّت زعامة الشيعة في القطيف في العهد الماضي، منها، الكاتب المعاصر راشد عبد الله الغانم.

* الذهبة: تقطن هذه العائلة الكويكب، ومنها الشاعر المرحوم الشيخ عبد الله بن احمد الذهبة (ت ـ ١٢٧٧هـ).

* الحكيم: من هذه العائلة، المرحوم الشاعر الشيخ لطف الله بن يحيى الحكيم (ت ١٣٠٠هـ).

* الاسكافي: تسكن هذه العائلة الدبابيّة، ومنها المرحوم الشيخ علي بن حسن الاسكافي (ت ـ ١٣٣٠هـ).

* آل رقية: من هذه العائلة، المعاصر الشيخ احمد بن عبد الحسين آل رقيّة.

* آل خزام: من هذه العائلة، الشاعر والكاتب المعاصر عباس مهدي آل خزام (له العديد من المؤلفات المطبوعة ابرزها: كيف ينظم الشعر)، وابنه الشاعر الشاب عادل خزام.

* ابو عزيز: عائلة تسكن باب الشمال، منها المرحوم الشيخ محمد بن عبد الله ابو عزيز (ت ـ ١٢٠٠هـ) وله العديد من المؤلفات المطبوعة، من بينها: معراج النبي.

* النهاش: من القلعة، من هذه العائلة، المرحوم العلامة الشيخ محمد علي بن الحاج علي النهاش (ت ـ ١٣٤١هـ).

* السويدان: من هذه العائلة، الكاتب والشاعر المعاصر مهدي السويدان.

* الخضرواي: من السادة، ومن هذه العائلة، الكاتب السيد محمد بن السيد رضي الخضراوي.

* الحايك: من هذه العائلة، الكاتب المعاصر عباس احمد ابراهيم الحايك.

* الدهّان: من هذه العائلة، الشاعر المعاصر فوزي الدهّان.

* المسعود: من هذه العائلة، الخطيب محمد المسعود.

* الطويل: من هذه العائلة، الخطيب المعاصر علي بن حسن الطويل.

* الزاير: وينتمي إلى هذه العائلة، المرحوم الخطيب والوجيه راضي بن محمد جواد الزاير (١٣٢١ ـ ١٤٠٣هـ)، وابوه الوجيه محمد جواد محمد الزاير (ت ١٣٤٣هـ)، والوجيه المرحوم عبد اللطيف محمد جواد الزاير.

* العصفور: من هذه العائلة، الوجيه المرحوم حسن بن كاظم بن جاسم العصفور (ت ١٣٤٩هـ).

* البيات: من هذه العائلة، المرحوم الشيخ حسن علي بن محمد البيات، والعلامة المعاصر الشيخ منصور البيات، والحاج عبد الله البيات.

* الماجد: وهم من السادة يسكنون في الدبابية في القطيف، من اعلام هذه العائلة، الوجيه المرحوم السيد احمد بن السيد ماجد الماجد، والشاعر المعاصر السيد جعفر بن السيد احمد الماجد.

*الشماسي: من هذه العائلة المرحوم الشهيد عبد المجيد الشماسي (ولد عام ١٩٣٥، واعتقل عام ١٩٦٩، وتعرّض للتعذيب الشديد حيث قُلعت أظافره وكسرت فكّه، وهشّم عموده الفقري، وبقي ثلاثة ايام ينزف دماً حتى توفي في الحادي والعشرين من ربيع الثاني ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م).. ومن آل الشماسي الاديب الشاعر محمد رضا الشماسي.

* آل الغريافي: منهم الكاتب المعاصر الاستاذ احمد الغريافي.

* آل البريكي: ومن هذه العائلة: المرحوم الشيخ محمد صالح البريكي (١٣١٤ ـ ١٣٧٤هـ)، والمرحوم الخطيب الشهير الشيخ ميرزا حسين البريكي (١٣٢٦ ـ ١٣٩٨هـ)، والاديب المعاصر الشاعر محمد سعيد بن الشيخ ميرزا البريكي، والدكتور الشاعر حسن بن محمد صالح البريكي.

* العوّى: وهي عائلة مشهورة نزحت من البحرين في ظروف قاهرة أواخر القرن الثاني عشر الهجري.. منها: المرحوم الشيخ عبد الله بن الشيخ علي العوّى، صاحب ديوان (محرّك الاشجان في رثاء أُمناء الرحمن).

* الخميس: ومن أعلام هذه الاسرة، المرحوم الشاعر الشيخ محسن بن علي بن سلمان آل خميس (ت ١٣٣٥هـ).

* العمران: وينتمي إلى هذه العائلة الكثير من العلماء والأدباء، نكر اغلبهم المرحوم العلامة الشيخ فرج العمران في كتابه: (تحفة اهل الايمان في تراجم آل عمران). ومنهم: الشيخ محمد آل عمران (المتوفي سنة ١٣٠٣هـ)، والشيخ عبد الله بن فرج آل عمران (المتوفي سنة ١٣٤٠هـ)، والمرحوم العلامة الشيخ فرج العمران (المتوفى سنة ١٣٩٨هـ)، وابنه العلامة الشيخ حسين فرج العمران، والشهيد الشاعر حسن بن الشيخ فرج العمران (إعتقل في التاسع والعشرين من ربيع الاول ١٣٩٠هـ، واخبرت المباحث اهله بوفاته في الاول من ذي القعدة ١٣٩٢هـ). ومن هذه العائلة المرحوم الشاعر محمد بن الشيخ فرج العمران.

* الغرّاش: وينتمي إلى هذه العائلة الشيخ ابراهيم بن عبد الله الغرّاش.

* آل نصر الله: وينتمي اليهم، الزعيم الشيخ احمد مهدي نصر الله (المتوفى سنة ١٣٠٦هـ)، والوجيه المعاصر الحاج منصور بن الحاج حسن بن نصر الله، والاديب الصحافي الاستاذ محمد رضا بن الحاج منصور نصر الله (وهو من أبرز النقّاد في المملكة السعودية وتسلّم لفترة رئاسة تحرير صحيفة الرياض الاسبوعي). والصحافي الشاعر فؤاد نصر الله.

* المصطفى: ينتمي إلى هذه الاسرة، المرحوم الحاج علي المصطفى (ت ١٣٢١هـ)، والمرحوم الشاعر الحاج احمد بن محمد بن علي المصطفى (وهو من أعلام الأدب والشعر في القطيف)، والشيخ المعاصر حسين بن علي المصطفى، والشاعر والرسام التشكيلي علي عبد الكريم المصطفى.

* آل الخباز: وهم سادة، وينتمي اليهم المرحوم السيد أحمد بن السيد علوي الخباز (ت ١٣٩٦هـ)، والمرحوم السيد علوي بن السيد محفوظ الخباز (ت ١٣٣٧هـ)، والمرحوم السيد شبّر بن السيد محفوظ الخباز (كان عمدة قرية المدارس في القطيف، كما كان موضع ثقة العلماء في بلدة القطيف)، ومنهم الخطيب المعاصر والشاعر السيد منير بن السيد عدنان الخباز.

* الخباز: وهم ليسوا سادة، ومن هذه العائلة المرحوم الخطيب حيدر بن الخطيب عبد الله الخباز (ت ١٣٨٨هـ)، والمرحوم الشاعر والخطيب عبد الله الخباز (ت ١٣٦٢هـ)، والشهيد ابراهيم رضي الخباز (استشهد في انتفاضة المحرم ١٤٠٠هـ).

* آل عبد الجبار: وهي من الاسرة المشهورة بالعلم والأدب، ينتمي اليها المرحوم الشيخ محمد حسين آل عبد الجبار، والعلامة المرحوم الشيخ علي بن احمد آل عبد الجبار (ت ١٣٨٧هـ)، وأخوه العلامة المرحوم الشيخ سليمان آل عبد الجبار (ت ١٣٦٦هـ)، والمرحوم الشيخ سليمان بن الشيخ سليمان آل عبد الجبار، ومن ابرز من نبغ من هذه العائلة: الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار، كان من فقهاء الشيعة، وله العديد من المؤلّفات. ومن آل عبد الجبار الشهيد عبد الواحد احمد حسن آل عبد الجبار (ولد في القطيف عام ١٩٣٦، واعتقل في الرابع من حزيران يونيو ١٩٧٠، وبعد احد عشر يوماً توفي تحت التعذيب).

* السادة: ومن هذه العائلة، الشهيد السيد باسم السيد حسن السادة، استشهد في انتفاضة المحرم في المنطقة الشرقية عام ١٤٠٠هـ.

* المدن: من سكنة منطقة الدبابية، منهم الخطيب المعاصر باقر بن الخطيب عبد الكريم المدن.

* الميلغي: وهم من السادة، ينتمي إلى هذه العائلة المرحوم السيد باقر بن السيد حميد الميلغي.

* العبد العال: وينتمي إلى هذه العائلة، الخطيب المرحوم الشيخ عيسى بن علي بن عبد العال (ت ١٣٦٥هـ)، والخطيب المعاصر علي بن الشيخ عيسى بن عبد العال.

* آل العوامي: ومنهم، المرحوم آية الله السيد ماجد العوامي، والمرحوم السيد هاشم السيد علي العوامي، والمرحوم السيد حسين العوامي، والمرحوم السيد علي العوامي، والمرحوم السيد محفوظ العوامي، ومنهم الكاتب المعاصر السيد باقر العوامي، والوجيه والكاتب الأديب السيد حسن العوامي، والأديب السيد علي العوامي، والشاعر المعاصر السيد عدنان العوامي.

* آل شعبان: وينتمي اليهم المرحوم الشاعر الشيخ حبيب آل شعبان (ت ١٣١٠هـ).

* الجامع: وتسكن هذه العائلة في القلعة، وينتمي اليها، المرحوم الشاعر حسن بن عبد الله بن عبد الصمد الجامع، والشاعر المعاصر الاستاذ حسين بن حاج حسن الجامع.

* ابو جعيِّد: من هذه العائلة، الشيخ محمد بن سلمان آل ابي جعيد.

* الشيوخ: ومن هذه العائلة الشيخ وصفي الشيوخ.

* المهدي: من هذه العائلة، الشاعر المرحوم عبد الوهاب حسن المهدي (١٣٥٨ ــ ١٤٠٦هـ)، والفنان التشكيلي عبد الله المهدي.

* الفارس: من هذه العائلة، الوجيه المرحوم علي بن حسن بن فارس (توفي في عام ١٣٤١هـ)، وكان قد تولّى منصب وكيل الماليّة في القطيف. ومن هذه العائلة المرحوم الشيخ علي بن عبد الله بن فارس، والاستاذ المعاصر المهتم بجمع الآثار محمد بن فارس الذي كان عمدة القطيف سابقاً.

* الدار: ومن هذه العائلة الخطيب الشيخ عبد الله الدار.

* الميلاد: ومن هذه العائلة الكاتب زكي الميلاد.

* الموسى: ومن هذه العائلة الشيخ محمد الموسى.

* ومن عوائل القطيف الأخرى: القفاص، القلاف، المبارك، المحاسنة، المحسن، المحفوظ، العيد، العبادي، الضيف، الصحاف، الصديخي، شروفنا، المشد، سلاط، الربيع، الرجب، رضى، دعبل، حيدر، حميدة، الحمود، حمزة، الحمام، الاسماعيل، الاسود، الاصمخ، الاصيل، امان، البحراني، بزبوز، البزرون، البشراوي، البطي، البناي، التاروتي، تاريخ، تحيفة، تنبل، الجارودي، الحامد، الجيلي، الجراش، الجساس، الجصاص، الجعفر، الجنبي، الحساوي، حكروه، حمادة، خزعل، الخضر، الخضير، ابو شومي، ابو صعب، خلف، خليتيت، خليفة، الخميري، خواهر، الخياط، خويطر، الخويلدي، الديسي، الدشيشي، الدهنيم، زكريا، السعيد، المطلق، المعيوف، المغاسلة، مغيص، الناس، الناصر، المجهوج، الهزيم، الهلال، الهنقامة، الهواشم،

اليتيم، اليوسف، الهاشم، الناجي، المعتوق، مطر، المطاوعة، مسيبح، المرزوق، المرار، المخرّق، المختار، المخامل، المحيميد، المحيسن، المحمود، القفشات، العيسى، سهوان، السيف، السيهاتي، الشاخوري، شباط، الشنخنخ، شهاب، الشملاوي، الصادق، الصايغ، صباخ، الصباغ، الصحاف، الضامن، الابراهيم، ابو تاكي، ابو شاهين، الضو، الطاق، الطحان، طلاق، عاشور، العباس، العسيف، العلوان، العليوات، العلي، العيد، الغراب، الغمغام، الفردان، القديحي، القصاب.

** سيهات: وهي من أهم المدن في المنطقة، وقد شغل الكثير من قياداتها بالحرب والسياسة وتحالفاتها، ولأهالي سيهات وقفات مشهودة تذكرها كتب التاريخ في المقاومة الغزاة.. وتعرّضت المدينة لشتى صنوف المخاطر، وقام الغزاة بالانتقام من أهلها مراراً بإقامة المجازر لهم، خاصة في الدولة السعودية الاولى والثانية.

جميع سكان سيهات من الشيعة، واكثر عوائلها من اصول قبلية، خاصة من الخوالد والعجمان والهواجر وسبيع.. وقد نلحظ هذا من خلال تعداد اسماء العوائل القاطنة بها اليوم.

من عوائلها: المطرود، ومن هذه العائلة الحاج الوجيه عبد الله المطرود.

المطوع: ومنهم الوجيه المرحوم عبد الله بن حسين المطوع المتوفى سنة ١٤٠٩هـ، وابنه الوجيه عبد الحميد المطوع.

النصر: من شخصيات هذه العائلة، المرحوم الحاج حسين بن نصر ـ عمدة سيهات ـ، والمرحوم الشاعر عبد المحسن بن نصر (له ديوان مطبوع في جزئين: لوعة الحزين، ولد في ١٣٣٦هـ، وتوفي ١٤١١هـ)، وابنه الشاعر باقر النصر.

الخميس: من هذه العائلة، الخطيب المعاصر والشاعر احمد بن منصور الخميس.

الشيخ (آل ابي المكارم): ومنهم الشيخ مجيد الشيخ علي الشيخ جعفر.

آل جظر: ومنهم المعاصر الشيخ جواد جظر، وأخوه الشيخ حسين جظر.

الدّاوود: وينتمي إلى هذه العائلة الشيخ جعفر يوسف الدّاوود.

آل قريش: ومنهم الشيخ الاستاذ حسين رمضان القريش.

آل الزواد: ومنهم الشيخ علي الزواد والشيخ عبد المحسن الزواد، والشيخ ناجي الزواد.

آل الديس: ومنهم الخطيب الشيخ حبيب الديس.

العباس: ومنهم الخطيب الشيخ عبد الحميد العباس.

آل الزاكي: ومنهم الشيخ عبد الجليل الزاكي.

آل المسكين: ومنهم الشيخ محمد المسكين.

آل مدلوح: ومنهم الشيخ محمد المدلوح، والشيخ سعيد المدلوح.

الراشد: وينتمي إلى هذه العائلة، الاستاذ الخطيب احمد الراشد.

آل المعلم: وينتمي اليهم الوجيه الحاج محمد المعلّم، وأخوه المرحوم عبد الوهاب المعلم (ت ١٤١٠هـ)، والوجيه الحاج منصور بن صالح المعلم (ت ١٣٨٩هـ)، والرسام التشكيلي المعاصر كمال المعلم.

السالم: وينتمي إلى هذه العائلة، المرحوم الخطيب والشاعر علي السالم، له ديوان مطبوع.

المسلّم: واليها ينتمي الشيخ عبد الله المسلم.

الحمود: ينتسب إلى هذه العائلة، الخطيب والشاعر المعاصر عبد الكريم بن الحاج محمد حسين الحمود، والحاج الوجيه جعفر الحمود.

الصيبود: وينتسب اليها الخطيب الشيخ علي هلال الصيبود، والكاتبة المعاصرة معصومة الصيبود.

القلاف: وينتسب اليها الشهيد حسن منصور القلاف، استشهد في انتفاضة المحرم ١٤٠٠هـ، وكان اول شهيد يسقط في الانتفاضة، كما ينتمي إلى هذه العائلة، الكاتبة المعاصرة فاطمة علي يوسف القلاف.

آل السبع: ومنهم الشاعر المعاصر حسن السبع، والذي يشغل حالياً منصب المسؤول الثقافي في جريدة اليوم.

الشافعي: ينتمي إلى هذه الاسرة منصور بن احمد الشافعي المتوفي سنة ١٣٦٤هـ، والكاتب المعاصر عبد الحميد عبد الله الشافعي.

آل الصليل: ومنهم الاستاذ الكاتب عيسى الصليل.

الشويخات: ينتمي إلى هذه الاسرة الأديب الدكتور احمد شويخات، والكاتب القصصي المعاصر الاستاذ حسن مبارك شويخات.

الهويدي: اسرة ينتمي اليها الفنان الكبير الاستاذ علي هويدي الحائز على الجائزة الاولى في معرض المملكة سنة ١٣٩٨هـ.

* الشمر: ومن هذه العائلة، الكاتب المعاصر الاستاذ احمد الشمر.

آل ابراهيم: ينتمي اليهم الشاعر عبد النبي جعفر آل ابراهيم صاحب ديوان (وحي الشعور)، واخوه الشاعر علي جعفر آل ابراهيم.

ومن عوائل سيهات الاخرى: الهزاع، الناصر، الهلال، المزعل، المرزوق، المتروك، المبارك، المحفوظ، المشامع، المنيان، المحسن، الكيش، الفضل، الغانم، السلهام، السكري،

الرشود، الربعان، السبعي، الرميح، السواد، السيهاتي، سليس، الداود، الخريدة، الباشا، الدرويش، الخميري، اليات، جراد، الجفال، الحلال، الحكيم، الحميدي، الخرداوي، البوري، المرهون، المشهد، اليامي، نصر الله، المؤمن، المدن، المرشود، المعلم، السادة، البشير، البشراوي، التركي، الحماد، الحمد، خليفة، الخواهر، السدرة، السعدون، شاخور، الشافعي، الشهاب، شومان، شيبان، الصيباحي، الضاحي، العرب، العرادي، العواد، العيد، العيسى، القرانش، المحيف، مساعد، المسبح، المسجن، المشرف، المطر، المويس، المعتوق، الهمل، الامان، برهان، اخوان، الجعصي، الزيبدي، الهاشم... وغيرهم.

** صفوى: وهي مدينة تاريخية قديمة، ويقع إلى جانبها مقلع (جاوان) الغني بآثار الحضارات البائدة.. وتقع المدينة شمالي القطيف، وبينها وبين ميناء رأس تنورة ـــ المرفأ النفطي المعروف ـــ كيلو مترات معدودة.

جميع سكان المدينة من الشيعة، وكان يعيش في اطرافها بعض البدو الذين تحضروا، ثم ما لبث ان رحل معظمهم عنها.

وعوائل المدينة خليط من ذوي الاصول القبليُة المعروفة، ومن حفدة القبائل القديمة التي سكنت المنطقة قبل الإسلام.. من هذه العوائل:

السادة، وينتمي إلى هذه العائلة، الخطيب الشهير المرحوم سيد هاشم السيد شرف الحسن (المير)، واخوه الوجيه المرحوم السيد حسين السيد شرف، والخطيب الكاتب السيد جعفر السيد هاشم السيد شرف، واخوه الخطيب السيد عبد المطلب السيد هاشم الشرف. وعمدة صفوى السابق السيد هاشم الشرفا، والدكتور عدنان جعفر الحسن، والكاتب الصحافي حمزة الحسن، والخطيب السيد عبد الكامل السيد عبد المطلب الحسن. والخطيب السيد عمران السيد شرف اسعد، والخطيب السيد محمد بن السيد علي آل ادريس، والسيد هاشم السيد احمد علوي، والخطيب المرحوم السيد هاشم السيد طاهر، والسيد زهير عبد العظيم السادة، والخطيب الشاعر السيد علي شرف اسعد.

الابراهيم: (شمريون من العارض)، وينتمي إلى هذه العائلة: الاستاذ الكاتب فؤاد علي آل ابراهيم، والاستاذ الاديب المعروف المرحوم سلمان بن صالح آل ابراهيم (الصفواني)، والشيخ صالح محمد احمد آل ابراهيم، والدكتور عبد الله علي آل ابراهيم، والدكتور عبد المحسن علي عبد الله آل ابراهيم، والدكتور محمد حسين صالح آل ابراهيم، والدكتور باسم احمد علي عبد الله آل ابراهيم، كما وينتمي إلى هذه العائلة الوجيه المرحوم صالح بن أحمد آل ابراهيم وابنه الوجيه المرحوم حسين بن صالح آل ابراهيم، والشهيد حسن علي كريم آل ابراهيم ـــ استشهد في

انتفاضة محرم ١٤٠٠هـ ـ، والخطيب الشيخ صالح محمد صالح آل ابراهيم، والمرحوم الخطيب الحاج علي بن عبد الله آل ابراهيم، والوجيه محمد احمد آل ابراهيم.

آل صادق: ينتمون إلى قبيلة عبد القيس، وينتمي اليهم عمدة صفوى الحالي، حسين صادق، والكاتب عادل احمد صادق، والشاعر الاستاذ ناصر سلمان صادق، والاستاذ عبد العظيم الصادق، وغيرهم.

القريش (من سيهج): وينتمي إلى هذه العائلة، الحاج الوجيه عبد الرحيم قريش، والاستاذ هشام محمد احمد قريش، والاستاذ عبد الله عبد الرحيم قريش، والحاج سعيد عبد الرحيم قريش، والحاج محمد عبد الرحيم قريش، والكاتبة منتهى محمد احمد قريش.

اليوسف (قحطانيون فخذ حسمة): وينتمي إلى هذه العائلة: الخطيب حسين بن محمد بن ابراهيم اليوسف، والحاج المرحوم محمد تقي اليوسف، وابنه سعيد تقي اليوسف.

الحمدان، وينتسب اليها الخطيب صالح بن احمد آل حمدان.

آل حميدان (المبارك)، وأصلهم من الاحساء، برز من هذه العائلة العديد من العلماء منهم: المرحوم الشيخ محمد صالح الصفواني ـ قاضي الشيعة في القطيف ـ وصاحب المؤلفات العديدة، كما برز منها المرحوم الشيخ مبارك بن الشيخ علي، والمرحوم الشيخ عبد الله بن الشيخ مبارك، والمرحوم الشيخ محمد بن الشيخ مبارك، والمرحوم الشيخ علي بن الشيخ مبارك، والمرحوم الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن الشيخ مبارك، والمرحوم الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ مبارك، والمرحوم الشيخ سليمان بن الشيخ علي بن الشيخ مبارك، والمرحوم علي بن الشيخ سليمان بن الشيخ علي مبارك، والمرحوم الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ مبارك، علي بن الشيخ سليمان بن الشيخ علي بن الشيخ مبارك، والمرحوم الشيخ علي بن الشيخ سليمان بن الشيخ علي المبارك.

آل مبارك: ومن هذه العائلة: الشيخ جعفر بن علي المبارك.

الحبيب: وينتمي اليهم زعيم صفوى الراحل سلمان عبد الهادي، والوجيه علي سلمان عبد الهادي، والشيخ محمد حسن عبد الرحيم آل حبيب.

الدخيل: وينتمي إلى هذه العائلة، الشهيد مكي علي ناصر دخيل ـ استشهد في انتفاضة المحرم ١٤٠٠هـ ـ.

آل عبد الباقي: وينتمي اليهم الوجيه الحاج حسن عبد الباقي، والشاعر حسن عبد الباقي.

المرهون: وينتمي اليهم الكاتب الاستاذ خضر علي المرهون.

آل ملا: وينتمي اليهم الاستاذ عبد الكريم الملا، والدكتور عبد الله الملا.

آل هاني: ومنهم الكاتبة صباح عباس آل هاني.

آل مدن (القصاب): وينتمي اليهم الشهيد سعيد عبد المحسن المدن، والشهيد مالك عبد الرزاق آل مدن، اللذان استشهدا في انتفاضة المحرم ١٤٠٠هـ.

آل سعيد: منهم الشيخ حيدر بن احمد آل سعيد.

آل الخويلدي: ومنهم الشيخ الخطيب حسن مكي الخويلدي، والاستاذ الكاتب ميرزا علي الخويلدي، والشاعر حبيب مكي الخويلدي.

آل صلاح: ومنهم الخطيب الشيخ علي بن حسن صلاح.

المهدي: ومنهم الشيخ يوسف بن سلمان المهدي، وهو احد اهم اقطاب العلم والفضيلة بين شيعة القطيف والاحساء.

آل دهيم: وينتمي اليهم الكاتب الشيخ صراع شبيب دهيم، والشيخ حبيب دهيم.

آل عجاج: وينتمي اليهم الشيخ محمد العجاج، والشيخ حسين بن احمد العجاج.

المعلم: وينتمي إلى هذه العائلة، الشهيد علي احمد المعلّم، والشيخ علي عبد الله المعلّم.

آل فريد: وينتمي اليهم: الوجيه حسين فريد، والشاعر الشعبي عباس علي فريد، والكاتبة عالية مكي فريد، والاستاذ محمد عبد الله فريد.

الرهين: من هذه العائلة الشهيد سلمان آل رهين.

العواد: ومنها الشهيد الحاج عبد الوهاب العواد.

ومن عوائل صفوى الاخرى: السيف، الخلف، الصالح، الحايكي، الخميس، الفريد، الكاظم، المسلم، المطلق (من المهاشير من بني خالد)، الناصر، العقيلي، البشري، الفردان، العامر، المطرود، المتروك (ينتمي اليها الشيخ فؤاد عبد الكريم المتروك)، الغانم (وينتمي اليها الشيخ علي غانم)، الغريب (وينتمي إلى هذه العائلة الشيخ صالح بن عبد الله الغريب)، الزاهر، الزاكي، آل فاران، القرين، آل شاهين، نصفان، المعيني، آل داود (من الحوطة بنجد ينتسبون إلى عنزة)، الدخيل (ومن هذه العائلة الفنان والكاتب ميرزا حسين الصالح دخيل).

** تاروت: وهي الجزيرة المشهورة التي تحوي كنوزاً من الآثار القديمة، وتتبعها سنابس والربيعيّة والزور ودارين ــ البلدة التاريخية المشهورة ــ.

معظم سكان الجزيرة وقراها من الشيعة.. ومن عوائلها:

آل سيف: وينتمي اليهم، الشيخ المرحوم محمد بن الحاج احمد بن سيف، وهو جدّ الاسرة وأوّل أعلامها المعروفين. ومنهم المرحوم الشيخ حسين بن محمد آل سيف، والمرحوم الشيخ

علي بن الشيخ محمد آل سيف، والمرحوم الشيخ منصور آل سيف (١٢٩٣هـ ــ ١٣٦٢هـ)، والمرحوم الشيخ احمد بن الشيخ منصور آل سيف (١٣٢٦ هـ ــ ١٤٠٦هـ).

ومن أعلام الاسرة المعاصرين: الاستاذ والكاتب الشيخ توفيق محمد تقي السيف (له العديد من المؤلفات المطبوعة وفي العديد من الحقول، منها دراسته القيّمة: البترول والسياسة في المملكة العربية السعودية)، ومنهم الاستاذ الخطيب والكاتب الشيخ فوزي محمد تقي السيف (له اكثر من عشرة كتب مطبوعة، ابرزها: نظام الادارة الدينية عند الشيعة الامامية)، ومنهم الخطيب الكاتب الشيخ محمود محمد تقي السيف، والاستاذ حميد محمد تقي السيف، والكاتب الشيخ منصور بن الحاج جعفر السيف، والاستاذ عبد العلي يوسف السيف (مؤلف كتاب: القطيف وأضواء على شعرها المعاصر)، والحاج الوجيه محمد تقي السيف، والشيخ عيسى بن الشيخ احمد السيف.

آل الدعلوج: وهم سادة، وينتمي إلى هذه العائلة: المرحوم السيد اسعد السيد علي الدعلوج.

المعتوق: وينتهي نسب هذه العائلة إلى آل مرهون، ومن بين من نبغ من هذه العائلة: آية الله المرحوم الشيخ عبد الله بن معتوق (١٢٧٤ ــ ١٣٦٢هـ)، وأخوه المرحوم الشيخ سلمان بن معتوق، والشيخ المعاصر محمد تقي المعتوق، والدكتور الأديب والشاعر احمد بن الشيخ محمد تقي المعتوق.

الخباز: وينتمي إلى هذه العائلة، الخطيب المعاصر الشيخ جمال الخباز، والدكتور احمد الخباز.

الحجّاج: وينتمي إلى هذه العائلة كل من: الشهيد ازهر الحجّاج (اعتقل في الثاني من اغسطس ١٩٨٨، وأعدمته الحكومة بتهمة سياسيّة في اواخر اكتوبر ١٩٨٨)، والشهيد نزيه الحجاج (استشهد سنة ١٤٠٦هـ)، والخطيب المعاصر عبد الله بن الحاج أحمد الحجاج.

العبندي: من سنابس، وينتسب إلى هذه العائلة المرحوم الشاعر بربر العبندي، والكاتب المعاصر الاستاذ حسن العبندي.

آل شلي: من الربيعية، ينتمي إلى هذه العائلة الشهيد جلال احمد آل شلي (١٣٨٦هـ ــ ١٤٠٦هـ)، والرسّام التشكيلي الكبير الاستاذ عبد العظيم محمد آل شلي.

الدرورة: من السنابس، وينتمي إلى هذه العائلة الشاعر الشعبي المعاصر ابراهيم بن سلمان بن كاظم الدرورة، والشاعر المعاصر والكاتب الاستاذ علي ابراهيم الدرورة (له عدة كتب مطبوعة اشهرها: شعراء الموّال في جزيرة تاروت)، والشاعر المعاصر حسن احمد الدرورة، والشاعر علي عبد الله الدرورة.

آل ربيع: من الربيعية، ينتمي اليهم المرحوم الشاعر الخطيب حسن بن عبد الله بن ربيع (١٢٨٢ ــ ١٣٦٢هــ) وهو مؤسس قرية الربيعية في جزيرة تاروت، ومنهم المرحوم الخطيب الشاعر علي بن حسن بن ربيع (١٣١٦ ــ ١٣٨٢هــ).

آل صليل: من السنابس، ينتمي اليهم الشهيد حسن صليل، الذي استشهد في انتفاضة المحرم عام ١٤٠٠هــ.

الماء: ينتمي اليهم الشاعر المعاصر عبد الجليل مرهون الماء.

الدرازي: ينتمي اليهم المرحوم الخطيب الشاعر عبد الحسين الدرازي (١٢٩٦ ــ ١٣٩٢هــ) له ديوان مطبوع اسمه (ذخيرة الشيعة)، والشاعر الشعبي المعاصر علي بن حسن الدرازي، والفنان التشكيلي محمد الدرازي.

آل عبد المحسن: وينتمي اليهم الكاتب المعاصر الاستاذ عبد الله حسن منصور آل عبد المحسن له عدّة مؤلفات اشهرها (من تراث جزيرة تاروت)، والمعاصر الشيخ زهير حسن آل عبد المحسن.

آل زرع: ينتمي إلى هذه العائلة الشاعر المعاصر عبد الكريم بن مبارك آل زرع.

المصلي: ينتمي إلى هذه العائلة الشاعر المعاصر الشيخ مهدي المصلي، والرسام التشكيلي محمد المصلي.

ابو سرير: ينتمي إلى هذه العائلة الشاعر المعاصر الدكتور حسين ابو سرير.

الجنوبي: من السنابس، ينتمي اليها الشاعر الدكتور علي الجنوبي استاذ علم نفس في جامعة الملك سعود بأبها.

الدرويش: من السنابس، وهم سادة ينتمي اليهم المرحوم السيد سلمان الدرويش (١٢٢٥ ــ ١٣٥٠هــ) والشاعر المعاصر السيد طاهر بن السيد علوي الدرويش.

العماني: ينتمي إلى هذه العائلة الشاعر المعاصر فاضل العماني.

الحداد: من السنابس، من هذه العائلة الخطيب المرحوم رضي بن عبد الله الحداد، والشاعر الشعبي المعاصر ابراهيم بن ناصر الحداد.

اليابي: ينتمي إلى هذه العائلة الخطيب المرحوم رضي اليابي، والخطيب المعاصر الشيخ عبد الرسول اليابي، والخطيب المعاصر الشيخ محمد علي اليابي.

المحسن: من السنابس، وينتمي إلى هذه العائلة العلاّمة المجتهد المرحوم الشيخ علي بن يحي بن ناصر المحسن (١٣٢٦ ــ ١٤٠١هــ)، وابنه الفاضل الشيخ هادي بن الشيخ علي بن يحي المحسن.

السنّي: ويتنمي إلى هذه العائلة المرحوم الخطيب الشيخ عيسى بن محمد بن مهدي السنّي (١٣٠٥ ــ ١٣٥٥هــ).

العقيلي: وينتمي اليها الشاعر المعاصر عبد المحسن بن الحاج محمد بن الحاج رضوان العقيلي، له ديوان شعر مطبوع اسمه (الزفرات المحسنية).

آل غنّام: ويتنمي إلى هذه العائلة المرحوم الشيخ منصور بن علي آل غنّام (١٣١٣ ــ ١٣٧٢هــ).

الاسود: وينتمي إلى هذه الاسرة الكاتب المعاصر الاستاذ محمد رضي الاسود، له كتاب مطبوع اسمه (كتابات).

آل حيدل: منهم الشيخ عبد الكريم آل حيدل.

القطري: ويتنمي إلى هذه الاسرة المرحوم الخطيب منصور بن محمد علي القطري.

آل عمران: وينتمي إلى هذه العائلة الصحافي المعاصر الاستاذ علي موسى آل عمران.

آل طلاق: ويتنمي إلى هذه الاسرة الشاعر الشعبي المعاصر احمد بن حبيب آل طلاق، والرسام التشكيلي المعاصر علي حبيب آل طلاق.

الكزاز: من السنابس، ويتنمي إلى هذه العائلة الشاعر الشعبي المعاصر عبد الله بن حسن الكزاز.

آل الصايغ: وهم ينتسبون إلى آل المعتوق المرهون، ينتمي اليهم الشاعر الشعبي المعاصر عباس بن احمد الصايغ.

القروص: من السنابس، ينتمي إلى هذه الاسرة الشهيد محمد علي القروص (اعتقل في ١٨ ابريل واعدمه النظام السعودي بتهمة سياسيّة في اكتوبر ١٩٨٨م)، والشيخ حسن مكي القروص، والاستاذ الكاتب عبد الله القروص، وهو صحافي، وله عدة كتب مطبوعة منها (استخدم عقلك) و(القراءة السريعة).

العليوات: ويتنمي إلى هذه العائلة الشيخ محمد حسن العليوات.

الكوي: ينتمي إلى هذه العائلة الكاتب المعاصر عبد الرزاق الكوي.

العبادي: ينتمي إلى هذه العائلة الشاعر المعاصر شفيق العبادي.

الحبيب: من السنابس، وينتمي إلى هذه العائلة الشيخ المعاصر علي آل حبيب.

الخيري: من السنابس، ويتنمي إلى هذه العائلة الشيخ فؤاد الخيري.

الشايب: ويتنمي إلى هذه العائلة الوجيه المرحوم الحاج رضي الشايب.

الصفار: يرجع نسبهم إلى همدان، ومن هذه العائلة: العلاّمة الشيخ رضي بن الحاج علي الصفار (١٢٩٥ ــ ١٣٧٤هــ)، والمرحوم الشيخ حسن بن الحاج علي الصفار المتوفي سنة ١٣٣٥هــ، والوجيه المرحوم الحاج جعفر بن صالح الصفار (١٣١٧ ــ ١٣٩٢هــ)، والمرحوم الخطيب صالح بن الشيخ حسن الصفار، والمرحوم الخطيب عبد علي الصفار (١٣١١ ــ ١٣٧٧هــ)، والأديب المرحوم محمد صالح الصفار المتوفى سنة ١٤١٠هــ، والمرحوم الشيخ عبد الحميد بن رضي الصفار.

العيد: وينتمي إلى هذه الاسرة الصحافي جعفر العيد، واخوه الاستاذ سلمان العيد.

آل حسين: ومن هذه العائلة الأديب الشاعر الاستاذ عبد الرسول محمد آل حسين.

آل صليل: من سنابس، ومن هذه العائلة، الشهيد حسن صليل، استشهد في انتفاضة المحرم في المنطقة الشرقية ١٤٠٠هــ.

العلق: من الربيعيّة، ومن هذه العائلة، الشهيد خالد عبد الحميد العلق، اعتقل بتهمة سياسية في الثاني من اغسطس ١٩٨٨م، وأُعدم في اكتوبر ١٩٨٨م.

ومن عوائل تاروت الاخرى: آل ابراهيم، البحراني، البحارنة، الجليح، الجمعان، الحبيب، الديسي، الخالدي، الصادق، الصفوان، السالم، الفردان، القلاف، المحاسنة، المطر، المعلم، المطوع، البدر، أمان، الجامد، الجامع، الجبران، الجشي، الجمعة، الجيراني، الخاطر، حيان، الدهنيم، الداود، الدعبل، الدغام، الراشد، السليس، السهوان، الزاير، الطويل، العوّى، المادح، القديحي، المدن، المرزوق، المختار، المرهون، المطلق، المياد.. وغيرهم.

** العوامية: وهي مدينة ملتصقة بالقطيف من ناحية الشمال، وقد قامت البلدة على انقاض مدينة (الزارة) قاعدة المنطقة قديماً، والتي هدمها القرامطة واشعلوا في ربوعها النار. ونسبت البلدة إلى ابي البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج احد بني عبد القيس الذي أخذ البحرين من القرامطة.

وجميع سكان البلدة من الشيعة، ورجالها مشهورون بقوّة البأس والمواجهة مع العدو.. وقد تفرّد اهلها خلال التاريخ القريب بمقاومة طغيان الحكم السعودي.

أمّا عوائلها فكثير منها ينتمي إلى اصول قبليّة قريبة معروفة نزحت من نجد.. فآل فرج وآل زاهر عدنانيون، وقد نُسبوا متأخراً إلى القحطانية ــ كما يقول زعيم العوامية الراحل عبد الله بن مهدي الفرج ــ.

ويعود نسب هذه العوائل الثلاث (آل نمر وآل زاهر وآل فرج) إلى نمر بن عائد بن عفيصان.. وينقل النسّابون ان جدهم كان يتردّد بين العوامية وقرية (الأسلمية) في نجد، وأنه

اعتقد بالمذهب الشيعي، وزوّجه العلامة الشيخ محمد العرجان (المتوفى سنة ١٠١٩هـ) ابنته (عدا)، فأولدها ثلاثة ابناء هم نمر وفرج وزاهر، واليهم تنتسب الاسر الكبيرة الثلاث في العوامية.

وقيل ان آل عفيصان كانت لهم الزعامة في (الأسلمية) مع بني تميم، الا ان استيلاء الاخيرين عليها واستفرادهم بالحكم، عجّل بنزوح الكثير منهم إلى المنطقة الشرقية[24].

من آل النمر: الشيخ نمر باقر النمر، والاستاذ محمد باقر النمر، والمرحوم الكاتب محمد حسن النمر (ت ١٣٩٧هـ) الذي اصدر عدّة صحف في العراق من بينها جريدة (بهلول) اضافة إلى كتب اخرى. وبرز من هذه العائلة المرحوم المجاهد آية الله الشيخ محمد بن ناصر النمر (١٢٧٧ ـ ١٣٤٨هـ) وأخوه الشيخ حسن المتوفي سنة ١٣٢٧هـ، والشهيد الشيخ قصي النمر (١٤٠٧هـ)، والحاج المرحوم عبد الحسين بن احمد النمر (١٣١٢ ـ ١٤٠٧).

ومن آل الزاهر: الوجيه الحاج باقر الزاهر، عمدة العوامية سابقاً، والحاج علي الزاهر، الشاعر المعروف، صاحب ديوان (بسمة الاسحار)، والخطيب المرحوم علي الزاهر (١٢٩٨ ـ ١٣٥٥هـ)، والشهيد سعيد حسن الزاهر ـ استشهد في انتفاضة المحرم ١٤٠٠هـ ـ.

ومن آل الفرج: المرحوم الوجيه الخطيب محمد حسن الفرج، والشيخ سعود بن محمد الفرج (ت ١٣٦٦هـ)، والعلاّمة الشيخ عبد الكريم بن حسين الفرج (١٣١٩ ـ ١٣٧٣هـ)، والخطيب حسن بن علي الفرج (ت ١٣٦٤هـ)، والدكتور احمد علي الفرج، والدكتور سعود نصر تركي الفرج، والدكتور تقي نصر الفرج، والدكتور عبد الله محسن الفرج، والكاتب المعاصر الاستاذ سعود عبد الكريم الفرج، الدكتور نصر باقر الفرج، والمرحوم مهدي الفرج.

ومن العوائل التي تسكن العوامية، آل ابي المكارم/ آل الشيخ، وهي عائلة دينية مشهورة سكنت البحرين بعد ان قدمت من الحجاز قبل ان تستقرّ في البلدة. وينتمي إلى هذه العائلة: آية الله الشيخ جعفر بن الشيخ محمد آل ابي المكارم (١٢٨١ ـ ١٣٤٢هـ)، ومنهم الشيخ علي بن الشيخ جعفر آل ابي المكام (١٣١٣ ـ ١٣٦٤هـ)، بالاضافة إلى الخطيب الشيخ سعيد ابو المكارم، والحاج الكاتب عبد القادر ابو المكارم، وابنه الشاعر عدنان عبد القادر، والوجيه المرحوم عبد الكريم الشيخ علي ابو المكام.

آل جريدي (منهم الاستاذ محمد علي جريدي).

الحماد، ومن هذه العائلة الشهيد سعود علي الحماد، اعتقل في الثالث والعشرين من رمضان الكريم ١٤٠١هـ، واستشهد على اثر التعذيب في الخامس عشر من ذي القعدة ١٤٠١هـ.

[24] اعلام العوامية، الشيخ سعيد ابي المكارم، الجزء الأول، ص ١٥.

ومن العوائل: آل ثويمر من سيع الذين ينتمي اليهم (آل قريريص وآل صويمل وآل زنادي)[٢٥].

ومن العوائل: آل ضيف، وآل عريِّض، البراكي، الجوهر، آل ربح (وهي عائلة كبيرة مشهورة وينتمي اليها الشيخ سمير الربح، والشيخ رمزي الربح، والشيخ احمد الربح).

المطر: ومن هذه العائلة الشيخ رضي المطر.

ومن عوائل العواميّة: آل تحيفة (كانوا يسمون آل درويش) وهم قحطانيون، ولهم ابناء عم في قرية الملاّحة.

آل مشيخص: وينتمي اليهم الدكتور عبد الواحد نصر آل مشيخص، والشيخ الخطيب عبد العظيم مشيخص.

الديبسي: وينتمي إلى هذه العائلة الكاتب المعاصر عبد الله الديبسي، وقد كان مشرفا على صفحة (اخبار اليوم والناس) في جريدة اليوم.

آل ميبوق: ينتمي اليها الدكتور رضي الميبوق.

آل عرجان: وهم من سيع، وينتمي اليهم المرحوم الوجيه الشيخ محمد العرجان المتوفى سنة ١١١٩هـ.

العوى: ومن هذه العائلة الشيخ علي عبد الكريم العوى.

الصباح: ومن هذه العائلة الشيخ حسين الصباح.

** الآجام (الأوجام): وهي قرية كانت إلى عهد قريب منفصلة عن واحة القطيف، وكانت اكثر اتصالاً بالداخل الصحراوي، والتصقت في علاقاتها مع البدو الرحل.. الأمر الذي دعا بعض الشيعة إلى وصف سكانها بأنهم ((بدو الشيعة)) نظراً لعلاقاتهم الوطيدة مع البدو، رغم ان جميع سكان القرية من الشيعة وهم جميعاً متحضرُون.

ومعظم سكان الآجام ينتمون لأصل قبلي واحد.. فالعوائل الثلاث المشهورة (الناصر، السنان، المرزوق) قحطانية الأصل، هاجرت من شمال اليمن قبل قرون عديدة، وسكنت قرية بني معن قبل ان تستقر في البلدة.

وينتمي لآل السنان، المرحوم الوجيه ناصر حسين رضي السنان، والشيخ مالك ناصر السنان، والوجيه محمد ناصر السنان.

وينتمي لآل الناصر، الدكتور حبيب منصور الناصر، والوجيه عبد الرحيم احمد الناصر، والخطيب، احمد محمد جواد الناصر. والشيخ شاكر احمد الناصر. والشيخ علي احمد الناصر،

---

25 لقاء مع (س. ح. ع) في ١٦ / ١٢ / ١٤٠٨هـ.

والمرحوم الشاعر محمد علي الناصر، والدكتور علي سلمان الناصر، والشهيدة زهراء منصور حبيب الناصر (استشهدت تحت التعذيب في الحديثة، على الحدود السعودية/ الاردنية، في عام ١٩٨٩م).

ولآل المرزوق ينتمي، المرحوم الوجيه راشد المرزوق، والمرحوم الوجيه حسن محمد المرزوق، والمرحوم الشاعر سعود بن مرزوق، والاستاذ محمد حسن المرزوق، والشيخ مصطفى حسن المرزوق.

كما أن هناك عوائل أخرى كالسادة، ومنهم الخطيب السيد وجيه السيد ماجد الهاشم، والدكتور حسن السيد سلمان الهاشم.

ومن عوائل الأجام، آل جميع، ومنهم الاستاذ حبيب آل جميع، والشاعر الشعبي يعقوب الجميع، والشيخ حسن عبد الكريم الجميع.

ومن عوائل الأجام: العاشور، ينتمي اليها الشاعر والخطيب منصور العاشور الأجامي، والشيخ موسى محمد موسى العاشور، والشيخ جاسم علي العاشور.

وهناك عوائل اخرى، كالمبارك (منها المرحوم الشيخ عبد الله بن ناصر بن حميدان بن سالم المبارك)، والمحيسن، وآل رهن.

ومن اشهر اعيان البلدة هم عُمَدُها الذين تعاقبوا على رئاستها، ومن اشهرهم:

١ـ زعيم الأجام الراحل راشد بن علي المرزوق/ السنان.

٢ـ عبد الله بن راشد المرزوق/ السنان.

٣ـ سعود بن محمد المرزوق.

٤ـ الخطيب حسين بن حسن السنان.

٥ـ احمد بن علي المرزوق.

٦ـ محمد بن سعود المرزوق/ السنان.

٧ـ صالح بن علي الناصر، وهو عمدتها الحالي[٢٦].

** القديح: بلدة صغيرة المساحة، ولكنها مكتظة مزدحمة بالسكان الذين ينتمي جميعهم إلى المذهب الشيعي.. من عوائلها: السادة (آل ابو الرحي، الخضاروة).

آل طعان: وينتمي اليهم المرحوم الشيخ احمد بن صالح آل طعان، ومنهم الشيخ عبد الله بن احمد آل طعان، والشيخ محمد صالح بن احمد آل طعان.

[26] لقاء مع (أ. المرزوق) أحد أعيان بلدة الأوجام في ٢٨ / ١٢ / ١٤٠٨هـ.

آل الشرفا: وهم سادة، ينتمي اليهم السيد امان بن السيد محمد الشرفا، المتوفي في سنة ١٣٥٢هـ ومنهم العلامة السيد باقر بن السيد أمان الشرفا ومنهم الشاعر المعاصر السيد طاهر بن السيد صالح الشرفا، والكاتب السيد محمد بن السيد علي الشرفا، والكاتب السيد يوسف بن السيد محمد الشرفا.

الشميمي: من السادة، وينتمي إلى هذه العائلة، السيد طاهر الشميمي.

آل عرفات: ينتمي إلى هذه الاسرة المرحوم الشيخ ابراهيم بن عرب آل عرفات توفي بعد ١٢٣٧هـ.

الخباز: سادة، وينتسب إلى هذه العائلة، الكاتب السيد سعيد بن السيد احمد الخباز، له عدّة كتب مطبوعة منها (الصلاة عبادة فكرة وعمل تربوي).

آل الجنبي: وينتمي اليهم المرحوم الوجيه الحاج احمد بن صالح بن حسن الجنبي، توفي سنة ١٣٥٧هـ.

الحليلي: ينتمي إلى هذه الاسرة الوجيه المرحوم الحاج حسن بن مكي الحليلي.

آل مسباح: وينتمي إلى هذه الاسرة الاديب المعاصر الشاعر عبد النبي بن علي آل مسباح.

آل حيّان: وينتمي إلى هذه العائلة الكاتب المعاصر الاستاذ عبد محسن آل حيّان صاحب كتاب (أدباء من القطيف).

الخاطر: وينتسب إلى هذه العائلة الخطيب المعاصر سعيد بن ناصر الخاطر.

آل توفيق: وينتمي إلى هذه العائلة الخطيب المرحوم علي بن ناصر آل توفيق المتوفي سنة ١٤٠٨هـ.

آل الشيخ: ينتمون إلى اسرة البلادي: منهم الشاعر المعاصر عمر الشيخ وله ديوان مطبوع (متى تأتي؟)، والشيخ عبد العظيم الشيخ.

المقيلي: ينتمي إلى هذه الاسرة الخطيب المعاصر الشاعر حسن بن حسين المقيلي.

الناصر: ومنها الأديب والكاتب محمد علي الناصر، له كتاب مطبوع اسمه (الله الخالق القدير)، والشاعر المعاصر محمد احمد مكي الناصر.

آل العيبدي: ينتمي إلى هذه العائلة الأديب الشاعر المرحوم محمد بن رضوان العيبدي المتوفي سنة ١٣٤٥هـ.

العوازم: ينتمي إلى هذه العائلة الشيخ مهدي العوازم.

آل غزوي: ينتمي إلى هذه الاسرة الكاتب الاستاذ حسن عبد الله محمد آل غزوي.

ومن العوائل الاخرى في القديح: آل البلادي، وآل شهاب، وآل حوري، وآل شاهين، البشراوي، العلوان، البندري، آل جعفر، آل صفوان، الحمادي، وغيرهم.

** ام الحمام: وتقع شمال غرب مدينة سيهات، وجميع سكانها من الشيعة ومن عوائلها:

الشبيب: وينتمي إلى هذه العائلة، الشاعر والوجيه المرحوم حسين الشبيب ــ له ديوان شعر مطبوع في جزئين ــ، وابنه المقيم في البحرين الشاعر والخطيب عبد الكريم الشبيب، والمرحوم الخطيب بدر بن شبيب الشبيب، والشاعر الشاب سعيد معتوق الشبيب، والفنان التشكيلي عبد الجليل الشبيب، والشاعر بدر الشبيب، والشيخ عبد اللطيف الشبيب، والشيخ غازي الشبيب.

المرهون: وهي اسرة علمية وادبية برز منها العديد من العلماء والأدباء والخطباء منهم: المرحوم العلامة الشيخ عبد الحي المرهون (١٣٠٢ ــ ١٣٦٦هــ)، والعلاّمة الشيخ منصور المرهون (١٢٩٤ ــ ١٣٦٢هــ)، والعلاّمة المعاصر الشيخ علي المرهون، وله العديد من المؤلفات المطبوعة ابرزها (شعراء القطيف من الماضين والمعاصرين)، والخطيب الشيخ محمد حسن المرهون، والخطيب الشيخ عبد الحميد المرهون، والخطيب سعيد المرهون، والخطيب عبد العظيم المرهون، وله العديد من المؤلفات منها (تاريخ ام الحمام)، والخطيب صادق المرهون، والشاعر الاستاذ كاظم المرهون، والكاتب الاستاذ محمد المرهون، والشاعر الاستاذ ابراهيم المرهون، والشيخ مصطفى عبد الحميد المرهون.

البرّاك: وإلى هذه العائلة ينتمي المرحوم الوجيه محمد صالح البرّاك (١٢٩٦ ــ ١٣٩٦هــ).

الكعيبي: وإليها ينتمي الخطيب الشيخ ناجي الكعيبي.

الشملاوي: وإليها ينتمي الخطيب والشاعر سعود الشملاوي، وابنه الشيخ علي الشملاوي.

الحرز: واليها ينتمي الشاعر الشاب حسين بن منصور الحرز.

آل راضي: ومنهم الخطيب المعاصر الشاعر راضي بن المرحوم الحاج علي آل راضي.

آل مسبّح: ومنهم الأديب المعاصر الحاج محمد علي بن الحاج عبد الهادي المسبّح، وله ديوان شعر شعبي في رثاء اهل البيت عليهم السلام.

ومن عوائلها: الحايك، عيِّد، الطويل، آل عباس، آل عبد النبي، البحراني، السنراوي، الزاير، عبد العال، المويس، العوامي، الرضوان، الطلالوة، المجيميد، الهلال، الربيع، العلوي، المدن، الهاشم، السادة (المعلم ــ المدن)، الصليل، المريط، أمان، معتوق، العافول، السويكت، المنصور، الخميري، آل الشيخ، آل محمد علي، هنيدي، قنبر، آل جبر، الناصر، الفتيل، المعلّم، الجراش، القيصوم، وقع، السريو، المحيسن، الميرزا، الخباز، القصار، الطفيّف، الحللي، اليوسف، النجراني، المرزوق، الزيدُل، آل سعود، الحميدان، سيف، شنار، الاسعد، شهاب، الشخل، السالم،

الجفال، الشوملي، عطيّة، لطف الله، عبد اللطيف، ابو شيف، نصيف، سرحان، الموسى، صبيح، خضيِّر.

** الجش: وتقع شمال غرب مدينة سيهات، وجميع سكانها من الشيعة. ومن عوائلها:

آل سنبل: ومنهم المرحوم الشاعر الشيخ بدر بن احمد آل سنبل (ت ١٣٣٦هـ)، ومنهم الحاج حسن بن احمد آل سنبل (١٢٩٤ ـ ١٣٥٢هـ)، والشاعر الشيخ فيصل بن عبد الله آل سنبل (١٣٢٦ ـ ١٣٦٤هـ)، ومنهم الوجيه المعاصر الحاج احمد بن حسن آل سنبل والشيخ ضياء آل سنبل، والشيخ نزار آل سنبل.

الخواهر: ومن هذه العائلة الصحفي المعاصر الاستاذ حسين عبد الله الخواهر.

ومن عوائل الجش: آل ضاحي، آل حمزة، آل عوَّاد، آل حمود، آل سلام، آل خميس، آل نصيف، آل ذاهب، آل مبارك، آل درويش، المغاسلة، آل سعيِّد، آل زاير، آل عشوة، آل كنيص، آل عاشور، آل عياش، آل عبد ربه، المرزوق، آل احمد، آل عبد الحسن، آل سيف، القمر، آل عويوي، المدبِّس، آل ضيف، آل موسى، آل ابراهيم، العوامي، الجرّاش، آل مهنّا، آل سليمان، السبع، رمضان، آل تركي، آل حيان، العيد، الجشّي (وإلى هذه العائلة ينتمي الشيخ منصور الجشي، والشيخ محمد الجشّي).

** الجارودية: وهي بلدة تاريخية معروفة، قريبة من البدراني، الذي كان منطلقاً للحجاج فيما مضى، وجميع أهلها من الشيعة.

ومن عوائلها: آل حيدل (وينتمي اليهم الخطيب المرحوم مهدي بن محمد آل حيدل، والشاعر محمد حسن آل حيدل)، آل سيد طالب، آل سيد طويلب، آل مشعل، الجارودي، الصفار، آل سليمان، آل المنشاد، آل معلِّم (ومنهم الشيخ محسن المعلم، والشيخ علي المعلم)، العيَّاشي، آل سيد كاظم، الشرفا، السادة، آل رمضان، آل مدن. الشهاب (ومن هذه العائلة الخطيب حسن شهاب)، آل عيد (ومنهم الشاعر المرحوم الخطيب بدر بن ابراهيم بن عجول آل عيد).

** الخويلدية: وجميع سكانها من الشيعة.

ومن عوائلها: آل نتيف: ومنهم الخطيب المرحوم محمد علي آل نتيف صاحب ديوان عبرة المؤمنين ١٣١٥ ـ ١٣٧٢هـ، وابنه الشيخ حسن الذي يعمل حالياً في المحكمة الجعفرية في البحرين، والخطيب مهدي نتيف وله ديوان مطبوع يسمّى جواهر الأفكار ـ وقد توفي عام ١٤١١هـ، والخطيب عبد الله نتيف، وله ديوان مخطوط باسم ينبوع الحكمة في رثاء أهل العصمة، والشاعر المعاصر عبد الله مهدي انتيف.

الشرفا: ومن هذه العائلة الخطيب المعاصر السيد تقي الشرفا.

آل الأمرد: (وينتمي اليهم الشيخ جعفر الأمرد).

السادة: ومنهم الخطيب السيد مصطفى السيد حيدر السادة، والخطيب السيد حيدر السيد علوي السادة، والخطيب السيد صالح السيد علوي السادة.

آل عباس: ومنهم الوجيه الحاج السيد جبر آل عباس، وابنه الخطيب السيد يوسف.

ومن عوائل البلدة: الخويلدي، الصحّاف، الراشد، السمّاك، المرزوق، المدرهم، العجيمي، الزواد، الصاهول، الجمعان، الرميّض، المحروس، الطريدي، الجميعان، القاسم، القطان، الصويلح، (ومنها الشيخ حسين الصويلح)، العلوي، سهوان، قنبر، الناصر، القمر، عطيّة، عيّد، المزين، آل عبد اللطيف، الهاشم، آل عبد العال، الحريفي، الميّاد، العفلوج، المرهون، لاشط، آل محفوظ، آل حبيب، آل تركي، الشمي، الرضوان، الطاق، شهاب، النحوي، البشراوي، الجارودي، حرملة، آل سالم، آل ابراهيم، طريدي، غنّام، دعبل، آل شبّر.

** التوبي: وجميع سكانها من الشيعة، وقد نبغ منها الشاعر الكبير (الشيخ جعفر الخطي/ ابو البحر) ولا يزال نسله فيها.. وهناك من يقرب إلى عائلة ابي البحر (كآل الشيخ وآل موسى)، وهناك عائلة الجراش (وأفرادها سادة موسويون ينتمي اليهم الشاعر الشاب سيد حسين علوي الجراش)، وعائلة ابو الفلفل (وأفرادها سادة موسويون أيضاً، منهم الأديب الشاعر السيد محمد بن السيد مال الله ابو الفلفل المتوفي سنة ١٢٦١هـ، ومنهم المرحوم السيد مال الله ابو الفلفل).

** حلّة محيش: وتقع جنوب القطيف، وجميع سكانها من الشيعة.

ومن عوائلها:

الخميس: من هذه العائلة الشهيد احمد مهدي خميس، اعتقل في السادس عشر من ذي الحجة ١٤٠٦هـ/ الموافق ١١ اغسطس ١٩٨٦، واستشهد تحت التعذيب في الثامن عشر من ذي الحجة ١٤٠٦هـ/ الموافق للثالث والعشرين من اغسطس ١٩٨٦م. ومن هذه العائلة أيضاً الشيخ حسين مهدي خميس.

ومن العوائل: السادة، الشعلة، الهاشم، العجيّان منها الشيخ رضا العجيان، الجنبي، الشرقي، الباقر (منها الخطيب حسن بن محمد الباقر، وابنه الشيخ محمد حسن بن محمد الباقر)، البوري، العكش، النغموش، درويش، المتروك، الكحيلي، الفردان، المحيشي، اليوسف (منها الشيخ عبد الله اليوسف)، الشخل، الهرود، الفلفل، الهنا، المادح (منها الخطيب الشاعر المرحوم عبد الله بن علي المادح ((١٢٨٥ ــ ١٣٤٥هـ)))، المفرقش، القصاب، البطران، الطلاق، العجمي، العوامي.

** الملاّحة: وجميع سكانها من الشيعة.

ومن عوائلها: آل درويش (ومنهم الخطيب المرحوم عبد الله بن علي آل درويش المتوفي سنة ١٣٩٤هــ)، آل زهيري (وينتمي اليهم الأديب الشاعر الشيخ محمد بن عبد الله آل الزهيري المتوفي سنة ١٣٢٩هــ).

** الشويكة: كانت قرية قبل سنوات قلائل، ولكن عمران القطيف إمتدّ إليها، فأصبحت جزءً منها.. وجميع سكان البلدة من الشيعة.

** البحاري: جنوب القديح، وجيمع أهلها من الشيعة.

ومن عوائلها: الميلاد، الحماد، العبكري (منها الخطيب مهدي العبكري)، الحماد (منها الشهيد عبد الكريم الحماد، استشهد في انتفاضة المحرم ١٤٠٠هــ)، الذنيان، الشقيقي، العفيريت (منها الخطيب محمد العفيريت)، الغاوي، المحيسن، العلي، الدهنين، العليو، السويّد، النزغة، آل ابو صعب، الضامن، آل سويف، آل شريف، الزيداني، الرضوان، الميّاد، المغيص، آل عون، آل درويش، آل زيد، المرعي، الخليف، الحميد، الميّاس، أمان، حاجي، عاشور، الكاظم.

*عنك: ويسكنها كثير من الخوالد، وبينهم عدد غير قليل من الشيعة يعرفون بــ"العليوات"، ومن عوائل الشيعة الاخرى: العيد، رمضان، شعبان، آل نصيف، آل خميس، الأمان، الدخيل، القنبر، (منها الشهيد محمد قنبر آل قنبر، إستشهد في إنتفاضة المحرم ١٤٠٠ هــ)، المشهدي (وينتمي إلى هذه العائلة الشاعر الحاج عبدالله بن علي المشهدي المتوفي سنة ١٢٥٥ هــ ، له ديوان شعر مطبوع. والشيخ غازي المشهدي)، الخواهر، السالم.

الشيعة في مناطق المملكة الأخرى

يتواجد الشيعة في مناطق المملكة المختلفة وبكثافة متفاوتة. في الأسطر التالية تحديد لمواقعهم وعددهم:

** المدينة المنورة: وتسكنها اربع جماعات شيعيّة جعفريّة:

*النخاولة: ومفردها نخلي، وهم من القبائل العربية، وقد تداخل معهم عدد من ابناء القبائل الاخرى طلباً للحماية قبل نحو قرنين من الزمان مثل (العصارى) الذين ينتمون إلى عنزة (بني أعصر). والنخاولة هم اكثر الشيعة عدداً وانتشاراً، وقد تعرّضوا للاضطهاد والأذى بسبب التحامل الطائفي.. يقول احد المتحاملين: ((بيت النخلي، وكلّهم شيعة شنيعة، وغالبهم جهلة لا يكادون يفهمون شيئاً من مذهب الرافضة، وإنّما وجدوا آباءهم على أمّة وهم على آثارهم مقتدون، وهم معهم بلا شك في النار يحشرون)).. وأضاف مفترياً: ((وقد ذاع وشاع وملأ الأسماع ان اصلهم من بقايا أولاد النساء اللواتي حملن بالزنا في قضية الحرّة المشهورة في أيام

الخبيث يزيد بن معاوية ــ قبَّحه الله ــ حين استباح المدينة قتلاً ونهباً وفسقاً وسلباً. وقيل: أن النخاولة بعضهم أصلهم من العبيد، وبعضهم من الهنود، وبعضهم من اليمن، وبعضهم من المغرب، وبعضهم من مصر، وبعضهم من الحجاز وغير ذلك))[٢٧].

وقال متحامل آخر: ((والبساتين والحقول يقوم بحراستها والخدمة فيها ورعي مواشيها، بل بالخدمة في البيوت أيضاً، مجموعة من ذريَّة الأعجام يسمُّون النخولة، وهؤلاء بالمدينة اشبه بالفلاحين في مصرنا، ولولا هم ما قامت الزراعة، وهم رافضة.. واحتقاراً لهم وعقاباً على نزعتهم الباطلة، كلَّفهم رئيس البلدية بأن يقوموا بطرد الكلاب من حول المسجد النبوي، ويجتمع بهم الأعجام في مواسم الحج، ويؤجِّرون منهم الدور بما فيها))[٢٨].

ويبدو أن الاحتقار والتشكيك والإهانة إنما يرجع إلى امرين: سمرة بشرة النخاولة، وتمذهبهم بالمذهب الشيعي.. أي ان القضية ترجع إلى تمييز عنصري وطائفي في آن واحد، وهذا اقبح انواع التمييز وأشنعها.

من زعماء الشيعة المشهورين في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله: الشيخ محمد العمري، وابنه الشيخ كاظم العمري.

* الاشراف: ويأتون بعد النخاولة في العدد، وهم سادة من بني هاشم. كما انهم ينتشرون في مناطق اخرى غير المدينة المنورة مثل مكة المكرمة وجدّة والطائف ومدن المملكة الجنوبية.

قال صاحب كنز الأنساب[٢٩] أن من بين من ينتمي إلى هذه القبيلة (الأشراف) في المنطقتين الغربية والجنوبية من المملكة: الحيادرة، والنسبة إليهم حيدرية، وهم بطن من بني جعفر الصادق يُعرفون ببني أيمن. وآل ابراهيم ويسكنون ينبغ النخل، وآل حسين مع قبيلة الضفير ــ سادة حسينيون ــ.

ومن المعروف تاريخياً أن الاشراف في مكَّة كانوا على مذهب الشيعة، وأن المماليك كانوا على مذهب السنَّة، وقد حكم الاشراف المناطق المقدَّسة سنوات طويلة في القرون الماضية وحتى وقت قريب أيضا.

---

[27] تحفة المحبين والاصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب ــ عبد الرحمن بن عبد الكريم المدني ــ ت ١١٩٥هــ وهو متعاطف مع الوهابيين وأفكارهم كما هو واضح من كتابه.

[28] مرآة الحرمين، ابراهيم رفعت باشا، جزء ١، ص ٤٤٠.

[29] كنز الانساب ومجمع الآداب، حمد بن ابراهيم بن عبد الله الحقيل، الطبعة العاشرة، ص ١٢٨، ١٢٩.

* قبائل حرب وجهينة (الحروب): حيث اعتنق بعض افرعها المذهب الشيعي (فرع بني علي/ الفريد، وغيرهما). وقد اشار احد الكتاب إلى انتشار المذهب الشيعي بين قبائل حرب وجهينة[٣٠].

* المشاهدة: وهم من أصول عربية ويتواجدون في مكة والمدينة المنورة، الا أنهم اقل الفئات عدداً. ومن آل المشهدي الكاتب والروائي محمد بن عيسى المشهدي.

أما الأحياء التي يسكنها الشيعة في المدينة المنورة وما حولها فهي:

١ــ وسط المدينة، جنوب الحرم المدني.. حيث يوجد حيٌ كان يسمى فيما مضى بزقاق النخاولة، أو محلّة النخاولة، ويسمى في الوقت الحالي بحيٌ الروضة.. كما يوجد النخاولة شمال غربي المسجد النبوي (باب الكومة).

٢ــ قبا، كانت قرية تبعد ميلين عن المدينة المنورة، والآن اصبحت حيًاً من احيائها الجنوبية، وتسكن الحيٌ أكثرية من النخاولة.

٣ــ قربان، حي جنوبي المدينة المنورة، ويسكنه إضافة إلى النخاولة، شيعة الحروب والمواليد.

٤ــ حي العوالي، جنوب شرقي المدينة المنورة، ويسكنه النخاولة والحروب بكثرة. على أن الشيعة منتشرون في معظم أحياء المدينة المنورة، ولكن بكثافة اقل، كما في الحارة الشرقية التي يتواجد بها عدد غير قليل من الاشراف وبشكل اقل من النخاولة. وكذلك يصدق القول على الحارة الغربية وحي العيون.

وبالطبع هناك أعداد غير قليلة من الشيعة الزيدية أقامت في السنوات الأخيرة في المدينة المنورة. ويوجد الشيعة في العديد من القرى المحيطة بالمدينة المنورة أو التي تدخل ضمن إطارها الإداري، من بين هذه القرى:

** وادي الفرع: الواقع جنوب المدينة المنورة، وقد اشتهرت قرى الوادي ــ وبينها قرى شيعية عديدة ــ بكثرة مياهها ونخيلها وطبيعتها الخلاّبة، ومن القرى الشيعية المعروفة قرية (ابو ضباع) ويسكنها لفيف من الحروب والأشراف.

** السويرقية: وتقع جنوب شرقي المدينة، وغالبية سكان القرية من الشيعة الأشراف.

** ينبع النخل: ويطلق هذا الاسم على جهة واسعة على شكل عقد من القرى ينتظم من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي. والمنطقة عامرة بالسكان والبساتين وتبعد عن المدينة المنورة حوالي ١٥٠ كيلومترا. ويذكر البعض ان الاسم جاء من كثرة الينابيع واستمدت شهرتها

---

[30] قيام الدولة السعودية، عبد الكريم الغرايبة.

من مرور طرق القوافل بها، ولقد اقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا من جهينة يدعى كشد بن مالك، ثم اشتراها عبد الرحمن بن اسعد، واشتراها منه الامام علي بن ابي طالب، وتصدّق بعينين من عيونها.

وبمنطقة ينبع النخل ٢١ قرية قدّر عدد سكانها في احصاء ١٩٧٤ بنحو ١٩٢٠٧ نسمة[31]. ويشير أحد المؤلفين[32] إلى ان في ينبع ما لا يقل عن ثلاثين ألفاً من الشيعة الكيسانية. ويبدو أن المقصود هنا ليس سكان ينبع النخل وإنما ينبع البحر/ الميناء، حيث يقترب منها (جبل رضوى)، وهو ما اشار اليه ياقوت الحموي بقوله: ((ورأيته من ينبع اخضر، وأخبرني من طاف في شعابه أن به مياهاً كثيرة وأشجاراً، وهو الجبل الذي يزعم الكيسانية أن محمد الحنفيّة به مقيم حيٌ يرزق)).

** مهد الذهب: وهي القرية المعروفة بمناجم الذهب، ويتواجد فيها عدد غير قليل من الشيعة من قبائل عربيّة متفرقة.

ويقدّر مجموع الشيعة في المدينة المنورة والقرى الاخرى المحيطة بها، بنحو مائة ألف نسمة.

** الشيعة في مناطق الحجاز الأخرى: هناك وجود للشيعة في مكة المكرمة والقرى المحيطة بها، والطائف وجدة (التي يوجد بها حيٌ كبير من الشيعة الحروب).. ويقدّر عدد الشيعة الإثنا عشرية في هذه الأمكنة بنحو عشرين ألف نسمة، ولقسم آخر من الشيعة (الزيود) وجود قوي في المدن الحجازية، ويقدّر عددهم في مناطق جنوب وغرب المملكة ـــ حيث وجودهم الأساس ـــ بمائة وستين الف نسمة.

** الشيعة في نجران: ينتشر الاسماعيليون في المناطق الجنوبية من المملكة، وبالخصوص في نجران وتوابعها، ويسمّون (المكارمة)، نسبة إلى العائلة المكرمية التي كانت تحكم نجران، والتي اشتهر منها حسن بن هبة الله المكرمي، الذي هزم السعوديين في الدرعية في بداية تأسيس دولتهم الأولى.

وينتسب هؤلاء إلى قبائل يام الشهيرة، والزعامة منحصرة في فرع ((ابو ساق)). ويقدر عدد الاسماعيليين الشيعة في جنوب المملكة بين ٢٥٠ ـــ ٣٠٠ ألف نسمة.

وهناك عدد كبير من الزيود في نجران من قبيلة وائلة، ويسكنون زور آل حارث وزور وادعة.

---

[31] المصدر السابق، ص ١٧.

[32] الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، سيد عبد المجيد بكر، ط ١٤٠١هـــ، ص ١٤٠.

كما ان هناك عدداً غير قليل من الاشراف الشيعة ويسكنون وسط وادي نجران، ومن رؤسائهم الشريف أحمد ابو طالب. وهناك عدد قليل من الشيعة الاثني عشرية في منطقة نجران، كما يوجد عدد قليل أيضاً من الشيعة الكيسانية.

** الشيعة في حائل: سكنت قبائل طيء تلك المنطقة، وكانت من انصار الإمام علي في كل حروبه، وقد تشيّعت واشتهر العديد من زعمائها بحملهم للتشيّع، كعدي بن حاتم الطائي.

ويذكر المؤرخون أن الإمام الحسين التقى بأحد زعماء طيء ــ الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي ــ خارجاً من الكوفة المحاصرة فمنعه الحرُ الرياحي ــ أحد قادة الأمويين قبل أن ينحاز إلى معسكر الحسين ويقتل معه في كربلاء ــ، وانحاز الإمام إلى الطرماح وسأله: أخبروني خبر الناس وراءكم؟. قال الطرماح: أما اشراف الناس، فقد أعظمت رشوتهم، ومُلئت غرائرهم، واستميل ودُهم، واستخلصت نصيحتهم، وهم أُلبٌ عليك، وأما سائر القوم، فأفئدتهم معك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك.

قال الإمام: فخبِّروني عن رسولي إليكم؟ فقالوا: من هو؟ قال: قيس بن مسهِّر الصيداوي. قال الطرماح وجماعته: نعم، أخذه الحصين بن تميم، فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد بلعنك ولعن ابيك، فصلّى عليك وعلى ابيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعا الناس إلى نصرتك، وأخبرهم بمقدمك، فأمر به ابن زياد، فأُلقي من طمار القصر فمات.

فتغرغرت عينا الحسين بالدموع، ولم يملك دمعه، ثم قال (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدّلوا تبديلا).

قال الطرماح بن عدي: ((والله إنا لننظر وما نرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين نراهم ملازميك لكفى بهم، فكيف وقد رأينا قبل خروجنا من الكوفة ما لم نرُ قط مثلهم ناساً في صعيد واحد عُرضوا ليُسرحُوا اليك، فننشدك الله إن قدرت ألا تقدم شبراً إلا فعلت. فها هنا بلد منعك الله به ــ حائل ــ، حتى ترى رأيك، فسر بنا حتى ننزلك جبلنا الذي يدعى أجأً، امتنعنا به والله من ملوك غسّان وحمير ومن النعمان ومن الأسود والأحمر، والله ما دخل علينا ذلٌ قط، ثم تبعث الرجال إلى من ينزل أجأً وسلمى من طيء، فيأتيك الرجال، وأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بالسيوف)).

فقال الإمام: ((جزاك الله وقومك خيراً، انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم من أهل الكوفة قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علام تتصرف بنا وبهم الامور في العاقبة)). فودّع الطرماح وجماعته الإمام وقالوا: ((قد حملنا ميرة من الكوفة لأهلينا، فنحن نحملها اليهم ونعود اليك)).

يقول الطبري وابن الاثير: أن الامام استعجل الطرماح عند التوديع، ووفّى الطرماح بوعده، وعاد بعد أن وضع الميرة عند أهله وأوصاهم، ولكنه لما بلغ عُذيب الهجانات، لقيه سماعة بن بدر، وأخبره بمقتل الإمام الحسين، فرجع الطرماح إلى أهله (راجع كتاب: تجارب الأمم، لإبن مسكويه الجزء الثاني ص ٦١ ــ ٦٢).

إن قبائل شمّر التي تسكن حائل هي قبائل طائيّة الأصل، واشتهرت على الدوام بتسامحها الديني، ورغم اجتياح موجة التعصّب المذهبي نجداً بظهور الوهابيين، كانت حائل أقلّ ميلاً اليها، رغم ان الريحاني يقول بأن دولة آل رشيد وهابية المذهب والشعارات، بل أن عبيد أخو عبد الله بن رشيد مؤسس الدولة كان ((رسول الوهابية الاكبر في الجبل، وكان بيته محط رحال الوهابيين في حائل)). هنا تجب ملاحظة أن دولة الشمريين لم تقم على أساس مذهبي وإنّما قامت على عصبية قبليّة، وحين انتهت تلك العصبية أزيلت دولة شمر من الخارطة.

ويبدو ان امرين جعلا الشمريين اكثر تسامحاً من غيرهم في نجد، الأول: ارتباط العديد من فروع شمر بالعراق، وبخاصة النجف الاشرف التي كانت ــ كما يبدو ــ اكثر المدن العراقية التصاقاً بالصحراء الجنوبية العراقية وسكانها البدو الذين يتنقلون اليها بين الفينة والاخرى. وقد استقر العديد من الشمريين في النجف والمدن العراقية الاخرى، وبرز بينهم العديد من العلماء ومراجع الدين. وكانت اللحمة القبلية لا تزال قوية يومئذٍ، لذا كان من الصعب على شمر حائل مجارات الوهابيين في مغالاتهم العقائدية.

الأمر الآخر هو ان الشمّريين ــ كغيرهم من عرب الجزيرة العربية ــ لم يكونوا اصحاب مدرسة فكرية ــ كما في الحجاز والأحساء ــ، ورغم تراثهم الشيعي، فانهم لم يكونوا يحملون حساسية تجاه الافكار، وحين جاء الوهابيون بأفكارهم، خضعوا لها باعتبارهم ضعفاء عسكريا، الا أن التجربة الوهابية الأولى أسفرت عن تدمير قرى نجد واحدة واحدة على يد القوات المصرية، ولم يصب حائل من الدمار الا النزر القليل، بل لم يشهد لها بأنها وقفت ضدّ القوات المصرية الغازية.

ولعلّ تلك النهاية المأساوية، هي التي شجعت الشمريين على استبعاد المذهب كأداة لخدمة السياسة، وكان بإمكانهم فعل ذلك حين سيطروا على كامل وسط الجزيرة العربية وطردوا آل سعود منها.. لكنهم لم يتعرضوا لأي من القوى الدينية، بل سمحوا لمن أراد بأن يبشر بمذهبه، مع أنهم بقوا على معتقداتهم السنّية، وكان ابناء عمومتهم في العراق شيعة.

لقد كان واضحا للباحثين ان حائل، وحتى وهي خاضعة لسلطان السعوديين ــ في دولتهم الثانية ــ كانت بعيدة عن التعصب، وان تمسكت بشعارات المذهب الوهابي، كما قال الريحاني،

وكما قال الرحالة ((والين)) الذي زار حائل في عهد فيصل بن تركي، ان في شمّر تسامح في شرب الدخان، و((المبد أن الاساسيان اللذان لا تزال تتمسك شمّر بهما من تعاليم الوهابية، هما رفض الوسطاء بين الله والعبد، والمبدأ الثاني هو الحرص على أداء الصلاة جماعة في المسجد))[33].

ويشير فاسيليف إلى تسامح شمّر بقوله: كان أمير شمّر يتميز بالتسامح الديني، وقد سمح للشيعة بأن يقيموا أو يتاجروا في حائل.. وكتب بلغريف: ((إن التجار من البصرة ومشهد علي ـ النجف ـ وواسط والباعة من المدينة وحتى من اليمن كانوا يستقرّون في سوق حائل الجديد بعد عروض مغرية. وقدّم طلال لبعض منهم مقاولات رسمية وهي نافعة لهم وله في آن واحد، في حين منح البعض الآخر امتيازات وتسهيلات، وكان يولي الجميع الدعم والحماية))[34].

ويفسرّ احد الكتاب هذا التسامح في تعليقه على ما كتبه الريحاني من تمسّك اخي حاكم شمّر بالوهابية، وان بيته محط رحال رجالها بالقول: ((لكنهم في نفس الوقت اعترفوا بالهزيمة، أو لنقل استفادوا من اخطاء التجربة، فكانوا اكثر تسامحا، أو تهاوناً ـ حسب موقفك ـ)). وينقل عن تقرير الخارجية البريطانية قولها بأن الشمريين ((سمحوا للشيعة وغيرهم بسكنى حائل، وتخففوا كثيرا من اوامر ونواهي المذهب الوهابي، رغم احتجاجات فيصل الذي لا يزال إسمياً سيدهم، واحدى بناتهم تزوجها ابنه))[35].

ولمّا سيطر ابن سعود على حكم الرياض، أثار قضيتّين بين اتباعه فيما يتعلق بحكم الشمريين لحائل، هما: ولاء أهل حائل لدولة الخلافة، التي هي العدو التاريخي للوهابيين، ووجود الشيعة في حائل، وعدّ الحاكم السعودي هاتين القضيتين مبرراً لأتباعه في حرب ابن رشيد والاستيلاء على حائل. وكتب ضابط البعثة المدنية في بغداد إلى حكومة الهند يقول ـ نقلاً عن سليمان الدخيل ـ بأن الاخير يعتقد أن الاخوانية ستنتشر بين عنزة، وخلال اربع سنوات فان كل البدو سوف يقبلون الانضمام إلى سلك الاخوانية، واضاف بأن دعايات ناجحة وكبيرة تنتشر بين قبائل شمّر ستشكل ضغطاً على الأمير فيما يتعلق بالتجار الشيعة. وتابع الدخيل بأن الشيعة والسنّة الذين خاضوا في التدخين يعدّون أكثر الكارهين للإخوان[36].

---

[33] السعوديون والحل الاسلامي، جلال كشك، ص ٢٤٠.

[34] فصول من تاريخ العربية السعودية، اليكسي فاسيلييف، ط لندن، ص ١٨٩، ١٩٠.

[35] جلال كشك، مصدر سابق، ص ٢٢٦.

[36] FO. 371 - 4147 وثيقة مؤرخة في الثالث من نوفمبر ١٩١٩م، ومرسلة من ضابط البعثة المدنية البريطانية إلى حكومة الهند.

واحتل ابن سعود حائل في نوفمبر ١٩٢١م بدعم بريطاني قوي[٢٧]، وعلى غير العادة فقد حرّم امير نجد السلب في المدينة ((وكان الشيعة اكثر من يخشى على حياتهم، ولكن ابن سعود اصدر إيعازاً خاصاً يكفل لهم الحماية، غير الاخوان لم يوافقوا على تسامح اميرهم وانتقدوه علانية لغضه النظر عن المشركين))[٢٨].

---

[37] أعدّ المعتمد البريطاني في البحرين الكولونيل ديكسون مذكرة إلى رؤسائه، حول اوضاع نجد استعرض فيها خارطة التحالفات القبلية في نجد، وبينها إمكانية قيام تحالف بين قبيلة عنزة وابن سعود لمهاجمة حائل من الشمال والجنوب. ثم يطرح ديكسون رأيه في موضوع حسّاس وهو: مساعدة بريطانيا لابن سعود من اجل اسقاط الحكم الرشيدي، مستعرضا فوائد ذلك للحكومة البريطانية.

يقول ديكسون: ((هل سيكون من مصلحة حكومة صاحب الجلالة ان ترى ابن رشيد مرة اخرى تابعا لنجد؟! أنا أرى ان ذلك في مصلحتها. ان وسط جزيرة عربية قوي بقيادة ابن سعود الذي هو على امتن علاقات الصداقة مع الحكومة البريطانية، سوف يناسب على ما ارى السياسة البريطانية حتى اخر تفاصيلها، وسيحل هذا مشاكل كثيرة، وسيجعل الدول الساحلية الصغيرة ـــ التي تحكمها بريطانيا ـــ اكثر اعتمادا علينا مما هي عليه الان. ان الكويت والبحرين وامارات الساحل المتصالح وعمان واليمن والحجاز وحتى سورية، ستبقى دائما في حالة فزع ورعب من جارها القوي، وستكون اكثر تجاوبا وانصياعا لرغبات حكومة صاحب الجلالة البريطانية مما هي عليه اليوم أيضاً.

وفي الوقت الحاضر، فان كل هذه الدول الساحلية ـــ ونتيجة الحرب العالمية الاولى، والحديث المملّ عن حقوق الدول الصغيرة ـــ قد تحركت خيالاتها وداخت طرباً (لهذه الاقاويل)، وهي عديمة الانضباط وتودّ دائما لو تستطيع الانحراف عن الصراط المستقيم (الصراط البريطاني!!). وستكون أول من يبدأ بالصراخ والعويل إذا اصبح جار قوي خطرا يتهددها. وهي تعرف حاليا حق المعرفة ان ابن رشيد قويا في نجد يجعل ابن سعود يفكر مرتين قبل ان يحرك قوة كبيرة بعيدا عن نجد. انها كالثعلب تشعر في امان وهي تدوس على ذنب الاسد، وتعلم انها في مأمن من الضربات الانتقامية.

.. إذا اصبح ابن سعود اقوى رجل في جزيرة العرب، فان النفوذ البريطاني سيزداد بشكل هائل، وسيطول امد هذا النفوذ إلى ما لا نهاية بين الدول الساحلية. أما إذا استمرّ ابن سعود وابن رشيد في حروبهما المتطاولة بلا نهاية، بحيث يضعف الاثنان إلى درجة الانهاك، فستكون النتيجة الاولى، ميلاً للتخلص من النفوذ البريطاني، والتدخل في شؤون الدول الساحلية. ويجب ان لا ننسى ان كل هذه الدول الساحلية الصغيرة تطمح إلى توسيع رقعة اراضيها الداخلية.

ويضيف ديكسون: من الطبيعي ان حكومة صاحب الجلالة ـــ ان هي ارادت حقاً ان تساعد ابن سعود كي يصبح الأقوى، وكانت ترغب بالتأكيد في دعمه في اخضاع ابن رشيد لسلطته ـــ فان اسرع اسلوب واسهله لتحقيق هذا الغرض، هو ان تعلن الحكومة البريطانية حالة حصار شديدة ضد ابن رشيد، بدءاً من النجف بالعراق وحتى الكويت، بما في ذلك حصار هاتين المدينتين، على ان يكون تنفيذ الحصار في الكويت بيد المسؤولين البريطانيين هناك.

ان حصاراً كهذا ـــ إذا ما أُرفق بتهديد من ابن سعود بشن الحرب ـــ سيجبر ابن رشيد وخلال ثلاثة اشهر على اكثر التقديرات، على قبول اية شروط تُفرض عليه. ولتحقيق اهداف الحصار من طرف الكويت، لا بدّ من الاستيلاء المباشر على السلطة فيها من قبل البريطانيين، ذلك ان حصاراً محلياً يديره الشيخ سالم الصباح سيكون مهزلة.

اما إذا كان وجود ابن رشيد قوي مهمّاً وحيوياً بالنسبة لحكومة صاحب الجلالة، فما علينا الا ان ندعم ابن سعود بثبات وبطء بنفس الطريقة التي كان الاتراك يدعمون ابن رشيد وفي كل الاحوال يجب ان نجعل الدول الساحلية تعيش في حالة خوف ورعب دائمين من الجار النجدي الكبير، لأنها بهذه الوسيلة فقط ستظل راغبة في الابقاء على علاقات طيبة معنا. يجب ان تشعر كلها بضرورة حمايتنا والحاجة اليها، والا افلتت من بين ايدينا)).

واقتنع الانجليز بهذا التحليل، فانهالت المساعدات على ابن سعود، وبعد سنة واحدة فقط كان ابن سعود ومستشاره البريطاني جون فيلبي يطرقان ابواب حائل!.

انظر الوثيقة السرية E 12852 التي اعدها ديكسون في ١٢ / ٨ / ١٩٢٠م، والمسجلة بتاريخ ١٨ / ١٠ / ١٩٢٠م.

[38] فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٧٧.

غير ان الحقيقة تفيد بأن اغلب الشيعة في حائل طُردوا منها إلى العراق، أو هاجروا إلى المدينة المنورة والحجاز بصفة عامة قبل ان يحتله السعوديون بعد نحو خمس سنوات من سقوط حائل، وحتى آل الرشيد فرَّ الكثير منهم إلى العراق، واعتنق اكثرهم المذهب الشيعي.. ولأنه لم ترسم يين جبل شمَّر ويين العراق والاردن الحدود، فان ابن سعود كان يرى أن كل قبائل شمَّر وعنزة تابعة له، وهؤلاء يقطنون أماكن بعيدة تعدُّ جزءا من العراق ((أضف إلى ذلك ان بعض قبائل شمر وغيرها من القبائل الرافضة لمطامع السعوديين قد ارتحلت إلى العراق)) كما تقول المس بل[39].

ورغم هذا بقي اعداد من الشيعة في حائل، رغم كل المصاعب، دون اعلان هوية، شأنهم شأن شيعة مدن وقرى نجد الأخرى.. فهناك شيعة في الرياض وفي القصيم وفي الافلاج والحريق، ولهم أحياء معروفة، على الأقل لدى الحكومة.

ويصعب تقديم تقديرات لعدد الشيعة في حائل ومناطق نجد الوسطى والجنوبية، ولكن ــ وقياساً لعددهم في الرياض ــ يمكن إعطاء رقم عشرة آلاف نسمة[40].

الهجرات من وإلى الأحساء والقطيف

عرفت المنطقة هجرات سكانية كبيرة قبل آلاف السنين، لكننا لا نريد العودة إلى الماضي الموغل في القدم، فحسبنا القول ان الجزيرة العربية وبالاخص اجزاءها الوسطى والجنوبية كانت على مرِّ التاريخ، تقذف بموجات بشرية هائلة إلى الشمال، فزودت منطقة الهلال الخصيب وما جاورها بالكثافة البشرية التي تحتاجها للإعمار.

وقد هاجر إلى هذه المنطقة (البحرين القديمة) وسكنها الكنعانيون والعمالقة والفينيقيون والكلدانيون (الجراهائيون)، ثم توافد اليها العديد من القبائل العربية العدنانية كقضاعة اوائل القرن الميلادي الأول، وعلى رأسها زعيمها مالك بن فهم، ثم لحق بهم اقوام من أياد والأزد ثم سيطر عليها أقوام ربيعة (عبد القيس وبكر بن وائل)[41].

وبظهور الإسلام كانت الغلبة السكانية في الحاضرة لقبيلة عبد القيس.. وفي عهد الخليفة الثانية عمر بن الخطاب الذي كان عهده عهد توسُّع وفتوحات للدولة الاسلامية، حدثت اكبر هجرة في تاريخ هذه المنطقة، حيث رحل العديد من سكانها إلى المناطق المفتوحة والتي اسهموا

---

39 المصدر السابق، ص ٢٧٨.

40 في لقاء المؤلف مع عدد من هؤلاء الشيعة، ابدوا مخاوفهم من ذكر اسماء عوائلهم والقبائل التي ينتسبون اليها، والاحياء التي يسكنون فيها، خوفا على انفسهم من الاضطهاد.

41 انظر تفصيلا عن هذه الهجرات في كتاب ساحل الذهب الاسود، للاستاذ محمد سعيد المسلم، ص ٥٩ ــ ٨٠.

في فتحها ضمن الجيش الاسلامي، خاصة للعراق، حيث استقرَّ الكثير منهم في المدن المؤسسة الجديدة كالبصرة والكوفة، أو في المدن الموازية على الشاطئ الشرقي لخليج العجم.. وقد كان لهذه الهجرة دور مهم في تاريخ العراق السياسي خاصة في عهد الامام علي والعهد الاموي وشطراً من العهد العباسي.

وفي العهد الأموي حدثت هجرة في السكان من الحجاز والعراق إلى منطقة الخليج وبالأخص إلى (الاحساء والقطيف) فراراً من الاضطهاد السياسي والمذهبي الذي مارسه الأمويون بحقّ اتباع اهل البيت، ومما شجّع على ذلك ان المناطق المهاجر اليها كانت بعيدة عن مركز الخلافة في دمشق.. وبوصول اعداد من الشيعة من المناطق الاخرى إلى الاحساء والقطيف تعزّزت حالة الرفض والثورة على الحكم الاموي، واصبحت منطقة البحرين مركزاً من مراكز الثورة ضد الأمويين ثم العباسيين.. وقد أدى تنكيل العباسيين بمن أُخذت الخلافة باسمهم إلى توافد مجموعات سكانية اليها[٤٢].. لذا لم يكن غريبا ان تكون المنطقة ملجأ للشيعة في عهد الدولتين الأموية والعباسية[٤٣].

وفي الحقيقة فان المنطقة اصبحت بؤرة تجمّع لمختلف فئات المعارضة الساخطة على الحكمين الاموي والعباسي.. وقد وجد الخوارج فيها ملجأً لهم، مع ما يفترض انهم على عداء مع الامام علي وشيعته.. ونجد انه حينما خرج الخوارج من نجد (اليمامة) توجّهوا اول ما توجّهوا إلى البحرين سنة ٦٧هـ، وحينها قبل الأزد في عمان حكمهم، أما الشيعة (عبد القيس) فرفضوا ذلك وقالوا: ((لا ندع نجدة يتولّى أمرنا وهو حروري مارق)).. غير ان نجدة هزمهم ووضع السيف في رقابهم، ودخل القطيف واستباحها، وفي ذلك قال الشاعر حمل بن المعنى العبدي:

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها	وما خير نصح بعد لم يتقبّل
فقد كان في أهل القطيف فوارس	حماة إذا ما الحرب شدّت يذبل

على ان المجموعات السكانية الفارّة من جحيم الحكم الاموي إلى المنطقة، ما لبث ان شاركت في ثورات الشيعة في العراق كثورة التوابين وثورة المختار الثقفي، يدلنا على ذلك ان ابراهيم بن مالك الاشتر ورد للمنطقة وساهم فيما بعد في تلك الثورات، ولا زال له عقب في القطيف نفسها. في حين ان شيعة آخرين انطلقوا إلى ما وراء الخليج شرقاً بعد هجوم عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ على المنطقة واجبار اهلها على مفارقة التشيّع.. انطلقوا إلى الهند والصين،

---

42 الرميحي، مصدر سابق، ص ٤١.

43 الخليج العربي (١٨٤٠ – ١٩١٤) – الجزء الاول – الدكتور جمال زكريا قاسم، ص ٢٩.

فنشروا الإسلام هناك، وتشير العديد من الدراسات الحديثة إلى ان الشيعة هم اول من نشر الإسلام في الصين، ويوجد اليوم عدّة ملايين منهم.

لقد اجتذبت المنطقة العديد من المهاجرين على مرّ العصور لسببين اساسيين:

أولهما، غنى المنطقة المشهود له قبل الإسلام وبعده وإلى اليوم، حيث توافر المياه وخصوبة الارض، وتوفر المراعي وكثرة الزراعة.. وقد ساهم موقع ما يعرف اليوم باسم (المنطقة الشرقية) الجغرافي في ذلك كثيرا لقربها من البحر، وممارسة أهلها التجارة واختلاطها بالأقوام المختلفة، ووقوعها عند ملتقى القوافل البريّة القادمة من الجنوب، أو السفن القادمة من الهند وجنوب شرق اسيا إلى منطقة الهلال الخصيب.. كل هذه العوامل كان لها اثر كبير في اجتذاب شتى الاقوام ومختلف القبائل[44].. وللحق فان الهجرات إلى المنطقة كانت في الغالب لاسباب اقتصادية، وكان اكثر المهاجرين يأتون فراراً من المجاعة والقحط الذي يلفّ نجداً والمناطق الجنوبية من الجزيرة العربية.

أما السبب الآخر فهو الاضطهاد الديني والسياسي، اضافة إلى عامل الحروب التي تشتعل في المناطق البدوية.. كل ذلك دفع بالهجرات قدماً نحو هذه المنطقة.. وواضح ان هذا العامل ــ العامل الديني والمذهبي ــ كان اقل اهمية من سابقه، خاصة في العصور المتأخرة.

ومع هذا نجد ان اقليم (نجد) قد دفع خلال القرنين الماضيين بجماعات سكانية هائلة إلى منطقة الخليج لأسباب مذهبية واقتصادية.. ففي بداية تكون الدولة الوهابية أواخر القرن الثاني عشر الهجري نزح علماء نجد الحنابلة إلى منطقة الاحساء والقطيف التي كانت تحت حكم الخوالد، ومعهم الآلاف من البشر، لكنهم ما لبثوا ان اكملوا هجرتهم إلى جنوبي العراق والكويت وبعض باحتلال الوهابيين للاحساء والقطيف ولا شك ان الكويت وبعض أمارات الخليج مدينة بوجودها كدول إلى الكثافة السكانية النجدية الهائلة التي أعقبت سيطرة الوهابيين الأولى على نجد والاحساء، ثم إلى تدفق النفط والرخاء الاقتصادي الذي عمّها.

وبالنسبة للشيعة، فلم يكن هناك أي سبب يدفعهم للنزوح عن موطن آبائهم وأجدادهم، فالعيش الرغيد متوفر، وليست هناك بقعة في الجزيرة العربية بأسرها تضاهي منطقة الاحساء وغناها.. ان السبب الذي حملهم على الهجرة كان على الدوام الاضطهاد المذهبي.. ولم يتم ذلك بصورة مفجعة الا في العهد السعودي، خاصة في أوّله، حيث رافق القمع والتشدّد والقتل للمخالفين في الرأي والمذهب تأسيس دولة الوهابيين الأولى.

44 يوسف الصبيط، مصدر سابق، ص ٢٧. والدكتور الرميحي، مصدر سابق، ص ٤١.

وبمقدار ما استقبلت المنطقة من هجرات كبيرة ذابت مع السكان، واعتنقت مذهب الأكثرية الشيعية فيه، غادرت الاقليم هجرات واسعة بفعل الاضطهاد الطائفي.. وتأتي هجرة الشيعة في مطلع القرن الثالث عشر كأكبر هجرة في تاريخ المنطقة بعد الهجرة الأولى التي تمّت اثر الفتوحات الاسلامية لفارس.

إن اقل التقادير تشير إلى ان نصف السكان قد هجروا الاقليم في الفترة الواقعة بين عامي ١٢٠٥ ــ ١٣٥٠هـ.. ولولا أن المنطقة اجتذبت في وقت سابق الكثير من القبائل، لما بقي من الشيعة الا القليل.. إذ يقدّر عدد الشيعة من ذوي الاصول القبلية السنية حوالي نصف عدد الشيعة الكلي في المنطقة الشرقية.

وبديهي ان سياسة التفريغ السكاني للشيعة من مناطقهم، والاستحواذ على املاكهم، من اراض وبساتين ودور، على اساس انهم كفار يجوز سلب ما لديهم.. ادى إلى تقليص اعداد الشيعة، وتقليل نسبتهم إزاء الطوائف المذهبية الاخرى.

تجدر الاشارة هنا إلى ان بادية الاحساء حينما استضافت بني خالد، كانت الغلبة السكانية والمذهبية للشيعة. وبسيطرة بني خالد على المنطقة، كان من المتوقع ان تقل نسبة الشيعة، غير انه مع مرور الزمن تحضر بنو خالد وانضوت العديد من افرعهم تحت لواء التشيع، وهو امر احدث بعض اللبس لدى المؤرخين، فكثير منهم يتحدث عن بني خالد كقبيلة شيعية صرفة، أو ان اكثرها على مذهب التشيُّع.. منهم الدكتور صلاح العقاد الذي قال بأن: ((غالبية قبيلة بني خالد في الاحساء تعتنق المذهب الشيعي))[٤٥].

في حين ردّ باحث اخر: ((لم يكن بنو خالد من الشيعة، الا ان سكان الاحساء هم من الشيعة))[٤٦].

ان الذي بقي من بني خالد ويحمل اسم القبيلة بعد انهيار سلطتها الفعلية بضعة آلاف هم من المالكية السنّة، اما البقية فقد تخلوا عن البداوة وتحضروا وتشيعوا.

ولما جاء العجمان إلى المنطقة حوالي منتصف القرن الثالث عشر الهجري، واستقروا في بادية الاحساء، زاحموا قبائل المرّة وبني هاجر والعوازم وسبيع.. واصبحت الكلمة الاولى لهم. وبعد حوالي نصف قرن خاضوا حروبا شرسة ضد الملك عبد العزيز الذي أراد توطينهم في هجر الاخوان كسراً لشوكتهم، وقد نجح بشكل متأخر في سنة ١٩١٩. وبمرور الزمن، وبعد

---

45 التيارات السياسية، الدكتور صلاح العقاد، ص ٥٨.

46 الرميحي، مصدر سابق، ص ٢٦.

ظهور النفط توطّنت هذه القبائل وتحضرت وسكنت في المدن النفطية الجديدة، واصبح اتباعها في عداد سكان المنطقة.

إن هذا يقودنا إلى التأكيد على ان معظم السنّة في الاحساء وفي البحرين، هم من المستوطنين حديثاً في هذه الديار، ففي البحرين كانت الغالبية الساحقة من السكان شيعة (اكثر من ٩٥%) حتى احتلال العتوب لها سنة ١٧٨٣م، في عملية سطو واضحة.. فقد كان العتوب من القبائل التي تبحث عن ملجأ تسكن اليه، وقد وفدت من اعماق الجزيرة العربية، وتوجهت إلى قطر، ومنها قفزت على البحرين واحتلتها. وفي البدء كان الغزاة قلّة، قياسا لعدد السكان، ولكن مع تصاعد المقاومة لحكمهم القاسي والشرس، احتاجوا إلى حلفاء جدد يواجهون بهم الاكثرية الشيعية المتحضرة، فأغروا الدواسر بالمجئ واقطعوهم الاراضي الزراعية المصادرة من الشيعة باعتبارها من حق المنتصر، وحوّلوا الضرائب المفروضة على الشيعة دون غيرهم إلى جيوب الحلفاء القبليين.

وفي العقود الاخيرة، فتح حكام البحرين باب الهجرة للسنة القادمين من الجزيرة العربية، في عملية اعادة توازن سكاني مع السكان الاصليين، وفي الوقت نفسه تشددوا في رفض كل عربي يحمل الهوية الشيعية. ومع كل هذا فان الغالبية من السكان اليوم هم من الشيعة، تماماً مثلما كانوا بالأمس، رغم فرار عشرات الألوف من السكان إلى الساحل الايراني (خاصة بوشهر والمحمرة).

وبالنسبة للاحساء والقطيف، فما جرى لهما لا يختلف عمّا جرى في البحرين.. فهناك اتخذت الممارسات الطائفية صفة الخضوع للمنتصر، وهنا أُلبست الممارسات مسوح الإسلام. ان كل المصادر السعودية التي عنيت بتاريخ المنطقة، تؤكد حقيقة ان الوجود السكاني السنّي كان قليلا في الماضي.. وقد عاش هؤلاء تحت حكم دول شيعية كالحكم العيوني وحكم آل عصفور، دون اضطهاد أو تدخل في شؤونهم المذهبية. وأيضاً عاش الشيعة فترات زاهية من عهودهم تحت رئاسة حكام من السنّة، ولم يشكل المذهب يوماً مشكلة لدى السكان وتعاونهم.

كما ان اغلب المصادر تؤكد أيضاً على ان الهجرات السنية قد زادت بشكل كبير بعد الاحتلال السعودي الاول للمنطقة الشرقية، ولكن هذه الهجرات ــ بعكس الهجرات الاولى ــ لم تندمج في المذهب الشيعي، لان النعرات الطائفية، والتمييز الطائفي المقيت ضد الشيعي كان احدى ثمرات الحكم السعودي القائم على المذهب الوهابي.. ولم يكن المهاجرون الجدد على استعداد لتقبل العَنت والاضطهاد بالانتماء إلى مذهب يترتب عليه اهدار الدم، ومصادرة الاموال والتهجير من الوطن.. وفي كتاب (تحفة المستفيد) اسماء عوائل السنّة في الاحساء في الستينيات

الهجرية من القرن الماضي، وقد حدّد اصولهم العرقية، كما حدّد في كثير من المواقع الفترة الزمنية التي قدموا فيها للمنطقة.

لقد حدث فرز طائفي منذ القرن الثالث عشر الهجري، واستتبعه جواز اضطهاد السكان الاصليين، وقد استقرّ العديد من النجديين في الاحساء واستحوذوا على ممتلكات واراضي وبساتين الشيعة التي صودرت منهم، أو التي تركوها وفرّوا بانفسهم خشية القتل.. ولم تكن الهجرة بالنسبة للشيعة اختيارية بل اضطرارية.. فالعنف والدموية للغزاة لا تحتاج إلى شواهد، فكلها مسطرة في كتب الموالين قبل غيرهم.. وقد نفى الوهابيون آلاف الاشخاص لأنهم لم يتخلوا عن مذهبهم ويقبلوا بالمذهب الوهابي الجديد.. قال مؤرّخ وشاعر الوهابيين (ابن غنّام) وهو يتحدث عن نفي الشيعة من وطنهم بتفاخر:

وقد ولـــي الأحـــسا ســـعود فأســـعدت	مساعيه أهــل الخيــر فـــانتظموا ســمطا
وأبعد أهــل الـــشرك عنهـــا وأبعـــدت	مـــذاهبهم فيهـــا ومـــا ابـــصروا غمطـــا
.. نعم هدّمت للـــرفض فيهـــا كنـــائس	وكل شعار الرفض عن ارضــــها ميطـــا
.. ولم ينفِ إلاَ كلٌ من عمـــل الـــردى	ومــــن كــــان ســــبّاباً لمنطقــــه مــــسطا

وبعد تدمير الدرعية، وإنهاء الحكم السعودي على يد قوات محمد علي باشا، زادت الهجرة من نجد لأسباب اقتصادية، ذلك أن الدرعية ــ وهي العاصمة ــ كانت ترفل بالثراء مما يأتيها من ضرائب من المناطق الأخرى التي تسيطر عليها، وبتدميرها وانهاء الحكم السعودي فيها عادت نجد إلى فقرها القديم، فارتحلت جماعات إلى الكويت والاحساء والبحرين وقطر وجنوب العراق.. لكن هذه الهجرات ضعفت بانبعاث سلطة الوهابيين من جديد وتأسيس الدولة السعودية الثانية، إلى ان جاء الاتراك واستولوا على الاحساء فخفّت الهجرة النجدية إلى الاقليم، بسبب اعتبار الوهابيين سلطة الاتراك كافرة، لا يجوز ان يكون المسلم تحت ولايتها، بل ان من الواجب عليه ان يهاجر منها.

وبمجيء آل سعود واحتلالهم للمنطقة سنة ١٣٣١هــ، هجر الاحسائيون وأهل القطيف بلادهم في هجرة كبيرة إلى البحرين والكويت والعراق وإيران وقطر والامارات، بل وصلت بعض الهجرات إلى الشام، فراراً من الاضطهاد الوهابي، وفي الوقت نفسه تصاعدت الهجرة من نجد إلى المنطقة، ثم تضاعفت بشكل طاغٍ بعد انتاج النفط، وجذب الشركات للبدو كأيدٍ عاملة.

في العقود الاربعة الماضية، وضعت الحكومة السعودية مخططاً طموحاً لتعديل النسبة المذهبية لصالح مذهبها في المنطقة، فقدّمت اغراءات جديدة في مجال العمل والخدمات

للمهاجرين الجدد، وتعمَّدت حرمان الشيعة من كل هذا، وارفقت بذلك حملة اعلامية طائفية شرسة ضد الشيعة ضمن حسابات الصراع الاقليمي المعروف.

استوطن المنطقة بعيد احتلال ابن سعود لها كل القبائل التي كانت مستقرة في البادية، ضمن المشروع العسكري ــ السياسي الذي وضعه الملك والذي عُرف بمشروع ((الهِجَر)).. وعلى هذا الاساس استقرَّ العجمان وبنو مرّة والهواجر وبعض افرع السبيع والعوازم ومطير وبنو خالد.. وفي نفس الوقت وفد إلى المنطقة عدد غير قليل من قبائل البريمي، كالمناصير، وقبيلة البو منذر (تحت مشيخة قران بن مانع)، وكان استيطان اتباع هذه القبائل للمنطقة قد تمَّ في أواخر العقد الثاني من هذا القرن الميلادي[47].

ففي عهد حمدان بن زايد ــ حاكم ابو ظبي ــ، إلتجأت بعض القبائل المتصارعة إلى الاحساء.. حيث قامت نزاعات بين المناصير والمزاريع وبنو ياس من جهة، وبين العوامر وآل بو شمّاس والدروع من جهة اخرى.. والتجأ الجميع إلى عبد الله بن جلوي حاكم الاحساء طلباً للحماية ، في حين إلتجات افرع من بني ياس ــ كالحوامل والقبيسات ــ إلى ابو ظبي.. ومنذ ذلك الحين استقرَّ المناصير في الاحساء بزعامة الشيخ راشد بن مانع، في اواخر العقد الثاني الميلادي، ثم تبعهم في يونيو ١٩٢٥ العوامر والدروع[48].

ثم استقبلت المنطقة وفي نفس الفترة الدواسر الذين رفضوا الاصلاحات السياسية والاقتصادية في البحرين سنة ١٩٢٣م، فدعاهم الملك عبد العزيز للسكن في المنطقة (الدمام) فكانوا نواة سكانها.. ومع تصاعد انتاج النفط في الاربعينيات الميلادية، وفدت جماعات كبيرة من جنوب المملكة، تبحث عن العيش والاستقرار، فكان ان تلقفتها ماكنة صناعة النفط، وضمتها الدولة إلى المدن الحديثة.

من جهة اخرى، نرى ان الهجرات الشيعية من المنطقة كبيرة ومذهلة، نستطيع تحديدها في خمسة اتجاهات:

الاول: الهجرة إلى العراق.. حيث نزحت جماعات كثيرة إلى هناك، خاصة بعد سيطرة الوهابيين على المنطقة في القرن التاسع عشر الميلادي.. وكان من بينهم من سكان البصرة، فيما سكن اخرون في المدن الشيعية المقدسة كالنجف وكربلاء.. وقد اشار الاستاذ محمد سعيد المسلم إلى وجود حيٍّ يعرف بـ ((حيّ القطافة)) ــ نسبة إلى القطيف ــ من لواء المنتفق، وقدَّر سكانه في عام ١٩٦٠ بنحو عشرين ألف نسمة[49]. ولربما كان تواجد المهاجرين في جنوب العراق اكثر

---

47 الحدود الشرقية للجزيرة العربية، ج. ب. كيلي، ص ٢٢٠، ٢٢٥.

48 الخليج العربي (١٩١٤ ــ ١٩٤٥)، الجزء الثاني، جمال زكريا قاسم، ص ٢٩٧ ــ ٢٠٠.

49 محمد سعيد المسلم، مصدر سابق، ص ١٢.

من غيره، خاصة من الاحسائيين، الذين انهمكوا في الزراعة، حتى اصبح من الشائع ان يطلق على المزارع هناك لقب ((حساوي)) [50].

الثاني: هناك قسم كبير من الشيعة المهاجرين أقام في منطقة عربستان ((خوزستان الايرانية حالياً)).. ويعيش عدد غير قليل منهم في المدن العربية عبادان والمحمرة ((خرمشهر)) والاهواز وبوشهر.. وهؤلاء لا زالوا يمارسون مهنهم كمزارعين، ولا تزال لغتهم الأم هي العربية، كما ان البعض منهم لا زال محافظاً على قدر ولو قليل من الارتباط بموطن أجداده.

الثالث: وهناك وجود غير قليل من شيعة الاحساء والقطيف في الكويت. وقد استقبلت الكويت اكثر من أي مشيخة خليجية اخرى المهاجرين من نجد والاحساء.. وإذا كانت روابط البحرين بالمنطقة معلومة في التاريخ باعتبارهما كياناً سياسياً واحداً، وتسكنهما طوائف عربيّة ذات اصول مشتركة، ويجمعهما المذهب والتاريخ المشترك.. فان للكويت أيضاً علاقة خاصة بالاحساء. إذا ان هذا الكيان المعروف اليوم باسم الكويت لم يؤسّس الا على يد بني خالد، حكام المنطقة، حيث ابتنوا لهم حصناً سُمّي بـ ((الكوت))، كان ينزل فيه زعماء القبيلة بني الفينة والاخرى.. ثم ما لبث ان تجمّع حوله لفيف من البدو، وبعدها جاء آل صباح فاستقروا بالقرب من الكوت وسيطروا على ما حوله متمتعين بحماية بني خالد.. وشيئاً فشيئاً تحوّل الكوت إلى الكويت، كما يثبت ذلك جميع المؤرخين بدون استثناء.

وحتى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، كان المجتمع الكويتي لا يملك أية خاصيّة، فقد احترفت اعداد من السكان مهنة الغوص من أجل اللؤلؤ اضافة إلى صيد الاسماك، لكن البدو الرحّل الذين يقدمون ويظعنون كانوا هم الاكثرية.. وبعد ان جاء آل صباح وما تلا ذلك من انبعاث حركة العنف الوهابي في وسط وشرقي الجزيرة العربية، وما نشأ عنها من تدفّق المهاجرين والمضطهدين، وتطلّعهم إلى أماكن يسودها نوع من الأمان والاستقرار.. وجد هؤلاء في الكويت مكاناً ملائما للسكن والاقامة [51].

من هنا نلحظ ان تشكيل الكويت السكاني الحديث مدين ــ قبل النفط ــ إلى وفود جماعات نجدية واحسائية، لما كانت تتعرض له في مناطقها من بطش وارهاب [52]. وفي تقسيم سكان الكويت على اساس مذهبي، نجد ان السنّة يتشكلون اضافة إلى الاسرة الحاكمة، من سنّة نجد المعارضين للمذهب الوهابي، ومن بعض سنّة العراق والاحساء، اضافة إلى بعض الأعاجم

---

[50] الجغرافية السياسية للكويت، د. محمد رشيد الفيل، ص ١٧٩.

[51] دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث، د. بدر الدين عباس خصوصي، الطبعة الثانية ــ الكويت، ص ١٣٢.

[52] المصدر السابق ص ٢٥٨.

السنّة.. ويضاف إلى السنّة هؤلاء افرع من قبائل مطير والعجمان كانت تحوم في مناطق متنازع على تبعيتها.

أما الشيعة في الكويت.. فهم عرب وأعاجم، ويشكل الاحسائيون والبحرانيون والعراقيون القسم الاول، وهناك حيٌ في الكويت يعرف حتى اليوم باسم حيٌ ((الحساوية))، ويقع جنوب حي (الشرق)، ومعظم سكانه من الاحساء، كانوا إلى وقت قريب يعملون في صناعة النسيج والعباءات العربية[٥٣].

وفي حيٌ ((القبلة)) توجد اضافة إلى الاسر النجدية المهاجرة، أُسرٌ أخرى من مقاطعة الاحساء، كما توجد في حي ((الشرق)) مجموعات من العوائل القطيفية والاحسائية[٥٤].

أما الشيعة العجم فقد هاجر بعضهم إلى الكويت قبل اكثر من قرنين من الزمان، كعائلة معرفي.

واضافى إلى ما تدفُق على الكويت من المهاجرين في بداية تأسيس الدولة السعودية الأولى.. تدفُق اليها بعيد احتلال الاحساء سنة ١٩١٣ عدد غفير من اهل المنطقة، وقد افاد هذا التدفُق الكويت اقتصاديا، فكان ذلك احد اهم عوامل ازدهارها، مثلما حدث في الهجرة الأولى في مطلع القرن الثالث عشر الهجري[٥٥].

ولأن ارض الكويت ليست صالحة للزراعة، فيبدو ان الهجرات الاحسائية بالخصوص شملت الحرفيين، بعكس الهجرات القطيفية والاحسائية إلى العراق التي مارست اعمال الفلاحة. ولذا تشير المصادر التاريخية إلى ان الاحسائيين انخرطوا في الكويت في صناعة الآلات والأدوات النحاسية والمنزلية، كصناعة القدور واباريق القهوة، كما مارسوا مهنة الحدادة، فصنعوا السكاكين والمطارق وآلات الهدم والبناء، والمسامير التي تستعمل في بناء السفن، والقداديم والكلاليب والملاقط وغيرها[٥٦].. اما المهنة التي برع الاحسائيون فيها منذ القدم، فهي صناعة النسيج، وبالأخص صناعة المشالح الاحسائية ذات الشهرة العالمية، فكان حيٌ الحساوية من أنشط الأحياء في هذه الصنعة ــ قبل ان يدمُرها النفط ــ.. وبرزت أسماء شيعية شهيرة من عائلة البغلي والقطان وغيرها، الذين عُدُوا اساتذة هذه المهنة[٥٧].

---

53 محمد رشيد الفيل، مصدر سابق، ص ٥٨٦.

54 المصدر السابق، ص ٥٨٠، ٥٨٢.

55 تاريخ الكويت، عبد العزيز الرشيد، ص ٦٤. ومحمد رشيد الفيل، مصدر سابق، ص ٢٩٤.

56 محمد رشيد الفيل، مصدر سابق، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

57 المصدر السابق، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

رابعاً: الهجرة إلى البحرين، والهجرة هنا ضمنيّة لأسباب ذكرناها سابقاً.. الا ان المؤرخين لم يفتهم التأكيد على حقيقة تبادل الهجرات بين المنطقتين كلّما ألمّ باحداها عاصفة طائفية أو سياسية، مثلما حدث سنة ١٧٨٣م في البحرين، أو ما حدث بعد ذلك بعقدين في الاحساء، أو اثناء الحرب الأهلية السعودية على الاحساء، وذلك في العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي، أو اثناء الحرب بين البادية والشيعة في القطيف سنة ١٩٠٨، أو بعد احتلال ابن سعود للاحساء سنة ١٩١٣، أو بعد ان افتى علماء الوهابية بضغط من الاخوان وبأمر من الملك عبد العزيز بقتل الشيعة أو طردهم ان لم يغيّروا مذهبهم وما تبع ذلك من هجرة واسعة إلى البحرين في ١٩٢٧ ــ ١٩٢٨.

يقسّم المؤرخون السكان في البحرين إلى اكثرية شيعية واقلية سنّية حاكمة.. ويتشكل السنّة من العتوب، والهولة الايرانيين الذين نزحوا من الشاطئ الشرقي للخليج سنة ١٩٢٥م، والبياسر وبنو خضير.. اضافة إلى الدواسر، وعدد اخر من القبائل النجدية السنّية[58].

والشيعة في البحرين على ثلاثة اقسام: الاول: البحارنة، وهؤلاء هم السكان الاصليين، وهم الاكثرية. والثاني: هم الشيعة من ذوي الاصول القطيفية والاحسائية ((وقد نزحوا إلى البحرين بعد ان خضعت مناطقهم لحكم الوهابيين في القرن التاسع عشر))[59]، و((زادت هجرتهم إلى البحرين، خاصة بعد استيلاء عبد العزيز بن سعود على الاحساء في عام ١٩١٣))[60]. أما القسم الثالث: فهم الشيعة الايرانيون، وهم قلة نزحوا إلى البحرين قبل معظم السنّة في الفترة الواقعة بين عام ١٦٢٢ وعام احتلال العتوب إلى البحرين سنة ١٧٨٣.. وقد جاء الايرانيون إلى البحرين بعد طردهم للاستعمار البرتغالي منها[61].

خامساً: هناك جاليات احسائية معروفة في قطر ودولة الامارات العربية المتحدة، تمارس التجارة، ولكن لا يعلم متى تمّت هجرتها، ويرجح أنها كانت بعد عام ١٩١٣.. ويضاف إلى هذا هناك أُسر شيعية قليلة نزحت من المنطقة واستقرت في الهند والباكستان وسوريا وغيرها.

[58] جمال زكريا قاسم، الجزء الثاني، ص ٢٠٤. ويوسف الصميط مصدر سابق، ص ٢٦. وكذلك الرميحي، مصدر سابق، ص ٥٢.

[59] جمال زكريا قاسم، الجزء الثاني، ص ٢٠٥. ويوسف الصميط مصدر سابق، ص ٢٦.

[60] المصدر السابق، ص ٢٠٥.

[61] المصدر السابق، ص ٢٠٥.

عدد السكان

ما يدهش الباحثين والمهتمين حقا، هو عدم وجود رقم حيقيقي ومعتمد من قبل الحكومة وأجهزتها الرسمية، فيما يتعلق بتعداد السكان، فحتى الان لا توجد سوى تقديرات متفاوتة ومتناقضة احيانا لا يمكن الوثوق بها، أو الاعتماد عليها في أي مشروع بحث، أو مشاريع خطط عمل استراتيجية.

والسعودية من غير جدال من اكثر الدول افتقارا إلى الأرقام والبيانات الاحصائية، مما اوجد صعوبات في اجراء أي دراسة تحليلية للسكان[٦٢].. بل انه يمكننا القول وبدون مبالغة بأن السعودية من اكثر الدول خوفاً وخشية من الاحصاءات، ليس في مجال تعداد السكان فحسب، وإنما في شتى الجوانب المهمة الاقتصادية والاجتماعية. ونظراً لغياب الاحصاء الموثق والمعتمد، فان من المستحيل اعطاء رقم دقيق لعدد السكان الشيعة[٦٣].

وكانت مجلّة الايكونوميست البريطانية قد اصدرت تقريرا محدود التداول في عام ١٩٩٠، فسرّ سبب احجام المسؤولين السعوديين عن اجاء تعداد للسكان في المملكة، بأن ذلك محاولة من جانب الأمراء للتغطية على ضخامة عدد السكان غير السعوديين الذين كانوا يقدّرون بأربعة ملايين وافد، معظمهم من اليمن، كما يرمي الأمراء إلى اخفاء عدد المواطنين الشيعة الذين يطالبون منذ زمن طويل بإلغاء سياسة التمييز الطائفي التي تمارس ضدُهم.

كانت الحكومة السعودية تتداول رقم ثمانية ملايين كعدد لسكان البلاد لمدّة طويلة. وفي سبتمبر ١٩٧٤م، جرى احصاء متخلّف باعتراف المسؤولين، اظهر ان عدد السكان في حدود سبعة ملايين، وهو رقم كانت بعض أجهزة الدولة الرسمية تعتمده، وهو من تقديرات منظمة اليونسكو. ويبدو أن نتيجة الاحصاء غير الدقيق مبالغ فيها، حيث أشارت مجلة اليمامة السعودية، إلى ان عدد السكان وفق ذلك الاحصاء الذي لم تنشره الحكومة يتراوح بين ٥، ٥ ـ ٦ مليون مواطن يحملون الجنسية السعودية. وقد اكد عدد من المسؤولين في وزارة المالية التي اشرفت على الاحصاء، بأن هذا الرقم كان هو بالفعل النتيجة التي أظهرها الاحصاء.

في ذلك الاحصاء، وهو الأول والاخير، جرى توزيع بيانات في المدن الرئيسية، كما تمّ وضع بعض الملصقات على اعمدة الكهرباء والحيطان، والطريف أن عدداً قليلا محدوداً للغاية من السكان شعروا بأن هناك احصاء للسكان. ولم تنشر الحكومة تفاصيل الاحصاء عن التركيب

---

[62] سكان المملكة العربية السعودية، محمد أحمد الرويثي، ط ٢ الرياض ١٩٧٩، ص ٢٢.

[63] Shi'ism And Social Protest, Edited By Juan R.I. Cole & Nikki R. Keddie, Yale University Press, U.S.A , 1986, Chapter 9 [The Shi'I Minority In Saudi Arabia] By Jacob Godberg, P. 230.

العمري والنوعي والاقتصادي، ممّا يدلّ على ان العملية لا تعدو وضع أرقام عدّلها المسؤولون لتتناسب مع الاوضاع السياسية.

وقد انتشرت ــ يومها ــ شائعات قوية بأن عدد السكان لم يزد عن اربعة ملايين نسمة. ولكي يتنصل المسؤولون من الاحصاء ونتائجه اعترفوا بأن موظفي الاحصاء ما هم الا موظفين في وزارة المعارف دُربوا لمدة شهر قبل اجراء الاحصاء، وهي فترة لا تكفي حتى لمعرفة المبادئ الأولية للاحصاء. ((ولوحظ ان هم الغالبية من المشتركين، انهاء وقت التعداد باي شكل والحصول على المكافأة المالية))[٦٤].

بهذه الاعتباطية جرى تعداد السكان سنة ١٩٧٤.. وقبل هذا التاريخ بإثني عشر عاما (١٩٦٢) قامت مصلحة الاحصاء باجراء (حصر) للسكان ليكون مرجعاً، ولكن نتائج هذا الحصر ما لبث ان أُلغيت رسميا. وقد كان الحصر مجرد تجربة، وقد قدر عدد السكان السعوديين بنحو ٣,٢ مليون نسمة. ويبدو ان الرقم لم يعجب الامراء الذين كانوا يعتمدون رقم ثمانية ملايين ((فاعترضوا على ما أسموه بعيوب ظهرت في عملية الحصر، فألغوا نتائجها رسميا، بعد ان طبعوا ووزّعوا النشرة الأولى المتعلقة بنتائج العملية في مدن المملكة))[٦٥].

لا تريد الحكومة السعودية أن تقدّم رقما صغيرا لعدد السكان، إذ سيثار حينها سؤال حول تبرير الانفاق المتزايد والتلاعب بالثروة الوطنية. ومن جهة اخرى لا تريد الحكومة ان تُظهر العدد الحقيقي للسكان الشيعة ــ مع ان حالة الاضطهاد الطائفي ستؤثر بلا شك على ذلك ــ.. إنها تريد تقليص عدد السكان الشيعة لأسباب سياسية معروفة. وقد سبق ان سأل الكاتب أمين الريحاني الملك عبد العزيز في مطلع العشرينات الميلادية: ((هل ترون أن من الواجب الديني محاربة المشركين حتى يدخلوا في دين التوحيد ــ المذهب الوهابي ــ؟)). فأجاب الملك: ((لا.. لا.. وضرب الأرض ضربتين بعصاه، ثم قال: هذا الحسا عندنا اكثر من ثلاثين ألف من أهل الشيعة، وهم يعيشون آمنين..))[٦٦]. فالملك لم يعتبر الشيعة مشركين فقط، وإنما قال بأن عددهم ثلاثون ألفاً، في حين أن البيانات الحكومية تشير إلى غير ذلك، اعتماداً على نظام الضرائب الذي سنّه السعوديون.

من كل هذا يتبين ان هناك صعوبات عديدة في تحديد رقم لعدد السكان في المملكة بشكل إجمالي، إذ أن ما هو متداول لا يعدو تقديرات، تقترب أو تبتعد عن الحقيقة بنسب متفاوته. غير أن هناك خطأ فادحا وقع فيه معظم الباحثين، الذين التفتوا إلى تواجد الشيعة المكثّف في مناطق

---

64 محمد احمد الرويثي، مصدر سابق، ص ٢٤، ص ٢٥، ٢٦.

65 المصدر السابق، ص ٢٢، ٢٤.

66 أمين الريحاني، ملوك العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠، ص ٥٨٨، ٥٨٩.

الشرق الغنية بالنفط، والتي تعاني من اضطرابات سياسية مزمنة، وتجاهلوا الاعداد الكثيرة للشيعة في مناطق المملكة الأخرى (في الغرب والجنوب والشمال).

ومن المهم إلفات النظر إلى ان بحثنا عن تعداد الشيعة في البلاد، يكتسب أهمية سياسية، باعتبار ان النظام السياسي القائم يعتمد أساساً على الفرز الطائفي في سياساته وتحالفاته الداخلية والخارجية، حيث يشكل المذهب احدى اهم قواعد الموقف السياسي والاجتماعي.

تقديرات السكان في الماضي والحاضر

في مهمّة استخباريّة بالدرجة الاساس، تحرّك الكاتب والمخبر الانجليزي ج. ج. لوريمر نحو الاحساء ــ وكانت يؤمئذ تحت قبضة الحكومة العثمانية ــ مصطحبا معه عدداً من الباحثين والمساعدين، من اجل اعداد مسح جغرافي وسياسي شامل لها.. فحدّد مواقع المنطقة الطبوغرافية ومصادر الثروة، وعدد القرى واحدة واحدة، وتحدث عن سكانها ومنازلها وما يملكون من ثروات ومزارع، وما تحويه تلك القرى أو المدن من عيون. وكانت خلاصة المسح الذي دام مدّة غير قليلة، ان طبع في كتاب يحمل اسم ((دليل الخليج))، يحوي ١٤ مجلداً، سبعة منها في الجغرافيا، وسبعة اخرى في السياسة.. ولم توزّع هذه المجلدات الا على المسؤولين البريطانيين المهتمين بالمنطقة والذين يتعاطون مع شؤونها، حيث لم يطبع منه سوى ٥٠ نسخة. وفي الخمسينات الميلادية تسرّبت نسخ من الكتاب، وترجم وطبع في قطر مرتين على حساب أميرها.

قدّر لوريمر في دراسته (سنة ١٩٠٧) عدد سكان الاحساء بحوالي ١٥٨ ألف نسمة، بين بدو وحضر. في حين أفادت تقديرات اخرى لنفس الفترة أن عدد سكان الكويت كان يبلغ ٣٥ ألفاً، والبحرين ١٠٠ ألف، وقطر ٢٧ ألفاً، وساحل عمان بأكمله ٧٢ ألفاً[٦٧].

ويلاحظ أن لوريمر قدّر نسبة الشيعة في الاحساء بثلاثة أرباع السكان الحضر، واشار إلى ان الشيعة في القطيف وما حولها يشكّلون الأكثرية الساحقة، وقال ان عدد سكان القطيف يقدّر بنحو ٢٨ ألف نسمة[٦٨].

وفي الثلاثينيات الميلادية، قدّر عمر رضا كحالة سكان الأحساء فقال ان عددهم ٢٥٠ ــ ٣٠٠ ألف نسمة[٦٩]. وفي نفس الفترة قدّر مستشار الملك عبد العزيز ــ الشيخ حافظ وهبة ــ عدد سكان الحضر بـــ ٩٠ ألف نسمة، قال ان ستين ألفاً منهم ينتمون إلى المذهب الشيعي.

---

67 مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٢٦، اكتوبر ١٩٨٢/ ذي الحجة ١٤٠٢هـ.

68 لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، الجزء الثاني، ص ٨٤٦.

69 جغرافية شبه الجزيرة العربية، عمر رضا كحالة، ص ١٠٦، ١٠٧.

وقدّر فايدل ــ صاحب مؤلف واحة الاحساء ــ عدد الشيعة في الاحساء سنة ١٩٥٥ بنحو ١٣٠ الف نسمة، وقال أن نسبتهم إلى السنّة والبدو المستوطنين حيئذ بكثافة عالية بعد ان تفجر النفط هي ٤٥ إلى ٥٥. ونظراً لهذا التقدير الضئيل لعدد الشيعة، فقد شكك فاسيلييف في الرقم، وقال ان الشيعة ربما يخفون معتقداتهم، فمن المحتمل ان عددهم في المنطقة الشرقية كان أكبر مما ذكره الباحثون[٧٠].

وفي عام ١٩٦٠، قدّر الاستاذ محمد سعيد المسلم عدد السكان في القطيف وقراها ــ دون الاحساء ــ بمائة وخمسين الفاً، وقال ان عدد الشيعة يمثل ٩٦% من السكان في واحة القطيف، واشار إلى ان نسبة السكان قد زادت في تلك الفترة لارتفاع نسبة المواليد وانخفاض نسبة الوفيات[٧١].

بناء على تقديرات محمد سعيد المسلم لعدد سكان القطيف، فانه يمكن تخمين عدد سكان الاحساء في نفس العام ١٩٦٠ بنحو ٢١٠ ألف نسمة.. فيكون عدد الشيعة في واحتي الاحساء والقطيف حوالي ٣٥٠ ألف نسمة.

وقدّر الاستاذ الدكتور عبد الله السبيعي عدد سكان الواحتين ــ الاحساء والقطيف ــ في عام ١٩٦٠ بــ ٦٠٠ ألف نسمة[٧٢]. وفي نفس الفترة، قدّر باحث أميركي سنة ١٩٥٩ عدد السكان الشيعة باكثر من ١٠٠ ألف نسمة، يعيشون في الاحساء والقطيف، واشار إلى الشيعة (المكارمة/ الاسماعيليين)، الذين كانوا يسيطرون على نجران قرب الحدود اليمنية، دون ان يذكر عددهم[٧٣].

وواضح ان حساب هذا الباحث غير دقيق لضعف إطلاعه، فقد قال في حديثه عن سكان المنطقة الشرقية بأن الهفوف يسكنها (٦٠ ألفاً)، والمبرز (٢٨ ألفاً)، وان في الاحساء ٥٢ قرية قدّر عدد سكانها مجتمعة بنحو (١٥٠ ألفاً)، والخبر (٣٥ ألفاً)، والقطيف (٢٥ ألفاً)، والدمام (١٥ ألفاً)، والظهران (١٥ الفاً). ويكمن الخطأ في تقديرات الكاتب الاميركي انه لم يحتسب عدد الشيعة في القرى الاحسائية ــ وهي في غالبيتها قرى شيعية ــ، كما نعتقد انه لم يضعف إلى حسابه عدد الشيعة في قرى القطيف وهي كثيرة. غير ان من المدهش حقاً هو ان تقديراته لسكان المدن التي زارها، والتي اشرنا اليها اعلاه، هي تقديرات تقارب الصحّة[٧٤].

---

[70] فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

[71] محمد سعيد المسلم، مصدر سابق، ص ٥٧.

[72] الدكتور عبد الله السبيعي، اكتشاف النفط واثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ط ١٩٨٧، ص ٢٠.

[73] Saudi Arabia, It's people, It's society, It's culture. By George A. Lipsky, Harf Press, U. S. A 1959, P. 25, 35, 44, 70.

[74] George A. Lipsky, P. 25.

وتتضح نسبة شيعة المنطقة الشرقية بالنسبة لعموم المملكة بالمقارنة مع سكان المدن الاخرى المهمّة. فقد اشار الكاتب الاميركي إلى ان اكبر مدينة سعودية في أواخر الخمسينيات الميلادية هي مكة المكرمة، وقال ان عدد سكانها (١٢٠ ألفاً)، في حين ان عدد سكان جدة (١٠٠ ألف نسمة)، والمدينة المنورة (٤٠ ألف نسمة)، وينبع الميناء/ البحر (عشرة آلاف نسمة)، أما العاصمة الرياض فقال ان سكانها يبلغون يومئذ (٧٥ ألفاً) وارتفع الرقم حتى اصبح اكبر من عدد سكان مكة المكرمة.

وواضح من مجمل الأرقام التي وُضعت كتقدير لعدد السكان في المملكة، انها متباعدة وتقريبية، اما احصاءات الحكومة ــ إن وجدت ــ فهي غير موثوقة من قبل كل الباحثين على الاطلاق.

حسب ((حصر)) السكان عام ١٩٦٢ الذي ألغت الحكومة نتائجه، فان عدد سكان الاحساء والقطيف وصل إلى ٥٧٥ ألف نسمة، بينهم ٢٠٠ ألف بدوي مترحّل[٧٥]، وذلك من مجموع عدد السكان المقدّر بــ ٣,٢ مليون نسمة. وفي عام ١٩٧٤ قدّر عدد سكان المنطقة الشرقية بحوالي ٧٧٠ ألف نسمة من اصل سبعة ملايين هم مجموع سكان المملكة. وفي عام ١٩٧٧م ــ ١٣٩٧هــ، قدّرت مصلحة الاحصاءات العامّة في وزارة المالية والاقتصاد الوطني عدد سكان المنطقة الشرقية بــ ٧٦٢٠٢٧ نسمة. وكلُّ هذه الأرقام لا تعدو التخرُّصات، وان لم تخلُ من الدسّ أيضاً.

باندلاع انتفاضة الشيعة في المنطقة الشرقية في مطلع عام ١٤٠٠هــ ــ نوفمبر ١٩٧٩م، تزايدت الحاجة لمعرفة عدد الشيعة في المملكة ومواقعهم وتأثيرهم، ولكن الباحثين فوجئوا بشحّة الاحصاءات، وتناقض الأرقام. فاعتمد الباحثون على التخمين أو الجمع بين المتناقضات!، أو وضع ارقام متباعدة لتقريب التخمين!. تماماً مثلما فعلت الأمم المتحدة من قبل، حيث قدّرت في منتصف السبعينيات الميلادية عدد سكان المملكة بين ٦ ــ ١٠ مليون نسمة![٧٦].

قدّر فاسيلييف عدد الشيعة في الاحساء والقطيف في مطلع الثمانينات الميلادية بين ٣٠٠ ــ ٣٥٠ ألف نسمة، وقال أنهم يقطنون أهمّ منطقة استراتيجية في البلاد[٧٧].

---

[75] الصسيط، مصدر سابق، ص ٢٦.

[76] الرويشي، مصدر سابق، ص ٢٤. لقد نُشرت ارقام اقرب إلى الحقيقة تقول بأن عدد سكان المملكة بين ١٩٦٢ ــ ١٩٧٤ يقدّر بــ ٣,٢ ــ ٤,٤ مليون نسمة.

[77] فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٥١٧.

في نفس الفترة قدَّر ((عضيد دويشة)) نسبة الشيعة في المملكة إلى بقيَّة السكان بـــ ١٢%، ولكنه لم يذكر عدد سكان المملكة في الاساس، واشار إلى ان المنطقة الشرقية تسكنها اغلبية شيعية[٧٨].

روبرت ليسي، الكاتب والصحافي البريطاني، قدَّر عددهم عام ١٩٨٢ بمائتي ألف نسمة، ونظنُّ ــ من خلال تتبعنا لسياق حديثه ــ انه قصد منطقة الاضطرابات فقط، ونعني بها القطيف، ولم يشمل رقمه سكان الاحساء الشيعة[٧٩].

وقدَّر باحثان غربيان في مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية عدد الشيعة عام ١٩٨٢ بنحو ٢٧٥ ألف نسمة،، ١٥٠ ألفاً منهم يعيشون في واحة القطيف ويشكلون ٩٨% من سكانها، واشارا إلى ان الشيعة يشكلون نصف عدد سكان الاحساء. وواضح الخطأ في التقدير هنا، لأن سكان الاحساء اكثر من سكان القطيف، في حين ان تقديرات الباحثين قالت ان عدد سكان الاحساء الشيعة لا يتجاوز ١٢٥ الف نسمة، أي اقل من سكان القطيف. ومن جهة ثانية اشار الباحثان إلى ان عدد سكان المملكة سنة ١٩٨٠ بلغ ٤,٣ مليون نسمة، وفي موقع اخر قالا ان الرقم اقل من اربعة ملايين نسمة[٨٠].

أما الباحث جوزيف كشيشيان، فقد قدَّر عدد الاقلية الشيعية في المملكة بين ٢٥٠ ــ ٤٠٠ ألف نسمة، وقال انهم يسكنون بصورة رئيسية في مدن القطيف والهفوف وسيهات، ويعمل غالبيتهم في صناعة النفط، وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنهم. وأشار إلى ان الطرد بالجملة للشيعة السعوديين المتهمين بنشاطات معادية للدولة سيلحق الضرر بصناعة النفط[٨١].

من جهته قدَّر الكاتب البريطاني ((مايكل فيلد)) عدد الشيعة في السعودية في منتصف الثمانينات بحوالي ٣٨٠ ألف نسمة[٨٢]. وقدَّر مؤلفا كتاب ((SHI,ISM AND SOCIAL PROTEST)) عددهم بـــ ٢٠٠ ألف نسمة[٨٣].

---

78 السعودية تبحث عن الامن (مترجم)، عضيد دويشة، المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ــ لندن.

79 روبرت ليسي، المملكة، ترجمة هشام عطاونة، انظر الفصل المتعلق بانتفاضة الحرم تحت عنوان (المهدي).

80 John A. Shaw & David E. Long. P. 46, 97.

الطريف أن المؤلفين قدَّما احصاءاً لعدد الاجانب في السعودية فقالا أنهم يمثلون نصف السكان، أي اكثر من مليوني نسمة، منهم ((١٠٠ ألف كوري جنوبي، ٥٠ ألف تايلاندي، ٢٠٠ ألف فلبيني، ٧٥ هندي، ٢٠٠ ألف باكستاني، ٤٠ ألف اميركي، ١٠ آلاف الماني، ١٥ الف فرنسي، ١٢ ألف ايطالي، ١٠ آلاف يوناني.. الخ)).

81 د: ((رسائل جيمبان السبع))، أُعدَّت للندوة التي عقدت لبحث موضوع ((الأصولية الاسلامية)) في الاجتماع السنوي العشرين لمؤسسة الدراسات الشرق اوسطية/ بوسطن في ٢١ / ١١ / ١٩٨٦.

82 مايكل فيلد، النجار، ص ٧٠.

83 SH'ISM AND SOCIAL PROTEST, P230, 231.

وقدَّر وليام كوانت في كتابه ((السعودية في الثمانينات)) عددهم بـــ ٣٠٠ ألف نسمة، وجيمس بوكان بـــ ٤٠٠ ألف نسمة. وجيمس بل ــ صاحب مؤلف الإسلام والسياسة والشيعة في الخليج بـــ ٤٠٠ ألف نسمة واعتمد جاكوب غولديبرغ في دراسة عن الاقلية الشيعية في السعودية، رقماً قال انه معتدل وهو ٣٥٠ ألف نسمة من بين ستة ملايين هم عدد سكان المملكة. وقال جاكوب ان اكثر من ثلث سكان الاحساء شيعة، وأن ٩٥% من القطيف وما حولها من الشيعة، وكذلك نصف سكان الهفوف.

وفي عام ١٩٨٧/ شعبان ١٤٠٧هـــ، قدَّر الاستاذ يوسف خالد ابو بشيت في مقال له عن القطيف وحدها، قدَّر عدد سكانها بـــ ٨٩ ألف نسمة.. كما قدَّر عدد سكان القطيف مع مجموع القرى والمدن لمحيطة بها بربع مليون نسمة.. وبالطبع فان هذا الرقم لا يشمل الاحساء[٨٤]. في نفس الفترة ــ اواخر الثمانينات ــ كان أعيان الشيعة في القطيف يعتمدون رقم ٤٠٠ الف نسمة كعدد لسكان القطيف وقراها، كأساس في خطاباتهم ومراسلاتهم مع المسؤولين الحكوميين.

وفي دراسة ميدانية قام بها لفيف من خريجي الجامعة في منطقة القطيف في صيف عام ١٩٨٩، وضع خلالها حصرٌ لعدد طلاب وطالبات الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وطلاب المعاهد لمهنية والصناعية والجامعات، وعدد العاملين في شركة ارامكو النفطية. وجرى حصر عدد المدارس والاندية والشركات الاهلية والمستشفيات والمساجد وعدد خطوط التلفون وغيرها. وكانت نتيجة الدراسة والحصر ان وُضعت تقديرات لعدد سكان منطقة القطيف وقراها، فجاءت على النحو التالي:

القطيف: ٨١ ألفاً، القديح: ٢٠ ألفاً، البحاري: سبعة آلاف، أم الحمام: ١٦ ألفاً، الجارودية: ٨,٥ ألف نسمة، الجش: ١٢ ألفاً، الخويلدية: ٧ آلاف، الأوجام: ٩,٥ ألف نسمة، العوامية: ٢٦ ألف نسمة، سيهات: ٤٥ ألفاً، صفوى: ٤١ ألفاً، تاروت: ٢٨ ألفاً، الربيعية: ١٤ ألفاً، سنابس: ٢٠ ألفاً، حلة محيش: ٧,٥ ألف نسمة، الملاحة ٧,٥ الف نسمة، متفرقات (الدمام ــ الخبر ــ الجبيل ــ بقيق ــ الثقبة ــ رحيمة ــ الظهران): ٤٥ ألف نسمة. واشارت الدراسة إلى ان عدد سكان القطيف وضواحيها، اضافة إلى سكنة المدن ــ دون الاحساء ــ تصل إلى ٣٩٥ ألف نسمة، في حين قدَّرت الدراسة عدد سكان الشيعة في الاحساء بـــ ٥٦٠ ألف نسمة.

وأوضحت الدراسة لعيِّنة عشوائية من ٥٠٠ شخص، أن معدَّل الزيادة السنوية للسكان الشيعة في القطيف خلال الاربعة عقود الماضية كان: ٣,٧% سنوياً، وان هذه النسبة آخذة في التصاعد

[84] مجلة القافلة، تصدرها شركة ارامكو النفطية، عدد شعبان ١٤٠٧هـــ موضوع يحمل عنوان: (القطيف.. مدينة تاريخية عريقة). الصفحات ٦ ــ ١٥.

لتصل في الوقت الحاضر إلى ٣,٩% سنوياً. وأرجعت الدراسة سبب هذه الزيادة المذهلة إلى عدّة عوامل:

أولها: انخفاض نسبة الوفيات خلال العقد الماضي، فبعد ان كانت الوفيات بين المواليد في أواخر السبعينات تزيد على ١٤١ في الألف ـــ وهي نسبة مرتفعة جداً ـــ، انخفضت هذه النسبة في أواخر الثمانينات لتصل إلى ما يقارب ٣٠ في الألف، ويرجع ذلك إلى تحسُّن مستوى الخدمات الصحيّة.

ثانيها: الزواج المبكر، حيث تبيِّن الدراسة بأن معظم الزيجات تتمُّ بالنسبة للرجال بين ١٨ ـــ ٢٥ سنة، وبالنسبة للفتيات بين ١٦ ـــ ٢٢ سنة. ويرجع سبب الزواج المبكر إلى امرين هامِّين: البيئة الدينية المحافظة، وعدم وجود صعوبات امام الشباب في اقدامهم على الزواج، حيث ان المهر لا يزال منخفضاً، ومعظم المهور بين ١٠ ـــ ١٥ ألف ريال، بينما تصل في مناطق من المملكة إلى مئات الألوف من الريالات.

ثالثها: دفع المجتمع الشيعي لأفراده نحو كثرة الانجاب، ولعل ذلك بسبب ـــ أو احد اسباب ـــ شعور الاقلية بعدم الاطمئنان، وضرورة التحدي. وتشير الدراسة إلى ان عادات المجتمع الشيعي وتقاليده جعلت من اكثار النسل بحدُّ ذاته قيمة يعتمد بها. ان اسرة يبلغ عدد اطفالها خمسة، يعتبر ضئيلا في رأي عامة الناس.. ومن الامور الاعتيادية جدا بل والشائعة ان يكون عدد الاطفال عشرة وأكثر، بل انك تجد شباباً كثيرين لم تتجاوز أعمارهم الثلاثين لديهم خمسة أو ستة أطفال.. وتقول الدراسة إلى ان هذا لا علاقة له بمستوى المجتمع الثقافي، خاصة وان مستوى الوعي بين الطائفة الشيعية هو الاكثر قاطبة بين سكان المملكة.

من جهة اخرى لا يبدو أن معدّل زيادة السكان في القطيف يختلف عنه في الاحساء، والتي يبدو فيها التمدد الشيعي واضحا في كل القرى، بل ان القرى المختلطة غَلَبَتها كثافة شيعية، مع ملاحظة ان الاحساء كانت المحطة الأهم للهجرات القادمة من الداخل الصحراوي، ومن جنوب المملكة. وقد لعبت زيادة النسل بين السكان الشيعة في الاحساء دورا مهما في ابقاء الغلبة للعنصر الشيعي، كما كانت طوال القرون الماضية، رغم الهجرات الهائلة القادمة من مناطق الجزيرة العربية المختلفة.

وبهذا يمكن اعطاء تقدير معتدل لعدد السكان الشيعة في عموم المملكة بمليون وخمسمائة ألف نسمة (٩٥٥ ألفاً في المنطقة الشرقية ـــ ٢٨٠ ألف نسمة في المنطقة الغربية، تشمل الشيعة الزيود والإمامية/ الإثنا عشرية ـــ ٣٠٠ ألف نسمة في المناطق الجنوبية من الاسماعيليين).

وتتحدد نسبة عدد الشيعة لمجمل السكان بناء على تقديرات عدد سكان المملكة والتي تتراوح في الوقت الحالي بين ستة ملايين واثني عشر مليون نسمة، أي بين ١٢,٥% ــ ٢٥%.

٢

الشيعة والوهابيون الأوائل

في سنة ١١١٥هــ/ ١٧٠٣م، ولد في العيينة ــ إحدى قرى نجد ــ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، صاحب الدعوة التي حملت اسمه، وكان أبوه قاضيا ومدرسا على مذهب الإمام احمد بن حنبل.

وبعد ان بلغ صاحب الدعوة من العمر ثلاث عشرة سنة زار المدينة المنورة، والتقى بالعالم النجدي الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن يوسف آل سيف، وتوثّقت علاقته به ودرس على يديه، كما درس عند الشيخ محمد حياة السندي. وبعد ان عاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى نجد قادما من الحجاز ارتحل إلى العراق وزار بغداد والبصرة، وقيل انه بقي هناك مدة اربع سنوات حيث قرأ على يد الشيخ محمد المجموعي في البصرة، وهناك اصطدم مع العديد من الآراء والأفكار السائدة، فقام السكان اليه وطردوه من المدينة، فارتحل إلى الاحساء ــ وكان فيها فحول العلماء ــ والتقى بالشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي، فدرس على يديه، ثم عاد إلى حريملاء حيث كان يقيم والده.

في حريملاء حاول الشيخ إظهار آرائه التي تميل إلى التشدُّد، فاصطدم مع اهل حريملاء، بل انه جرى بينه وبين أبيه جدال وخلاف، ويقول اتباعه انه دارى أباه إلى أن مات، فأعلن دعوته بصراحة، ولكن اهل حريملاء تصدُّوا له وطردوه، أو حاولوا قتله، فذهب إلى العيينة، وحاول جهده ان يكسب ولاء حاكمها عثمان بن معمر، فنجح إلى حين، ولكن الحاكم الخالدي في الاحساء (سليمان آل محمد)، هدّد ابن معمَّر، بالاستيلاء على نخيله وبساتينه في الاحساء، وبمنع سكان العيينة من الورود إلى الاحساء والقطيف للتجارة.

لهذا اخرج ابن معمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فالتجأ إلى حاكم الدرعية، وكانت من اصغر القرى النجدية واضعفها وأقلها موارد، حيث لم تكن بيوتها تزيد على الخمسين بيتاً، وهناك اجرى صفقة اتفاق مع الحاكم السعودي في سنة ١١٥٨هــ/ ١٧٤٥م، قامت على اساسه ما عُرف فيما بعد بالدولة السعودية الأولى. وتضمن الاتفاق اقتسام السلطة، اقتسام السلطة بحيث تكون السلطة السياسية في يد محمد بن سعود وخلفائه، وتكون السلطة الدينية في يد آل الشيخ. ولم يشر إلى هذا الاتفاق من المؤرخين الأوائل الا صاحب كتاب لمع الشهاب.

في حين يشير بقية المؤرخين إلى ان الشيخ اتفق مع محمد بن سعود على ان يحاربا الشرك ويأمرا بالمعروف وينهيا عن المنكر، وان لا يغادر الشيخ الدرعية إذا ما حققت دعوته انتصارات. وكان الحاكم السعودي يدرك أن توسيع سلطانه ونفوذه لن يتم الا بإعلان ((الجهاد الديني)) الذي كان يعني محاربة المناطق المجاورة باعتبار ان اهلها من المشركين، وان دارهم دار حرب.

ومن هنا ندرك لماذا تصدّى لهذه الدعوة معظم علماء الدين ومعظم حكام المناطق في الجزيرة العربية. ذلك ان اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب غالوا في كثير من الامور الخطيرة، وأولها اعتقادهم بأن من يرى غير رأيهم كافر حلال الدم والمال، وقيامهم بنشر آرائهم الدينية بقوة السلاح وليس بالحجة والإقناع، وظل التعصب والمغالاة يلازمان اتباع الدعوة الوهابية ــ السلفية حتى قيام الدولة السعودية الثالثة في مطلع القرن العشرين[85].

لقد وقف علماء الاحساء السنّة بمن فيهم الحنابلة وأكثر علماء نجد والحجاز ضدّ صاحب الدعوة وآرائه، ومن بينهم أخو صاحب الدعوة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الذي ألّف كتاب ((الصواعق الإلهية في الردّ على الوهابية))، حيث انكر على أخيه الاجتهاد، واعترض على آرائه وقابلها بآراء من نفس المصادر الحنبلية التي يعتمد عليها أخوه، وهي كتب ابن تيمية.

وحين بدأت الدعوة الوهابية تتمدّد إلى خارج الدرعية، وقف ضدّها الجميع، ليس اعتراضا على آراء الشيخ الدينية فحسب، وإنما أيضاً لاعتراضهم على اتساع نفوذ الاسرة السعودية، ودخلت الدرعية حروبا دامية استمرت نحو اربعين عاما إلى ان استطاعت السيطرة على اقليم نجد بما فيه من قرى ومدن، ولم تخل مدينة أو قرية الا ودخلت مع آل سعود في حرب، ولم ترضخ واحدة الا وتثور الثانية وتتمرّد، فتقمع من جديد ويقتل المعارضون أو يطردون من وسط الجزيرة العربية بالكامل، أو تمارس بحقهم الاقامة الجبرية في الدرعية، أو يؤخذ اعيان كل بلدة كرهائن لمنع قيام التمردات[86].

في أواخر القرن الثاني عشر، وبعد أن انتهى الوهابيون من السيطرة على المناطق النجدية ــ أو كادوا ــ، إلتفتوا إلى الاحساء، حيث لم تكن لهم الجرأة ولا المقدرة فيما مضى على مقارعة الحكم الخالدي، بل ان حكام بني خالد حاولوا احتلال الدرعية مرتين أنطلاقا من الاحساء، وبالاعتماد على الساخطين الكثر من الحكم السعودي/ الوهابي في الدرعية.

---

[85] الدولة السعودية الاولى (١٧٤٥ ــ ١٨١٨م = ١١٥٨ ــ ١٢٢٢هـ) عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٦٩م، ص ٢٩ ــ ٤٠.

[86] المصدر السابق، ص ٤٧، ٥٥.

ومنذ عام ١٢٠٠هـ وحتى عام ١٢٠٨هـ، اتخذت غارات الوهابيين على المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية طابعا شرساً، ويبدو ان الغرض كان اثارة السكان المحليين واثبات عدم قدرة الخوالد على حمايتهم، وقد كانت الغارات سريعة وخاطفة ومفاجئة[٨٧].

أما مبررات احتلال الاحساء، فتنحصر في موضوعين اساسيين:

الاول: الموضوع الاقتصادي: ويبدو انه كان العامل الاساس لاحتلال الاحساء والقطيف. تقول الدكتورة مديحة درويش، بأن العامل الاقتصادي: ((هو الدافع الاساس في ضمّ الاحساء، التي تمتاز بكثرة واحاتها الخصبة، الوفيرة المياه، هذا إلى جانب وقوعها على الخليج، حيث الحركة التجارية والمصائد التي تشكل مورد رزق كبير في ذلك الوقت، كان كل هذا من اهم الاشياء التي تتطلع اليها الدولة السعودية في زيادة دخلها، ومساعدتها في القيام باعبائها التوسعية، هذا بالإضافة إلى انها ستجعل منها دولة تطل على الخليج، مما يتيح لها الفرصة للاتصال الخارجي، وكذا تمهيد السبيل لضم بقية مناطق الخليج))[٨٨]. ويشير إلى ذات الامر الاستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، حيث يقول بأن اقليم الاحساء يضمّ الكثير من الواحات الخصبة التي تتوفر فيها المياه، والتي جذبت انظار عدد كبير من القبائل النجدية، ولذا رأى حكام الدرعية بعد ان سيطروا على نجد ان يزيدوا من مواردهم، خاصة وان الاحساء تشرف على الخليج حيث الحركة التجارية والمصايد، مما سيتيح للدولة بأن توسع من دائرة اتصالاتها، وتمهد لضم بقية مناطق الخليج إلى حوزتها[٨٩].

الثاني: الموضوع المذهبي، حيث كان المذهب الشيعي يسود مناطق الشرق (الاحساء والقطيف)، ولما كان الحكم في الدرعية قائما على اساس مذهبي، يلغي كل المذاهب الاخرى، ولما كانت خصومة الحكم مع الشيعة اكبر، لهذا كان احتلال الاحساء يعني انتصاراً مذهبيا للحكم السعودي، حيث تمّ فرض مبادئ الدعوة الوهابية على سكانه، كما قام الوهابيون بتدمير المساجد الشيعية التي يشير اليها ابن بشر بلفظة (الكنائس)، كما قام الوهابيون بحرق الكتب الدينية الشيعية[٩٠].

على هذا الاساس، الطمع في خيرات المنطقة، والانتصار للمذهب، تحرّك الوهابيون بكل ما لديهم من قوّة لاحتلال مدن الشرق وقراه.

---

87 تاريخ شرقي الجزيرة العربية، احمد مصطفى ابو حاكمة، ترجمة محمد أمين عبد الله، ص ١٧٢.
88 تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الاخير من القرن العشرين ص ٢٢.
89 عبد الرحيم بن عبد الرحمن، مصدر سابق ص ٦٩.
90 المصدر السابق، ص ٦٨.

في سنة ١١٧٦هـ، سار عبد العزيز بن محمد بن سعود في جيش نحو الاحساء، وأغار على قرية المطيرفي الشيعية وقتل من اهلها سبعين رجلاً، واستولى على اموال كثيرة. وفي طريق عودتهم إلى نجد أغار الوهابيون على المبرز وقتلوا عدّة رجال من أهلها[91].

وفي سنة ١١٧٨هـ تحالف حاكم بني خالد مع بعض القرى النجدية المعارضة لكم آل سعود، وأرسل إلى حاكم نجران حسن بن هبة الله المكرمي يدعوه لمناصرته، فوجّه الاخير قوة إلى الدرعية لمساندة الخوالد ووجّه اقسى ضربة لقوات الدرعية، كادت ان تنهي الحكم السعودي، فقد تقابلت قوات الدرعية مع حاكم نجران في حاير سبيع، ولكن الدائرة دارت عليهم، وقتل من الدرعية اكثر من ٥٠٠ شخص، الامر الذي دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان ينحو منحى الدبلوماسية لإقناع المكرمي بعقد اتفاق صلح ينهي تقدّمه نحو الدرعية واحتلالها.

وحين وصل الحاكم الخالدي تؤازره القوات النجدية الساخطة، وجد ان الاتفاق قد تمّ بين حليفه ومحمد بن سعود، فأراد ان يثنيه عن المضي في تنفيذ الاتفاق، لكن المكرمي اجاب: ((لو كان هذا الاتفاق قبل ان يجري الصلح بيننا وبينه، لانتظم الامر على وفق خاطرك، ولكن الان نحن حصل مرادنا من الانتقام، وقد طلب منا العفو، ونحن اهل له عند القدرة، واعطيناه فلا يمكننا ابدال القول، اما انت فمختار بحربك معه، نحن لا نتعرض بشيء))[92].

استاء الحاكم الخالدي من الوضع، وحاصر الدرعية بمعونة حلفائه اهل القصيم مدّة شهر كامل، ولكنه لم يواصل حصاره، وعاد إلى الاحساء.

في سنة ١١٩٨هـ، أغار سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود على اهل قرية العيون الاحسائية واستولى على مواشيهم وحيواناتهم، ونهب بيوتهم وقتل منهم عددا من الرجال، ثم قفل راجعا إلى الدرعية[93].

وفي سنة ١٢٠٢هـ، امر الحاكم السعودي، عبد العزيز بن محمد بن سعود، أمر سليمان بن عفيصان بالغزو، فغزا قطر وقتل من اهلها (آل ابي رميح) رجالا كثيرين، واستولى على الكثير من اموالهم، ثم قصد قرية (الجشة) الشيعية في الاحساء، فأغار عليها بغتة وقتل عددا من رجالها. وفي نفس السنة اغار سليمان بن عفيصان على ميناء العقير الاحسائي فأخذ ما فيه واشعل في ربوعه النار[94].

---

[91] ابن بشر، ج ١ ــ ص ٤٦ وانظر تاريخ نجد ص ١١٨، الذي استخدم هذا اللفظ: وهجم المسلمون ((على من كان فيه من المشركين)).

[92] لمع الشهاب ص ٤٢.

[93] ابن بشر، ج ١ ــ ص ٤٦.

[94] المصدر السابق ص ٨٢.

وفي سنة ١٢٠٣هـ سيَّر الحاكم السعودي جيشاً إلى الاحساء لمقاتلة بني خالد، ونازلهم مدَّة يومين ثم رحل عنهم ولم تقع اشتباكات كبيرة، لان القائد السعودي ـ ابن الحاكم ـ خشي من خيانة بعض الاعراب، ولكنه مرَّ اثناء عودته على بعض القرى وأخذ ما فيها من طعام وغيره[٩٥].

وفي نفس العام قاد سعود بن عبد العزيز جيشاً وقصد به الاحساء ونازل اهل المبرَّز، ولكن اهلها استعدوا له فلم يستطع الاقتراب منهم، ولم تقع سوى مناوشات صغيرة، ثم ارتحل إلى قرية الفضول الشيعية فدهمها على حين غرّة وقتل من اهلها ثلاثمائة رجل، واستولى على ما في القرية من متاع وغيره[٩٦]..

وافتخر المؤرِّخ السعودي الذي عاصر الاحداث يومئذ الشيخ حسين بن غنام، بأن اهل القرية ((ذُبحوا كالنعاج، فصارت قرية الفضول مضرب الامثال))[٩٧].

في هذه الاثناء اشتدت الخلافات بين الخوالد على الزعامة، إلى حدَّ ان التجأ بعض زعمائهم إلى الحاكم السعودي في الدرعية، وساروا معه في جيش لمقاتلة منافسيهم وأخذ حكم الاحساء.. ومنذ ذلك الحين اصبح حكم الخوالد في الاحساء في مهبُّ الريح، والتجأ الكثير من زعمائهم إلى قطر والبحرين وغيرهما.

وفي سنة ١٢٠٤هـ، سار سعود بن عبد العزيز في جيش ضخم، ومعه عدد من جلوية بني خالد المختلفين على زعيمهم عبد المحسن السرداح وابن اخته دويحس بن عريعر، وفي مكان يقال له غريميل وقعت المعركة بين الطرفين واستمرت ثلاثة ايام، هزم على اثرها عبد المحسن وهرب إلى المنتفق، وحاز الجيش السعودي من الابل والغنم والامتعة مالا يعدُّ ولا يحصى، وقتل من الخوالد الكثيرين. واصبح الحكم بيد السعوديين من الناحية الفعلية، الا ان قوة الخوالد لا تزال موجودة، ولذا استعمل سعود ـ بأمر والده عبد العزيز ـ زيد بن عريعر رئيساً لبني خالد وحاكماً على الاحساء[٩٨].

وفي جمادى الاولى ١٢٠٦هـ، انطلق سعود ومعه جيشه من الدرعية قاصداً القطيف، فحاصر اهل سيهات، واستطاع ان ينفذ من أسوارها، وقتل العديد من الأهالي بعد انتهاء المعركة، وامر سعود جنده بنهبها. ثمَّ مرَّ الجيش السعودي على ((عنك)) وهي قرية قريبة من

---

95 المصدر السابق ص ٨٥.

96 المصدر السابق.

97 تاريخ نجد (روضة الأفكار والافهام) لابن غنام ج ١ ـ ص ١٥٩.

98 ابن بشر ج ١ ـ ص ٨٥.

سيهات، وقتل من أهلها اكثر من اربعمائة رجل، وأخذ أموالاً كثيرة من أهلها، وصالح الشيعة الوهابيين على الفرضة بخمسمائة أحمر[٩٩].

في هذه الاثناء رفض الخوالد حكم زيد بن عريعر واعتبروه صنيعة السعوديين، واجتمعوا على براك بن عبد المحسن، وطردوا آل عريعر.

وفي سنة ١٢٠٧هـ وقعت الواقعة بحكم الخوالد، حيث جيّشت الدرعية جيشاً ضخماً لقتالهم في البادية عند الجهراء، وقد تتبّع الامير سعود آثارهم، وأغار عليهم فانهزموا وتبعهم جيش الدرعية يقتل وينهب، وانهزم براك ومعه قلة من الخيالة إلى المنتفق، وقيل ان عدد قتلى الخوالد بلغ الفي رجل، واستولى السعوديون على جميع ركابهم وخيلهم وأمتاعهم وفرشهم وجميع ما معهم، ومن بينها مائتا فرس، ولم تقم لبني خالد بعد هذه الوقعة العظمى (الشيط) قائمة[١٠٠].

وزحف سعود بجموعه من الشمال قاصداً الاحساء بعد ان انهى القوة الكبرى لبني خالد، فنزل بالقرب من عين نجم وخرج اهل الاحساء فبايعوه ودخل الوهابيون الاحساء ((وهدموا جميع ما فيه من القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية فلم يتركوا لها اثراً))، واقام سعود في الاحساء شهراً، وعين العديد من العلماء الوهابيين في المساجد للصلاة ولتعليم المذهب الوهابي، كما عين محمد الحملي اميرا على الاحساء، وحسين بن سيت رئيسا لبيت المال، واقام حصنا وضع فيه عدداً من الجنود.. ولكن ما ان غادر سعود الاحساء حتى ثار اهالي الاحساء على الحكم السعودي وقتلوا الامير المعين ورئيس بيت المال، وعددا من العلماء الوهابيين، واستولى زيد بن عريعر الخالدي على الاحساء من جديد[١٠١].

في العام التالي ١٢٠٨هـ، قصد الامير سعود ومعه جيوش نجد الاحساء، فأتى قرية الشقيق وحاصرها مدة يومين، ثم اخذها عنوة واستولى عليها وهرب منها اهلها بعد ان قتل منهم عدة رجال.

واجتمع اهل القرى الاحسائية الشمالية في قرية القرين الشيعية فحوصرت، فيما ذهبت جموع اخرى من الجنود إلى قرية المطيرفي، فحوصرت هي الاخرى، وحصلت على الامان بدفع نصف ما لدى اهليها من اموال[١٠٢].

وسار الوهابيون يريدون المبرز، فخرج زيد بن عريعر للقتال ولكنه لم يفلح في صدّ المهاجمين المهاجمين فتراجع محتميا بالاسوار، وبعد ايام قلائل حدثت مصادمات قتل على أثرها

---

99 ابن بشر ج ١ ـــ ص ٨٨.

100 المصدر السابق ص ٩٨.

101 المصدر السابق ص ٩٨ ـــ ٩٩.

102 المصدر السابق ص ١٠٠.

نحو مائة من الخوالد وعدد قليل من جيش الدرعية.. ثم توجّه الجيش إلى قرية البطالية الشيعية فقاومت وقتل من أهلها رجال، كما قتل عدد من الشيعة في قرية الجيل اثناء المواجهة.. ((هذا وجميع البوادي الذين مع سعود يدمرون في الاحساء ويصرمون النخيل ويأخذون من التمر ويعبونها احمالا ويأكلون ويطعمون رحائلهم من الحاضر والباد، واكتالوا جميع البوادي من الاحساء نهباً وقرّوا الرحايل واقاموا على ذلك))[١٠٣].

ولمّا رأى الاحسائيون تدمير القوات الغازية لمزارعهم وتشديد الحصار عليهم، تمرّدوا على زيد بن عريعر، وأرسلوا براك بن عبد المحسن السرداح إلى الامير السعودي في الدرعية ــ الامير عبد العزيز ــ للتفاوض، فأمنهم الامير السعودي شرط ان تكون الاحساء خاضعة للدرعية، وان يكون حكم الاحساء داخلاً ضمن ولاية السعوديين، وعين الامير عبد العزيز براك أميراً على الاحساء، وامر ولده الامير سعود بالعودة إلى الدرعية وفكّ الحصار. ويعتبر المؤرخون انه في هذا العام (١٢٠٨هــ) انتهت ولاية الخوالد المستقلة عن حكم القطيف والاحساء.

في رمضان ١٢١٠هــ اتفق رؤساء الشيعة والسنّة في الاحساء على مقاومة الحكم المذهبي الوهابي، الذي فعل بهم الافاعيل، ساعدهم في ذلك الامير الخالدي المعين من قبل الدرعية براك بن عبد المحسن، واستعدوا للحرب والمقاومة، فأرسل اليهم الحاكم السعودي ــ الامير عبد العزيز ــ بعسكر يقوده ابراهيم بن سليمان بن عفيصان كمقدمة لجيش على رأسه ابنه سعود، فقاتلهم ابن عفيصان، ولكنه لم يستطع المقاومة إلى ان جاءه المدد، فقتل من الجيل نحو ستين رجلا، واستسلم عدد من الزعماء، فاشترط عليهم ان يقيموا بصفة اجبارية في الدرعية[١٠٤].

لكن الامير سعود الذي كان يعدّ لجمع الجيوش من بوادي نجد، سار في ذي القعدة من نفس العام ١٢١٠هــ، إلى الاحساء بغرض تأديب السكان وارهابهم.. ويصف لنا المؤرخ الوهابي ابن بشر ما جرى كالتالي: ((نزل سعود قرب الرقيقة.. وبات تلك الليلة وأمر مناديه ينادي ان يوقد كل رجل ناراً وان يثوّروا البنادق عند طلوع الشمس، فلما اصبح الصباح، رحل سعود بعد صلاة الصبح، فلما استولوا على ركائبهم وساروا.. ثوّروا بنادقهم دفعة واحدة. فاظلمت السماء وارجفت الارض وثار عج الدخان في الجو واسقط كثير من النساء الحوامل في الاحساء. ثم نزل سعود في الرقيقة المذكورة فسلم له وظهر عليه جميع اهل الاحساء على احسانه واساءته، وامرهم بالخروج اليه فخرجوا)).

---

103 المصدر السابق.

104 المصدر السابق ص ١٠٥.

وأضاف: ((واقام في ذلك المنزل مدة اشهر يقتل من اراد قتله ــ كذا ــ ويجلي من اراد جلاءه، ويحبس من اراد حبسه، ويأخذ من الاموال، ويهدم من المحال، ويبني ثغورا ويهدم دوراً، وضرب عليهم الوفاً من الدراهم وقبضها منهم.. واكثر فيهم سعود القتل.. فهذا مقتول في البلد، وهذا يخرجونه إلى الخيام ويضرب عنقه عند خيمة سعود، حتى افناهم الا قليلا. وحاز سعود من الاموال ما لا يعد ولا يحصى، فلما اراد الرحيل من الاحساء امسك عدة رجال من رؤساء اهله.. وظهر بهم إلى الدرعية واسكنهم فيها))[١٠٥].

ورغم تقدُم النفوذ السعودي في الاحساء، الا ان اقليم القطيف لم يخضع للحكم السعودي، معتمدا في ذلك على قوة الاهالي انفسهم، وعلى تحالفهم الوثيق مع زعماء الخوالد، الذي أبقوا على اقوى النفوذ والدفاعات في تلك المنطقة.

ويذكر مؤلف ((لمع الشهاب)) ذلك بقوله: ((وبقي شرق الاحساء بلادين ــ بلداناً ــ كثيرة يبلغ عددها اربعين قرية، وأهل ذلك شيعة المذهب، وكبيرهم قاطبة علي بن احمد، وكان شجاعاً، فأرسل له سعود بن عبد العزيز ان يطيع ولا يكاتب آل حميد، فأبى عن ذلك وأظهر العداوة لسعود. فسار سعود بنفسه إلى بلاد الشرق وجعل يحاربه علي بن احمد ستة اشهر، فلم يدرك سعود من حرب علي بن احمد شيئاً))[١٠٦]. ويضيف موضحا كيفية سقوط القطيف: ((ثم ان الامر استقل لآل سعود في ارض بني خالد أتمُ الاستقلال، ما عدا بلادين الشرقية من تبعة الاحساء والقطيف كذلك، فسار ــ جيش سعود ثانياً ــ على حرب علي بن احمد صاحب بلاد الشرق، فافتتح جملة من قراه، وقد انحصر علي بن احمد في قلعة صغيرة بالقطيف كانت محفظاً له هو وابناء عمُه ومائة رجل، فحاصرهم سعود، ورماهم بالمدفع حتى هدم طرفا من البنيان، وكلما صنع ذلك بهم وحمل عليهم: ردُوه. ولما اراد الله ذهاب علي بن احمد، وتمكن آل سعود في الاحساء، زيُن له ان يطلب منهم ذمٌة وأماناً، فعاهدوه على ما طلب، ولما سلُم لهم الامر حبسوه سبعة ايام، ثم بدأ لهم ان يضربوا عنقه، فأمر سعود باحضاره، واحتج عليه بحجج فاسدة وضرب رقبته بيده، فانظر إلى قلة وفائهم بالعهد))[١٠٧].

ويعلق الاستاذ ابو حاكمة ــ محقق كتاب اللمع ــ على جملته الاخيرة بالقول: ((هذا من المواطن القليلة في الكتاب، حيث ينساق المؤلف مع التعليقات العاطفية)).

غير ان الحكم السعودي لم يستتب في القطيف التي ما لبث ان تمرُدت، فارسل الحاكم السعودي عسكرا اليها ((وكان فيها حينئذ عبد الله بن سليمان المهشوري الخالدي، وفيها أيضاً

[105] المصدر السابق ص ١٠٦.

[106] لمع الشهاب ص ٧١.

[107] المصدر السابق ص ٧١ ــ ٧٢.

كبيرٌ على الرعايا احمد بن غانم القطيفي، فسار ابراهيم بن عفيصان مع ذلك العسكر اميرا عليه، وكان عدده ثمانية آلاف، فنزل سيهات، بينها وبين القطيف ثلاثة فراسخ، فلما سمع عبد الله بن سليمان بذلك، ارسل العسكر الذي معه في القلعة ــ قلعة القطيف ــ لمقاتلتهم مع ابنه علي، فوقعت الحرب هناك وانكسر ابن عفيصان بعسكره إلى ناحية جنوب القطيف في موقع يقال له ظهران لا سكنى فيه، بل كان قديما مسكونا، وبقي هناك عشرة ايام، وبعد ذلك المكان عن القطيف مسافة يوم، فجعل يغزو اطراف القطيف وينهب ويقتل حتى الاطفال في المهد، فأطاعه اكثر قرى القطيف)).

وكان سقوط القطيف كالتالي: ((.. وحمل على قلعة القطيف اول الليل، فلم يزل البارود يثور، والصاعد يصعد ــ إلى القلعة ــ حتى منتصف الليلة، دخلوا القطيف، فأمر ــ ابن عفيصان ــ بالقتل الذريع لكل احد إلى طلوع الشمس.. ثم ان الذين قتلوا من اهل القطيف عددهم كبارا وصغاراً، ألف نفس))[108].

بعد هذا تحصَّن عبد الله بن سليمان الخالدي وكثير من الأهالي في قلعة تاروت وبعد جهد جهيد ((دخلها ابن عفيصان، وكل من ظفر به هنا ضرب عنقه، ثم استقل الامر لآل سعود في ارض القطيف، وكتب ابراهيم ابن عفيصان إلى عبد العزيز ــ الحاكم السعودي في الدرعية ــ بالفتح. فبعث اليه ان اقبل إلى الدرعية.. وسار إلى الدرعية وقد اخذ من القطيف اموالا كثيرة اكثرها رشوة، اعطوه اهل القطيف خوفا من احتجاج آل سعود عليهم))[109]. وبهذه الهزيمة التي مني بها بنو خالد والثنيعة، حقق الوهابيون اكثر من نصر عسكري، فقد كان انتصارهم انتصارا سياسياً واقتصاديا ودينيا في نفس الوقت، ولقد استفزت هذه الانتصارات العثمانيين الذين خشوا من توسُّع النفوذ السعودي إلى جنوب العراق، فعملوا على اعداد حملات عسكرية، أدَّت في النهاية إلى انهاء الحكم الوهابي من كل الجزيرة العربية[110].

ففي عام ١٢١١هـ ــ امرت الدولة العثمانية زعيم المنتفق في البصرة ثويني بن عبد الله ان يقود حملة لتحطيم قوة الوهابيين الذين باتوا يهددون العراق بهجماتهم المتكررة عليه. فجمع ثويني قواته من القبائل المجاورة وانضمَّ اليه بنو خالد. جميعاً ــ عدا فرع المهاشير ــ، ودعمه والي الاتراك على العراق بقوات بلوشية تحمل البنادق، كما جهزه بخمسة مدافع، وأعدَّ الكثير من السفن لنقل المقاتلين بحراً إلى القطيف.

108 المصدر السابق ص ٧٢ ــ ٧٤.

109 المصدر السابق ص ٧٦.

110 ابو حاكمة، مصدر سابق ص ٧٦.

نزل ثويني عند ماء الجهراء بالكويت أواخر ١٢١١هـ.. فوافقه القبائل، وجهّزت الدرعية قوات كبيرة لمواجهته، وتقدمت القوات السعودية نحو الطف، ولكن ثويني تقدّم الى قرية ثم إلى الطف، وتراجع السعوديون إلى قرب الاحساء، واصاب القوات السعودية الفزع والخوف لكثرة الاستعدادات الحربية التي جهزها العثمانيون لمواجهتها.. الا ان حادثة غير عادية وقعت وغيرّت كل شيء.. ففي الرابع من محرّم ١٢١٢هـ، تقدّم عبد من جبور بني خالد وطعن ثويني غيلة وقتله، فتشتت الجيش خاصة وان الشقاق زاد في الخوالد، وحين قتل ثويني تراجع براك بن عبد المحسن السرداح وانضم إلى القوات السعودية وهاجم ثويني وقواته فمزقها في معركة سميت ((سحبة))، وقيل ان براك هو الذي غدر بثويني. وتراجع الجيش المدجج بالسلاح لا يلوي على شيء، وتشتت شمل البدو والاعراب، واستولى السعوديون على المدافع والاموال والامتعة والمواشي والخيول. ولما فرغ قائد الجيش السعودي ـ الامير سعود ـ من الحرب سار إلى شمال الاحساء، وطلب من اهله تجديد البيعة والطاعة، وقتل عددا من الرجال الذين لم يظهروا ولاءهم اثناء المحنة، واخذ من الاموال ما لا يحصر![111].

في العام التالي ١٢١٣هـ، امر سليمان باشا باعداد العساكر لحرب الوهابيين والاستيلاء على الاحساء، ومما شدّ من عزمه الهجمات الكثيرة التي قام بها الوهابيون بعد اشهر قلائل من وقعة سحبة على سوق الشيوخ وما جاورها، فاجتمعت الجموع وتهيأت الاسباب ووضع على رأس القيادة الكتخدا (الكيخيا) علي باشا. فقد انطلق الاخير من بغداد في الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني، ونزل في البصرة برهة من الزمن وأعد السفن لنقل الارزاق، واجتمع عليه قبائل شمّر والظفير وبدو آخرون. وكان يفترض ان يذهب المقاتلون إلى الدرعية عن طريق الاحساء بعد ان يسيطر الجيش عليها، إذ وجد من الصعب عليه ان يقتحم الصحراء دون مؤونة كافية، ودون استخدام البحر. وفعلا تمّ نقل المشاة والمدفعية والمؤن إلى ميناء العقير عن طريق قوارب تم استئجارها من شيوخ الكويت.

ويقول ابن بشر ان الكيخيا استولى على الاحساء ((وتابعه أهل المبرز والهفوف وقرى الشرق وجميع نواحيه نقضوا العهد))، وقد كان اكثر سكان الاقليم قد رحبوا بالقوات العثمانية أملاً في التخلص من الضغط الاقتصادي والمذهبي الذي مارسه الوهابيون، واشار احد الباحثين إلى ان الكيخيا علي باشا ارسل قبل وصوله إلى الاحساء رسائل إلى وجوه السكان داعيا إياهم إلى

---

[111] ابن بشر ج ١ ـ ص ١٠٧ ـ ١٠٩ وانظر أيضاً: العراق بين احتلالين، عباس العزاوي، المجلد السادس، ط ١٩٥٤م، ص ١٢٢ ـ ١٢٤.

الانضمام إلى قواته، وقد وجدت تلك الدعوة استجابة، وخاصة من السكان الشيعة الذين كانت نفوسهم غير راضية عن حكم آل سعود وافعال الوهابيين[١١٢].

غير أن الكيخيا لم يستطع السيطرة على حصن الهفوف والذي قاوم فيه ابراهيم سليمان بن عفيصان، كما ان حصن المبرز لم يسقط، رغم سقوط كل المدن والقرى، ورغم استمرار الحصار الذي دام مدّة شهرين.

هنا انسحب الجند بقيادة الكيخيا، وبعد اسبوعين من مسيرهم شمالاً إلتقوا بدون ميعاد مع قوات سعودية على رأسها الامير سعود عند ماء في ديرة بني خالد يقال له ((ثاج))، فوقع الرعب في الجند السعودي، وأرسل الأمير سعود رسالة ذات لحن طائفي يطلب فيها الصلح وان يعود الفريقان كل إلى بلدة.. يقول سعود في رسالته إلى الكيخيا علي باشا:

((من سعود العبد العزيز إلى علي

أمّا بعد ما عرفنا سبب مجيئكم إلى الاحساء، وعلى أي منوال جئتم. اما اهل الاحساء فهم ارفاض ملاعين، ونحن جعلناهم مسلمين بالسيف. وهي قرية الان ليس داخلة في حكم الروم، بعيدة منكم، ولا يحصل منها شيء بسوى تعبكم. ولو أن جميع الاحساء وما يليها تؤدي لكم دراهمها ما تعادل مصارفكم التي عملتموها في هذه السفرة ولا كان يبننا وبينكم من المضاغنة قبل ذلك، الا ثويني فهو كان معتدي ولقي جزاءه. فالآن مأمولنا المصالحة فهي خير لنا ولكم والصلح سيد الاحكام))[١١٣].

ورغم ضعف الجند السعودي، الا أن قوة الجيش التركي كانت ظاهرية، فالمدافع كانت عاطلة عن العمل لان لوازمها دفنت في منطقة القطار الاحسائية أو أُحرقت لعدم القدرة على حملها، كما ان الذخيرة والاطعمة قد نفذت، والجيش لا يملك غير قوت يومه، والاكثر من هذا ان جيش علي كيخيا ترك المياه العذبة إلى المالحة التي لا يستساغ شربها، فسيطر على الأولى الجند السعودي.. لهذا كلّه ارتضى الكيخيا الصلح وكتب له:

((من علي باشا إلى سعود العبد العزيز!

أما بعد فقد أتانا كتابك، وكلما ذكرت من امر المصالحة صار معلومنا لكن على شروط نذكرها لك، فان انت قبلتها وعملت بها فحسن، والا فاننا ما عاجزون عنك ولا من طوائفك بعون الله وقوته. وعندك الخبر الصحيح إذا اشتدت الهيجا، وانشقت العصا، فحسبك الضحاك والسيف المهند، حيث لنا مقدار اربعة اشهر في بلادك نجوب الفلا ونستأسر اهل القرى ما

---

112 عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مصدر سابق ص ١٨٩.

113 عباس العزاوي، مصدر سابق ص ١٢٩ ــ ١٢١.

قدرت تظهر من مكائدك غير هذه الدفعة. وبهذه الدفعة أيضاً اغتررت بقول ابن عفيصان. اما الشرط الاول هو ان الاحساء لا تقربها بعد ذلك. والثاني الاطواب ــ المدافع ــ التي أخذت من ثويني انك ترجعها، والشرط الثالث تعطينا جميع ما صرفناه على هذا السفر، والرابع ان لا تتعرض للحجاج التي تجئ اليك من العراق ولا تتعرض لابناء السبيل وتكف عن غزوك العراق، وتكون معنا كالأول. فهذه الشروط التي اخبرناك بها والسلام على من اتبع الهدى))[114].

وردَّ سعود على الشروط بقوله:

((جائنا كتابكم وفهمنا معناه. اما عن حال شروط المذكورة، فأولاً الاحساء هي قرية بعيدة إلى دياركم وخارجة عن حكم الروم، وما تجازي التعب، ولا فيها شيء يوجب الشقاق بيننا، فهذا حالها. وأما الاطواب فهي عند والدي بالدرعية، إذا صدرت اليه اعرض الحال بين يديه، والوزير سليمان باشا أيضاً يكتب له، فان صحت المصالحة وارتفع الشقاق من الطرفين فهي لكم، وانا كفيل بها إلى ان اجيبها إلى البصرة. واما مصارفكم فانا لم أملك من هذا الامر شيئاً والشور في يد والدي، والذي عندنا فهو يصلكم. واما ما ذكرتم عن الطريق، وعدم التعرُّض للحجاج المترددين وما لهم عندنا غير الكرامة والتسيار. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)).

وقد كان اعتذار سعود عن قبول بعض وأهم الشروط له مبررا من الناحية الظاهرية، ولذا أُمضيت المصالحة طبق الشروط التي وافق عليها وقبل بها الطرفان[115]. وبعد اتمام الصلح عاد سعود إلى الاحساء واقام مدّة شهرين، انشغل خلالهما بترتيب الاوضاع الداخلية السياسية والعسكرية، وعاقب المتعاونين والمتعاطفين مع القوى السياسية المجاورة التي تسعى لإنهاء الحكم الوهابي من الاحساء. وكان اغلب المتعاطفين والمتعاونين قد رحلوا من الاحساء خشية الانتقام في وقت رحيل الكيخيا من الاحساء. يقول ابن بشر عن انسحاب الكيخيا من الاحساء: ((وانهزم معهم أهل الاحساء الخائنون لا يلوي احد على احد ولا والد على ما ولد، وتركوا محالهم وامتعتهم وأموالهم))[116].

أوضاع الشيعة في الدولة السعودية الأولى

تجمعت في الحكم السعودي الأول صفات عديدة جعلته شرسا للغاية، وعبئاً على كاهل المواطنين في مختلف المناطق.. وقد كانت القبلية، والمذهبية الجذر الحقيقي لكل الخطايا التي ارتكبت يومئذ بحق سكان الجزيرة العربية بدون استثناء، فالدماء التي سألت والاعراض التي

---

114 المصدر السابق ص ١٢٣ ــ ١٢٢ .

115 المصدر السابق ص ١٢٢ .

116 ابن بشر ج ١ ــ ص ١١٨ .

هتكت، والاموال التي سلبت، والارواح التي أُزهقت، ارتكبت في الغالب على اساس تصورات مذهبية، وفي المقابل كان هناك استبداد وإلغاء لكل الكيانات السياسية أو شبه السياسية.. كان هناك عائلة واحدة حاكمة فقط، لا تتسلط باسمها فحسب، بل وتجد لها مشروعية بتبنيها رسالة مذهبية.

وكان الرافضون للحكم المتمذهب، أو الرافضون لإلغاء الكيانات القبلية الضعيفة لصالح كيان قبلي واحد، يواجهون بالقتل، ليس باعتبارهم معارضين للسيطرة السعودية، بل لأنهم ـــ بمنطق السعوديين وحلفائهم الدينيين ـــ يعارضون رسالة السماء، فحق عليهم القتل والسلب والنفي والاضطهاد.

من الحالات النادرة في تاريخ شبه الجزيرة العربية، ان تجد مثالاً لتلك الهجرة التي تمت بعيد استيلاء الوهابيين على اواسط الجزيرة العربية ثم على شرقها، واخيرا غربها وجنوبها. لقد هاجرت جماعات عديدة وقبائل وشخصيات كثيرة جدا إلى مناطق تقع خارج السيطرة الوهابية، ولولا تلك الهجرات لما قامت الكيانات السياسية الهزيلة اليوم في الخليج. وبالطبع هناك من يبرر القسوة والارهاب الذي اتصف به الحكم السعودي ـــ الوهابي الاول، بانه كان ضروريا لبناء الكيان السياسي الكبير، فمن وجهة نظرهم كان البناء عسيرا في مجتمع قبلي، ومتنوع مذهبيا وجغرافيا، وبدون استخدام الادوات الجراحية القاسية، وبدون ان تكون هناك رسالة للحكم يبشرها للناس، فان أي كيان لا يمكن ان يقوم.. وقد كانت الرسالة ((مذهبية)) تسعى إلى الغاء ((مذاهب)) أخرى بقوة السيف والبارود. وكانت الرسالة في ظاهرها رسالة وحدة اقاليم مفككة، وفي حقيقتها رسالة تفرد وسعي دائب للنفوذ والسلطة من قبل عائلة واحدة.

لم يكن حال الشيعة في شرق الجزيرة العربية يختلف عن بقية المناطق، اللهم الا في حدّة القمع الذي وجه ضدهم، إذ لم يكن المطلوب من قبل الحكام السعوديين إلغاء الكيان السياسي في شرق الجزيرة العربية فحسب، بل كان المطلوب أيضاً الغاء الهوية المذهبية الشيعية لصالح هوية مذهبية جديدة جاء بها الحكام الجدد، وكان هذا يعني بصورة واضحة تسليط المزيد من العنف والاضطهاد على سكان تلك المنطقة.

من هنا كان امرا بديهيا لحكم مذهبي ان يسيء بشكل كبير لرعاياه، بل ان هذا الحكم سعى بأن لا يكون هناك رعايا يدينون بمذهب غير مذهبه، في كل المناطق التي سيطر عليها، وخاصة في المناطق الشيعية التي تعتبر ذات وضع استثنائي.

على الصعيد العقائدي، حاول الوهابيون الاوائل الغاء الخصوصية المذهبية لسكان مناطق الشرق بالقوة. ومنذ البداية لم يكن الوهابيون مقتنعين بأنه يمكن تغيير الخارطة المذهبية، لان

الشيعة كانوا الأصعب دوما، وعلى مر التاريخ، وثانيا لان الشيعة كانوا اشد المقاومين للاحتلال الوهابي ــ السعودي، كما رأينا خلال استعراض الاحداث التي سبقت سقوط مناطق الشرق تحت قبضة الوهابيين. لهذا لم تكن للحكام الجدد وأعوانهم القناعة ولا الاستعداد لتغيير آراء الناس بالاقناع والارضاء والنقاش، وقد كان هذا دأبهم مع غير الشيعة أيضاً الذين عادة ما يسارعون إلى الرضوخ سياسيا ومذهبيا للمنتصر، ولكن لم يحدث هذا للشيعة وان كانوا قد خضعوا لحين للمنتصر سياسياً فحسب.

لهذا كانت القاعدة الوهابية المقاتلة والحاكمة مندفعة بروح مذهبية جارفة يعززها الانتصار السياسي والعسكري في افناء الطرف الخصم، وقد قامت هذه القاعدة المقاتلة والفئة الحاكمة بحملة ابادة فورية للسكان.. نتج على اثرها الكثير من المذابح وفرار معظم العلماء والأدباء والوجهاء إلى خارج المنطقة، مصحوبين بمئات من المواطنين، كما حدث في الاحساء حيث نزح الشيخ احمد زين الدين الاحسائي ــ احد اكبر العلماء في ذلك الوقت ــ وبمعيته العديد من العلماء والمواطنين إلى العراق، ومن ثم إلى إيران، وبقي في الخارج حتى سقوط الدولة السعودية على يد القوات المصرية، فعاد وحج ولكن الحمام وافاه في الديار المقدسة فدفن في البقيع. يضاف إلى هذا الكثير من العلماء الذين قتلوا فور سقوط المدن والقرى الشيعية تحت قبضة الغزاة.. يقول احد الكتاب ان سعود الكبير قتل نحو مائتين من علماء الاحساء[١١٧].

وعلى الفور، بادر الغزاة إلى تدمير المساجد والحسينيات الشيعية باعتبارها كنائس، كما يشهد بذلك المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر، كما تمّ تعيين القضاة الوهابيين محل القضاة الشيعة، فكان من قضاة سعود الكبير على الاحساء محمد بن سلطان العوسجي من أهل ثادق، فلما توفي حل محله عبد الرحمن بن نامي. وكان قاضي سعود على القطيف محمود الفارسي، عرفه ابن بشر بأنه مهاجر فارسي، وعلى تهامة احمد الحفظي.. وفي عهد عبد الله بن سعود ــ اخر حاكم في الدولة السعودية الأولى ــ لم يتغير هؤلاء القضاة.

وعين السعوديون ائمة للمساجد من الوهابيين، وجرى اجبار الشيعة على الصلاة جماعة خلف الامام المعين والمنصب براتب من قبل السلطة الحاكمة.

من جهة ثالثة صادر الوهابيون الاوقاف الشيعية، واعتبروها من حق المنتصر، وكانت الاوقاف ضخمة للغاية من نخيل وبساتين ودور واراضي ومدارس وغيرها.. كان يجري الانفاق منها على المعوزين والفقراء وطلبة العلوم الدينية الذين يتلقون تعليمهم المحلي في مدارس كانت هي أيضاً من الاوقاف وتسمى ((حوزات)).

---

[117] العراق بين احتلالين، عباس العزاوي، المجلد السادس ص ١٢١.

وجرى أيضاً احراق المكتبات الشيعية، وآلاف من المخطوطات، باعتبارها كتب ضلال وكفر وزندقة.. وللحق لم تكن كتب الشيعة وحدها التي تعرضت لعقاب المنتصر، وقد رأينا هذا في الحجاز قد تكرر اكثر من مرة، وهناك كتب بعينها سلط الوهابيون غضبهم ضدها.. غير ان اهانة الكتب الشيعية وحرق تراث الشيعة الفكري والأدبي والذي كان في قمة العطاء، قد جاء بعشوائية وتخبط وعدم تمييز بين ما يتعارض مع رؤى المذهب المنتصر وما يوافقه. وقد كان لذلك الفعل اثر كبير في ضياع اهم تراث الشيعة في المنطقة، وهو امر عانى منه الشيعة حتى الوقت الحالي، يزيد في ذلك الامر سوءاً ان الحكومة السعودية الباقية في السنوات العشر الماضية، ولا يعلم حتى الان ما فعلت بها، وهي تحوي كنوزا حقيقية في شتى حقوق المعرفة.

على صعيد ممارسة الشعائر المذهبية الشيعية.. ولا نقصد هنا ان لدى الشيعة شعائر خاصة بهم، ولكن ما نقصده بالتحديد ما تعارف الشيعة على احيائه من ذكريات دينية اسلامية يمارس عموم المسلمين ــ في الحجاز وفي خارج المملكة احياءها في الوقت الحالي ــ كالاحتفال بذكرى مولد الرسول، وذكرى هجرته، ووفاته، وكذلك ولادة ووفيات الائمة الاثنى عشر، وقد خصصوا للإمام الحسين سبط الرسول مناسبة عاشوراء، وهي ذكرى استشهاده التي اصبحت عنوانا لمظلومية الشيعة ودفاعهم عن العقيدة الاسلامية في قبال حكومات الجور والاستبداد.. وأسسوا أمكنة سموها ((حسينيات)) يقيمون فيها هذه المناسبات الدينية.

على هذا الصعيد، مُنع الشيعة من ممارسة هذه الشعائر، باعتبارها كفراً وهرطقة، وبدعة لا محل لها من الدين ولا اساس.. فكان ان منع المواطنون من احياء هذه المناسبات التي كانت على مر السنين عنواناً للمذهب الشيعي.. وقد هدم الوهابيون كما قلنا ((المساجد كما الحسينيات)) لهذه الاسباب، ولكن المواطنين في حقبة العهد السعودي الأول، استطاعوا ــ رغم الخطر ــ ان يمارسوا شعائرهم بسرية تامة وفي المنازل، تماماً مثلما يفعل الحجازيون اليوم في الاحتفال بذكرى المولد النبوي، ومجالس ذكرى فضائل الرسول عليه افضل الصلاة والسلام. ومع كل هذا فشل الوهابيون في تأسيس جذور لهم بين الشيعة، وواجهوا صعوبة في نشر مذهبهم في شرقي الجزيرة العربية لسبب هام ((هو ان معظم سكان مدنها ولا سيما القطيف كانوا من الشيعة. وقد كانت هذه نقطة ضعف بالنسبة للسيادة والتسلط الوهابي في الاحساء، وقد سببت لهم متاعب كبيرة))[118]. وقد كان الشيعة المنتشرون في ساحل الخليج وبعض مدنه ــ خاصة القطيف ــ بيئة من بيئات المعارضة[119].

---

118 تاريخ الكويت الحديث، ابو حاكمة ص ١٠٨ وأيضاً الشيعة والاضطراب الاجتماعي ص ٢٢٢.

119 التيارات السياسية في الخليج، صلاح العقاد ص ٥٨.

على الصعيد الاقتصادي، استخدم الوهابيون اسلوب المصادرة لأملاك السكان الشيعة الذين هربوا فراراً من الاضطهاد المذهبي، كما تمت مصادرة الكثير من الاملاك الشخصية بحجج مختلفة وبمبررات واهية.. وبطبيعة الحال، فانه إذا كان من حق المسلم ان يسلم على ماله ودمه وعرضه في دولة الإسلام، فان الدولة المتمذهبة التي لم تعترف بأن الشيعة مسلمون من الاساس، والتي تعتبر نفسها تطبق الشريعة، قامت بمصادرة حقوق المسلم الشيعي لان الكافر لا حرمة لماله ولا لدمه ولا لعرضه. وقد كان الاعتماد على المصادرات كأسلوب لملء خزينة بيت المال قد ملأ النفوس بالثورة الخافتة ضد الدولة وسلطانها، ليس في مناطق الشيعة فحسب بل وفي كل المناطق[١٢٠].

لقد كان احتلال الاحساء والقطيف في العهود السعودية جميعها ذا هدف اقتصادي، وفي الدولة السعودية الاولى كان ما يجبى من الاحساء والقطيف من زكوات يفوق جميع مناطق الجزيرة العربية التي خضعت لحكم الوهابيين. اشار إلى ذلك ابن بشر في معرض تقديراته للزكوات المجبية، وكذلك مؤلف لمع الشهاب الذي قال ان الزكاة المجبية من مناطق الشيعة ((الاحساء والقطيف)) بلغت ستمائة الف ريال، في حين لم تزد زكوات بادية نجد عن ٤٠٠ ألف ريال، والحجاز ٢٠٠ ألف ريال، ورأس الخيمة وعمان ٢٧٠ ألف ريال.. وهناك محاصيل الاملاك في الاحساء ونجد الحاضرة ٣٠٠ ألف ريال.

وغير المصادرات والزكوات، وضع الحكام السعوديون يومها نظاماً يقضي بموجبه ان يدفع المواطنون الشيعة مبالغ تحت مسمى ((الرقبية)) أو الروسية، أو الجهادية)) وتعطي معنى واحداً هو ((الجزية)) باعتبار الشيعة غير مسلمين. ولكن الامراء السعوديين كانوا حريصين على عدم تسميتها بالجزية، وإنما كضريبة الخدمة العسكرية.. لم يكن الوهابيون يريدون من الشيعة أن يشاركوا في معاركهم، ولم يكونوا في نفس الوقت راضين بأن يعتبر الشيعة كفرة بحيث لا يدفعون الزكاة، وقد كان هذا النظام معمولا به حتى سنة نهاية العشرينات الميلادية من القرن الحالي.

على الصعيد السياسي، كان عمال الحاكم السعودي يعينون من نجد في كل الاحوال، وكانت هناك بيوت معينة قد حكمت مناطق الاحساء والقطيف.. كآل عفيصان، وآل السديري، وكان حاكم الاقليم الذي ينتخبه الامير السعودي يجب ان يتوفر فيه الولاء السياسي، بل والأهم من ذلك أن يكون موالياً مذهبياً.. وبالطبع فانه كان من السهل على الدولة السعودية الأولى ان تركل جانبا الكيانات السياسية التي سحقتها، وان تصفي القيادات السياسية والقبلية قتلا وبالإقامة

[120] عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الاولى ص ٢٤٢.

الجبرية في الدرعية، وهو امر استخدم بتوسع رهيب.. ولكن كانت هناك استثناءات نراها واضحة، ففي بعض مدن وقرى القصيم كان الامير السعودي يرجح شخصاً من عائلة معينة من نفس البلدة، وقد يضع حاكماً لا يتوفر فيه الولاء المذهبي، ولكنه في الوقت نفسه لا يجعل له من الصلاحيات الا الاسم، حيث يعين شخصاً اخر يكون هو الحاكم الفعلي وان توارى في الظل. وفي الغالب، فان المناطق المعارضة، أو التي تتمتع بنسيج اجتماعي قوي، يعين من بين قياداتها شخصية اسمية حاكمة.

نجد هذا واضحا في بعض مدن وقرى نجد، كما نجده في مناطق الاحساء والقطيف.. ففي الاحساء، وبسبب ضعف الشيعة الواضح، ونتيجة التصفيات التي طالت القيادات الاجتماعية والسياسية اثناء حروب ما قبل الاحتلال، عين الحاكم السعودي ابراهيم بن عفيصان ثم توارى في الظل وعين مكانه سلمان بن محمد بن ماجد، ثم عاد وتم تعيين ابراهيم بن عفيصان في عهد سعود الكبير، وفي عهد عبد الله بن سعود كان حاكم اقليم الاحساء فهد بن سليمان بن عفيصان ـــ أخا ابراهيم ـــ.

وفي القطيف التي تعتبر اقليما منفصلاً عن الاحساء، بقيت الزعامة الشيعية السياسية التي كانت منحصرة في بيت آل غانم، حيث أبقى الامير عبد العزيز احمد بن غانم حاكما للقطيف، وفي عهد سعود الكبير استمر احمد بن غانم في الحكم، وفي عهد عبد الله بن سعود كان الحاكم القطيفي هو ابراهيم بن غانم. وكان آخر ولاة آل غانم، وهو علي بن عبد الله، قد قتل بيد الوالي الحقيقي عبد الله المداوي في عهد فيصل بن تركي.

وفي الحقيقة فان الاستثناء الذي حظيت به القطيف، لم يكن ذا معنى هام، فقد شعرت العائلة السعودية الحاكمة بأن مناطق الشيعة في القطيف مغلقة يصعب التعامل معها من الخارج بدون أن تكون هناك أداة محلية تساعد على ذلك.. وقد كان الأدوات آل غانم، الذين كانوا يحكمون بالاسم فحسب.

إن المتتبع لسلسلة امراء مناطق الشيعة، سوف يدهش لأن القيادات السياسية قد انتهت أو عطلت فعالياتها منذ الاحتلال السعودي الأول للمنطقة. وان امراء مناطق الاحساء كانوا على الدوام من خارج الاحساء، وحتى القطيف كان حكامها الاسميون من الشيعة ـــ الزعامات التقليدية ـــ إلى بداية عهد فيصل بن تركي بن عبد الله في طوره الثاني.

كان زعماء الشيعة التقليديون هم من آل غانم في الدولة السعودية الأولى، واستمروا حتى عهد الدولة السعودية الثانية، إلى ان برز الزعيم أحمد بن مهدي بن نصر الله، ثم آل جمعة

(منصور وعبد الحسين)، حيث كان الأخير آخر زعيم سياسي، تشاء الأقدار أن تكون نهايته قتلا على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود!

الشيعة في الدولة السعودية الثانية

سقطت الدولة السعودية الاولى تحت قبضة القوات المصرية التي ارسلها محمد علي باشا لتحرير الحجاز والأماكن المقدسة. وقد كان هذا السقوط أمراً طبيعياً تحتمه الظروف الداخلية والخارجية معاً. فالدولة العثمانية شعرت بأن سمعتها اصبحت في الحضيض بعد أن سيطر السعوديون على الحجاز وألغوا اسم الخليفة العثماني من أن يذكر على المنابر، ومنعوا الحجيج من كل بقاع الارض الاسلامية، الامر الذي شكل تحدياً للحكومة العثمانية، وامتحاناً لسمعتها كحامية للديار المقدسة، وكانت البلدان المحيطة تتوق لترى نهاية السعوديين، بسبب منع الحجيج وبسبب الغارات التي شنها الوهابيون بعيداً عن مركز سلطتهم في العراق، حيث مذابح كربلاء والنجف، وفي الشام وفلسطين. فقد وصلت القوات السعودية إلى هناك لتقوم بغارات خاطفة تقتل وتنهب وتعود بالغنائم.

وعلى الصعيد الداخلي، كانت هناك نقمة في الحجاز بسبب فرض المذهب الوهابي أولاً، وبسبب تدهور الحياة الاقتصادية الذي نشأ عن انقطاع الحج. وفي مناطق اخرى من الجزيرة العربية، كانت النفوس مشحونة بالثورة على الحكم السعودي، أما بسبب المصادرات المالية، أو بسبب العنف والقسوة التي استخدمت بتوسع في تأسيس الملك السعودي، أو لاسباب قبلية، ذلك لان القبائل صعبة المراس ولا تقبل بالانظمة الادارية التي تكاد تلغي دورها السياسي والاجتماعي من الوجود.. وهناك الاسباب المذهبية والاقتصادية الاخرى.

لقد كان يتراءى للحكام السعوديين ان القبضة الحديدية والخضوع الظاهري لسلطان القوة، كافياً لاستمرار الدولة، بل وتوسيع رقعتها.. رغم ان مظاهر الانشقاق السياسي والديني بادية للعيان حتى في نجد، حيث الثورات القبلية المتتالية التي ما تلبث ان تخمد واحدة حتى تقوم اخرى. ولكن غاب عن اعين الحاكمين ان امتلاك القوة يختلف عن امتلاك النفوس، وان الخضوع الظاهري لا معنى له ان لم يكن هناك ولاء حقيقي لا يعتمد على المال ولا على الترهيب، وقد رأى الوهابيون كيف تحولت القبائل في نجد والحجاز ــ حتى قبلية عنزة التي تدعي العائلة المالكة أنها تنتسب اليها ــ وكذلك سكان الحضر عنهم، بمجرد أن وصلت طلائع القوات المصرية إلى ميناء ينبع. بل أن عدداً من الموالين لآل سعود وأعمدة أركانهم، لما رأوا مصالحهم تتعارض مع بقاء آل سعود انضموا إلى القوات الغازية، مما جعل المؤرخ ابن بشر يغضب لذلك ويشنع على الفاعلين فعلهم.

سقط الحجاز أولاً بقيادة طوسون باشا، ثم سقط الجنوب بقيادة محمد علي باشا نفسه، ثم سقطت نجد بأكملها بقيادة ابراهيم باشا الذي أمره السلطان العثماني ــ وخلافاً للاتفاق ــ بأن يهدم الدرعية ويشعل في ربوعها النار، وسيق السعوديون وآل الشيخ إلى القاهرة كأسرى حرب ورهائن، وأُرسل الزعيم السعودي إلى الاستانة لينفذ بحقه حكم الاعدام على يد الجلادين.

سقطت الدرعية سنة ١٢٣٣هـ، ولكن قبل سقوطها ارسل والي العراق العثماني محمداً وماجداً ابني عريعر بعشائرها بني خالد وساعدهما بعشائر المنتفق والعشائر المناوئة لآل سعود ممن قربتهم الحكومة العثمانية وقت الحاجة، ارسلوا إلى الاحساء للسيطرة عليها، فحاصروها قبل ان يفتح ابراهيم باشا الدرعية، فاحتلا الاحساء والقطيف[١٢١] بسهولة ويسر، بسبب العلاقات الحسنة بين الأهالي والخوالد هذا اضافة إلى روابط النسب التي حكمت علاقات الكثيرين بهم.

غير أن ابراهيم باشا، ما لبث أن فرغ من احتلال الدرعية، فارسل محمد الكاشف ومعه عبد الله بن عيسى بن مطلق كوال من قبله على الاحساء، ومعهما نحو ٢٤٠ جندياً، فسيطرا على الاحساء والقطيف، وهرب آل حميد ومعهم عربان الخوالد، وأعمل الجنود القتل والنهب في المنطقة وعاثوا فيها فساداً، وكانت نيتهم تتجه إلى ترك الاحساء، وقاموا بمصادرة جميع أموال الامراء السعوديين وأتباعهم، وقتلوا الكثير من الموالين للحكم السابق، وكان بينهم قضاة ومشايخ، بينهم القاضي عبد الرحمن بن نامي الذي حُبس ثم قتل.

وتشاء إرادة الله، أن يكون مصير قيادات السعوديين في الاحساء والقطيف والتي تولت حكمها بعد احتلالها، والتي اذاقت الناس الذل، أن يقتلوا على يد القوات المصرية، وأن تصادر املاكهم أيضاً كما قتلوا هم قيادات الشيعة السابقين وسلبوا الناس أموالهم. هذا ما حدث لعبد الله بن عفيصان ولفهد بن عفيصان ولمتعب بن ابراهيم بن عفيصان الذين استأصل الباشا خزائنهم ــ على حد تعبير ابن بشر ــ وقد قتل هؤلاء في القصيم وليس في الاحساء.

من جهة اخرى شعر الانجليز في الخليج بالفزع من التمدد المصري لمناطق الساحل التي يسيطرون عليها، ولكنهم رأوا امكانية عقد اتفاق مع محمد علي باشا والتعاون معه في القضاء على النفوذ السعودي في مناطق الخليج الاخرى، وبالتحديد في رأس الخيمة التي تضخمت قواتها البحرية وقامت بهجمات عديدة ضد سلطان مسقط وضد السفن البريطانية نفسها، وكان الانجليز غير متأكدين حتى ذلك الوقت من امكانية انهاء نفوذ القواسم في رأس الخيمة، رغم انتهاء الحكم السعودي في وسط الجزيرة العربية، وكانوا يأملون لو أن قوات ابراهيم باشا واصلت حملتها لتحتل رأس الخيمة وتنهي نفوذ القواسم المزعجين لها.

---

121 العراق بين احتلالين المجلد السادس ص ٢٥٨.

وفي نفس الوقت كانت هناك خشية من أن يتسع النفوذ المصري فيضر بمصالحها.. لهذا قامت عبّارة بريطانية بإنزال قوات عسكرية بريطانية في القطيف، وكتب فيلبي يقول: ((من الصعب الافتراض بأن انزال القوات العسكرية البريطانية في القطيف في وقت احتلال المصريين للاحساء يمثل شيئاً غير استعراض العضلات ضد المصريين. فقد كان بسط نفوذهم على ساحل الاحساء تحدياً للمواقع البريطانية في ساحل الصلح البحري))[١٢٢].

وقال لوريمر أن بريطانيا اصرت على ابعاد النفوذ المصري، والتظاهر بأنها تقوم بحماية المصالح التركية.. وفي ١٨ يونيو ١٨١٩ وصل الكابتن جورج فوستر سادليير من فرقة صاحب الجلالة ٤٧ إلى ساحل الاحساء في مهمة خاصة لإبراهيم باشا، ولكن السفينة جنحت إلى ساحل رملي مما افشل المهمة.. أما المهمة فتستهدف: التعرف على نوايا ومشاريع ابراهيم باشا بعد اخضاعه للساحل الاحسائي، وجمع المعلومات الممكنة عن طبيعة الاحساء والقطيف ومواردهما ومساحتهما والمدن وكل ما يراه ضرورياً.. وان يتعرف على ما إذا كان ابراهيم باشا ينوي استئصال القواسم، وماذا يمكن للانجليز أن يقدموا من مساعدة.. وحمل سادليير سيفا كهدية مع خطاب تهنئة!. ولكن ساديليس تأخر كما يبدو حيث بادرت القوات المصرية إلى الانسحاب من المنطقة، وحين وصلت المدمرة فستال من بوشهر إلى القطيف ((لم يجد هناك من المصريين سوى الحاكم واثنين من مساعديه. لهذا وضع نفسه تحت حماية بني خالد، وسافر إلى الهفوف، ومن هناك قرر مصاحبة الجيش التركي المنسحب.. واشاد في تقريره بأهمية اقليم الاحساء وميناء القطيف والعقير لضرب رأس الخيمة، وحين وصل جدة رفض ابراهيم مناقشته في أي امر يتعلق بالخليج)). فنوايا بريطانيا الاستعمارية معروفة لديه ولأبيه.. وبقي سادليير اربعة اشهر في جدة ريثما وجد وسيلة النقل التي تعيده إلى الخليج، وذلك في يناير ١٨٢٠[١٢٣].

ارتحلت القوات المصرية بعد ان قضت بضعة اشهر في الاحساء، كما ان عبد الله بن عيسى توفي، فعاد الخوالد وحكموا الاحساء، حيث ملك الاحسائيون ماجد بن محمد بن عريعر، الذي ارسل ابنه الضرير سعدون إلى القطيف وحكمها.. كان ذلك في نهاية سنة ١٢٣٤هـ.

إنتهت ابراهيم باشا بتدمير الدرعية، فسحب قواته وعاد إلى مصر.. وبعودته عاد رؤساء البلدان الذين اقصاهم آل سعود عن رياستها، وشبت المنازعات والفتن والحروب.. وفي أواخر ذي الحجة سنة ١٢٣٤هـ، اتى محمد بن مشاري بن معمر من العيينة إلى الدرعية لكي يصبح حاكماً لها، وراسل عددا من البلدان الصغيرة التي ناصرته فيما بعد، ولكن خشي عدد من

---

122 فاسيلييف ـ ص ١٢٨.

123 كشك ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥.

الرؤساء القدامى على نفوذهم فاستنصروا بحاكم الاحساء الخالدي الذي سار على رأس جيش غير قليل، وتابعه اهل الخرج والرياض وحريملاء، ووقعت معارك مع ابن معمر، الذي استطاع خداع الحاكم الخالدي بالهدايا والخضوع لسلطانه ولسلطان الخلافة العثمانية.

في هذه الاثناء ظهر مشاري بن سعود ونازع ابن معمر على الحكم واستطاع التخلص منه، ودانت له معظم قرى نجد. وهنا انزعج الاتراك ومحمد علي من عودة النفوذ السعودي سريعاً، وأُنبت دولة الخلافة محمد علي لسحبه قواته من وسط الجزيرة العربية، خاصة وأن مشاري بن سعود كان يستعد للزحف على الاحساء والقطيف لاحتلالهما. وكان ابراهيم باشا لا يزال في المدينة المنورة، فأرسل جيشاً قويا لإعادة السيطرة عليها وابعاد السعوديين عن الحكم.

في هذه الاثناء سيطر تركي بن عبد الله آل سعود على الحكم، فواجهته الحملة المصرية الثانية وهزمته شر هزيمة، ومارس جنودها الكثير من الاعمال الارهابية، ولكنها لم تستطع استئصال السعوديين رغم ضعفهم وانزوائهم في الدرعية.

انشغل تركي بن عبد الله في حرب القوات المصرية، بينما كان حكام الاحساء من الخوالد يعملون على اثارة السكان المحليين في القرى والبلدان النجدية ضده، وراسل ماجد بن عريعر دولة الخلافة حاثاً إياها على مقاومة النفوذ السعودي، وعمل على توطيد حكمه في مناطق الشرق، ولكنه سرعان ما انتبه إلى ان النفوذ السعودي لا بد وان يتمدد إلى الساحل الشرقي، حيث لا يمكن لحكومة نجدية موحَّدة ان تستقيم بدون خيرات الاحساء، خاصة وان سنين مجاعة وفقر مرت على النجديين منذ احتلال الدرعية على يد قوات ابراهيم باشا.

ولكن الحملة المصرية اكتفت بالعقاب السريع وانسحبت فعاد تركي إلى الرياض وسيطر عليها سنة ١٢٤٠هـ واتخذها عاصمة لملكه، واخضع البلدان النجدية الثائرة، ثم استطاع القضاء على التحالف النجدي الاحسائي في معركة ((حفر العتك)).. وبحلول عام ١٢٤٤هـ، كان تركي قد انهى بالفعل كل التمردات وقضى على كل خصومه في كامل اقليم نجد.. بقي عليه ان يعيد نفوذ آبائه في الشرق، وهو امر حيوي لمنطقة خرجت للتو من تفاهة الحرب. لم يكن بامكان تركي. أن يكرر خطأ اسلافه فيحتل الحجاز ويثير دولة الخلافة، ولكنه لا يستطيع باي حال ان يستغني عن الاحساء والقطيف ومنفذيهما البحرين الهامين.

في محرم ١٢٤٥هـ، أرسل تركي بن عبد الله آل سعود محمد بن عفيصان على رأس جيش لغزو الاحساء، فأغار على قافلة مقبلة من ميناء العقير واستولى عليها وكان فيها من الاموال الشيء الكثير، وقد كانت هذه الغزوة مجرد اختبار لقوة الخوالد، الذين ما لبثوا ان جمعوا جموعهم لمحاربة حكام نجد بالتحالف مع فهيد بن مبارك الصبيفي رئيس سبيع، وضويحي الفغم

رئيس الصهبة من مطير، ومزيد بن هذال وأتباعه من عنزة، ومطلق بن نخيلان رئيس بني حسين.. انطلقت الجموع لمواجهة تركي الذي سيَّر جيشاً بقيادة ابنه فيصل الذي هرب للتو من الاقامة الجبرية في مصر، والتقيا عند ماء معروف، ودارت المعارك عدة ايام، ولكن كانت النهاية مأساوية للخوالد، حيث قتل ماجد بن عريعر في الاول من رمضان، فهدَّ ذلك من عزم الخوالد، ولكنهم صمدوا حتى أواخر رمضان، حيث قدم تركي بنفسه، بعد أن بعث اليه ابنه فيصل يبشره بقرب النصر، وتقابل المحاربون في معارك اخيرة فكانت النهاية في السابع والعشرين من رمضان ١٢٤٥هـ حيث هزم الخوالد وقتل منهم الكثيرون هم وأتباعهم، واستولت القوات النجدية على مصالحهم وخيامهم واسلحتهم وامتعتهم وفرشهم وابلهم وغنمهم وجميع ما معهم من حلي وأواني، وسميت الوقعة بوقعة السبية، لكثرة ما سبي فيها من حلي وحلل وأنعام[١٢٤].

أكمل تركي بن عبد الله الحرب بمتابعة الخوالد إلى قريب الاحساء، وكتب إلى الزعماء المحليين يطالبهم بالخضوع، فأجابوه، فتقدم إلى الاحساء وحينها هرب من بقي من بني خالد إلى الشمال، ودخل تركي الهفوف بغير قتال، وبقي في الاحساء نحو اربعين يوماً، واستولى على ما وجده من أملاك بني خالد، من الذهب والفضة والخيل والركاب وأخذ نخيلهم، وعزز تركي نصره العسكري بنصر مذهبي حين اصر على تعيين إمام في كل قرية للصلاة بالشيعة جماعة، وأمر بمعاقبة من يتخلف عن ذلك، كما عين الشيخ عبد الله الوهيبي قاضياً.

ثم ارسل لأهالي القطيف مهدداً وداعيا إياهم للخضوع، فأرسلوا وفداً لمبايعته، ورتب لهم من الأئمة والقضاة مثلما فعل في الاحساء.. وقبل ان يرتحل عين تركي عمر بن محمد بن عفيصان أميراً على الاحساء، ولكن يبدو أنه أبقى زعماء القطيف المحليين في مناصبهم.

في عام ١٢٤٨هـ كان الموقف في الاحساء والقطيف تشوبه بعض الاضطرابات، فسار تركي بنفسه على رأس قوة كبيرة لتأديب العجمان وآل مرة، ووصلت القوات السعودية إلى البياض قرب القطيف، وحينها خرج عدد من الرؤساء المحليين بينهم زعيم القطيف الشيعي عبد الله بن غانم وقدم له الولاء والهدايا، ولما تأكد تركي من هدوء الاوضاع عاد إلى الرياض بعد ان تزوج في الاحساء[١٢٥].

[124] ابن بشر ج ٢ ص ٢٥ ــ ٢٧.

[125] ابن بشر ج ٢ ص ٤٤.

في العام التالي (١٢٤٩هـ) تمردت مدينة سيهات القريبة من القطيف، واستعان زعماء البلدة بآل خليفة في البحرين الذين لهم مطالبات بالدمام وكانوا على خلاف دائم مع الحكام السعوديين الذين قاموا بدعم المعارضين لآل خليفة خصوصا رحمة بن جابر الجلاهمة.

والسبب في تمرد أهل سيهات هو أن آل خليفة في البحرين وجهوا حملة إلى القطيف لضمها، وذلك سنة ١٢٤٩هـ، فسيطروا على دارين وتوغلوا في جزيرة تاروت واجتاحوها، وكان عبد الله بن غانم زعيم القطيف – الذي كان مسؤولاً عن بيت المال فيما مضى – قد أعدّ العديد من السفن لمقابلة الاسطول البحراني، واتفق مع أهل سيهات على ان يواجهوا العدو سويّة، وان يجهزوا سفنهم وتواعدوا في يوم معين، ولكن اسطول عبد الله بن غانم تأخر، مما اضطر اهل سيهات لمواجهته وحدهم، وكانت قوتهم اضعف من ان تواجه آل خليفة، فمنوا بهزيمة ساحقة وخسروا الكثير من الاموال والانفس، واعتبروا تأخر عبد الله بن غانم خدعة منه لتوريطهم في حرب لا قبل لهم بها وحدهم، فتواعد اهل سيهات على قتله والانتقام منه، وذهبت جماعة منهم إلى القلعة وهاجموه في عقر داره واعتقلوه واقتادوه إلى بلدتهم، ورغم تشفّع اكبر زعيم ديني للشيعة في القطيف يومئذ الشيخ علي بن عبد الجبار في ابن غانم، إلا انهم قتلوا زعيم القطيف، ثم خافوا العاقبة فتحالفوا مع آل خليفة لصدّ الهجوم السعودي المتوقع، وعرضوا على حاكم البحرين تسليم البلدة له[١٢٦].

توجه فيصل بن تركي لقمع المتمردين على سلطان أبيه، سواء في سيهات أم في جزيرة العماير حيث قام سكان هذه بالتعرض لأهل القطيف وثارت الحرب بينهم وبين الأهالي، فأضطر تركي إلى ارسال ابنه لقمع الاضطرابين على حدّ سواء، واستطاع الابن ان يقمع اهل العماير، ولكن سيهات استعصت عليه، فنزل المريقيب غرب سيهات وحاصرها حصاراً شديداً ورماها بالمدافع، وقطع الكثير من نخيلها، وكان الحاج علي بن عبد الرحيم زعيمها، واستطاع بالاتفاق مع آل خليفة ان يخفف من اثر الحصار عن طريق البحر، حيث كانت المؤن والذخائر تصله إلى ميناء سيهات من البحرين، وخشي فيصل من امتداد نطاق التمرد إلى القطيف نفسها، فرتب حصونه فيها، وعين على حصونه في دارين محمد بن يوسف العجاجي – احد النجديين المقيمين حديثا في الاحساء – كما جعل أناساً اخرين على حصون تاروت.. وفي هذه الاثناء وافاه خبر مقتل ابيه تركي، فلم يبلغ أحداً، وسار إلى الاحساء وهناك تزود بالمال والسلاح والطعام، ورتب

126 محمد سعيد المسلم – ساحل الذهب الاسود – ص ١٨٢ ، ١٨٢ .

اتفاقات مع زعيم الجبل في حائل ومع آخرين في نجد وكان مع فيصل زعيم القطيف عبد الله بن غانم، أخذه خشية ان يميل إلى المتمردين في سيهات مستغلاً توتر الاوضاع في نجد[١٢٧].

أعاد فيصل السيطرة على الرياض وانتقم من قاتل ابيه وهو مشاري بن سعود في صفر ١٢٥٠هـ، وكان مديناً في ذلك إلى الاحساء بحيث قام عمر بن عفيصان بوضع موجودات بيت المال تحت تصرفه، وكان ذلك من أهم عوامل نجاحه في قهر مشاري بن سعود[١٢٨].

كما قام فيصل باخماد الاضطرابات في الجنوب، وأرسل في ربيع الآخر سنة ١٢٥١هـ جنداً بقيادة عبده زويّد الذي كان قد اخبره بقتل ابيه، ارسله إلى القطيف لإخماد تمرد اهالي سيهات، ويبدو أن الأخرين لم يكونوا راغبين في الحرب بناء على نصيحة امير القطيف، وبناء على تغير المعادلة السياسية حيث هادن فيصل آل خليفة في البحرين لانشغاله بالمشاكل التي ستأتي له من الحجاز، حيث كان محمد علي يعد خالد بن سعود في مصر لولاية نجد لهذا أعلن أهالي سيهات ولاءهم للحاكم الجديد، وقام العبد زويّد باجراء تغييرات في المناصب، وعاد إلى الرياض ومعه علي بن عبد الرحيم أمير سيهات، وأمير القطيف الجديد، كي يقدموا فروض الولاء والطاعة[١٢٩].

تحركت حملة مصرية أعدها محمد علي بقيادة اسماعيل بك، وخالد بن سعود ـ وقد كان من بين من أخذهم ابراهيم باشا إلى القاهرة وأقاموا فيها ـ تحركت الحملة من الحجاز سنة ١٢٥٢هـ، باتجاه القصيم فسيطرت على قراها ومدنها، وكلما جمع فيصل الجموع انفضت بالمال الذي كانت تنفقه الحملة، وكان معظم المواطنين في نجد غير راغبين في المواجهة مع المصريين، ولم تزل ذاكرتهم حيّة تحتفظ بسجل السنوات الماضية وما فعله بهم المصريون على يد ابراهيم باشا وغيره. لهذا قرر فيصل انه لا يمكن له المواجهة، وان الساخطين على الحكم قد بدأوا يجهرون بسخطهم في الرياض العاصمة نفسها، فقرر أن يخرج من نجد كليّة ويلجأ إلى الاحساء، حيث انصاره من آل عفيصان، فدخل الرياض وأخذ كل أملاكه، لكنه لم يستطع الخروج حيث كان له بالمرصاد من اهل البلد كثيرون، فوهب الدراهم والأموال حتى تمكن من الخروج بماله وعياله، وهكذا انقلب اهل المدن وقبلهم البدو عليه[١٣٠].

وما ان حلت سنة ١٢٥٣هـ حتى خضعت قرى نجد للقوات المصرية، واصبح خالد بن سعود الكبير زعيماً لنجد من قبل محمد علي باشا، في هذه الاثناء ثارت قرى الحوطة والحلوة

---

127 ابن بشر، ج ٢ ص ٤٨ والسلم، مصدر سابق، ص ١٨٢، وعلية ص ٢٩، وعبد الرحيم عبد الرحمن، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ص ٢٦٩ ـ ٢٧١.

128 عبد الفتاح علية، الدولة السعودية الثانية، ص ٢١.

129 ابن بشر، ج ٢، ص ٦٨، والدولة السعودية الثانية، ص ٤١. ومحمد علي وشبه الجزيرة العربية، ص ٢٨١.

130 محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧. والدولة السعودية الثانية ص ٤٤. وابن بشر ج ٢ ص ٧١.

والحريق وأذاقت القوات الغازية طعم الهزيمة وإن لم تكن كاسحة.. هنا اراد فيصل بن تركي الذي اقام في الاحساء ان يستغل الوضع فيعيد سيطرته على نجد، فتزود من الاحساء وحمل الكثير من المال، وانطلق الى نجد واتصل بالمعارضين للحكم المصري، واستطاع ان يحاصر خالد بن سعود في الرياض مدة من الزمن، ولكنه فك الحصار ورحل عن الرياض في شعبان ١٢٥٣هـ، تحت ضغط القوات المصرية. واستعد الطرفان لعقد الصلح واجتمع فيصل مع خالد في السابع عشر من شعبان من نفس السنة لاقرار الصلح، ولكنه لم ينعقد، حيث عرض خالد ان يحكم فيصل الاحساء فحسب، وان يحكم هو نجداً وقراها، ولكن فيصل الذي قبل العرض اشترط ان يرحل الجنود المصريون ــ سند خالد من نجد ــ، فرفض الاخير ذلك، وتجدد القتال[١٣١].

في هذه الاثناء راسل خورشيد باشا ــ وكان والياً للمدينة ــ الامير فيصل، وقدم له الهدايا لينسحب من نجد ويقنع بحكم الاحساء، لان ذلك ابقى له وأجدى، وهدده إن لم ينسحب، بإرسال فرقة تحتل الاحساء، فانسحب فيصل الى المنفوحة وأبلغ اتباعه بقبول عرض خورشيد، ولكنه غير رأيه فيما بعد رغم إغراء آل عفيصان له.. وأرسل عمر بن عفيصان الى الاحساء ليحفظها كما ارسل أمراءه الى عمان وبلدان أخرى في جنوب نجد. وهنا أعد خورشيد عدته لتدعيم وضعه في نجد انطلاقا من المدينة المنورة التي يقيم فيها، فعاد اسماعيل بك وأحل مكانه آخر وارسل قوات اضافية الى نجد كان هو على رأسها، حيث زحفت على القرى النجدية واحتلتها واحدة تلو الاخرى بمساعدة القبائل البدوية من سبيع وقحطان وغيرهما. ووصلت نجدة من عمر بن عفيصان من الاحساء، وقاتلت الى جنب فيصل ولكنها هزمت، وفرّ المقاتلون من عند فيصل، واستطاع خورشيد محاصرة الدلم ــ مقر فيصل بن تركي ــ وطال الحصار فاضطر الأهالي الى التسليم، وسلم فيصل شرط أن يسافر مع أخيه جلوي وولديه عبد الله ومحمد وابن اخيه الى مصر ليقيموا فيها اقامة جبرية، وقد انعقد الصلح سنة ١٢٥٤هـ وفي الثاني من شوال من نفس السنة اقتاد الجند الأمير فيصل إلى الحجاز ومنه الى القاهرة[١٣٢].

بعد هزيمة ابن عفيصان، رحل الى الاحساء في حين أرسل خورشيد بعد هزيمة فيصل بيومين عبد الرحمن الحملي بكتاب الى عمر بن عفيصان والى زعماء الاحساء يطلب منهم القدوم اليه مع منحهم الامان، فخرج الاحسائيون عدا ابن عفيصان الذي هرب الى البحرين ومنها الى الكويت. ووصل أهالي الاحساء الى خورشيد في شهر شوال ١٢٥٤هـ وقدموا فروض الطاعة وعادوا الى بلادهم، بعدها ارسل خورشيد مع احمد السديري ــ الذي اصبح

---

131 محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ص ٢٩٧ ــ ٢٩٨.

132 ابن بشر ج ٢ ص ٨٤. ومحمد علي بلدنا وشبه الجزيرة العربية، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

أميراً على الاحساء ــ قوة من الجند بقيادة خزام المغربي، ثم أرسل له قوة اخرى بقيادة الفاخري لتعزيز القوة في الاحساء، واستطاع والي الاحساء ان يكسب ولاء المواطنين وودهم نظراً لمعاملته السمحة، فأقر العمال على مراتبهم، وكتب لرؤساء القطيف ((فقدم اليه علي بن عبد الرحيم أمير سيهات، وسعد بن غانم أمير القطيف وأخوه وابو السعود ــ من وجهاء القطيف ــ وبايعوه، وركب الكاشف برجال من الترك حفاظاً على القطيف، ثم ان الباشا ارسل رجلاً من العسكر يقال له ابو طاهر وجعله رئيسا لعسكر القطيف، وأمر احمد السديري على رجال يخرصون الزرع في الاحساء والقطيف فخرصوها من غير تعد ولا ظلم))[١٣٣].

كان محمد علي باشا يريد السيطرة على كل المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ السعوديين، باعتباره الوريث، ولكن قوة المصريين وطموح محمد علي أخاف الانجليز وهم اسياد المنطقة الخليجية منذ زمن غير قصير... وربما كان مخطط محمد علي أبعد من ذلك حيث كان يحلم بالسيطرة على العراق والكويت اضافة إلى أطماعه في بلاد الشام. وقد أوكل مهمة اخضاع هذه المناطق تدريجياً إلى محمد رفعت الذي لعب دوراً هاماً في تاريخ المنطقة، فسيطر سيطرة تامة على الموقف في القطيف التي اصبحت مركزا للاتصالات بمشايخ الخليج ولا سيما امارة البحرين، أدرك خورشيد باشا أهمية الاحساء والقطيف لإحكام السيطرة على نجد من ناحية، والوقوف بوجه التحركات البريطانية من جهة اخرى، ومن هنا كان تركيزه عليهما، ولذا ارسل قوة كبيرة بقيادة محمد رفعت، وأعطى أوامر صريحة باتخاذ القطيف قاعدة لتحرك قواته لأهمية مينائها وصلاحيته للعمل، ولقربها من البحرين، وطلب خورشيد لغرض التوسع ارسال قوات من جدة إلى القطيف بحراً[١٣٤].

أدرك خورشيد أيضاً ان آل خليفة غير مهتمين بالسيطرة على الاحساء، أو ليست لهم قابلية هضمها ــ وكان هم آل خليفة الانطلاق من قلعتهم في الدمام، ومهاجمة الشيعة في القطيف، أو تسليط الهواجر ــ حلفاء آل خليفة ــ والعماير المقيمين في قلعة عنك عليهم. فرأى أن يضع حداً لهجمات البدو على القطيف، التي كانت في اوجها يومئذ لى حد ان الكثير من الأهالي اضطروا إلى الهجرة باتجاه البحرين.

قرر محمد رفعت اخضاع القطيف اخضاعاً تاماً، فاتجه من الاحساء في يوم الاثنين ٢١ ذي القعدة على رأس قوة ومعه محمد آغا الكاشف الذي كان على رأس القوة، فوصل القطيف يوم الخميس ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٤هــ ووجد ابواب السور مغلقة، والبلاد محاصرة، ونخيلها خربه

---

133 ابن بشر ج ٢ ص ٨٥ ــ ٨٦. والدولة السعودية الثانية ص ٥١. ومحمد علي باشا وشبه الجزيرة العربية ص ٢١٧.

134 محمد علي باشا وشبه الجزيرة العربية، ص ٢١٨، ٢١٩.

لكثرة ما عبث فيها البدو، كما وجد ان أهلها لا يستطيعون الخروج خوفا من الهجمات التي تقع عليهم من عربان الهواجر والعماير.. فأمر رفعت أهل القطيف بفتح ابوابها ودخل بقواته البلد، ووجد أحد عشر مدفعاً ونحو مائتين وخمسين آلة بارود، وحينها امر المقاتلين من الأهالي ان ينضموا إلى قواته واعد مدفعين من المدافع التي وجدها في البلد والتي لم يكن اهل القطيف على دراية بكيفية استعمالها بطريقة صحيحة، وخرج محمد رفعت على رأس القوة إلى قلعة عنك حيث يقيم عربان العماير وغيرهم، فهجم على القلعة وتمكن من الامساك بشيخ العماير، وهرب بقية الرجال الذين كانوا في القلعة في مركبين إلى البحر، واستولى على قلعة عنك وحاز على ثلاثة مدافع فيها، إلى جانب بعض العفش والتمر، فرتب الامر وأخذ المدافع إلى القطيف[١٣٥].

بقي بعد التخلص من غائلة البدو، آل خليفة في حصن الدمام.. وبعدها يستطيع ولاة محمد علي باشا توسيع نشاطهم خارج حدود المنطقة. ارسل محمد رفعت إلى مبارك بن عبد الله آل خليفة ــ ابن امير البحرين المقيم في قلعة الدمام، طالبا منه ان يأتي اليه ليمنحه الأمان، فأرسل مبارك شيخ الهواجر ليقف على جلية الامر، وفي القطيف اقنع محمد رفعت شيخ الهواجر، بأنه لا يريد سوى القلاع ((لكون القلاع ليست الا للحكام، وان هؤلاء الناس مضرين لأهل البلاد، ومضرين علينا في الجمرك، وانه ليس له هدف عدواني، وارسل الامان مع شيخ الهواجر إلى مبارك، فقبل الاخير بالأمان، ولكي يثبت محمد رفعت حسن نواياه اطلق سراح شيخ العماير ورد اليه مركبه الذي سبقه له الاستيلاء عليه، ومنحه ورقة امان له ولجماعته، شريطة ان يسكنوا جزيرتهم ــ جزيرة العماير ــ)).. وبذلك بدأت الحياة تعود إلى القطيف وسكانها، كما بدأ خورشيد يضع مخططه للمرحلة التالية، وهي احتلال البحرين[١٣٦].

قام محمد رفعت بزيارة سريعة إلى البحرين، في الأول من ذي الحجة سنة ١٢٥٤هـ، وكتب تقريرا إلى خورشيد يقول فيه ان البحرين ذات اهمية قصوى لاستقرار الاحوال في الاحساء والقطيف، واشار إلى ان ميناء البحرين ذو اهمية في المنطقة، وحيث ان ميناء القطيف لا تستقر مياهه على حال، ولا ترده الا سفن صيد السمك الصغيرة، اما ميناء الاحساء ــ العقير ــ فلا يوجد به اهل وان اهل الاحساء لا يملكون سفنا صغيرة ولا كبيرة.. ولاحظ محمد رفعت في تقريره انه منذ وصوله إلى المنطقة وسفن البحرين تمتنع عن المجيء إلى ميناء القطيف، واصبحت ترسو في الدمام عند القلعة، رغم انه لا يسكن تلك الانحاء سوى بعض البدو الرحل، واشار إلى ان عدم مجيء سفن البحرين إلى القطيف يضر بأحوال المنطقة الاقتصادية فضلا

135 المصدر السابق، ص ٢٢٠، ٢٢١.

136 المصدر السابق، ص ٢٢١، ٢٢٢.

عما تسببه من اضطرابات سياسية، وقال ان البحرين كانت تابعة لفيصل بن تركي، وأنها اصبحت ملجأ لكل الذين يريدون الخروج على الحكم المصري من قبائل الهواجر وبني خالد والعماير والمهاشر وآل صديح، والذين يقيم بعضهم بالقرب من قلعة الدمام، وتأخذهم السفن المغادرة للدمام نحو البحرين.

وقال محمد رفعت في تقريره ان امير البحرين رفض الدخول في الطاعة، وانه رأى مندوبا عن المقيم البريطاني في بوشهر، كما ان مندوبا عن والي بغداد كان في البحرين قال انه يدفع بآل خليفة بأن لا يقدموا ولاءهم لمحمد علي. ورأى محمد رفعت في البحرين جمعاً غفيراً من الذين رفضوا الدخول تحت الطاعة من اهل الاحساء والقطيف ونجد، وعلى راسهم عمر بن عفيصان، حاكم الاحساء السابق، ومحمد بن سيف العجاجي، حاكم القطيف السابق وفهد بن عفيصان.

وفق هذه المبررات التي قدمها محمد رفعت كتب ((ان هذه الجزيرة إذا لم تدخل تحت طاعة الحكومة، فان تلك المضرات المذكورة لا تنقص بل تأخذ بالازدياد... وان الاستيلاء عليها ــ سبب لحصول الحركة في ميناء الاحساء والقطيف، ولأدارة أمور العساكر الموجودة في فيلق نجد، هذا ما نراه في إدخالها تحت حكومة ولي النعم))[١٢٧].

حاول خورشيد في مراسلاته ان يعقد اتفاقاً مع حاكم البحرين عبد الله بن احمد، ولكن الاخير خشي ان يعقد اتفاقاً بسبب غضب حكومة بغداد وحكومة الانجليز وربما حكومة فارس عليه. ولكنه رضخ اخيرا واتفق مع خورشيد باشا على دفع الزكاة بالاتفاق مع محمد رفعت، وان يوالي ويعادي من يواليه ويعاديه خورشيد.. وحين شاع نبأ الاتفاق انزعجت جميع الاطراف المعادية لمشروعات محمد علي في شرق الجزيرة والخليج وعلى رأسها بريطانيا التي بدأت مقاومتها لهذه العلاقة بصورة فعلية.. حيث ارسلت في البداية قوات لتحتل جزيرة خرج وأرسلت بعض القوات إلى البصرة حتى تكون عائقاً امام تقدم قوات محمد علي، كما انها تطلعت لوضع البحرين تحت وصايتها، وأرسلت إلى محمد علي تنذره بأنه إذا ما حاول احتلال البحرين أو مد سلطانه على الخليج، فانها لم تقف مكتوفة الايدي[١٢٨]، ثم ما لبثت ان ارسلت سفناً لضرب حصار على مينائي القطيف والعقير، مع ملاحظة ان الحكام السعوديين لم يكونوا مهتمين بركوب البحر، ولم يكن لديهم سفن حربية على الدوام، بل كانوا احيانا يستخدمون سفن الغوص التي يمتلكها الرعايا في القطيف ونواحيها[١٢٩].

---

[137] المصدر السابق، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٦.

[138] المصدر السابق، ص ٢٢٩.

[139] الدولة السعودية الثانية، ص ٢٢٩، ٢٤٠.

ورغم ضغط الانجليز، فقد وقع محمد رفعت مع حاكم البحرين اتفاقا اخر تضمن فيما تضمن: ان يأمر امير البحرين ولده المقيم في بر الدمام، بطرد عرب الهواجر والعماير المقيمين عنده، وان لا يقبل احدا منهم الا اولئك الذين يوالون محمد رفعت. وتضمن الشرط الثاني أن يسمح لحاكم البحرين بأن يأخذ ((العوايد)) التي كانت له في السابق من غواصي البحرين والقطيف، وبعض غواصي القرى الاربع التي تقع على ساحل بحر قطر. وثالثاً أن يقبل عبد الله بن احمد اقامة ممثل من طرف خورشيد وأن يقبل بنقل العسكر إلى البحرين وغيرها، ورابعاً يتم تسليم الهاربين من كل طرف إلى الطرف الاخر، وكان توقيع الاتفاقية في صفر ١٢٥٥هـ.

هدد المقيم السياسي في بوشهر – ثم في خرج – بافساد الاتفاق بالقوة، وقال ان حكومة الهند لا ترغب في استيلاء خورشيد على البحرين، لأن ذلك مخالف للاتفاق بين محمد علي والانجليز، ولكن خورشيد اعتبر البحرين تابعة لآل سعود، وان الحكومة المصرية هي الوريث لحكومة السعوديين، وحاول التفاوض سلمياً مع المقيم، ولكن المقيم رفض ذلك، وراح يغري ويتوعد امير البحرين لتمزيق المعاهدة فرفض.

ورأى المقيم هناك، أن خورشيد باشا قد بدأ بغزو معاقل الانجليز في عمان وإمارات الساحل، والكويت، انطلاقا من القطيف والاحساء، واقترح على حكومته في بومباي ان تقوم البحرية البريطانية بعرض مسلح في منطقة الخليج، وان تفرض حصاراً عسكرياً على موانئ القطيف والعقير وسيهات[١٤٠].

كانت الاوضاع عموماً تخدم الاستراتيجية المصرية في شرق الجزيرة العربية، الا أن مقتل محمد رفعت باشا على يد البداة قد اصاب النفوذ المصري في الخليج في المقتل، فقد أقدم ثلاثة من العوازم – حسب قول ابن بشر – على قتل محمد رفعت نظراً لسياسته الداخلية السيئة القائمة على الاكراه والمصادرة والعنف وفرض شتى صنوف الضرائب التي لم تكن معهودة فيما مضى.. وبعد مقتله طلب بنو خالد الرئاسة، ولكن خورشيد ابى ان يعطيهم اياها وأرسل إلى الاحساء قائداً عسكريا اخر من عنده اسمه محمد أفندي شرمي.. كان ذلك أواخر سنة ١٢٥٥هـ. وعين خورشيد عيسى بن فايز رئيس جبل شمر أميراً على الاحساء، وجعل الامير السابق احمد السديري مسؤولا عن بيت المال[١٤١].

انتهت مشروعات محمد علي حين تصدت له الدولة الكبرى وأرغمته على سحب قواته من بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، ضمن معاهدة لندن الموقعة عام ١٢٥٦هـ، وما كاد خبر

---

[140] محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ص ٢٦٠.

[141] ابن بشر ج ٢ ص ٨٦، ٨٧. ومحمد علي وشبه الجزيرة، ص ٢٤٥، ٢٤٦.

انسحاب القوات المصرية ينتشر حتى شبَّ الصراع في منطقة نجد بين خالد بن سعود وبين عبد الله بن ثنيان وانقسمت البلاد إلى فريقين.

ففي سنة ١٢٥٦هـ ــ ١٨٤٠م امر محمد علي خورشيد باشا ان يقدم عليه، وقبل ان يغادر عين احمد بن مبارك رئيس حريملاء اميراً على الاحساء، وبذا اصبح خالد بن سعود حاكماً على نجد والاحساء ومعه ٢٠٠ ــ ٣٠٠ جندي فحسب، ثم جاءه عمر بن عفيصان من الكويت وصار في خدمته، وفي صفر من عام ١٢٥٧هـ قدم بعض رؤساء اهل الاحساء ــ النجديين الاصل ــ وكان بينهم موسى الحملي وعبد الرحمن بن مانع، قدموا إلى خالد بن سعود في الرياض، ومعهم امير الاحساء حمد بن مبارك، فأقاموا عنده واستعمل الحملي عليهم أميراً، في حين اصبح عبد الرحمن بن مانع مسؤولا عن بيت المال.

وفي نفس العام اختلف عبد الله بن ثنيان ــ الذي وصفه المؤرخون بانه كان سفاكاً للدماء ــ مع خالد بن سعود، وكان في خدمة خورشيد باشا، اختلفا واستعد الطرفان للحرب، ورفع الثنيان شعار تخليص نجد من القوات المصرية، وانقسمت البلدات النجدية بين مؤيد ومعارض، وجند كل طرف اتباعه، واستطاع الثنيان من تحقيق عدد من الانتصارات على خالد لضعف تدبيره، ودانت معظم نجد لعبد الله الثنيان، وانزوى خالد بن سعود في الاحساء، ثم حاول ان يقوم بعملية لاسترداد ملكه الا انه فشل، حيث امر من بقي من القوات بالخروج معه، ولكن لم يكن الا القليل، فهرب وترك خيامه وقصد الدمام، فنزل في بره وهرب عنه اكثر خدامه ورجاله، فاضطر خالد إلى الهرب إلى الكويت، ومنها انتقل إلى مكة المكرمة براً عبر القصيم، ولم تمض سوى مدة قليلة حتى توفي[١٤٢].

وفي بداية ١٢٥٨هـ. امر عبد الله بن ثينان عبد الله بن بتال المطيري ان يسير إلى الاحساء ويسيطر عليها، فلما فعل ذلك، ارسل إلى عمر بن عفيصان ان يسير اليها ويصبح أميرها.. فسار في منتصف محرم من نفس العام ومعه اكثر من مائة رجل، ودخل الاحساء ونزل قصر الكويت، واتاه رؤساء اهل الاحساء فبايعوه، ولكنه امرهم بالوفود على ابن ثنيان في الرياض وتأدية فروض الولاء، ففعلوا، وابقى عنده اربعة منهم رهن الاقامة الجبرية، ريثما يتأكد من خضوع المنطقة الكامل له[١٤٣].

ولكن القطيف لم تخضع، فبعد بضعة اشهر امر ابن ثنيان بلال بن سالم الحرق وهو عبد في رجال معه ان يسير إلى القطيف ويسيطر عليها، وفي نفس الوقت ارسل فهد بن عبد الله بن

---

142 ابن بشر ج ٢ ص ٩٥، ٩٦. والدولة السعودية الثانية، ص ٥٨.

143 الدولة السعودية الثانية، ص ٧٦.

عفيصان في رجال من أهل الخرج والوشم وسدير ان يقصدوا الاحساء، وان يتولى فهد الامارة فيه بالنيابة عن ابن عمه عمر، ريثما يقوم الاخير باحكام السيطرة على القطيف، بعد ان تصله قوات بلال الحرق، وكان هذا الاجراء ضروريا كي يحصل ابن ثنيان على منفذ له على البحر، وقد سار عمر بن عفيصان من الاحساء ومعه فلاح بن حثلين ورجال من قبيلة بني هاجر وآل مرة والعماير.. فلما وصلوا القطيف حاصروها حتى اضطرت إلى الاستسلام وتولى عمر بن عفيصان الامارة فيها، ثم تقدمت القوات إلى سيهات وحوصرت ورميت اسوارها ومنازلها بالمدفعية حتى استسلمت. وارسل ابن عفيصان حاكمها علي بن عبد الرحيم، اضافة إلى امير القطيف علي بن عبد الله بن غانم إلى (الرمحية) ليقابلا ابن ثنيان ويعلنا تأييدهما وخضوعهما.. وكما يقول ابن بشر: ((امر ابن غانم الرافضي رئيس اهل القطيف ان يركب إلى ابن ثنيان واستدعى ابن عبد الرحيم رئيس سيهات فأسره وهدم سور سيهات، فلما قدم ابن غانم على ابن ثنيان في الرمحية ناوبه بأشياء، وقال انك تمالي صاحب البحرين على طوارف المسلمين، وذكر له اشياء غير ذلك، ثم حبسه وأخذ منه أموالاً عديدة، وحبس ابن مانع ـ عبد الرحمن، مسؤول بيت المال من طرف خالد بن سعود ـ وعذبه وأخذ أمواله وحبس رجالا وأخذ منهم أموالاً وأخذ من العربن خيلاً وركاباً)).. ومن الواضح ان السبب الحقيقي هو اعتناق الاميرين المذهب الشيعي كما يلمح إلى ذلك احد الكتاب السعوديين، الذي قال ان ابن ثنيان حاكم علي بن غانم محاكمة صورية[144]؟

ولكن علي بن عبد الرحيم، رئيس سيهات استطاع الهرب من عند عبد الله بن ثنيان، إلى البحرين.. بعدها طلب حاكم الرياض من أحمد السديري ان يصبح اميرا على القطيف بعد ان اصبحت المنطقة الشيعية مفرغة من اهم زعاماتها فواحد في السجن وآخر في المنفى!.

وفي بداية سنة ١٢٥٩هـ وصل فيصل بن تركي إلى نجد قادماً من منفاه بالقاهرة، وقيل أنه هرب من مصر مع ابنه عبد الله، ولكن الوثائق المصرية تقول ان الحاكم المصري، رأى ان وسط الجزيرة العربية قد خرج على السيادة المصرية بقيادة ابن ثنيان، وبالتالي لم يعد لوجود فيصل في المنفى أي معنى بل ان بامكانه ان يقدم شيئاً مفيداً للحكم المصري في حال سيطرته على نجد.

اصطدم فيصل بعبد الله بن ثنيان كما هو متوقع، حيث اعتبر نفسه الحاكم الشرعي، ولكن ابن ثنيان لم يستسلم وتقدم فيصل مدعوماً بقوات آل رشيد وشمر من حائل واستولى على الكثير من

144 ابن بشر ج ٢، ص ٩٧. والدولة السعودية الثانية، ص ٧٦.

المدن والقرى، وحاصر الرياض إلى ان تمكن بعد نحو شهر من القبض على ابن ثنيان والاستيلاء على الحكم فدانت له نجد كلها.

واسرع فيصل للسيطرة على الاحساء باعتبارها ذات اهمية اقتصادية واستراتيجية، حيث ارسل عبد الله بن بتال المطيري اليها ليكون اميرا فور انتهائه من احتلال الرياض.

ولكن التمردات لم تنته من الاحساء والقطيف طوال عهد فيصل، وقد كان اول عمل عسكري قام به في فترة حكمه الثانية هو قمع حركات التمرد في المنطقة.. فبعد بضعة اشهر من احتلال الاحساء، قصد فيصل في أواخر عام ١٢٥٩هـ وبداية عام ١٢٦٠هـ جهة القطيف، فأغار على المناصير وعلى آل مرة، ثم أغار على الهواجر، ثم نازل آل خليفة الذين عادوا إلى حصن الدمام فحاصرهم اثني عشر يوما حتى استسلموا. وحيث فرغ الامير فيصل من عملياته في الدمام قفل راجعاً إلى الاحساء واقام فيه نحو اربعين يوماً، وفي تلك الاثناء عين فيصل أميراً جديداً على القطيف وهو عبد الله بن سعد المداوي، الذي وصفه ابن بشر بالشهامة والشجاعة، كما عين ناصر بن علي العريني قاضيا على القطيف لنشر المذهب الوهابي بين سكانه. أما أمير الاحساء احمد السديري فمن صفاته التي يتعرض لها المؤرخ الوهابي ابن بشر، ان له ((قوة على الانجاس)) وهو هنا يخفي مقصده، لكنه سرعان ما يأتي بقضية قتل امير القطيف عبد الله المداوي لزعيم الشيعة هناك علي بن عبد الله بن غانم، ليتبين أن (الانجاس المقصودين) هم الشيعة.. يقول: ((ثم ان عبد الله المداوي احضر علي بن عبد لاله بن غانم الرافضي رئيس القطيف في السابق، فقاربه بأشياء وضربه حتى مات. فغضب الامام فيصل وأرسل اليه غلامه بلال بن سالم الحرق فأشخصه اليه وجلس بلال مكانه، فلما قدم على الامام اعتذر من ضربه لأبن غانم، وذكر الباعث لذلك، فقبل منه ورده إلى القطيف أميراً))[145].

أما الاستاذ المسلم فيسرد قصةٌ مقتل زعيم القطيف، علي بن عبد الله بن غانم بشكل آخر.. فقد ورث علي الزعامة بعد مقتل ابيه عبد الله بالاتفاق مع الامير فيصل بن تركي، وكان علي على خلاف مع ابيه مما جعله يترك القطيف إلى مسقط، ثم عاد واصبح زعيم القطيف الأوحد.. وكان فيصل قد عين المداوي حاكما للقطيف، مع زعامة اسمية لابن غانم.. فلما قدم المداوي إلى القطيف اسكنه ابن غانم في احد قصوره ((ولكن المداوي اخذ يتصرف حسبما شاء له هواه، ويرتكب اعمالا من الظلم والعسف تجاه المواطنين فأثار تذمرهم، فاستغل سوء الوضع وكيل بيت المال علي بن صالح السنان، الذي كان موظفا من قبل علي بن غانم والذي كانت له مطامح في الرئاسة، فأخذ يحيك الدسائس بين رئيس وبين الممثل النجدي، فدعا مرة علي بن غانم في

[145] ابن بشر ج ٢، ص ١١٠.

منزله، وأخذ يشكو اليه تصرفات المداوي على مسمع من المداوي نفسه، فأجابه بأنه كتب في عزله، فحمق الامير على علي بن غانم، وأمر رجاله بأن يقتلوه خنقاً عندما يزوره كجاري عادته في الصباح الباكر.. فخنقوه ورموا بجثته في زقاق غير سالك وظل ملقى مدة ثلاثة ايام دون ان يعلم بمكانه احد، وتحقق لعلي بن صالح السنان حلمه، فورث زعامة البلاد، ولكن هذه الرئاسة لم تستمر طويلاً، إذ عمد احد اقارب القتيل فوشى به لدى المندوب النجدي ــ عبد الله المداوي ــ فهجم عليه في منزله وقتله، وورث الزعامة من بعده كاتبه مهدي بن نصر الله ــ والد الزعيم والشاعر احمد مهدي بن نصر الله ــ ويقال ان سبب القتل هو ان المندوب النجدي قدم ومعه حوالة مالية فماطله علي بن صالح، وفي اثناء زيارته لسلمان بن غانم، امر سلمان ساقي القهوة بأن يتخطاه، فلما أبدى استنكاره، اجابه سلمان بأنك ــ أي المداوي ــ لو كنت رجلا لما ماطلك ابن السنان، فطاش غضباً وتحمّس وذهب إلى ابن السنان وهجم عليه في مجلسه صباحاً وقتله، فلما سمع رجاله اطلاق الرصاص هجموا على القاتل ــ المداوي ــ وقضوا عليه في الحال))[146].

هذه القصة أخذها المسلم نقلا عن والده، ولا شك ان هناك خلفيات اخرى لمقتل زعيمي القطيف (ابن سنان والغانم) على يد ممثل الحكومة النجدية عبد الله المداوي.. وهي كون الزعيمين شيعيين، وان القطيف كانت حتى ذلك الحين تعارض الحكم السعودي رغم اعيائها.. وقد كان من متاعب السعوديين في مناطق الشرق ((انتشار المذهب الشيعي بين السكان ووجود تقليد استقلالي قوي))[147].

ورغم الحجج التي ساقها المداوي حين وفد إلى الرياض ليحقق فيصل بن تركي في اسباب قتله لابن غانم.. الا ان فيصل كان مقتنعاً بأن الجرم الحقيقي لعلي بن غانم هو في كونه شيعي المذهب ((ويبدو ان العوامل النفسية كان لها تدخل في القضية إذ ان المداوي اراد ان يتخلص من رجل ينافسه الزعامة في المنطقة، وبخاصة ان اهالي القطيف يؤيدون زعيمهم علي بن غانم لأنه شيعي المذهب.. وبخاصة ان المقتول كان شيعي المذهب))[148].

لا يعتبر العديد من المؤرخين ان هناك دولة سعودية ثانية، وان كل ما وجد لا يعدو عصر تشتت وانهيار قبل ان تبعث السلطة السعودية من جديد في مطلع القرن العشرين على يد الامير

---

146 محمد سعيد المسلم، مصدر السابق، ص ١٤٨ ــ ١٨٥.

147 الدولة السعودية الثانية. ص ٨٤.

148 المصدر السابق، ص ٩٩، الذي يقول ص ١٠٥ أن فيصل ارسل المداوي من القطيف إلى عنيزة المتمردة على حكم فيصل ولكن أهلها رفضوه واعتبروه أجنبياً.

الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمن، ليعيد للعائلة المالكة مجدها السابق، والذي انهار اثر الجيوش المصرية جزيرة العرب من غربها إلى شرقها، ومن شمالها إلى جنوبها.

لم يستتب الحكم للسلطة المركزية في الدولة السعودية الثانية، الا لفيصل بن تركي بعد عودته الثانية من منفاه في مصر.. حيث دام حكمه اكثر من عقدين، لكن سلطته كانت اقل من سلطة اسلافه في الدولة السعودية الاولى، حيث لم يخضع الحجاز لحكم السعوديين، لضعفهم العسكري أولاً، ولتفهمهم ان السيطرة على الحجاز ستفتح لهم من المشاكل الكثير، وقد يؤدي إلى انهيار الحكم السعودي نفسه.

وإذا كان الحكام السعوديون الأوائل قد عملوا على محاربة الدولة العثمانية والتوسع في مناطق نفوذها، واسقاط هيبتها، والتركيز على احقيتهم في قيادة العالم الاسلامي بدلاً منها، فان الحكام السعوديين في الدولة السعودية الثانية وبالخصوص تركي بن عبد الله وابنه فيصل، كانا اكثر استيعابا لحجم قوتهم ولحجم القوى الكبرى في الخارج ((الانجليز والعثمانيين))، وقد عمل فيصل بالخصوص على عدم استثارة الانجليز والعثمانيين، كما اعلن اكثر من مرة خضوعه للسلطان العثماني، ودفع في اكثر من مرة ضريبة هذا الخضوع عبر حكام الحجاز. ولكن فيصل لم يتنازل عن ادعاءاته التاريخية بأن عمان والمشيخات المتصالحة فيما بعد اضافة إلى البحرين يجب ان تخضع لسلطانه كما خضعت لسلطان ابيه واجداده في الماضي.. ولكن التسليم بهذا من قبل الانجليز كان مستحيلا، كما كان صعبا على فيصل ان يواجههم بالقوة، وقد ادت تدخلاته إلى هجمات بريطانية على موانئ الاحساء والقطيف اكثر من مرة، وتعرضت لقصف المدفعية البحرية البريطانية.. ولكن الانجليز ــ مع ذلك ــ سمحوا له في بعض الاحيان باستلام الجزية من حكام البحرين ومسقط، شرط ان لا يعني ذلك أي معنى سيادي، وانما تحمل معنى دينياً بحتاً.

اضافة إلى ان السعوديين في الدولة السعودية الثانية قد حكموا رقعة من الارض كانت اقل مما حكمه اسلافهم.. ويشير عدد من الباحثين إلى ان اهم الاختلافات بين الدولتين السعوديتين الاولى والثانية: هو ضمور التوجه المذهبي بالصورة الفاقعة التي كانت معهودة في الدولة الاولى.. ولعل السبب في ذلك هو ما اشاعه مناخ هزيمة السعوديين قبال القوات المصرية، حيث تبين ان النجديين انفسهم لم يكونوا يخضعون لسلطان السعوديين السياسي والديني الا بالإكراه، فلما تحرروا من سلطان القوة، تمردوا على السلطان السياسي والديني معاً، خاصة في القصيم، واضطر تركي بن عبد الله وابنه فيصل إلى القتال مجدداً ومقارعة الرؤساء المحليين في كل المدن والقرى النجدية. ومن الواضح ان اللحن الديني في الدولة السعودية الثانية كان ضعيفاً،

وان كان لا يزال ركناً اساسيا من اركان اخضاع القاعدة للسلطة السياسية.. ويقول الباحثون: ان حدّة التعصب المذهبي قد خفّت في عهد تركي وابنه فيصل، حيث لم يكتسب القتال الصفة الدينية والمذهبية البحتة، كما اختفت إلى حين شعارات تكفير المسلمين الاخرين، كتمهيد لإحتلال اراضيهم، لان الغزو لم يقم للبلدان المجاورة، فضلا عن ان تركي بن عبد الله اعتبر العائلة السعودية المالكة احق من غيرها بالحكم، ليس لأنها تتبنى مذهبا جديداً تحاول فرضه على الناس، وانما باعتبارها صاحبة تراث سياسي توحيدي، اقره الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين جعل الحكم في العائلة السعودية وأرسى دعائم وراثة العرش في حياته لإثنين من الحكام هما عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود.

بالطبع لم يكن تغير الوضع كثيرا بالنسبة للشيعة في الاحساء والقطيف، فتعصب الوهابيين قد يخف، ولكن ليس إلى حد التعايش مع الشيعة، واحترام خصوصيتهم المذهبية، وعدم تغيير قناعاتهم بالعنف والقوة، واجبارهم على الخضوع للمذهب المنتصر.. مع هذا يقول المستشرق السوفياتي، إليكسي فاسيلييف انه خلافاً للأمراء السابقين طبق تركي وفيصل في الاحساء سياسة متسامحة الامر الذي ساعدهما على تركيز سلطتهما هناك.. ولاحظ ان الوهابية فقدت بريقها، وان من الصعب اعتبار انصار السعوديين من الملتزمين بالمبدأ الوهابي المتعصب.. واشار إلى ان الوهابية لم تعد تتميز بالتعصب الذي كانت عليه في الدولة السعودية الأولى، مع انه ذكر في معرض تقييمه للنظام السياسي والاجتماعي في الدولة السعودية الثانية ان ((امراء الهفوف يعينون دوما من النجديين، ولم يكن سكان المنطقة الشرقية متعاطفين كثيرا مع الرياض والوهابيين. الا ان اهمية هذه المنطقة كبيرة لدرجة جعلت امير الرياض يرى ضرورة الاحتفاظ بحاميات دائمية هناك))[١٤٩].

ويقول مؤرخ غربي آخر ان الحكومة الوهابية في الدولة السعودية الثانية كانت اكثر تسامحاً من الأولى.. ويستشهد على ذلك بأن الشيعي محمود الفارسي عين قاضيا للحسا.. والحقيقة ان الفارسي ايراني سني اعتنق المذهب الوهابي، كما اشار إلى ذلك ابن بشر وكان قاضيا للقطيف وليس للاحساء، في عهد فيصل بن تركي، اما قاضي الاحساء فقد كان عبد الله الوهيبي ثم الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ مبارك، وفي اواخر ايام فيصل كان القاضي الشيخ احمد بن مشرف.. اضافة إلى هذا يقول بان المواطنين الشيعة لم يتعرضوا لاضطهاد كبير في ممارستهم لشعائرهم الدينية.. ومع هذا فان تركي بن عبد الله وابنه فيصل حاولا قدر ما استطاعا نشر المذهب

149 فاسيلييف ــ المصدر السابق، ص ١٤٧، ١٤٨، ص ١٧٩.

الوهابي وعينا العلماء والمدرسين لإعادة تعليم الشيعة على النمط الوهابي، كما عينا أئمة وقضاة في مختلف المدن والقرى الشيعية في الاحساء والقطيف[١٥٠].

ومع ان فيصل بن تركي قد حاول ارضاء الزعماء المحليين بعكس اسلافه الذين عانوا نتيجة التمردات المحلية، بسبب القضاء على البيوتات الحاكمة في المناطق الخاضعة لسلطانهم.. فانه لم يمارس الامر ذاته بالنسبة للاحساء والقطيف، بل على العكس، تعرضت القيادات السياسية الشيعية إلى تصفيات وملاحقات، كما رأينا ذلك بالنسبة لأكبر زعيمين في واحة القطيف علي بن غانم وعلي بن عبد الرحيم، أو كما حدث في عهد ابنائه ابان الحرب الاهلية، حين اضطر الزعيم احمد مهدي بن نصر الله إلى الفرار من المنطقة بعد ان صودرت املاكه وكان قاب قوسين أو أدنى من المقصلة. وقد سبب هذا بالخصوص تمردات كثيرة في منطقة القطيف واستياءً بالغاً بين السكان.

ولم يثبت ان سياسة فيصل في ترضية الزعامات المحلية في نجد كانت ناجحة، إذ انه انشغل لفترة طويلة في اخضاع التمرد تلو الاخر.. كما ان زعماء القبائل ــ خاصة في الاحساء ــ من العجمان وآل مرة قد تحدوا اكثر من مرة الزعامة السعودية، وعاشت مناطق الشرق فترة عاصفة من الاضطرابات التي لم تنته حتى موته رغم الحملات المتكررة التي قادها هو بنفسه أو قادها ابنه عبد الله، وبطش بكل القسوة المعروفة عن السعوديين بالزعامات القبلية والحضرية على حد سواء، وصح ما قاله احد الباحثين الغربيين بأن فيصل تعزز سلطانه وتغلب على كل معارضة متبقية من قبائل نجد والاحساء عن طريق ما اسماه احد المعاصرين بقسوته التي لا تعرف الرحمة[١٥١].

على الصعيد الاقتصادي، يقدر بلغريف عدد السكان الشيعة بالنسبة للحضر في الدولة السعودية الثانية فيقول بأن عددهم يصل إلى ربع مليون نسمة، في حين يبلغ تعداد سكان الاقاليم الاخرى في حدود مليون وربع المليون نسمة.. ولكن ما يدفعه الشيعة من ضرائب مختلفة وزكوات يساوي جميع ما يدفعه السكان الآخرين في كل الاقاليم بما فيها كامل نجد وعمان وامارات الساحل المتصالح والبحرين.. حيث تتسلم الحكومة من الشيعة من الواحتين مائتي ألف ريال سنويا هي عبارة عن زكوات وضرائب (من بينها الجهادية/ الرقبية) وجمارك وغير ذلك.. في حين يدفع جبل شمر ١٦ الف ريال، والقصيم ٢١، والوشم ٦، والسليل ٣، والدواسر ٤، والافلاج ٢، والحريق ١٠، واليمامة ٦، والعارض ٥، ومسقط ٦، والبحرين ٤، وشيوخ الساحل

150 الشيعة والاضطراب الاجتماعي، ص ٢٢٢، ٢٢٤.

151 كيلي ــ الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، ص ١٢٦.

من رأس الخيمة إلى ابو ظبي ٢١، ومن صحار والقسم الداخلي من عمان ٨، ومن جميع القبائل بما فيها قبائل الاحساء والقطيف ــ وهي قبائل غير شيعية ــ ١١٤ الف ريال، بحيث يصل المجموع ٢٠٠ ألف ريال، أي ان واحتي الاحساء والقطيف في كفة، وباقي المناطق الخاضعة للحكم السعودي في كفة اخرى[152].

ولا يفسر مقدار ما يجبى من اموال من مناطق الشيعة، القول بأنها غنية، بل ان الضرائب المفروضة على السكان كانت ولا شك عاملا مهماً في ذلك.. وينبغي الالتفات إلى ان امراء الدولة السعودية الثانية كانوا يحاولون التخفيف عن رعاياهم في نجد لاسترضائهم، في مقابل تعويض النقص المادي من مناطق الشرق.. وما يجري على الشيعة لا يجري على غيرهم. وكان الحكام السعوديون يعتبرون المنطقة خزاناً ماليا لحل مشكلاتهم كلما احتاجوا إلى ذلك. حدث عام ١٢٦٠هـ ان وقعت معركة بين العجمان وحليفتها سبيع وبين قبائل مطير، وقد تكبدت مطير خسائر فادحة من الإبل والاسلحة والقتلى، وتشير المصادر التاريخية إلى ان قبيلة مطير هي المعتدية ((إلا أن الامير فيصل بن تركي عوض عن خسائر مطير بكرم وسخاء من بيت مال القطيف، لن محمد الدويش ــ زعيم مطير ــ كان من المخلصين له))[153]. ومع هذا حوكم العديد من الشيعة وقتلوا بحجة أنهم يتهربون من دفع الضرائب، أو انهم اعتدوا على بيت مال المسلمين!.

٣

الاحساء والقطيف

في الحرب الأهلية السعودية

قبل أن يودّع فيصل بن تركي الحياة في ١٨٦٥، ١٢٨٢هـ، كان قد وثّق علاقاته مع الانجليز في الخليج بصورة اكبر مما كانت عليه في عهد أسلافه، إذ سمح للمقيم السياسي البريطاني في الخليج لويس بيلي بزيارته في الرياض، وتوقيع معاهدة معه، اشار اليها الملك عبد العزيز فيما بعد اكثر من مرة. وقد ابتدأت زيارة الكولونيل بيلي للرياض في ٥ / ٣ / ١٨٦٥، وكان من بين أهدافها التالي:

أولا: الحصول على مركز استراتيجي بحري في القطيف أو العقير.

---

[152] الدولة السعودية الثانية، ص ٢٥٤ ــ ٢٦٢.

[153] المصدر السابق، ص ٩٩.

ثالثا: تأمين المصالح البريطانية في محميات الخليج من قبل حلفاء الحكم السعودي، وفي هذا السياق يقول بيلي في تقريره عن الرحلة: ((لقد شعرت جازما، انه إذا تمكنت من اقامة علاقات مع حاكم كفيصل، فاننا نتوقع فائدة من نفوذه على رؤساء الساحل. ولن نخشى من ان يتحول هذا النفوذ في اتجاه لا يتوافق مع الاتجاه المتمدن))[١٥٤].

ثالثا: دراسة تضاريس الجزيرة العربية ومناخها واقتصادها وسكانها، ولذا فهو قد قدّم وصفا للاحساء موضحا اهميتها الزراعية والاستراتيجية باعتبارها بلدا ساحليا تطل موانئه على الخليج، وكان بيلي قد مرَّ بالاحساء في طريق عودته إلى قطر في الثامن عشر من مارس ١٨٦٥.

رابعا: التعرُّف على مراكز القوى في الحكم السعودي، خاصة وأن فيصلاً، الحاكم السعودي، يعيش آخر حياته، وقد اصيب بالعمى والشلل، ورأى بيلي كيف أن ((عبد)) الحاكم السعودي المدعو محبوب بن جوهر يتمتع بنفوذ قوي، لدرجة أنه تبرَّع من تلقاء نفسه بعرض مشروع معاهدة تلزم السعوديين بمنع اعمال السلب والنهب، الضارّة فقط بالمصالح البريطانية[١٥٥].

كما لم يضيع بيلي الفرصة، فالتقى بأبناء فيصل وبالخصوص ((عبد الله وسعود))، وخرج بانطباع سيء عن عبد الله الذي خلف والده فيما بعد، وعرف أن سعودا هو اكثر ميلا للانجليز، لذا لا غرابة ان نجد بيلي فيما بعد، من اكبر المناصرين لسعود اثناء اشتعال الحرب الاهلية بينه وبين اخيه عبد الله، وقد كتب لحكومته بضرورة مناصرة سعود لتحقيق اطماعها في الاحساء.

وملخص القول ان زيارة بيلي حققت كامل اهدافها، عدا ما يتعلق باعطاء تسهيلات للانجليز في موانئ القطيف والاحساء، وذلك خشية من الحاكم السعودي ان يثير ذلك العمل نقمة الحكومة العثمانية التي كان السعوديون يومئذ يخضعون لسيادتها الاسمية.

فمن جهة استحصل بيلي من خلال المعاهدة الموقعة على ((تعهد من الامام فيصل بن تركي بمعاقبة كل من يقوم أو يمارس اعمال السلب والقرصنة في كل من مينائي الدمام والعقير السعوديين.. حرصا على سير الامور في اطارها الصحيح، فان الامام السعودي طلب من بيلي ان يتصل به مباشرة في حال وقوع حوادث تؤدي إلى تعكير صفو السلام في المنطقة))[١٥٦].

---

[154] دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، الدكتور عبد الفتاح حسن ابو علية، الرياض ١٩٨٦، ص ١٢١.
انظر أيضاً، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات العربية (١٨٤٠ ــ ١٩١٤)، الجزء الاول، للاستاذ جمال زكريا قاسم، مطبعة عين شمس، ص ٧٩.

[155] المصدر السابق، ص ١٢٦.

[156] من تقرير بيلي، انظر المصدر السابق، ص ١٢٥.

وطلب فيصل من تركي من الكولونيل البريطاني ان تتولى المقيمية البريطانية في بوشهر رعاية مصالحه البحرية، بمنع الاعتداء البحري عليه، وصيانة الأمن في الخليج[157].

وافصح فيصل عن رغبته في تنظيم المراسلات مع المقيمية في بوشهر[158]، كما وحقق يلي نجاحا في تحديد سلطة السعوديين في المناطق الواقعة تحت السيطرة والنفوذ البريطانيين، واهم ما في ذلك، انه أوضح لفيصل بن تركي ان دفع الزكاة من قبل حاكم عمان أو المشيخات الاخرى، لا يعني أي سلطة له، وانما هي أتاوة مادية لا تتعدى هذه الحدود، وهو امر اوضحه يلي فيما بعد للحاكم السعودي الجديد عبد الله الفيصل عن طريق مبعوثه إلى بوشهر في فبراير ١٨٦٦.

ومن الناحية الاستخباراتية، حصل يلي على كمٍّ هائل من المعلومات عن القبائل والاقتصاد والسكان، وعاداتهم، وعن الجغرافيا، فكانت اشبه ما يكون بمسح ((تجسُّسي)) لكل داخل الجزيرة العربية الواقع تحت نفوذ الوهابيين.. وقبل ان يغادر يلي الرياض، واثناء الوداع قال له فيصل انه ((اصدر تعليماته الشديدة إلى عماله في منطقة الساحل))، بما اُتفق عليه.. وقد عرج يلي في طريقه على الاحساء ومعه فريقه الاستخباري لمعرفة اوضاعها.

قبل ان يموت فيصل بن تركي، جرى امتحان لهذا الاتفاق، ففي اغسطس ١٨٦٥، ارسل الحاكم السعودي وكيله إلى مسقط طالبا زيادة الزكاة إلى ثلاثة اضعافها، وقد رفض ثويني حاكم عمان الطلب.. ممّا ادى إلى قيام الوهابيين باحتلال ميناء صور العماني ونهبه وقتل الكثيرين وسلبهم. وقد صادف ان كان في الميناء بعض الهنود من ذوي التبعية البريطانية، فكانوا بين من قُتل وأُسر.

في تلك الاثناء، كان يلي قد سافر إلى بومباي لعرض تقرير عن رحلته إلى الرياض على رؤسائه، فاقترح أن يَسمح لثويني بمحاصرة الاحساء، أو ان تقوم حكومة الهند بالاحتجاج على فيصل بشكل مباشر، أو عن طريق الحكومة العثمانية، وذلك لان فيصلا يحقد على حاكم مسقط!.

عاد يلي في شهر اكتوبر ١٨٦٥ إلى مقرّه في بوشهر، وارسل احتجاجا إلى فيصل على مهاجمة اتباعه في ((صور))، فردّ الاخير بانه اصدر تعليماته إلى وكيله في البريمي، تركي السديري، باطلاق سراح ذوي التبعية البريطانية، واعادة الاملاك المنهوبة منهم.

---

157 قيام العرش السعودي، دراسة تاريخية للعلاقات السعودية البريطانية، ناصر الفرج، لندن ١٩٨٨، ص ٢٢.

وانظر، سياسة بريطانية في الخليج العربي، ١٨٥٢ ــ ١٩١٤، جزء ٢، د. فؤاد سعيد العابد، منشورات ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٤هـ الصفحات ٤٥، ٤٦، ٤٧.

158 ناصر الفرج، مصدر سابق، ص ٢٢. وأيضاً الخليج العربي، الجزء الاول، ص ٨٠.

لقد أيّد الحاكم العام للهند بيلي، وأيّد اقتراحه القاضي بمساعدة ثويني في حملة عسكرية على موانئ الاحساء والقطيف، وابلغ الحاكم بيلي بأن التعليمات صدرت لرئيس البحرية في بومباي، بأن يرسل كل ما يمكنه من سفن للخليج بأسرع وقت، على ان تكون صلاحية استخدامها بالشكل الذي يراه بيلي مناسباً، شرط ان لا يتمّ التدخّل في العمليات البرية، التي هي مكلفة سياسيا وبشرياً.

وبدأت الاستعدادات لمهاجمة القطيف والعقير بشكل حماسي زار بيلي مسقط في اوائل ديسمبر ١٨٦٥، وهناك ابلغ الاخير ثويني، بأن حاكم البحرين عرض عليه التعاون، فرتب بيلي الامر على اساس ان يقوم ((تركي))، اخ ثويني، بالتحرك على رأس الاسطول للقطيف، على ان يجهّز ثويني حملة برية لمهاجمة الوهابيين في البريمي، ورافق بيلي الاسطول المتجه إلى البحرين.. ولكن حين وصل الاسطول إلى هناك، تراجع محمد بن خليفة، حاكم البحرين، فقرر تركي وبيل العودة إلى مسقط[١٥٩].

في هذه الاثناء ((أواخر ديسمبر))، وصلت سفينة بريطانية لميناء صحار تحمل الكثير من البنادق، هذا وما زال المقيم بيلي مصرا على مهاجمة القطيف، وزار السفينة في السادس من يناير ١٨٦٦، وطلب من قائدها باسلي ((PASLEY)) بأن يحمل رسالة إلى فيصل يهدّده فيها بقصف القطيف ومرفأ الدمام الصغير، إذا لم يدفع اربعين الف ريال تعويضا عن المنهوبات، وطالبه بأن يتعهد بعدم القيام بمهاجمة الاراضي العمانية ((كانت سهام قد هوجمت للتوّ على يد الوهابيين))، وان يقدم اعتذاراً مكتوباً.. وحدّد بيلي مهلة تنتهي في الثاني من فبراير ١٨٦٦[١٦٠].

وصل نبأ وفاة فيصل بن تركي إلى بيلي في الثامن من يناير ١٨٦٦، ومع هذا اصدر على الهجوم، وفي الثالث عشر منه، وصل باسلي إلى البحرين، وارسل الرسالة إلى الامير، مع قارب محلي إلى القطيف وعاد إلى ابو ظبي.. وفي الثامن والعشرين من يناير واصل باسلي مهمته، فأبحر إلى القطيف ثانية، وقد وصلها بعد يومين، فلم يجد جوابا على رسالة بيلي، وقد أخبره حاكم القطيف بأن عليه الانتظار ١٢ يوما حتى يحصل على جواب، ولكنه رفض الانتظار[١٦١].

وفي الموعد المحدّد، وبعد ان تأخر الجواب، توجهت السفينة الحربية هاي فلاير ((HIGH FLIER)) نحو القطيف بقيادة الكابتن باسلي، واطلقت نيرانها على قلعة صغيرة ودمرتها، ثم تحركت مجموعة من القوارب بقيادة الملازم ((فيلوز)) باتجاه الساحل، ودخلت ميناء القطيف في

159 العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٤٦، ٤٧.

160 الحدود الشرقية للجزيرة العربية، جي. بي. كيلي، تعريب خيري حماد، ص ١٢٩.

وانظر العابد، جزء ٢، ص ٤٨.

161 العابد، جزء ٢، ص ٤٨.

الثاني من فبراير ١٨٦٦، ودمرت الحصن الصغير المعروف باسم ((برج ابو الليف))، كما دمَّرت سفينة محلية كانت راسية في الميناء ــ كما يقول لوريمر ــ اضافة إلى عدد من القوارب الصغيرة وسفن صيد اللؤلؤ. ثمَّ تحركت السفينة في اليوم التالي ٣ / ٢ / ١٨٦٦ باتجاه الجنوب الشرقي نحو مرفأ الدمام الصغير، وحاول البرطانيون انزال قواتهم هناك، فووجوا بمعارضة طفيف.. ولمَّا لم يكن امر الانزال جادًا، فقد اكتفت ((هاي فلاير)) بقصف المرفأ الذي تمَّ بقيادة الملازم يونج[162].

لم يكن بامكان السعوديين الرد بسرعة على تهديدات يلي وانذاراته، لان فيصل بن تركي كان قد توفي للتوّ في أواخر ديسمبر ١٨٦٥، وكان الحاكم الجديد، ابنه عبد الله، مشغولا بتسلم كرسي الحكم.. ولم يكن يلي من جهته، يريد ان يمرَّ الحادث دون رد فعل وحفظ ماء الوجه، فضلا عن أن المواصلات لم تكن مهيأة، والا فان عبد الله الفيصل كتب ردًا بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٨٦٦، وسلَّمه إلى مبعوثة ليذهب به إلى بوشهر ويقابل المقيم البريطاني هناك.. وكان مستحيلا ان يصل المبعوث خلال خمسة ايام، بل انه احتاج إلى اكثر من شهرين ونصف!!.

شعر الحاكم السعودي الجديد انه لا يستطيع مواجهة القوة البريطانية، فأرسل إلى والي بغداد، نامق باشا، وفدا يعرض بالنيابة عنه خضوعه للباب العالي، ويدعوه للتنسيق ضد العدوان المتكرر على ساحل الاحساء، والعمل على حماية الشاطئ من أية عمليات عسكرية أخرى.. وبالفعل توقفت الهجمات البريطانية بعد هذه الاتصالات.

قام نامق باشا بتقديم احتجاج إلى القنصلية البريطانية في بغداد على افعال يلي، وذلك في مارس ١٨٦٦، ولكن الانجليز رفضوا الاحتجاج وأبلغوا العثمانيين بأن نجداً ليست مقاطعة تركية، ورفضوا التسليم بأن امراء نجد يعترفون بسيادة العثمانيين عليها. وقد اصرَّت حكومة الهند بأن حكم السعوديين متوارث، ولا توجد سلطة عثمانية حقيقية عليها، رغم الايمان بأن السعوديين يدفعون مبلغا سنويا لحكومة الخلافة[163].

هذا الجواب البريطاني صحيح، وقد سبق لهم ان اسمعوه للأتراك عندما احتجوا على ضرب الاسطول البريطاني لمرفأ الدمام عام ١٨٥٩، في عهد فيصل بن تركي.. وهذا ما دعا نامق إلى

---

162 انظر، فصول من تاريخ العربية السعودية، الكسي فاسيلييف، لندن ١٩٨٨، ص ١٨٧.
وأيضاً، ناصر الفرج، مصدر سابق، ص ١٤.
وكيلي، مصدر سابق، ص ١٢٩.
و د. محمد عرابي نخلة، تاريخ الاحساء السياسي، الكويت ١٩٨٠، ص ١٢٥.
والدولة السعودية الثانية (١٢٥٦ هـ ــ ١٢٠٩)، للدكتور عبد الفتاح ابو علية، ص ٢٠٢.
163 جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ١٧٢.

طرح موضوع السيادة المباشرة للدولة العلية على الاحساء لحمايتها، وقد رفض الوفد السعودي الذي ارسله الامير عبد الله الفيصل ذلك، وانتهى الامر إلى فرقة بين الطرفين.. إذ تمسك كل من نامق باشا وعبد الله بحقه في ادارة امور الاحساء.. وكانت هذه النتيجة احد الدوافع التي جعلت الحاكم السعودي يسارع لاسترضاء البريطانيين بارسال ((المانع)) إلى بوشهر لمقابلة بيلي، وتقديم تعهد سعودي بعدم التعرض لامارات الساحل الخاضعة للنفوذ والسيطرة البريطانية[١٦٤].

كان من اول الاعمال التي قام بها الحاكم السعودي الجديد ((عبد الله الفيصل))، هو ارسال مندوب عنه يدعى محمد بن ابراهيم بن مانع، الى بوشهر، والتي وصل اليها وقابل بيلي في الحادي والعشرين من ابريل ١٨٦٦، وسلمه رسالة الامير السعودي.. وهناك تعهد المندوب السعودي نيابة عن الحاكم في الرياض بالتالي:

((أقرُّ أنا محمد بن عبد الله بن مانع، بالنقاط التالية وأؤكدها:

١ــ خولني الامام عبد الله بن فيصل، أن أطلب إلى الصاحب المقيم في الخليج ليكون وسيط الصداقة بين الأمير عبد الله بن فيصل والحكومة البريطانية.

٢ــ اؤكد للمقيم في الخليج نيابة عن الإمام عبد الله بن فيصل، أن الامام لن يلحق الأذى أو الضرر بالرعايا البريطانيين المقيمين في الأراضي الواقعة تحت سيطرة عبد الله بن فيصل.

٣ــ أؤكد للمقيم في الخليج نيابة عن الإمام عبد الله بن فيصل، أن الإمام لن يهاجم أو يلحق الأذى بأراضي القبائل المتحالفة مع الحكومة البريطانية، ولا سيما تلك المقيمة في مملكة مسقط، وذلك باستثناء تلقي الزكاة المألوفة منذ أمد بعيد.

كتبت هذا بيدي في بوشهر، يوم السبت الخامس من ذي الحجة سنة ١٢٨٠هــ.

محمد بن عبد الله بن مانع)).[١٦٥].

أبرق بيلي لحكومته مطلعا اياها على التعهد السعودي فوافقت عليه، وخولته تسوية الامور بين مسقط والرياض ــ كما طلب الحاكم السعودي ــ شرط أن لا توقع اتفاقية الا بعد عرضها على الحكومة البريطانية.. وقد اطلع بيلي المبعوث الوهابي على ردّ حكومته في الاول من مايو ١٨٦٦[١٦٦].

---

164 تاريخ العراق الحديث، عبد العزيز سليمان نوار، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤٠٢.

165 جي. بي. كيلي، مصدر سابق، ص ١٧٢.

وانظر أيضاً، د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٢٦.

والدولة السعودية الثانية، مصدر سابق، ص ١٢٦.

وناصر الفرج، مصدر سابق، ص ٢٤، ٢٥.

166 العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٥٠.

الحرب الأهلية السعودية

كانت الحرب الأهلية بين سعود الفيصل وأخيه عبد الله، مقدّمة للاستيلاء التركي على الاحساء، ولزيادة التدخل البريطاني لبسط النفوذ على ما تبقى من الشريط الساحلي الممتد من الكويت وحتى عمان، ونعني به شريط الاحساء الساحلي.

كان يمكن ان نعد الحرب بين الأخوين حربا عائلية صرفة، لو لا أن القوى الثعيدة من قبائل ومدن ومناطق شاركت فيها بكل ثقلها في بداية الامر فأخرجها ذلك عن كونها حربا عائلية، لان السكان سواءاً كانوا في الاحساء أو في نجد، كانوا ((حطب)) الصراع الذي احرقته منافسات الاخوين لتسنم العرش.

وما يخصنا في هذا الموضوع بالتحديد، ان الاحساء كانت احدى أهم بور الحرب والصراع، ولاقت من الأذى اكثر من أي منطقة اخرى، وكان التقاتل للحصول عليها والاستئثار بخيرانها قد تعدى حدود طرفي النزاع، ونقصد بهما ابني فيصل بن تركي.. إلى اطراف دولية كالعثمانيين والانجليز.. من هنا كانت اهمية التعرض لموضوع الحرب ومؤثراته الاقتصادية والسياسية، ونتائجه التي رسمتها سنين الحرب العجاف.

فبعد سنة واحدة فقط من حكم عبد الله الفيصل، ثار عليه أخوه سعود، طالبا الزعامة، فخرج من الرياض إلى امراء آل عائض في نواحي عسير طالبا النصرة.. فكتب عبد الله كتابين أحدهما لابن عائض يحذره من مساعدته، والآخر إلى اخيه سعود يمنيه ويغريه بالعودة إلى الرياض ((ليعطيه ما يرغب فيه من المخصصات))[١٦٧]. ولكن سعودا ابى وجمع قوة من بدو نجران وأبها، ووفد عليه رؤساء قبيلة العجمان الكارهون لعبد الله بسبب المجازر التي ألحقها بهم في وقعتي ((ملح)) و((الطبعة))، ووفد عليه آل مرة برئاسة فيصل المرضف، ودعمه أمير السليل من الدواسر، وأعانه أيضاً بدو من آل شامر، وعطف عليه أمير نجران بولديه، وسار الامير سعود متجها بالجموع إلى نجد فواجهته قوات عبد الله بقيادة أخيه محمد، والتقى الجمعان في مكان يدعى ((المعتلى))، وهناك ألحقت بسعود هزيمة ساحقة، واصيب بعدة جروح، وقتل من جنده الكثيرون منهم ابنا امير نجران.. ففر سعود مع بقية جنده من العجمان وآل مرة إلى جهة الاحساء، وهناك بقي مع آل مرة إلى ان برئت جراحه بعد ان امضى وقتا في البادية، ثم توجه إلى البريمي في ضيافة تركي بن أحمد السديري الذي مال اليه ضد عبد الله[١٦٨].

---

[167] تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد، محمد بن عبد الله آل عبد القادر، ط ٢، ١٩٨٢، ص ١٦٧.

[168] المصدر السابق، ص ١٦٧.

وانظر أيضاً الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٠، ١٦١.

وأيضاً خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ط ٢ بيروت، ص ٤٧.

هنا بدأت عملية الحرب الاهلية تأخذ طابعها الواضح والصريح:

أولا: فقد انشق البيت السعودي على نفسه، حيث تحالف عبد الرحمن الفيصل مع اخيه سعود، بينما تحالف محمد الفيصل مع اخيه عبد الله.. وانقسمت الاسرة بين مؤيد لهذا الطرف أو ذاك.

ثانيا: ثم انقسم الولاة في المناطق، سواء من الاسرة السعودية أو من خارجها، فالاحساء وتوابعها كالبريمي، والتي يحكمهما السديريون، انضمت إلى سعود الفيصل، وكذلك انضم بعض رؤساء الجنوب.. بينما بقيت نجد في اغلبها ـ عدا القصيم ـ مع عبد الله، خاصة حائل.

ثالثا: وانقسمت القبائل في الولاء أيضاً، فالعجمان دعموا سعوداً، في موطنهم الاحساء، وكان من دواعي دعمهم له، ان ام سعود الفيصل عجمانية، وكذلك احدى زوجاته، وان عبد الله قاتلهم وعاملهم بقسوة في عهد ابيه فيصل بن تركي.. كما انضم الدواسر وآل مرة إلى سعود، في حين انضمت قحطان إلى عبد الله[169].

رابعا: وسارع سعود لعقد حلف مع الانجليز وامراء البحرين وعمان من ورائهم، كما سارع الانجليز لنصرته من اجل ((الاحساء))، فلم يكن أمام عبد الله الا الاتجاه للدولة العثمانية وواليها في بغداد.

خامسا: وانشق رجال الدين الوهابيون فيما بعد، بعضهم أيد طلب عبد الله العون من دولة الخلافة، وبعضهم وصفه بالالحاد!.

سادسا: والأطرف من ذلك كلّه، ان المؤرخين السعوديين انقسموا فيما بينهم، بين مؤيد لعبد الله الفيصل، الحاكم الشرعي بزعمهم، ضد ((الخارج)) سعود ((حليف الانجليز)).. وبين معارض لعبد الله الذي اعتبره الملك عبد العزيز أنه احمق لأنه تحالف مع الاتراك.

وفوق هذا كان هناك تباين في شخصية الأخوين.. يقول بلجريف، ان عبد الله الفيصل كان صارما قاسيا، الامر الذي يروق لسكان المدن المحافظين.. أما سعود، فكان صريحا سخيا يحب الفخفخة، الامر الذي يروق للبدو[170]. ويقول آخر ان عبد الله كان متعصبا في امور الدين، بعكس سعود، الذي كان يميل إلى التسامح والاعتدال، وان عبد الله اسند الادارة في المقاطعات إلى ولاة قساة[171].

وصراع الاجنحة في العائلة السعودية المالكة، فهد القحطاني، ط ١ لندن ١٩٨٨، ص ١٦.

169 فاسيلييف، مصدر سابق، ص ١٨٥.

170 المصدر السابق، ص ١٨٥.

171 الدولة السعودية الثانية، ص ١٥٧، ١٥٨.

ووصف مؤرخ سعودي الأخوين قائلا بأن ((عبد الله يوصف بالكرم والتقى، مع تشدد في امور الدين))، واما سعود فهو ((أميل إلى التسامح في امور الدين من عبد الله))، ولم يفته القول بأنهما كانا ((متنافسين من أيام أبيهما، معروفا ذلك عنهما))[١٧٢].

ومهما يكن من امر فقد اوضحت معركة ((المعتلى)) خارطة التحالفات في شبه الجزيرة العربية، وبينت فيما بعد خارطة مواقف القوى الدولية.. اما سعود الفيصل، فانه ومن البريمي، وبتشجيع من امراء عمان والبحرين والانجليز ((بدأ يخطط من اجل فصل المنطقة الشرقية ــ الاحساء ــ عن اخيه، لكي تفقد الرياض جزء حيويا ومنفذا هاما على الخليج، معتمدا هناك على مساعدة المقيم البريطاني في الخليج)).. كما رأى سعود ((أن يضرب مراكز المقاومة في قطر والمؤيدة لعبد الله، وكذلك الاحساء، القلعة السعودية في منطقة الشرق، والقطيف التي يرى فيهما مؤيدين له))[١٧٣].

موقف الانجليز

منذ وفاة الامير فيصل بن تركي، بدأ البريطانيون بالضغط العنيف على الساحل الاحسائي، من قاعدتهم بالبحرين ((المستعمرة)) والتي اعتبر السعوديون حكامها مخلب قط للانجليز، وفي عام ١٨٧٠ تطورت الامور إلى حد ان حاصرت سفن البحرين القطيف بدفع وتشجيع من المعتمد البريطاني هناك، بل ان نشاط شيخ ابو ظبي يومئذ وصل القطيف أيضاً.. ويومها هدد عبد الله الفيصل باحتلال البحرين، فأمرت السلطات البريطانية الشيخ عيسى آل خليفة برفع الحصار، وهكذا كان.

ولما كان الغرض، هو السيطرة على ساحل الاحساء، وابعاد عبد الله الفيصل الذي بدأ ينسق مواقفه مع الاتراك، فقد وجد الانجليز طريقا افضل.. ففي ذلك الحين كان النزاع محتدما بين الأخوين، وقد وجد سعود الفيصل في شيخ البحرين والانجليز اقوى مؤيد لمشروعاته.. حيث تغاضى بيلي ــ المقيم البريطاني في بوشهر ــ عن مساعدات شيخ البحرين المقدمة لسعود ((إذ كان من صميم قلبه يريد أن ينتصر سعود على عبد الله.. وكان بيلي يردد دائما في مكاتباته مع حكومته، بأن سعودا خير للانجليز من أخيه))[١٧٤].

---

172 الزركلي، مصدر سابق، ص ٤٧. وانظر حول تباين المتخصصين، تاريخ الاحساء السياسي، مصدر سابق، ص ١٢٧ ــ ١٢٩.

173 الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٠، ١٦١ .

174 عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٧ .

وانظر الدكتور محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٤٠ .

وجرت اتصالات عديدة بين سعود وشيخ البحرين، ترتب على اثرها انتقال الاول من البريمي ((وقيل عمان)) إلى البحرين ليتخذها قاعدة للانطلاق، وكان ذلك في سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠، وهناك اكرم آل خليفة، والمعتمد البريطاني وفادته، ودعموه بشتى الامكانات[١٧٥].. ولعل ابلغ وصف للمساعدة البريطانية في البحرين والتي تلقاها سعود، والتي مكنته فيما بعد من السيطرة على الاحساء، ما نقله احد اتباعه.. من ان سعودا كان يكرر دائما ((بأنه لن ينسى العطف الذي لقيه من المسؤولين البريطانيين اثناء اقامته في البحرين)) [١٧٦].

والحقيقة، فان سعودا عمل على كسب الانجليز وشيخ البحرين إلى صفُه حتى ولو ادي ذلك إلى ان يضع الانجليز اقدامهم على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية.. فقد جاء في كتاب موجُه من سعود إلى الشيخ عيسى انه في حاجة لمساعدته.. واكد ان الساحل سيعتبر تحت الحماية الانجليزية إذا ما قدم الانجليز المساعدات له[١٧٧].

على ان الانجليز لم يبخلوا بالمساعدة، فقد كان حصار القطيف يصب في صالح سعود، لان ذلك قد أدى إلى انقطاع المؤن والامدادات عن عبد الله.. غير أنهم لم يكونوا على استعداد لان يتسع النزاع بين الاخوين ليصل إلى البحرين، ولهذا امر الانجليز ـ بعد تهديد عبد الله بمهاجمة البحرين ـ الشيخ عيسى بأن يفك الحصار مبقيا على قنوات الدعم والتشجيع لسعود[١٧٨].

وفعلا بدأ المذكور بالاتصال بالقبائل البدوية في الاحساء تمهيدا للاستيلاء عليها.. ووفد عليه العديد من رؤسائها وافرادها ووعدهم بالغنائم.. ومن جملة من كاتبهم، راكان بن حثلين المشهور بالشجاعة وزعيم قبيلة العجمان[١٧٩]،((ومناه سعود بحكم المنطقة الشرقية ـ الاحساء والقطيف ـ)) [١٨٠].

كان واضحا لدى الجميع ان سعود الفيصل يتلقى الدعم من الانجليز، ويبدو ان ذلك لم يشكل اية معضلة له في تحالفاته مع القبائل أو مع الحضر.. وقد اعتبر عبد الله اخاه ((مخلب قط للبحرين التي تقف وراءها الدولة البريطانية))، في حين كان الشائع في الدوائر العثمانية في

---

175 الزركلي، مصدر سابق، ص ٤٧.

176 محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٤٢.

177 عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٠٩.

178 محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٤١.

179 العجمان ينتسبون إلى مذكرين يام من همذان، هاجروا من نجران إلى جهات الاحساء حديثا سنة ١٢٦٠هـ، ايام حكم فيصل بن تركي، ويمتازون بالشجاعة والجرأة حتى لقد لُقِّبوا بأُلسان العرب.. انظر صفحات من تاريخ الاحساء، عبد الله لحمد شباط الدار الوطنية ١٩٨٩، ص ٩٧.

180 الدولة السعودية الثانية، ص ١٦١، ١٦٢.

بغداد ((أن سعوداً ما هو الا عميل للقنصل البريطاني))، ولهذا رأى مدحت باشا، والي بغداد، أن تولي سعود لنجد مضيعة لهذه البلاد وإلقاء بها في يد الاجانب))[181].

وكتب عبد الله الفيصل لوالي مصر، الخديوي اسماعيل، مُعرضا باتصالات اخيه بالانجليز، فقال: ((وقبل هذا بمدّة، وصل إلى طرفنا بنجد بيلي، قنصلوص الانجليز بخليج بحر فارس ومعه هدية، وقد فهمنا موجب قدومه أن مرامه ان نعطيه مركز في ساحل البحر إما البحرين أو الدمام أو بعض القطع غيرها، وقد تعذرناه ورجعنا هديته عليه، حيث ان هذه الاماكن التي في يدنا من الممالك المحروسة الراجعة إلى خليفة رسول الله السلطان نصره الرحمن، وقد رجع منا مأيوس مكدّر لعدم جر إيجاب مطلوبه)).

واضاف عبد الله: ((وكان أخينا سعود ولد سفيه وجاهل، واستجلبه القنصلوص المومأ اليه فأفسده وأغراه بتحريكات المفاسد، وأمده بما يقتضي له من الذخيرة والمهمات، وجمع له حريبة من الاشقياء، ولازلنا نردعه ونكسر شوكته، والقنصلوص المومأ اليه كلما دمرناه عمره بالذخيرة والنقود بواسطة اهل البحرين...))[182].

وحدث اثناء تواجد سعود في البحرين، ان ارسل أخوه عبد الله سرية لقتال قواه التي يقودها ابن عمه ((محمد بن عبد الله بن ثنيان))، ووقعت معركة قرب قطر، هزمت فيها قوات سعود، وقتل فيها قائده، الا ان ذلك لم يفت في عضده، بل واصل مشروعه الاساسي، وهو الانطلاق من البحرين لاحتلال الاحساء، لان القطيف كانت شبه خاضعة له بعد ان تحالف معه زعيم الشيعة الشيخ احمد مهدي بن نصر الله، كما سنرى.

وجاءت اللحظة الحاسمة، حينما انطلق سعود الفيصل بقواته من البحرين مستخدما سفن شيخها، ومصطحبا معه عددا من آل خليفة، منهم ((احمد بن الغنم)) في عدة رجال، وحط الجميع رحالهم على شاطئ العقير واستولوا عليه، وهناك انضم اليه ــ حسب الاتفاق ــ العجمان وآل مرة، وتوجه بهم نحو حاضرة الاحساء، فكان اول ما صادفهم قرية ((الجفر)) حيث يسكنها اخلاط من الشيعة والسنّة، فدخلها سعود عنوة وانتهبها الجند[183].

ثم قصدوا قرية ((الطرف))[184]، فصالحهم اميرها وسلمت وأطاعت، فمشى جيش سعود إلى الهفوف، فما كان من امير الاحساء الا ان خرج لمواجهته ومعه جماعة قليلة من العجمان وآل

181 عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤١٢، ٤١٢.

182 جمال زكريا قاسم، الجزء الاول.

183 آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٦٨.

184 قال الاستاذ حمد الجاسر، انها سمّيت بـ ((الطرف)) لوقوعها في طرف واحة الاحساء من الناحية الجنوبية، وسكنها اضافة إلى الشيعة عدد من السنّة. انظر معجم المنطقة الشرقية، حمد الجاسر، جزء ٢، ص ١٠٢٥.

مرة، فيهم راكان بن حثلين، الذي اقسم للوالي على الوفاء والصدق، والتقى الجيشان في ((الوجاج)) بين الهفوف والقرى الشرقية، وحينها ظهرت الخيانة من رؤساء العجمان، ((فعطفوا على أهل الهفوف يقتلون ويسلبون، وانهزم الامير ناصر بن جبر بالناس... ثم زحف سعود حتى وصل الاحساء وحاصرها اربعين يوما، وأمعن العجمان في الافساد في البلاد، بالنهب وقطع الثمار، فذهب اهل المبرز وصالحوا الامير سعود ليتسلم بلادهم، حماية لهم من الفساد.. لكن العجمان استبدوا بالأمر لان الشوكة لهم، واذاقوا الناس عذاب الهون، وكانوا لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة))، كما يقول صاحب التحفة![١٨٥].

وقد أخذ سعود من الأهالي الكثير من الأموال التي فرضها عليهم، واستولى على بيت المال، ووزع المنهوبات على جنده، واطلق العنان لقواته ان تعبث بالزرع والنخيل التي يملك معظمها الشيعة العاملون بالفلاحة، وما كان احد يستطيع ان يشكو أو يتذمر.. واستمر الاهالي قابعين في منازلهم خوف البطش، واهملوا زراعاتهم التي هي رأس مالهم الأول، لان عاقبة الذهاب إلى بساتين النخيل قد تكلف الإنسان حياته.. خاصة وان البدو التابعين للأمير سعود قد خيموا في النخيل، وتركوا دوابهم ترعى في الحقول وتفسد الزرع.

وقد قُتل مجموعة من المزارعين الساكنين في نخيلهم، وفتك جنود سعود بآخرين في الشوارع والطرقات، بل ان كثيرا من البيوت والقرى انتهبت.. هذا ولا زالت الهفوف محاصرة، فأرسل عبد الله الفيصل جيشا لحرب اخيه، واستخلاص الاحساء، ووضع على الجند محمد الفيصل.. فلما علم سعود بذلك فكَّ الحصار عن الهفوف، وانطلق نحو بئر (جودة) حيث التقى بأخيه محمد الفيصل، وذلك في السابع والعشرين من رمضان ١٢٨٧هـ، الموافق للأول من ديسمبر ١٨٧٠، وهزمه شرَّ هزيمه، واسره ثم بعث به فيما بعد إلى سجن القطيف ووضعه تحت المراقبة.

وقيل ان عدد القتلى في المعركة بلغ ٢٠٠٠ رجل، اكثرهم من نجد، فكانت ضربة قاصمة لم تقم لعبد الله بعدها قائمة، وأدت هزيمته في ((جودة)) إلى امتعاض وحنق النجديين، خاصة وان الهزيمة تمت قبل العيد بأيام معدودة[١٨٦].

وترتب على نتائج المعركة ان سقطت الهفوف واستسلمت، فقد كتب سعود بعد انتصاره في ((جودة)) إلى رؤساء الاحساء يأمرهم بالقدوم اليه ومبايعته، ثم دخل الهفوف وسلب أموالا كثيرة من أهلها، وفرقها على حلفائه من العجمان والجند الذين كانوا معه[١٨٧].

---

185 آل عبد القادر، ص ١٦٨، ١٦٩، وانظر الدولة السعودية الثانية، ص ٦٢.

186 محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٤٢، وانظر الزركلي، مصدر سابق، ص ٤٨، وأيضاً، الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٢.

187 الخليج العربي، الجزء الاول، ص ١١٩ ــ ١٧٨، ١٧٩. وانظر آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٧٠.

ومهما يكن من امر، فقد قام البريطانيون، عن طريق شيخ البحرين وحاكم مسقط، بدور بالغ الاثر في الصراع الذي دار بين اقطاب الحم السعودي.. والهدف من ذلك كان تدعيم سيطرة سعود الفيصل على الاحساء ــ بدرجة اساس ــ ليتاح لهم في مرحلة متقدمة تنفيذ السيطرة المباشرة عليها، خدمة لاهداف الامبراطورية البريطانية، والتي كان من رأيها ــ كما كان رأي بيلي ــ ان انتصار سعود سيؤدي إلى استقرار الامور في الخليج لصالحها[188].

موقف مشايخ الوهابية من الصراع

وقف المشايخ حينما نشب الصراع بين الاخوين، مع عبد الله الفيصل، باعتباره إماما شرعياً، ونصحوا سعودا بعدم اثارة الفتنة، كما كاتبوا شيوخ نجران في بداية الامر، بعدم دعمه وتحريضه.. لكن حينما هزم عبد الله في ((جودة))، وولّى هاربا، نصحه آل الشيخ ــ زعماء المذهب الوهابي ــ بعدم الاستعانة بالدولة ((الخاسرة))، وهي دولة الخلافة العثمانية، وذلك حينما رأوا بوادر تحرك إمامهم بهذا الاتجاه.. ولكن هؤلاء المشايخ خضعوا فيما بعد لإمامة المنتصر سعود، رغم نعتهم إياه بالفجور والفسق، واعتبروا إمامته شرعية، ما دام وصل إلى الحكم عن طريق القوة أو غيرها.

وأوضح هذا الموقف زعيم المذهب الوهابي يومئذ، الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب[189]، في رسالة اوضح فيها موقفه لانصاره، جاء فيها:

((... القصد بيان ما اشكل على الخواص المنتسبين من طريقتي في هذه الفتنة العمياء الصمّاء. فأول ذلك مفارقة سعود لجماعة المسلمين وخروجه على أخيه، وقد صدر منّا الردُّ عليه وتسفيه رأيه، ونصيحة ولد عايض وأمثاله من الرؤساء عن متابعته والاصغاء اليه ونصرته، وذكرناه ما ورد من الآيات القرآنية والآثار النبوية، بتحريم ما فعل والتغليظ على من نصره، ولم نزل على ذلك إلى ان حصلت وقعة جودة، فثُلّ عرش الولاية، وانتثر نظامها وحبس محمد بن فيصل، وخرج الامام عبد الله شاردا، وفارقه أقاربه وانصاره. وعند وداعه اوصيته

---

[188] عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤١٠.

[189] ولد الشيخ عبد اللطيف عام ١٢٢٥هـ وتوفي عام ١٢٩٢هـ بعثه فيصل بن تركي، الحاكم السعودي، إلى الاحساء لنشر الدعوة الوهابية، لاقناع علماء السنّة في الاحساء باعتناقها، وذلك عام ١٢٦٤هـ حيث بقي هناك مدة عامين. وعبد اللطيف وابوه عبد الرحمن احيا الدعوة الوهابية بعد خمودها نتيجة حملة محمد علي باشا، وقد سوّغا من الناحية العملية حكم فيصل بن تركي، وقبله تركي بن عبد الله بالشرعية اللازمة.

انظر مشاهير علماء نجد وغيرهم، لمؤلفه عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض ط ١ ١٩٧٢، ص ٧١، ٧٢.

بالاعتصام بالله وطلب النصر منه وحده، وعدم الركون إلى الدولة الخاسرة ــ يعني الدولة العثمانية ــ"[190].

لم يأمل عبد الله الفيصل بالبقاء في حكم الرياض بعد سقوط الاحساء، لان الاخيرة تعتبر قلب نجد الاقتصادي والتجاري والمالي، وبسيطرة سعود عليها، ثم خنق نجد اقتصاديا.. وقد توافق في ذلك العام أن اجدبت الارض بسبب قلة المياه، وجاء سعود ليغلق على سكان نجد اتصالهم بساحل الخليج، وليمنعهم من خيرات الاحساء، مما فاقم النقمة على الحاكم عبد الله. ثم ان النجديين الذين فقدوا الكثير من رجالهم ــ والدماء لما تجف بعد ــ اصبحوا بالغي السخط عليه، وبالتالي لم يأمل بأي دعم منهم، في اية حملة قادمة.

وهكذا بادر عبد الله فور سماعه اخبار الهزيمة، بالخروج من الرياض، بعد أن اخذ ماله الوفير وعياله وحريمه وخدامه، وتوجه بهم إلى حائل حيث حاكمها محمد بن عبد الله بن علي الرشيد.. والمعلوم ان عبد الله الفيصل تزوج لطيفة بنت عبيد الرشيد إلى ان مات، فتزوجت أخاه محمد الفيصل بعده، ولكنه مات سريعا أيضاً.. على ان ابن الرشيد لم يقدم لعبد الله دعما يذكر منتهزا هو الآخر الفرصة للسيطرة على كامل نجد.

لم يُغامر سعود الفيصل بغزو نجد واحتلال الرياض قبل ان يدعم مواقعه في الاحساء، رغم ان الرياض كانت خالية من حاكمها، ولكنه لم يتأخر أيضاً.. ففي ذي القعدة ١٢٨٧هـ، عاد عبد الله الفيصل إلى الرياض بعد أن تحالف مع القحطانيين بزعامة محمد بن هادي بن قرملة[191]، وفي محرم ١٢٨٨هـ، تجهز سعود من الاحساء وخرج إلى الرياض تاركا امرها بيد واليه الجديد فرحان بن خير الله.

وفي موقع يقال له ((الجزعة)) التقى سعود بسرية لأخيه فأفناها، وغنم جميع ما عندها من المال والسلاح، وتقدم باتجاه الرياض، ففر منها عبد الله ومحمد بن قرملة والتجأ إلى قبائل

---

[190] عبد الرحمن آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٨١، ٨٢، والرسالة موجهة إلى زيد بن محمد وصالح بن محمد الشثري، ويبدو أنهما كانا من النجديين القاطنين يومئذ في الاحساء.. والواضح ان الرسالة كتبت بعد سيطرة دولة الخلافة على الاحساء، وبعد ضياع الحكم السعودي، لهذا نرى ان الرسالة متحررة من القيود التي تفرضها الاستقطابات والمحاور. نصُّ الرسالة من ص ٨١ إلى ص ٨٧.

[191] جاء محمد بن هادي بن قرملة إلى الاحساء في شوال ١٢٨٧هـ للتحالف مع سعود الفيصل، الا ان الاخير لم يكرمه، وكان ــ كما يبدو ــ مستكفيا بقوة العجمان الذين علا شأنهم بعد احتلال الاحساء والسيطرة على القطيف.

وتجدر الاشارة إلى ان العجمان كانوا على خلاف مع محمد بن قرملة، احد زعماء القحطانيين، ولعل سعودا لم يستطع ان يحل الخلاف بين الطرفين ويضعهما تحت قيادته، ولهذا ضحى بالقحطانيين مؤثرا العجمان المسيطرين على بادية الاحساء. وهكذا عاد محمد بن قرملة إلى نجد وتحالف مع عبد الله الفيصل الهارب من الرياض، وطلب اليه العودة اليها ورجع معه في ذي القعدة سنة ١٢٨٧هـ.

قحطان في الجنوب، ودخل سعود المدينة بدون قتال، فأعمل فيها النهب والسلب لموقفها العدائي منه.. وجاءه زعماؤها يعلنون ولاءهم التقليدي[١٩٢].

ويصور لنا الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، الوضع في الرياض قبل سيطرة سعود عليها، قائلاً: ((ثم قدم علينا سعود بمن معه من العجمان والدواسر واهل الفرع وأهل الحريق وأهل الأفلاج وأهل الوادي ــ الدواسر ــ، ونحن في قلة وضعف، وليس في بلدنا من يبلغ الاربعين مقاتلا، وخرجت اليه وبذلت جهدي... خشية استباحته البلدة، ومعه من الاشرار وفجار القرى، من يحثه على ذلك، ويتفوه بتكفير بعض رؤساء بلدتنا، وبعض الاعراب يطلقه بانتسابهم إلى عبد الله الفيصل))[١٩٣].

((فوقى الله شرّ تلك الفتنة.. ودخلها ــ سعود ــ بعد صلح وعقد، وما جرى من المظالم والنكث شيء دون ما كنّا نتوقعه.. وصارت له ولاية بالغلبة والقهر، تنفذ بها احكامه، وتجب طاعته في المعروف.. وما قيل في تكفيره لم يثبت لدي)).

تتالت المشاكل في واحة الاحساء إلى ان جاء الاتراك واستخلصوها من سعود، ثم ما لبث ان قدم عبد الله إلى الاحساء، وهناك وجد ان الرأي العام المحلّي ناقم على السعوديين، وبرزت بوادر ضغط على الاتراك بعدم تسليم البلاد لعبد الله، فما كان من الأخير الا ان هرب منها مع اخليه محمد الفيصل، والذي اطلق العثمانيون سراحه من سجن القطيف.

في هذه المرحلة استطاع عبد الله العودة إلى الرياض، بعد ان اصطفاها له اعوانه، فدعمه آل الشيخ ــ والمؤسسة الدينية بقوة ــ على ان يظهر ((التوبة والاستغفار)) من استقدامه للاتراك باعتبارهم مشركين لا يجوز الاستعانة بهم على المسلمين، ((ومنهم اخوه سعود الذي استعان بالانجليز)). وتمت السيطرة لعبد الله على الرياض، فيما سيطر الاتراك على الاحساء، وبقي

---

192 آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٧٠. وانظر، الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٤. وأيضاً انظر الزركلي، مصدر سابق، ص ٤٨.

193 علّق مؤلف كتاب مشاهير علماء نجد على مسألة تكفير اتباع سعود لأخيه عبد الله واتباعه، بأن السبب هو استنصار الاخير ((بالدولة العثمانية، فاستغل أعداوه الموالون لأخيه سعود هذه الغلطة والزلة فكفروه بها وكفّروا انصاره.. وذلك كله اغراض سياسية، فالإمام عبد الله معروف تمسّكه بشرائع الدين. وقد جوز له هذه الاستعانة وافتاه بها رجل من علماء وقته، ردّ عليه الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ في عدّة رسائل)). انظر مشاهير علماء نجد ص ٨٢.

ويبدو ان الاستعانة بالانجليز لدى الوهابيين أخفُّ بكثير من الاستعانة بدولة الخلافة، فكما ان استعانة عبد الله بالاخيرة شائعة، فكذلك معونة الانجليز لسعود شائعة أيضاً، ولكننا لا نجد احدا انتقد سعودا في ذلك، بل والغريب ان سعودا واتباعه استغلوا كره النجديين لدولة الخلافة ((الملحدة بنظرهم)) فأثاروهم على عبد الله بينما لم يقم الفريق الاخر بالشيء ذاته بالنسبة لسعود والانجليز، لان الحساسية ضد الاخيرين قليلة أو معدومة.

وهنا نجد من يردّ على المشايخ الذين أجازوا لعبد الله شرعيًا الاستنصار بدولة الخلافة، ولا نجد في المقابل أي صوت يعارض استنصار سعود بالبريطانيين.

سعود في البادية بين نجد والاحساء ومعه فلول آل مرة والعجمان، ولكنه في النهاية عاد وسيطر على الرياض ــ بعد محاولات فاشلة في احتلال الاحساء ــ.

وهنا وقف آل الشيخ نفس الموقف الاول: وهو القبول بحكم سعود، طالما أن له الغلبة والقهر، وقبل هذا طلب المشايخ الأمان لأهالي الرياض وعدم استباحة بلدتهم.. ((وأما عبد الله الفيصل، فقد نصحت له كما تقدم اشد النصح، وبعد مجيئه ــ لما أخرج شيعة عبد الله سعودا، وقدم إلى الاحساء ــ ذاكرته في النصيحة، والتباعد عن اعدائه وأعداء دينه، أهل التعطيل والشرك والكفر البواح ــ أي العثمانيين ــ وأظهر التوبة والندم، واضمحل أمر سعود، وصار مع شرذمة من البادية حول آل مرّة والعجمان، وصار لعبد الله غلبة ثبتت بها ولايته.. ثم ابتلينا بسعود، وقدم علينا مرة ثانية، وجرى ــ ما بلغكم ــ من الهزيمة على عبد الله وجنده، ومرَّ بالبلدة منهزما لا يلوي على أحد، وخشيت من البادية، وعجّلت إلى سعود كتابا في طلب الامان لأهل البلدة، وكفَّ البادية عنهم... فدخل سعود البلدة واتجّه عبد الله إلى الشمال، وصارت الغلبة لسعود..))[١٩٤].

مضت فترة غير طويلة واصاب المرض سعودا ومات، فخلفه أبناؤه في الصراع، ودخل عبد الرحمن الفيصل بقوة في المعمعة، مع بقية أخوته حتى سيطر على الرياض وحكمها مدة ليست طويلة، هذا والصراع قائم على أشده، وعبد الله يتحفز ويجمع البوادي للعودة، فكان ان اقنع الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، الامير عبد الرحمن الفيصل بالتنازل لأخيه عبد الله، فجاء الاخير ومعه البوادي، فأظهر العبوس، وكان البوادي يستأذنونه في نهب النخيل، الا انه فيما بعد أظهر اللين ((وتحقق عندي دعواه التوبة، وأظهر لديَّ الاستغفار والندم، وبايعته على كتاب الله وسنّة رسوله)).. كما يقول زعيم الوهابيين يومئذ.

ويشرح مؤلف ((مشاهير علماء نجد)): ((وقوله: أظهر الاستغفار والندم، يريد بذلك الامام عبد الله الفيصل، وسبب استغفاره وندمه وتوبته أنه استعان بالدولة العثمانية على قتال اخيه سعود، وهذا لا يجوز لانه حرام في الشرع الاستعانة بالمشرك على قتال المسلم، ومعلوم ان الدولة العثمانية كانت وثنية تدين بالشرك والبدع))![١٩٥].

هذا مع العلم ان سعودا كان متواطئا مع الانجليز، ولكنه لم ينل معشار ما نال عبد الله على فعلته، لان الدولة العثمانية اشد كفرا ــ عند علماء الوهابية ــ من الانجليز، وقد سُجلت ذات الملاحظة حينما انحاز الوهابيون إلى صف البريطانيين في الحرب العالمية الاولى ضد دولة الخلافة.

---

[194] رسالة عبد اللطيف آل الشيخ السابقة، مشاهير علماء نجد، ص ٨٤.

[195] المصدر السابق، ص ٨٤.

واعتبر الملك عبد العزيز ما فعله عمّه حماقة.. قال لشكسبير ـ المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ـ في لقاء معه عام ١٩١١، أي قبل احتلال الاحساء وتخليصها من الاتراك، ان عمه عبد الله ((رغم انه حافظ في باديء الامر على علاقات الصداقة السابقة مع الحكومة البريطانية، فانه بلغ به الحمق حداً دفعه إلى القيام بمبادرات لاقامة علاقات مع الاتراك))[١٩٦].. وعلق الزركلي على طلب عبد الله النصرة من الاتراك بقوله: ((ويالها من زلّة!))[١٩٧].

غريب حقاً أن يثير تعامل عبد الله الفيصل مع الاتراك زوبعة بين الوهابيين، بينما لا يثير تعامل سعود الفيصل وأخيه عبد الرحمن وابن الاخير ((الملك عبد العزيز)) مع الانجليز أي اعتراض أو استياء، وهي ملاحظة مهمّة جديرة بالالتفات، فقد علّق الدكتور صلاح العقاد على توقيع ابن سعود معاهدة الحماية مع الانجليز عام ١٩١٥ بالقول: ((كيف يثير اعلان التبعية للعثمانيين ضجّة عند الوهابيين في عهد عبد الله الفيصل في القرن التاسع عشر، بينما لا نكاد نسمع عن اعتراض واحد على معاهدة دارين التي وضعت الدولة السعودية في مصاف امارات الخليج الواقعة تحت الحماية البريطانية؟))[١٩٨].

ونعكس موقف الوهابيين النجديين تجاه الصراع على شعرهم، فهذا احمد بن عيسى يطلق صرخته داعيا آل فيصل لنبذ الخلا ومواجهة العدو، فيقول:

متى ينجلي هذا الدُجى والدياجرُ؟		متى ينتهض للحقِّ منكم عساكرٌ؟
.. فحتّى متى هذا التواني عن العُلى		كأنكم ممّن حوتهُ المقابرُ؟[١٩٩]

وللشيخ عبد اللطيف آل الشيخ قصيدتان صوّر فيهما الحرب الاهلية وموقفه منها.. وواضح انهما قد قيلتا بعد سيطرة الاتراك على الاحساء، وبعد انتهاء الحكم السعودي.. يوضح هذا تعرّضه للحكم التركي في الاحساء بالشتم، اضافة إلى تحلّله من القيود السياسية السعودية، فجاء موقفه صريحا معبّرا.

أولى قصائده نونيّة، قالها معرضا بعبد الله الفيصل، واصفا استنصاره بدولة الخلافة، بأنه استنصار بالشيطان، كما ندّد بالعلماء الذين رأوا أن بيعته باقية في الأعناق[٢٠٠]:

196 وثيقة رقم ((E 20868))، رسالة من المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ((الكابتن شكسبير)) إلى الميجور بيرسي كوكس، المقيم البريطاني في بوشهر، مؤرخة في الثامن من ابريل ١٩١١.

197 الزركلي، مصدر سابق، ص ٤٨.

198 التيارات السياسية في الخليج والجزيرة العربية، د. صلاح العقاد، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

199 الشعر في الجزيرة العربية، نجد والحجاز والاحساء والقطيف، خلال قرنين (١١٥٠هـ ـ ١٢٥٠هـ))، الدكتور عبد الله الحامد العلي، دار الكتاب السعودي ط ١٩٨٦، ص ١٢٨. تجدر الاشارة إلى ان هذه الطبعة سجّلت على اساس انها الطبعة الاولى، بينما هناك طبعة ((اولى)) سبقتها عام ١٩٨١ ـ ١٤٠٢هـ.

يا رب واحكم بيننا في عَصبة		شدّوا ركائبهم إلى الشيطان
سلَوا سيوف البغي من أغمادها		وسعوا بها في ذلّةٍ وهوان
صرفوا نصوص الوحي عن أوضاعها		وسعوا بها في زمرةِ العميانِ
وقضوا بأنّ العهد باقٍ للذي		ولي الولاية شيعة الشيطان
وقضوا له ــ الجزم ــ أنّ متابه		قد هدّما أعلى من البنيان

أما قصيدته الثانية فهي رائيّة يذمّ فيها أولاد فيصل المتحاربين، فيقول[201]:

وجرّ زعيمُ القوم للحرب دولة		على ملّة الإسلام فعل المكابر[202]
ووازره في رأيه كلّ جاهل		يروح ويغدو آثما غير شاكر
وآخر يبتاع الضلالة بالهدى		ويختال في ثوب من الكبر وافر[203]
وثالثهم لا يعبأ الدهر بالتي		تبيدُ من الإسلام عزم المذاكر[204]

ثم يذكّر الشاعر آل سعود بأنهم انتصروا بجهد المشايخ، واستطاعوا بناء دولتهم بفضلهم، ولكن:

فلمّا أتاهم نصرَ ذي العرش واحتوى		أكابرهم كنز اللهي والذخائر
سعوا جهدهم في هدم ما قد بنى لهم		مشائخهم واستنصحوا كلّ داعر
وساروا لأهل الشرك واستسلموا لهم		وجاءوا بهم مع كل علج وفاجر[205]
ومُذ ارسلوها ارسلوها ذميمة		تهدّم من ربع الهدى كل عامر
وباءوا من الخسران بالصفقة التي		يبوء بها في دهره كل خاسر
.. فقل للغوي المستجير بظلّهم		ستحشر يوم الدين بين الأصاغر
وتُكشفُ للمرتاب أي بضاعة		أضاع وهل ينجو مجير أمّ عامر

200 المصدر السابق، ص ١٢٧.

201 عبد الرحمن آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٨٩، ٩٠.

202 المقصود بزعيم القوم، عبد الله فيصل، الذي استعان بالأتراك، والبيت الذي يليه تشنيع بالمشايخ الذين أزروه وافتوه بطلب الاستعانة.

203 المقصود هنا هو سعود الفيصل.

204 المقصود بالثالث، محمد الفيصل ــ على الأقرب ــ وليس عبد الرحمن الفيصل.

205 الأتراك هم المعنيّون بأهل الشرك في هذا البيت.

موقف الشيعة من الصراع

تعيش في القطيف والاحساء وضواحيهما، اغلبية شيعية ساحقة منذ قرون عديدة ولا تزال، غير انه بقي في هاتين الواحتين الغنيتين أعداد قليلة من اتباع المذاهب الاسلامية الاخرى، ازدادت بعد احتلال السعوديين لهما في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، حينما قطنت اعداد غفيرة من النجديين الاحساء، وبقيت الاغلبية الغالبة للسكان في ذلك الاقليم بمدنه وقراه وتعتنق المذهب الشيعي الاثني عشري حتى هذا اليوم، رغم وفود اعداد غير قليلة من ابناء القبائل أو من المناطق الاخرى للاستيطان والعمل بعد تفجر ينابيع النفط.

من هنا فان حساسية المنطقة، نابعة من حيث اكثرية السكان الشيعية، وسيطرتهم على موارد المنطقة الاقتصادية، فكانوا اول من يتأثر بالاوضاع غير المستقرة واختلال الأمن.. ولما شبَّ لهيب الصراع بين افراد الاسرة السعودية الحاكمة، واصبحت الاحساء ساحة لذلك الصراع، كانت أهم قوتين يحسب لهما الحساب هما، ((القبائل البدوية وسكنة الحواضر)).

* القبائل البدوية غير المستقرة، والتي تعيش في بادية الاحساء من اطراف الكويت والعراق شمالاً، حتى واحة يبرين جنوبا.. ومن اطراف حاضرة الاحساء والقطيف حتى الحدود النجدية وسط الجزيرة العربية.. وأهم هذه القبائل ((العجمان)) والتي لم يمض على استيطان افرادها في بادية الاحساء اكثر من ثلاثة عقود من السنين، ويأتي في المرتبة الثانية بنو هاجر، وآل مرّة، والعوازم، وبنو خالد.

وقد استطاع سعود الفيصل أن يجتذب هذه القبائل إلى صفّه واطمعها بالاغراءات والمغانم.. وكان للعديد من هذه القبائل احقاد وضغائن ضد الحاكم عبد الله الفيصل كالعجمان وآل مرة، ولم يكن لأي منها دافع ديني أو وطني، بعكس الوهابيين والشيعة، وانما كان هدفها السلب والنهب والتحرر من آسار الضبط الشديد الذي مارسته وفرضته الدولة المركزية.. ولذا فقد كان موقف القبائل منسجما مع أعرافها وخصوصياته وطبائعها!.

* سكنة الحواضر في القطيف والهفوف وقراهما، وهم الشيعة، عدا قليل من السنّة، وهؤلاء يقوم عماد الاقتصاد عليهم، حيث الزراعة والتجارة والصناعات المحلية.. ولا شك ان موقف الشيعة بأغلبيتهم الساحقة مؤثر على نتيجة الصراع.. الا اننا نستطيع ان نلحظ فارقا في الموقف بين سكان الاحساء وسكان القطيف.. فالشيعة في الاحساء اتخذوا موقف الحياد، بينما انضم شيعة القطيف إلى سعود الفيصل، ولكل من الفريقين اسبابه وظروفه ودوافعه.

ومن بين أهم الاسباب التي دفعت بشيعة الاحساء لاتخاذ موقف الحياد:

أولا: مبادرة سعود بمهاجمة القرى والارياف ((وهي شيعية في الغالب))، وذلك قبل ان يسيطر عليها عمليا بحوالي ثلاث سنوات، ويومها سمح لاتباعه بنهب تلكم القرى وتخريبها، وقتل الامنين فيها، مما عزّز قناعة الشيعة هناك بأن الدخول في الصراع لن يغير من النتيجة التي هي اضطهادهم أنى كان الفائز في المعركة.

ففي عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م، تعرّض الشيعة في الاحساء لاضطهاد اتباع سعود، حيث كان العجمان يعيثون فسادا في الضواحي، ويتلفون الزرع والنخيل وينهبون المواشي، ويقتلون الاهالي.. ولم يكن الامير هناك، محمد بن احمد السديري، مؤيدا لعبد الله، واصابته الحيرة إذ لم يرَ أن من مصلحته أن يرمي بكامل ثقله إلى جانب سعود، فتغاضى عن ممارسات اتباعه.. ثم ما لبث أن ارسل عبد الله الفيصل سرية من أهل الرياض ونواحيها بقيادة عمّه عبد الله بن تركي لتأديب العجمان وآل مرة.. فطردهم من تلك النواحي، وقبض على عدد منهم وقتلهم شرّ قتلة، وحرّق بيوت المتعاونين معهم، وأجرى اعمالا انتقامية كهدم المنازل لعدد من مؤيدي سعود[٢٠٦].

ثانيا: لقد عانى الشيعة في فترات الحكم السعودي الأولى من الضعف، حيث جُرّدوا من قواهم السياسية والعسكرية والاقتصادية ــ إلى حدّ كبير ــ، مما جعلهم غير قادرين على التعاطي مع المستجدات بكفاءة وفاعلية ــ خاصة في الاحساء ــ، حيث ان واقعهم يومها تنقصه الوحدة والانسجام، والأهم من ذلك القيادة السياسية المبادرة والكفوءة التي تدرس الخيارات التي تحقق للطائفة الشيعية الغالبة سكانيا، بعض المكاسب بحيث ترفعهم إلى مستوى متعادل مع بقية المواطنين، وتضع حدًا لما تعانيه من اضطهاد وتفرقة.. ولعلّ أهم اسباب الضعف هذا، هو ان القوى الاجتماعية والسياسية والدينية المحلية قُضي على معظمها قتلا وتشريدا، خاصة في الاحساء التي تتمتع بأهمية اكبر من القطيف من الناحية الاقتصادية، والتي كانت تمثل التحدي الأهم بالنسبة للحرب المذهبية التي شنّها الوهابيون طوال حكمهم.

ثالثا: ان طبيعة الشخصية الاحسائية تميل إلى السلم والموادعة والصبر وتحمّل الاذى، وهي أقل ميلا إلى التدخل في الامور السياسية، واكثر اهتماما بأمور المعاش وتهيئة اسبابه.

ومع هذا فان الموقف الحيادي لم ينج شيعة الاحساء، من دفع ثمن باهظ جدا في الاقتصاد وفي الانفس التي شردت أو قتلت، حينما سيطر سعود عليها، وافسح المجال لأتباعه بسلبها

---

206 آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٦٧. والدولة السعودية الثانية، ص ١٦١. وانظر أيضاً، الدكتور محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٤٠.

وبعد هذه الاعمال عزل عبد الله واليه السديري، وعيّن مكانه ناصر بن جبر الخالدي لاستقطاب ولاء الخوالد وحتى عام ١٢٨٧هـ كانت الاحساء بيد عبد الله الفيصل، والذي دعّم حاميانه فيها، وأرسل اليها عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩، سريّة برئاسة فهد الدغيثر، اصطدمت فيما بعد بقوات سعود المحتشدة بالقرب من قطر فهزمتها.

ونهبها.. فأصبحت الاحساء اقطاعية دون محامين تكون الضحية أمام المنتصر أيًا كان، فيفعل بها وبأهلها ما يشاء.

أما موقف الشيعة في القطيف، فقد رأى زعيمهم السياسي الشيخ أحمد بن مهدي بن نصر الله، ان يتحالف مع سعود الفيصل، ورتب اتفاقا معه يقضي بدعمه على اساس صيانة حقوق الأهالي الدينية وعدم التعرُّض لممتلكاتهم.. وأصبحت القطيف تابعة لسعود، ومحطا لرجاله، ومصدرا لتمويله.. وواضح ان القطيف لم تسقط بالقوة وانما بالتحالف، وقد سُجن فيها بعدئذ محمد الفيصل بعد هزيمته في جودة.

والسبب في اتخاذ القطيف هذا الموقف، هو ممارسة زعمائها لنشاطهم السياسي، إذ لم تزل لهم يومها بقية تتنفس وتتفاعل مع الاوضاع وتستجيب للتحديات.. كما ان الشيخ احمد بن نصر الله رأى ببصيرته ان قوات عبد الله ستندحر، اضافة إلى ان سعودا عرف عن التحرر المذهبي، ولا يقيم السكان على اساس الانتماء المذهبي، وهذا ــ بنظرنا ــ هو اهم سبب لاندفاع الشيعة في القطيف إلى دعمه.

قال احد المؤرخين بصريح العبارة، ان سعودا ((لقى تأييدا كبيرا من الشيعة في القطيف، إذ كانوا على استعداد لمناصرته لما عُرف عنه من تحرر مذهبي، على النقيض من سياسة اخيه عبد الله التعصبية))[٢٠٧]. وقال الاستاذ عبد العزيز نوار حول موقف الشيعة من الصراع ــ وقد خلط بين الاحساء والقطيف، أو لعله غلب اسم الاحساء على شقيقتها باعتبار الاخيرة جزءاً منها ــ قال: ((كانت الاحساء منذ البداية من المناطق التي قاومت الحركة الوهابية باستمرار، والمؤثرات الشيعية فيها قوية.. وعلى الرغم من المجهودات الوهابية المتتالية، ظلت الاحساء اقل الجهات ميلا للحركة الوهابية، ولذلك كانت اكثر ميلا إلى سعود لما عرف عنه من كراهية للتعصب المذهبي))[٢٠٨].

ويستأنس من هذا القول أن أهم دوافع الشيعة في معاداة الحكم السعودي، انتهاجه سياسة التمييز والاضطهاد الطائفي.. ومسألة دعم سعود الفيصل، هي احدى المرّات القليلة التي قام بها الشيعة حفاظا على هويتهم المذهبية، وطمعا في المساواة.. ولا نتعدى الواقع ونجانب الحقيقة إذا قلنا بأن الاضطرابات والتحركات السياسية التي شهدتها الاحساء والقطيف في الدولة السعودية الاولى والثانية، وفي الدولة السعودية الحالية حتى اليوم، انما ترجع في جذرها إلى عامل الاحتقار والاضطهاد الطائفي الذي يمارس بحق الاغلبية الشيعية.

---

207 الخليج العربي، الجزء الاول، ص ١٧٨.

208 عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤١١. وانظر. محمد عرابي نخلة، ص ١٤١.

وبتحالف القطيف سلمت من الأذى إلى حدٍّ كبير، حتى نقض سعود الفيصل عهده مع الأهالي، واضطهد زعيم الشيعة هناك ونهب امواله وأملاكه، وحاول قتله مما اضطره إلى الهرب، ودفعه إلى مكاتبة العثمانيين ودعوتهم لاستخلاص المنطقة من أيدي آل سعود[٢٠٩].

٤

حملة مدحت باشا

لاحتلال الاحساء والقطيف (١٨٧١م)

لمّا رأى عبد الله الفيصل أن ليس باستطاعته صدّ أخيه المدعوم من المقيم البريطاني في الخليج، لم يكن أمامه سوى الالتجاء إلى دولة الخلافة لاستعانة بها، ولا شكَّ انه فكر في عواقب اقدامه على هذا الامر، وما قد يثيره من غضب واستياء لدى الوهابيين وزعمائهم الدينيين في نجد. ولا بدَّ أنه قد احتمل ان يصطفي الاتراك المنطقة لأنفسهم، خاصة وان هذا الموضوع قد طرق في عهد نامق باشا في بداية حكم عبد الله، إذ ان العثمانيين حاولوا مرارا اقناع الحكام السعوديين بأنهم طالما غير قادرين على حماية الاحساء التي تخضع اسميًا للسلطان العثماني، فليفسحوا اذن المجال لهم لمواجهة الطامعين.

وقد احدث استنصار عبد الله بدولة الخلافة بلبلة في صفوف النجديين ــ كما رأينا ــ وأثارهم ضد حاكمهم، رغم محاولاته اسباغ الشرعية الدينية ((من وجهة النظر الوهابية)) على تحركه، حينما طلب من بعض مشايخ المؤسسة الدينية ــ من الدرجة الثانية ــ اجازته بفتوى تخوّله طلب المعونة من الاتراك، وقد فعلوا.

وكتب عبد الله الفيصل ثلاث رسائل إلى العراق بيد رسوله عبد العزيز بابطين، وأرفقها بالهدايا، احداها إلى مدحت باشا والي بغداد الجديد ((ابتدأت ولايته سنة ١٨٦٩))، والثانية إلى خليل بك والي البصرة، والثالثة إلى محمد الرفاعي نقيب اشراف البصرة، استحثهم فيها على نصرته، وأعلن فيها ولاءه للدولة العليّة، وانه رهن اشارتها.

في تلك الاثناء كانت الدولة العثمانية بصدد انتهاج سياسة جديدة تحدوها الرغبة في وقف تسلل النفوذ البريطاني المتزايد في الخليج، فهاهي عمان ومشيخات الخليج تسقط تباعا، وهاهي البحرين تغدوا مستعمرة متقدمة للنفوذ الاجنبي من شبه الجزيرة العربية وهاهي الكويت لم يبق فيها للدولة العثمانية سوى العلم العثماني الذي يُرفع على سفن صيد الاسماك واللؤلؤ.

---

[209] انوار البدرين، المرحوم الشيخ علي البلادي القديحي، ص ١١٨.

وهكذا رأى السلطان العثماني عبد العزيز ان ينتهج سياسة حازمة تجاه كل ذلك، فعمل على تقوية الحاميات العثمانية في العديد من الولايات، وعيّن مدحت باشا واليا على العراق، فكان الرجل المناسب في المكان المناسب، من أجل اعادة النفوذ والوجود العثماني إلى الخليج.. وأصبح الاستيلاء على الاحساء والقطيف بندا اساسيا في استراتيجية الدولة العثمانية.

على ان اوضاع الدولة العثمانية الداخلية كانت مساعدا لتجهيز حملة تسيطر على الاحساء، فالجيش العثماني اصبح جيشا نظاميا مجهزا بالاسلحة الحديثة، ولما عُين مدحت باشا واليا على العراق تهيأ لها اكثر من أي وقت ان تضع خططها موضع التنفيذ.. فمدحت يؤمن ببسط نفوذ الاستانة على المناطق التابعة لها اسميا تعويضا عن الخسائر التي تعرضت لها في البلقان، وكان يرى ان تحقيق الانتعاش الداخلي للدولة لا يتم الا بضم ممتلكات جديدة اليها. وفوق هذا كانت لدى مدحت رغبة شديدة في مناوأة مركز الانجليز في الخليج، وقد دأبت صحيفته التي اسسها ((الزوراء)) على التأكيد بسيادة العثمانيين على الساحل العماني، وكل الخليج واماراته.. والواقع ان مدحت باشا ومنذ توليه بغداد كان دؤوبا في وضع الخطط للاستيلاء على الكويت والبحرين وقطر والاحساء والقطيف ونجد[٢١٠].

من الطبيعي والحال هذه، ان يتخذ العثمانيون موقفا متشددا ضد سعود الفيصل، حيث رأى مدحت ان توليه امر نجد مضيعة لها وإلقاء بها في يد الاجانب، وأن من الواجب عليه شخصيا ان ينقذ هذه البلاد مما ستتردّى فيه، خاصة مع ادراك مدى الخطورة التي تتهدّد العراق من التواجد الكثيف للبريطانيين[٢١١].

مسألة مهمة اخرى تطرح في هذا الصدد، وهي ان الأجواء العامة في الاحساء والقطيف كانت مهيأة لقبول الحملة العثمانية، بل ودعوتها والتعاون معها، فقد ذاق الاهالي في هاتين الواحتين مرارة الظلم اقتصاديا ومذهبيا وأمنيا على يد البوادي التي مالت مع سعود، وكانت شرسة في مهاجمة المدن والقرى الاحسائية والقطيفية من اجل نهبها.. الامر الذي هيأ الاهالي من الناحية النفسية والعملية لاستبدال الحكم السعودي، وقد دفع ذلك بالزعيم احمد مهدي بن نصر الله لتشجيع الاتراك في الاستيلاء على المنطقة، وتخليص الاهالي من محنتهم، حيث منعتهم حميتهم الدينية من التعامل مع الانجليز باعتبارهم ((كفارا))، وما كانوا بانفسهم قادرين على مواجهة السعوديين والانفراد بحكم انفسهم، خاصة بعد أن طالت سني الحرب الأهلية،

---

210 جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ١٧٤، ١٧٥.

211 عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ١٢ ٤. وانظر، العابد، جزء ٢، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

وشردت الآلاف من السكان قاذفة بهم إلى الامارات المجاورة وقضت على سبل المعاش، كما أن الحياة الاقتصادية عامة اصابها انتكاس مريع بسبب الاختلال الامني.

وحتى نجد نفسها انهكتها الحرب الاهلية، عدا المناطق الشمالية ((حائل))، ولم يكن الحكم السعودي يومها يلقى التعاطف، في وقت بدأ فيه نجم الشمّريين بالبزوغ واللمعان، مما سهل فيما بعد تمدّدهم جنوبا بمباركة الأهالي انفسهم.

هنا انتهز مدحت باشا دعوة الله الفيصل للاستنصار، وراح يعدّ العدة لاحتلال الاحساء ثم الانطلاق منها نحو نجد، وبادر لأخذ الأذن من استانبول، فباركت الاخيرة تجريد الحملة من بغداد بالتأييد، الا ان مدحت لم يشأ ارسال جنده إلى بلاد مجهولة، فأسرع بارسال بعض الموظفين في مهمة استطلاعية واشترى لهم سلعا وأرسلهم إلى القطيف والاحساء في زيّ التجار، فأقاموا هناك مدّة شهرين، وقفوا خلالها على قوة سعود الفيصل الحربية، وقلاعه ورجاله، وحالة الأهالي وآرائهم، وعرف هؤلاء التجار الاماكن التي يمكن للسفن الكبيرة ان تقترب، حيث قرروا ان افضل موقع هو ((رأس تنورة)) الذي يبعد عن القطيف حوالي عشرين كيلو متر[٢١٢].

واصل مدحت إعداد حملته، وأجرى التحالفات مع بني خالد حكام الاحساء السابقين ورتّب اتفاقا للاستعانة بناصر باشا السعدون، رئيس قبائل المنتفق، وقد رافق منصور باشا ((اخ ناصر)) الحملة فيما بعد.. كما طلب مدحت من حكام الكويت الدعم والمعونة، فتجمعت قوات الحملة بضعة ايام في الكويت، وأمر حاكمها أخاه مبارك بقيادة بعض القوات ضمن الحملة البرية، فيما شاركت حوالي ثمانين سفينة صغيرة في نقل المؤن إلى ساحل القطيف.

اكتمل الاعداد للحملة التي أُريد لها ان تكون حملة بحرية/ بريّة في آن واحد تحت قيادة الفريق محمد نافذ باشا، وهي تتشكل من:

* ثلاثة آلاف جندي نظامي، وبين ١٥٠٠ ــ ٣٠٠٠ مقاتل من قبائل المنتفق وبني خالد وبدو آخرين.

* جهّزت الحملة بتسعة مدافع ميدان، وحوالي ثمانين سفينة صغيرة تحمل المؤن، وزوّدت أيضاً بسفينتين حربيتين هما ((نينوى، وبروسّة))، اضافة إلى سفينة الحراسة خوجة بك، فيما اسرعت الباخرتان العثمانيتان ((لبنان، الاسكندرية)) عبر قناة السويس إلى الخليج لتعزيز وجود

212 مذكرات مدحت باشا، يوسف كمال حتاتة، ص ١٧٤، ١٧٥. وانظر عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤١٧.

الاسطول العثماني فيه، وقد حملت هذه السفن العديد من المقاتلين والرؤساء، ومن بينهم زعيم القطيف أحمد مهدي بن نصر الله[213].

تحركت الحملة من بغداد في الحادي والعشرين من ابريل ١٨٧١، الموافق للتاسع والعشرين من محرم ١٢٨٨هـ، وزوّد مدحت قائدها نافذ باشا ببيان مطوّل مؤرخ في يوم انطلاق الحملة، من اجل توزيعه على أهالي القطيف. وكان الاتفاق ان تلتقي الجيوش البحرية والبرية عند رأس تنورة، فكان الالتقاء في السادس والعشرين من شهر مايو ١٨٧١، حيث عسكرت هناك مدّة اسبوع، ثم انطلقت باتجاه الهدف الاول، وهو الاستيلاء على القطيف.. وذلك بعد أن دارت المكاتبات والوساطات بين الأهالي من اجل التسليم، فتقدمت القوات البرية باتجاه صفوى واستولت عليها دون مقاومة، وكذلك العوامية، أُخذت سلما وبترحيب من الأهالي، ووصلت القوة إلى القطيف في المحلّ المسمّى ((الخنزية)) فسلّم زعماؤها، بعد ان سبق القدوم اليها احمد مهدي بن نصر الله، ولم يبق من القطيف سوى القلعة التي تحصن فيها السديري، امير سعود الفيصل عليها، الا انه استسلم بعد ثلاث ساعات من القصف البحري وولّى هاربا.. وهكذا سقطت القرى الأُخرى تباعا.. الا ان تاروت ــ كما ينقل عبد العزيز الرشيد ــ ذهب اليها قسم من الجند من العربان وبادروا بنهبها، ولكنهم منعوا عن ذلك[214].

وفور سقوط القطيف ونواحيها وزّع نافذ باشا بيانا على السكان، كان قد اعده مدحت، يتضمن شرحا لأهداف الحملة، ومطمئنا الأهالي على انفسهم واموالهم، كما تضمن انذارا شديد اللهجة لسعود الفيصل والمتعاونين معه، من القبائل المتمردة الخارجة عن الضبط والقانون، ومما جاء في البيان المطوّل:

((ايها الناس والعشاير الساكنون في الاحساء والقطيف وجهات نجد كافة.. تحيطون علما هو انه كما هو معلوم لدى جميعكم ان قطعة النجد وملحقاتها وكافة المحال الداخلة فيها، هي من الممالك المقدّسة الراجعة للدولة العليّة مثل ساير الممالك المقدسة، كالعراق واليمن ومصر وتونس وطرابلس.. وان حماية هذه الممالك والاراضي وصيانة الناس الساكنين فيها، داخلة تحت دولة حامي ذوي الإسلام)).

---

213 تاريخ الكويت الحديث، احمد مصطفى ابو حاكمة، ص ٢٥١. والعابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٢١. وفاسيلييف، مصدر سابق، ص ١٩٤، ١٩٥. ومحمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٥٢، ١٥٦ وكذلك عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، ط ١٩٧١، ص ١٢٢. تجدر الاشارة إلى ان حملة الاحساء تطرّق اليها العديد من المؤرخين بالتفصيل، انظر مثلا، جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، مصدر سابق، من ص ١٧١ إلى ص ٢٠٤.

214 عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٢٤. وانظر تاريخ الكويت السياسي، جزء ٢، حسين خلف الشيخ خزعل، ص ١٢٧.

واشار الاعلان إلى تدهور الحالة في نجد وسيطرة العربان وتعديهم على الاهالي، مهددا إياهم بالضرب بقوة، موضحا: ((ان سعود الفيصل قد أغرى بعض الجهّال واغفلهم وخرج باغيا على اخيه المنصوب قائمقاما على بقعة نجد من جانب الدولة العلية، وجاء إلى اطراف الاحساء والقطيف، وجاس خلال الديار وأخذ الاهالي الموجودين هناك، فهو في هذه الحال قد حصل على ذنبين كبيرين، وجُرمين خطيرين، فأما الذنب الاول، فهو التجاوز على حقوق حكومة اخيه عبد الله الفيصل المودعة بعهدته من طرف ذي الشرف الجليل السلطان. وأما الذنب الثاني، فهو تشجيع الملّة الاسلامية والتبعية العثمانية على محاربة بعضهم بعضا، بحيث ان ذلك التشجيع يكون سببا في تفريق القوة الاسلامية. ولما كانت حقوق الحكومة المخولة لعهدة عبد الله الفيصل لازمة، وان جميع البلاد والعباد هي وديعة الله تعالى تحت الظل السلطاني الظليل، وان ترصيص هذه الحالات وابقائها لازم بتأسيس اساس مأمورية محكمة الاساس، بهذه قد عيّنت الدولة فرق عسكرية كافية من بغداد تحت ادارة صاحب السعادة الفريق نافذ باشا، ركن من أركان الأوردي السادس، وهاهي قد خرجت إلى ساحل القطيف مع ذلك المقدار من السفاين النارية.. فالآن يلزم لكل منكم ان يعلم ان حكومة قطعة نجد بأطرافها وأكنانها، لما كانت مخولة من طرف حضرة مولانا السلطان أدامه الرحمن، إلى عهدة عبد الله الفيصل، فأنها اليوم أيضاً قد ابقيت بعهدته وتقررت. وأن المومأ اليه الآن هو قائمقام نجد، وراجع إلى ولاية بغداد. وأما المقصد من تعيين العساكر السلطانية، إنما هو محافظة حقوق الحكومة)).

((ان سعود الفيصل هو متهم، فاذا اظهر الندامة وأبدى التوبة من افعاله، وجاء إلى الفرقة العسكرية، وطلب الدخالة لأجل تحصيل عفو الحضرة السلطانية ومرحمتها السنيّة، يقتضي ان يرسل إلى بغداد.. وإذا اظهر المخالفة، فان المعاملة الشديدة تجري بحقه مع التأسف، تطبيقا للآية الكريمة: (أنما جزاء الذين يسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا.. إلى اخر الآية الشريفة... وكما قال عز من قائل.. وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى امر الله.. وقد صار مفهوما من منطوق هذه الاية الكريمة أن مآل الباغين مثل سعود وطائفة المتفقين معه على هذا البغي، إذا لم يرجعوا عن بغيهم من الامور الواجبة شرعا، وإذا وجد احد من الناس معه، فانما ذنوبهم في رقابهم، كما قال الله تعالى.. من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد. وإذا كافة الناس الموجودين في الاحساء والقطيف، فانهم مهما كانوا متى ما لم يقفوا بصدر العسكر ولا

بوجه الحكومة، فانهم تحت راية الرأي والامان، وكافة أرواحهم وأموالهم واعراضهم محفوظة، بموجب أحكام الشريعة المطهرة، ومضمونة من كافة التجاوز والمداخلات فيها)) [٢١٥].

أثار الاعلان ارتياح السكان، وانعكس ذلك على سكان الاحساء، الذين بادروا إلى التعاون مع الحملة العثمانية، مما سهّل عليها التقدم بسرعة بعد ان رتب نافذ باشا حامية للاتراك في القطيف.. فقد تحركت الحملة جنوبا لمهاجمة مرفأ الدمام الذي يقطن بالقرب منه أعداد من البدو في الخيام أشهر الصيف، وفي الطريق سيطرت القوات على قلعة عنك ووصلت بعد برهة إلى المرفأ، فاستولت عليه دون أية مقاومة في الخامس من يونيو حزيران ١٨٧١، وهرب من حامية المرفأ المسؤول عنها، وهو عبد العزيز بن سعود، وغنمت القوات العثمانية احد عشر مدفعا وكميات كبيرة من الذخيرة، جاء القسم الاكبر منها من البحرين.

حتى هذا الوقت لم تصطدم الحملة بقوات سعود الفيصل، الذي كانت خطته تعتمد على ابعاد القوات التركية عن الشاطئ حتى تطول خطوط اتصالاتهم، وحينها يهاجمهم البدو ويفنوهم قتلا أو يموتوا عطشا.. أما الحصون فستستسلم بعد حصار من فيها وتجويعهم بقطع خطوطهم عن البصرة برًا، وقد عرض سعود هذه الخطة على بيلي طالبا منه ان يتكفل بمنع الاتراك من استخدام البحر، ولكن بيلي لم يجبه، لان مواجهة العثمانين من أجل تحقيق هدف سعودي كان مستحيلا [٢١٦].

على أن خطة سعود تحمل عناوين عديدة للضعف، الذي كان احد مصاديقه عدم الاصطدام بالقوة الكبيرة التركية، التي كانت تعتمد على خطة بسيطة هي السيطرة على الشاطئ والمدن والقرى الواقعة بجانبه، ثم التمدُد نحو الاحساء، ثم التوغل برا لاحتلال الرياض.. نعم لربما كان بامكان خطة سعود النجاح لو ان الاحساء والقطيف لا تشرفان على الساحل، أو لو ان الانجليز جازفوا باعلان حرب بحرية ضد الاتراك، أو لو كان الاخيرون تقدموا نحو الرياض، فحينها يسهل ضرب خطوط الامدادات.

لكننا نعلم ان الاحساء والقطيف قريبتان من الساحل، وحينما سمح سعود للقوات العثمانية بالتقدم لضعفه، كان ذلك يعني ضياعهما من يديه.. ثم ان الاتراك لم يغامروا بالتقدم نحو الرياض ــ وان كانوا قد خططوا لذلك ــ، فخلفاء مدحت على ولاية بغداد لم يواصلوا مشروعاته، ربما لان حليفهم ابن الرشيد حاكم حائل، بدأ بالتمدد جنوبا، لأنهاء السيطرة السعودية على كامل التراب النجدي.

---

215 جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٤٨٢ ــ ٤٨٦.

216 العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٢١.

تابعت قوات نافذ باشا مسيرها نحو الاحساء مخلفة وراءها السفن الحربية في القطيف، واستمرت في تقدمها رغم ما اصابها من ضعف بسبب هلاك حوالي ٤٠٠ جندي في الطريق، في وقت انهك المرض وسوء الطقس حامية القطيف والسريتين اللتين وُضعتا في الدمام[٢١٧].. وصلت الحملة إلى القطار شمال بلدة العيون، وحينها كتب نافذ باشا لوالي الاحساء من قبل سعود الفيصل ((المملوك)) فرحان بن خير الله، ان يستسلم، وإلاّ فان الهلاك سيكون مصيره، كما وزع نافذ منشورا اخر على الاهالي يخبرهم بمقدمه غدا ((المنشور مؤرخ في ١٨ / ٤ / ١٢٨٨هـ))[٢١٨]، ويدعوهم إلى استقباله بالطاعة، ويؤمنهم فيه على انفسهم وأملاكهم، ويذكرهم بما بلغهم من حسن المعاملة لأهالي القطيف.. جاء في البيان:

((الباعث لتحرير الكتاب، هو أنه قبل هذا ارسلنا لطرفكم مكاتيب مخصوصة، وملفوفة بطيُّها اعلانات مطبوعة، متضمنة اسباب كيفية مأموريتنا، وخلاصة افكار صاحب الدولة العلية، وزبدة ما في ضمير حضرة السلطنة السنيّة، انها مجرد ارجاع أمن البلاد ليستريح الناس، ويصرفوا اوقاتهم في مكاسبهم، وازدياد ثروتهم، واستجلاب دعواتهم الخيرية، لدوام أيام الدولة، وقد فهمتموه مفصلا، ولأجل ذلك صرفنا النظر في هذه الدفعة عن الاطناب والاسهاب في بيان ذلك، واقتصرنا على اخباركم بمجيئنا هذا اليوم، ووصولنا القطار، وغدا ان شاء الله نرحل، وتتوجه إلى الاحساء. فمن استقبلنا بالطاعة، تقابله بعهد الله وأمانه على نفسه وماله، ونبذل دونه الرعاية والحماية، ومن يستقبلنا بالعصيان وعدم الطاعة فسنسحقه بحول الله وقوته بسنابك الخيل، ونجعل داره تدعو عليه بالثبور والويل، وبناء على ما بلغنا أنكم اليوم في أسوأ حال، من جراء ما لقيتموه من شدائد الظلم والوبال، وتمنيكم سرعة مجيئنا لأجل استخلاصكم من ذلك، سارعنا للمجيء، فاذا أحاط علمكم بذلك، فتوكلوا على الله واستقبلونا بالمواجهة، ولكم عهد الله وأمانه، على الانفس والاموال، وسوف ترون ان شاء الله ما يسركم، ويكفيكم شاهدا على هذا ما بلغكم من حسن معاملتنا لأهل القطيف وملحقاتها من أهل القرى والعشائر. ليكون معلومكم، ولأجل ذلك بادرنا بتحريره، ثمانية عشر ربيع لاخر، سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف[٢١٩].

بين سقوط الدمام في ٥ يونيو ١٨٧١، ودخول الاحساء في ٧ يوليو ١٨٧١، شهر كامل امضته القوة التركية في مقاطعة القطيف، وفي هذه المدة تمت مراسلة أهالي الاحساء وزعمائها من الشيعة والسنة، للوقوف على رأيهم، فوجدت التشجيع الكافي من الأهالي والآمال المعلقة على القوة العثمانية في اقرار الامن. وقد ركز منشور نافذ باشا الموجه لأهالي الاحساء على

217 تاريخ الكويت الحديث، ص ٢٥٢. ومحمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٦٤.

218 يوافق السادس من يوليو ١٨٧١.

219 آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٧١.

قضية الأمن، لان المشاكل الاخرى تهون دونها، وأوضح ان هدف الحملة هو بسطه واقراره، وهذا ما كان يريده الأهالي. وقد لعبت هذه المراسلات والمنشورات دورا بالغ الاثر في الضغط على والي الاحساء السعودي للفرار، والتسليم بعدم المقاومة، بعد ان رأى الأهالي غير متحمسين للقتال معه.

وحين دخل نافذ باشا ورئيس اركانه البكباشي رجب بيك الهفوف، استقبلهما الاعيان والاهالي بالترحاب البالغ، وفرَّ من ساعتهم الانصار القليلون الموالون للحكم السابق.. وهكذا تحقق الانتصار السهل والسريع للقوات التركية وتكللت اهداف الحملة بالنجاح غير المتوقع.

ويرجع سبب الانتصار السهل والحاسم لقوات الحملة العثمانية إلى سوء افعال الحاكم السعودي، سعود الفيصل، للاهالي وبالخصوص للشيعة، وما قامت به قواته من افعال مشينة بحقهم، وكما اشار تقرير بريطاني في يوليو ١٨٧١، انه ما كادت القوات العثمانية تتقدم قرب مقاطعات الاحساء، حتى انتفض السكان ضد قوات سعود ورغبوا إلى العثمانيين[٢٢٠].

والحقيقة ان اتباع المذاهب السنيَّة الاخرى، عانوا أيضاً من عدم الاستقرار، وتعرضوا للمضيقات، بل وفرَّ العديد من رجال الدين إلى الامارات المجاورة، وفي العموم كانت احوال المواطنين من السوء لدرجة الترحيب بالقوات التركية. وقد اشار الدكتور محمد عرابي نخلة، إلى ان سبب عدم المقاومة هو: ان اتباع سعود من العجمان أساؤوا معاملة سكان المدينة ((الهفوف))، كما ان قسما كبيرا من سكان الواحة هم من بني خالد الذين اعلنوا انضمامهم للسلطات العثمانية، فقد لاحت لهم بارقة امل من جديد بعودة الحكم اليهم، هذا اضافة إلى ان العداء لمذهبي بين الوهابيين والشيعة قد ساهم في هزيمة السعوديين[٢٢١].

موقف الوهابيين من احتلال الاحساء

استاء مشايخ الوهابية من استيلاء الأتراك السهل على الاحساء، ومما زاد من حنقهم هو قبول الاهالي السنَّة والشيعة بالحكم التركي.. وكان تشديدهم على اتباع المذاهب السنية اكبر، خاصة بعد ان عاد الجميع لممارسة معتقداته المذهبية بحرية، وتبين ان اتباع المذهب الوهابي قلة قليلة جدا، خرجت من الاحساء، الا من تنكر لمذهبه، وأصر على البقاء.. ذلك ان الوهابيين اعتبروا الاحساء بلد كفر وزندقة، يجب مغادرتها طالما يسيطر عليها الكفرة المشركون!.

---

[220] جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ١٨٢.

[221] د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٦٥ ــ ١٨٧.

وصوّر الوهابيون الاحساء بمجرد أن استولى عليها الاتراك، بأنها مرتع للمفاسد والكفر والزنا وكل المحرمات والموبقات الاخرى، وغير ذلك من المبالغات. قال احدهم يصف الحالة وهو قابع في نجد[٢٢٢]:

.. ويبدو بها التعطيل والكفر والزنا أناخ لدينا للضلالة شيعة		ويعلو من التأذين صوت المزامر أباحوا حمى التوحيد من كلّ فاجر
ثم يتعرّض للذين قبلوا الحكم التركي:		
وقابلهم بالسهل والرحب عصبة يقولون لكنّا رضينا تقيّة		على أمة التوحيد أخبث ثائر تعود على أموالنا والذخائر

أما زعيم الوهابية حينها، الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، فقد آذاه خضوع الأهالي للحكم العثماني، فراح يشتم ويقرّع ويصفع باليمين وبالشمال.. ويبدي تألمه الشديد، لأنه اصبح للشيعة كلمة وحرية في العقيدة:

وصار لأهل الرفض والشرك صولة وأذّن بالناقوس والطبل أهلها		وقام بهم سوق الردى والمناكر ولم يرض بالتوحيد حزب المزامر[٢٢٣]

ويعود مقرّعا للسنّة، كيف قبلوا حكم ((الصليب العثماني!))، ويصمهم بالضلال:

فيا أمّة ضلّت سبيل نبيّها يعزّ بكم دين الصليب وآله		وآثاره يوم اقتحام الكبائر وأنتم بهم ما بين راضٍ وآمر

ويصل الأمر إلى الدعاء بجهنم عليهم وتهديدهم بالنار لأنهم لم يدعموا أهل الحق ((الوهابيين))، ولأنهم كفروا بدين الله، ولأنهم نسوا عهودهم:

هَوَت بكم نحو الجحيم هوادة سيبدو لكم من مالك الملك غير ما		ولذّات عيش ناعم غير شاكر تظنّون أن لاقي مزير المقابر
يقول لكم ماذا فعلتم بأمّة		على ناهج مثل النجوم الزواهر[٢٢٤]

[222] قصيدة لعبد الرحمن بن طوق النجدي، مشاهير علماء نجد، مصدر سابق، ص ٨٧.

[223] المقصود ان اهل الاحساء اعتنقوا عقيدة العثمانيين ((عقيدة الناقوس المسيحي!))، وأنهم لم يرضوا بدين ((التوحيد)) الوهابي.

[224] المقصود بالامة التي على نهج النجوم الزواهر، هم الوهابيون، وكذلك البيت الذي يليه.

سللتم سـيوف البغـــي مـــنهم وعطّلـــت		مـــــساجدهم مــــن كـــــلّ داع وذاكــــــر
ووالبتمــــوا أهـــــل الجحـــــيم ســــفاهة		وكنـــــــتم بـــــــدين الله أول كـــــــافر[225]
نــسيتم لنـــا عهــــدا أتــــاكم رســـولنا		بـــه صـــارخا فـــوق الـــذرى والمنـــابر[226]
فسل ساكن الاحساء هـــل أنـــت مـــؤمن		بهـــذا ومــــا يحـــوي صـــحيح الـــدفاتر؟
.. فقال الشقي المفتري كنـــت كارهـــا		ضعيفا مـــضاعا بـــين تلـــك العـــساكر[227]

وإذا كان موقف الشيعة في المنطقة تجاه الاتراك ممّا يسهل هضمه لدى الوهابيين، فانهم لم يتحمّلوا موالاة اتباع المذاهب الأخرى لم.. فهذا ابن سمحان[228]، يحضُّ الأهالي على الثورة ضد الاتراك، ويطعن مشايخ المذاهب بأنهم جبناء، وعليهم أن يغادروا الاحساء بلد الشرك والكفر.. قال موجّها حديثه للشيخ عبد اللطيف بن عمير[229]:

إذا لـــــم تبــــادرهم بعيـــــب لـــــدينهم		وتكفيـــــرهم جهــــرا فقـــد كنـــت أوجــــرا
ففــــرض علـــيكم واجـــب أن تهــــاجروا		كمــــا قــــد أتــــى نـــصًا بــــه الله أخبــــرا

ثمّ يوضّح أنه من غير المفيد التقرب من الاتراك، ولا يكفي الانزواء عنهم بخيرهم وشرّهم:

ولكــــن بتكفيـــــر لهــــم وبـــــشتمهم		جهــــارا وتــــصريحا وغيبـــا ومحــــضرا!

ولا يطيب لابن سمحان الاكتفاء بهذا القدر من الدعوة للثورة والتكفير الذي استخدمه بشكل واسع، حتى ادخل واسع، حتى ادخل ــ بحسب قول الدكتور عبد الله الحامد ــ بشرا كثيرا في الكفر والزندقة، منهم المعاصرون والمتقدمون، والمحسنون والمسيئون، مما جعل الدكتور يلتمس له العذر، قائلا بأن ابن سمحان يعبر عن حالة نفسية، وليس عن الدعوة الوهابية، وان قضية

225 المعنى بأهل الجحيم هم الاتراك.

226 الغريب أن قائل هذا الشعر، كان قد ناقش علماء السنّة في الاحساء في عهد فيصل بن تركي ليتحولوا إلى الوهابية، وقالت المصادر السعودية انه نجح في مهمته، ولكن هذه القصيدة تثبت عكس ذلك، وكما قال الدكتور عبد الله الحامد العلي، ان الخلاف بين العلماء السنّة في الاحساء، وهم اصحاب مدرسة في الفقه والثقافة، شأنهم في ذلك شأن علماء الحجاز، وبين مشايخ الدعوة الوهابية، يبدأ صغيرا إلى ان ينتهي إلى الاصول، شأنهم في ذلك شأن علماء الحجاز وبين مشايخ الدعوة الوهابية، يبدأ صغيرا إلى ان ينتهي إلى الاصول، ولهذا لم تنجح حتى ذلك الحين الدعوة الوهابية بين صفوف السنّة في الاقليم.

227 عبد الرحمن آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٨٩.

228 هو سليمان بن سمحان، ولد سنة ١٢٦٧هـ في قرية (السقا) قرب ابها عاصمة أقليم عسير هاجر إلى الرياض سنة ١٢٧٨هـ، إثر استيلاء المصريين عليها، واشتغل معلما لصغار آل الشيخ، وأثناء الخلاف بين اولاد فيصل غادر إلى الافلاج، ثم عاد إلى الافلاج، ثم عاد بعد وفاة سعود الفيصل للرياض، فعيّنه عبد الله الفيصل كاتبا عنده، والملاحظ انه لم يتطرق في شعره إلى الخلاف بين الأخوين، وما تلاه من نكبات، خوفا على نفسه، توفي عام ١٢٤٩هـ.

229 الشيخ عبد اللطيف آل عمير، له صلات قوية بالاتراك، وكان نديما للوالي على الاحساء احمد عزة العمري، وقد كان الاخير شاعراً. انظر شعراء هجر، من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر، للدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، دار العلوم ١٩٨١، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

تكفير الدولة العثمانية قضية ذات طابع سياسي، ليس له من الدين مستند، ومن شعر ابن سمحان المتطرف في التكفير، ما يتحدث به ضد احد خصومة السنّة من علماء الاحساء، معددا منكرات ليس لها اصل من الصحّة والواقع، ثم ينثني على الشيعة بصورة تهكمية صارخة، قائلا بأن اظهار التشيع شائع لا احد ينكره:

وأعلـم بـأن الظُلْـمَ والظُلْـمَ التـي		قـد شـادها الاصـرارُ والأصـار
فـي هـذه البلـد التـي أنـتم بهـا		والحكـم بالقـانون والأوزار
وبها اللـواط لـدى العـساكر والزنـا		والخمـر والتنبـاك والمزمـار
والـرفض عنـدكم رخـيصٌ سـعره		إظهـاره مـا إن لـه إنكـار
والله حـرُم مُكـث مـن هـو مـسلم		فـي كـل أرض حلُهـا الكفـار
ولهـم بهـا حكـم الولايـة قـاهرا		فاربـأ بنفـسك فالمقـام شـنار[230]

وقد تصدّى علماء السنّة لابن سمحان وأضرابه، وكان شعر هجائهم قويا شديدا أن منه ابن سمحان وتوجع، حتى ثارت ثائرته واستعدى عليهم قاسم بن ثاني، حاكم قطر ليكبتهم، قال عبد الله بن عبد القادر مهاجما ابن سمحان[231]:

يـا قـبَح الله بـدعيا يحـاول مـن		إثبـات بدعتـه مـا كـان ينهـار
أخـو هـوى مولـع بـالحق يدفعـه		لـه علـى أهلـه ردٌ وآثـار
يقـول هـذي فـروع ضـلُ آخـذها		وإنمـا هـي قـرآن وآثـار
وضـلَّ النـاس فـي تقليـدهم سـلفا		هـمُ الهـداة الألـى للـدين أنـصار
يقـول قـد عبـدوا الأحبـار واتخـذوا		لله نـداً فحـسب الأبعـد النـار

وحينما ابدى علماء الاحساء مآخذهم العديدة على آل سعود وحكمهم السابق، نرى ابن سمحان يعتذر لآل سعود ويقول ان هزلهم خير من جدّ حكامكم:

ففـيهم أمـور منكـرات وفعلهـا		حـرام علـيهم لا يـسوغ ولا يحـلُ
ولكـنهم أولـى بكـل فـضيلة		وأحـسن حـالا مـن ذويـك ذوي الخطـل

ويمكننا تلخيص سبب موقف مشايخ الوهابية العدائي للحكم العثماني في الاحساء، في النقاط التالية:

اولا: جعلت فكرة التكفير التي اعتمدها الوهابيون وطبقوها على جميع المسلمين ممّن خالفهم في الرأي، جعلتهم في موقف مضاد للعثمانيين، باعتبارهم هم والشيعة والسنّة في الاحساء كفرة

230 د. عبد الله الحامد العلي، مصدر سابق، ص ١٥٢، ١٠٨.

231 المصدر السابق، ص ٢٩٨.

وزنادقة، سيما وان للوهابيين ثارات ضد العثمانيين الذين اسقطوا دولتهم الأولى، وهدموا الدرعية في حملة محمد علي باشا المعروفة.

ثانيا: اعتبر الوهابيون الاحساء احدى مقاطعاتهم، كما اعتبروا سيطرتهم عليها انتصارا مذهبيا كبيرا لم، اضافة إلى المكسب السياسي والاقتصادي والاستراتيجي.. وبالطبع لا يمكن لهم تحمل ضياعها، وان كانت المنطقة قد خضعت لهم سنوات قليلة مملوءة بالفتن والاضطرابات.

ثالثا: المسالة المهمة الاخرى، هي كون الوهابيين مندفعين بأقصى قوة ضد الشيعة، الذين هم اكثر كفرا من الاتراك ـ بنظرهم ـ وكان الشيعة يشكلون تحديا مذهبيا حاولوا تطويعه بالقمع والارهاب.. ولشد ما آلمهم رؤية الشيعة يعودون لممارسة عقائدهم المذهبية بحرية كاملة، فراحوا يصرخون ويعيرون ويهددون بسيف ضائع في خضم الفتن السياسية في نجد.. ولما لم يجدوا ما يهددون به انكفأوا يهجون ابناء فيصل بن تركي على صراعهم وتضييعهم للاحساء.

موقف الانجليز من الحملة العثمانية

قبل ان تنطلق حملة مدحت باشا من بغداد، وحينما كان يجري الاخير استعداداته لها، حاول قدر الامكان ان لا يتسرب خبرها إلى الانجليز، وشدد على موظفيه بأن لا يلتقوا باي بريطاني، ولما قرب اكتمال الحملة، عرف البريطانيون عن طريق جواسيسهم بأمرها، فأرسلوا للباب العالي مستفسرين عن أهدافها، فأجاب وزير الخارجية التركي مطمئنا بأن نجدا وتوابعها من املاك الدولة، أما الامارات الاخرى فليس لحكومة الآستانة اطماع فيها[٢٣٢].

لم يكن للبريطانيين من حجة للاعتراض، فهم يعلمون ان نجدا والاحساء خاضعتان اسميا لدولة الخلافة، وكثيرا ما كان فيصل بن تركي، وابناء فيصل يتحدثون مع الانجليز بوصفهم ولاة للعثمانيين، ولكن بريطانيا خشيت من ان يجازف الخاضعون تحت نفوذهم لمعاونة الاتراك المندفعين بقوة.. أي انهم كانوا خائفين من فقدان هيبتهم لدى المشايخ الخاضعين لهم، كما حدث فعلا في الكويت، والتي آزرت الحملة البحرية والبرية.. كما كانوا قلقين من انتقاص سيادتهم الكاملة في مياه الخليج[٢٣٣].

عاد مدحت باشا فأزعج الانجليز بتصريحاته، فقال مؤكدا في صحافته بأن نجدا تعني بالنسبة اليه كل المناطق التي كانت خاضعة لها في يوم من الايام، كالبحرين وعمان وعموم الساحل المتصالح وقطر، فبادر البريطانيون بفزع إلى الباب العالي عارضين عليه الاتفاقيات المعقودة بينهم وبين شيوخ الامارات المحلية.. فمثلا، حدث في مارس ١٨٧٠ ان صرّح مدحت بأن

---

[232] التيارات السياسية في الخليج والجزيرة العربية، الدكتور صلاح العقاد، ص ١٨٦.

[233] تاريخ الكويت الحديث، ص ٢٥٠.

البحرين تابعة لنجد، وان الاخيرة تابعة بدورها للسلطة العثمانية، فأبرق القنصل البريطاني في بغداد إلى السفير البريطاني في القسطنطينية قائلا: ((يقال انه لو نجحت حملة نجد، فانها ستسير لاحتلال البحرين ومسقط وساحل الجزيرة العربية)).. ولما عُرضت هذه المخاوف على الباب العالي، أكد من جانبه انه لا يعتزم التعرض لتلك البلدان، رغم ان البحرين إمارة لا تزال تابعة لدولة الخلافة.

على ان القلق استمر مسيطرا على عقول صنّاع السياسة البريطانية، من أن تجدُّد الدولة العثمانية نشاطها وتمدُّ يدها إلى الاطراف البعيدة من امبراطوريتها، فحاولوا مرارا أ، يوقفوا الحملة بالاحتجاج حينا، وبالانذار والتهديد حينا آخر، من ان حملة مدحت ((تعكّر صفو السلام في المنطقة)).

زاد امتعاض البريطانيين من الانتصارات السهلة التي حققها الاتراك في القطيف والاحساء، وكانوا يتمنون لو ان الحملة تتوقف عند الاحساء، الا ان تحول قاسم آل ثاني ـــ ابن حاكم قطر ـــ إلى محالفة العثمانيين افسد حسابات الانجليز.. فقد اشار قاسم على نافذ باشا بعد استقراره في الهفوف، ان يجعل قطر تحت الحماية التركية تخلصا من عبء الضريبة التي يصر البريطانيون عليه ان يؤديها لحكام البحرين، فخرجت قوة من الاحساء واستقرت في الدوحة وفرضت الحماية عليها، ويومها لم يرَ الشيخ قاسم، الذي كان قبل ثلاث سنوات ((١٨٦٨)) قد وقع معاهدة مع بريطانيا، في وجود الحامية العثمانية تعارضا مع مركزه واستقلاله كزعيم لقبائل قطر [٢٣٤].

صعق الانجليز لجرأة مدحت باشا وثقته بقدرته على تصفية النفوذ البريطاني من كل شاطئ الخليج الغربي، فحين وصل خبر رفع العلم العثماني على الدوحة إلى المقيم في بوشهر، بادر بارسال السفينة الحربية ((HUOGH ROSE)) إلى قطر في منتصف ١٨٧١، للتأكد من الخبر الصاعق.. فجاء التأكيد بأن العلم العثماني يرفرف على الدوحة، وان سفنا كويتية وعثمانية قد زارتها، فعاد المقيم وأرسل نائبه الميجور سميث إلى الدوحة، ليتأكد من الامر ثانية، فاجتمع الميجور بحاكم قطر محمد آل ثاني، وعلم منه انه لم يرد الحماية العثمانية، لكن ولده قاسم اجبره على قبولها، وهو الذي رفع العلم التركي.

ابرق المقيم في بوشهر، الكولونيل يلي، إلى القنصل البريطاني ببغداد يأمره بالاجتماع مع مدحت باشا، ويستفسر منه عمّا يجري في قطر.. وقد قابل مدحت الدهاء البريطاني بالمثل، فقال انه لا يعلم بأن العلم التركي يرفرف على قطر، فضلا عن ان التأكيدات العثمانية لم تشملها.. ثم

---

234 العقاد، مصدر سابق، ص ١٧٤، ١٧٧. وانظر الدولة السعودية الثانية، ص ١٦٩.

طعن السلطات البريطانية في الصميم بقوله: ان البحرين تابعة لنجد، ملمحا إلى احتمال ضمّها[235].

بل ها هو مدحت ــ بجرأته المعهودة ــ يحاول اقناع شيخ البحرين، بأن يسمح للعثمانيين باقامة قاعدة لعملياتهم العسكرية لضرب سعود الفيصل على الاراضي البحرينية، فأوعز البريطانيون لحاكم البحرين ان يرفض الطلب، بل ورفض التعاون من الاساس.. مع ان طلب مدحت حمل في طيّاته تهديدا وإحراجا للشيخ عيسى، الذي استمر في دعم سعود الفيصل في مهاجمة القوات التركية، ملمُحا إلى أنها طرف في النزاع.. ورغم أن مدحت لم يرد ان يحصل على قاعدة عسكرية في البحرين، وبنظرنا فانه لم يتوقع ذلك، فانه أجبر الانجليز وشيخ البحرين على الانكماش، وجعلهم يفكرون فيما قد يؤدّيه تماديهم في دعم سعود الفيصل.

لقد كانت عين الانجليز مفتوحة على الاحساء باعتبارها الحلقة المفقودة في سلسلة المقاطعات المتناثرة على الخليج، فحاولوا اعاقة تجريد الحملة من الاساس، فاذا بمدحت يأخذ قطر ويطرق أبواب البحرين، ويقضي على التواءات شيوخ الكويت المعهودة.

شعر الانجليز ان مدحت باشا يريد استغلال الدعم البريطاني لسعود الفيصل، وتورط البحرين ومسقط في ذلك لتوسيع نفوذ العثمانيين، وكان مدحت صريحا حينما قال بأن نجد تشمل البحرين وقطر ومسقط وكل الامارات الاخرى.. ولهذا ابدى البريطانيون الحياد الظاهري في الصراع العثماني السعودي، وتركوا سعود الفيصل وحيدا حينما رأوا ان القوة التركية عازمة على انهاء نفوذه. ومن جهته شعر الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين بأن دعمه وصداقته لسعود هي السبب في تهديد العثمانيين له، وخشي من ان تودي به تلك العلاقة إلى خطر انتقام العثمانيين منه.. ومن الملاحظ ان عيسى كان على استعداد لمعاونة سعود، طالما لم يخرج ذلك عن النطاق المحلّي، أي في علاقته مع غيره من الشيوخ، ولكن عندما أدرك ما يجرّه عليه ذلك من تهديد الاتراك بدأ يتراجع عن تأييده، وكان هذا عين الموقف البريطاني.

فقد أعرب عيسى للميجور سيدني سميث في الاول من نوفمبر ١٨٧١، بأنه يرغب في الوقوف على الحياد في الصراع العثماني ــ السعودي ــ وانه لن يستطيع تقديم المساعدات لسعود الفيصل بعد اليوم، لان ذلك يعرض بلاده للخطر، ولم يلبث ان أكد عيسى حياده بفرض ضريبة مقررة على حمولة من القمح كانت مصدّرة من الهند لحساب سعود.. وعاد فكتب مرة اخرى للمقيم بيلي بانه يخشى ان يلتجئ سعود مرة اخرى للبحرين في محاولة لتنظيم صفوفه والبدء بجولة جديدة من المعارك ضد الاتراك، فاقتنع بيلي انه ليس من الصالح الوقوف مع

[235] د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

سعود في معركة خاسرة إلى الحد الذي يهيج الاتراك بالسماح له بالاتجاء للبحرين، ونصح يبلي عيسى بأن يكتب لسعود محذّراً إيّاه من اللجوء اليه[٢٢٦].

اكثر من هذا.. لما رأى الانجليز الاندفاع التركي للسيطرة على سواحل الخليج كلها، وإحكام السيطرة على مياه الجزيرة العربية من جهاتها المتعددة، قدّموا احتجاجات متكررة إلى الباب العالي ضد زيادة الاسطول العثماني في الخليج، مستفيدا من فتح قناة السويس، وقدوم سفينتين حربيتين لتنضما اليه.. في الوقت الذي اعترفوا فيه بأن نجدا جزء من الامبراطورية العثمانية، وطلبوا عدم التدخل في شؤون الامارات الاخرى، وهددوا بزيادة السفن البريطانية لاعادة التوازن[٢٢٧]. ولم تتراجع تركيا عن طموحاتها الا بعد ابعاد مدحت باشا عن حكم العراق الذي حاول ــ اثناء زيارته للاحساء وتفقد قواته فيها ــ زعزعة الوجود الاجنبي في البحرين، فاعترضته السفن البريطانية فأدّى إلى تراجعه عن مخططه ــ إلى حين ــ.

بقي أن نوضح موقف بريطانيا من سعود الفيصل اثناء تقدّم القوات العثمانية واحتلالها المنطقة.

أول ما يلاحظه الباحث، هو ان الانجليز كانوا ضدّ الحملة، وهذا امر طبيعي بالنسبة لدولة استعمارية تطمح إلى مدّ نفوذها إلى أي مكان تستطيعه، ولا يحتاج الامر إلى ايضاح بأن وجود الاتراك في الاحساء يعيق بشكل كبير تنفيذ هذه الطموحات، خاصة وان تركيا دولة عظمى منافسة، بحساب ذلك الزمان.

أما سبب عدم الاصطدام بالقوة التركية فراجع من وجهة نظرنا إلى الامور التالية:

أولا: ان الحرب الكبيرة تكون في الغالب من اجل هدف كبير، وان المجازفة بحرب مع الاتراك من اجل الاحساء هي بالحساب البريطاني حرب غير معلومة النتائج، وستكون الحرب عالمية شاملة تنتهي بنهاية احد الطرفين، ولم تكن بريطانيا يومها متأكدة من النصر. وكانت سياستها تقوم على اقتطاع اجزاء من الامبراطورية العثمانية بالتعاون مع الدول الاخرى، كما حدث في حرب البلقان، فضلا عن ان سياسة بريطانيا كانت قبل مدّة وجيزة من الحملة تعتمد على تقوية الامبراطورية العثمانية ضدّ الامبراطورية القيصرية الروسية.

ثانيا: ليست هناك مسوغات قانونية في شن الحرب على أراضي الاحساء والقطيف وقطر بل وكامل نجد، وهي اراض سبق لتركيا ان سيطرت عليها سنوات طويلة، وكانت بريطانيا هي العنصر الدخيل والطارئ في المعادلة.

---

[236] جمال زكريا قاسم، الجزء الاول ص ١٨٥، ١٨٦. ود. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٦٨ إلى ص ١٧٠.

[237] محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٦٨، ١٦٩.

ان الانجليز ومنذ البداية حاولوا تحاشي الحرب المباشرة مع الاتراك، بالامتناع عن دعم سعود الفيصل، وان كانوا راغبين في ذلك.. ولعلهم رأوا ان الحكم السعودي مشرف على نهايته نتيجة الحرب الاهلية من جهة، وان آل سعود لن يكون بمقدورهم – حتى مع الدعم البريطاني – ثني الحملة التركية عن اهدافها، هذا اضافة إلى ما سيسببه الدعم من تحرش تركي بمناطق النفوذ البريطاني في البحرين وساحل عمان المتصالح.

ولهذا رأينا كيف أن بيلي لم يجب على التماسات سعود الفيصل بتنسيق العمل لمواجهة الحملة التركية بحرا، بينما يتصدى لها هو من البرّ، ورأينا بيلي مرة أخرى يوافق – ان لم يكن يدفع – باتجاه منع سعود من اللجوء إلى البحرين، حماية لها، رغم الاغراءات التي قدمها الأخير.

ومن خلال مطالعتنا للمصادر السعودية، نجد ان هناك عتابا للانجليز، وملخص العتاب هو: لماذا سمح الانجليز وهم سادة البحر للحملة العثمانية البحرية بالقدوم؟.. ولماذا لم يكونوا اكثر جدية في تنفيذ تهديداتهم ضد الاتراك؟.

يقول احد السعوديين[٢٣٨]: ((إن بريطانيا لم تكن جادة في استخدام القوة عند عدم جدوى الانذارات))، وهذا امر طبيعي، فالمصلحة البريطانية لم تكن في شن حرب لم تكن متأكدة من الانتصار فيها، ومن اجل هدف صغير يكون في النهاية ملكا للسعوديين.

على ان بريطانيا لم تكن بالضرورة، وفي بداية الامر، تريد الاحساء والقطيف لها، بمقدار ما كانت لا تريده للعثمانيين، بمعنى انها كانت تريده لسعود الفيصل لتؤمن المرحلة الاولى حمايتها لمحمياتها، ومن ثم تبسط نفوذها الكامل على الاحساء نفسها.. لكن سياسة بريطانيا لم تزد عن دعم سعود الفيصل بالسلاح والامكانات وتهييج القبائل البدوية التي تطوق الاحساء وواحة القطيف، ولذا يقول المؤلف السعودي بعد أن يبيّن ان بريطانيا لم تكن تنوي استخدام القوة ((لذا لجأت إلى أهون الطرق وأسهلها))، وهي الحرب بالنيابة ((حين أخذت تساعد الامير سعود بن فيصل عن طريق كل من حاكمي مسقط والبحرين))!.

ولقد اسمع الملك عبد العزيز الكابتن شكسبير، المعتمد السياسي في الكويت، اثناء لقائه به في ابريل ١٩١١ نفس المقالة، فقد كان الملك يومئذ يريد من البريطانيين منع الاتراك من القدوم إلى الاحساء بحرا ومهاجمتهم، وهو بامكانه منازلتهم في البرّ واحتلال الاحساء والقطيف وتخليصهما من ايدي الاتراك.. وضرب الملك عبد العزيز مثالا على ذلك من واقع الحرب الاهلية بين اعمامه فقال:

[238] دراسات في تاريخ الخليج والجزيرة العربية، ص ١١٥.

((حين قدم الاتراك إلى الاحساء، كان جميع افراد عائلة آل سعود في صراع مع بعضهم البعض، مما مكن الاتراك من الاستيلاء على الاحساء والقطيف بسهولة كبيرة، الا انهم لم يتوغلوا أبعد من ذلك إلى نجد.. ولم يكن بامكان الاتراك أبدا ان يأتوا عن طريق البر، كما لم تكن الحكومة البريطانية كانت دائما تقوم بحراسة الساحل، وكانت ترفض السماح لحملات عسكرية بالتحرك بحرا. عرض سعود الفيصل هذا الامر على المقيم البريطاني في بوشهر، وارتمى امامه طالبا حمايته، الا ان الانجليز لم يصغوا اليه))[٢٣٩].

وغنيٌ عن القول ان الحملة التي قادها نافذ باشا كانت بريّة وبحريّة، وان الكثير من القوات وصلت إلى الاحساء برا كما اوضحنا، أما ان الانجليز سمحوا للاتراك باستخدام البحر، فذلك امر ما كان يمكنهم مواجهته باكثر من الاحتجاج، وقد فعلوا ذلك كما اسلفنا، واما ان يحارب الانجليز الاتراك بالنيابة عن الآخرين، فما اعتاد هؤلاء أن يدخلوا حربا بالنيابة عن احد، بل العكس من ذلك تماما.

مقاومة السعوديين للحملة التركية

رأينا كيف انتزع الاتراك القطيف والاحساء بسهولة فائقة، دون حدوث أية صدامات أو مقاومة سعودية تذكر.. ففي الوقت الذي تُمت فيه السيطرة التركية على المنطقة، تشجع أهالي الرياض في الثورة على سعود الفيصل وأخرجوه، وتولّى عمّه عبد الله بن تركي الحكم، ويومها كان بعد الله الفيصل قد قدم للاحساء بناء على طلب نافذ باشا، وهناك التقى بأخيه محمد الفيصل الذي أُطلق سراحه من سجن القطيف، وأصبح سعود الفيصل طريد الفيافي والقفار في بادية الاحساء، يلمّ شمل القبائل من جديد ليهاجم الاحساء والقطيف والرياض أيضاً.

بعد شهرين فقط من استيلاء الترك على المنطقة، بدأ سعود بتوجيه الانذارات لهم ويدعوهم للانسحاب، وفي نفس الوقت أرسل للمقيم البريطاني في بوشهر، بيلي، رسالة يذكر فيها انه قد سيطر على اوضاع نجد تماما، وأنه يريد أن يحلّ السلام بين السكان بعد ان سيطر على ما كان في حوزة اخيه الموالي للاتراك.. وأعلن انه يؤيد بريطانيا في كونها الوحيدة المسؤولة عن حماية منطقة الساحل، وعرض في الرسالة على بيلي انه يضع نفسه تحت الحماية البريطانية[٢٤٠].

وفي آخر جمادى الآخرة ١٢٨٨هـ، اوائل شهر اكتوبر ١٨٧١، نزل سعود الفيصل على قبيلة العجمان ووفد اليه آل مرّة، وحرّضهم على مهاجمة الاحساء، واجتمعه لديه خلق كثير من

[239] الوثيقة البريطانية (E 20868)، رسالة من شكسبير إلى المقيم البريطاني الميجور كوكس بتاريخ الثامن من ابريل ١٩١١.
[240] رسالة من بيلي إلى حكومة الهند في ٢٨ سبتمبر ١٨٧١، انظر: الدولة السعودية الثانية، مصدر سابق، ص ١٧٢.

الطامعين في النهب والسلب، وجعلوا يغيرون على القرى، وينهبون المارّة، ويفسدون الزروع والثمار، فخرج اليهم قائد الجيش التركي ومعه عبد الله الفيصل، بجميع ما لديهم من الجيوش والمدافع، ووقع بينهم القتال في الموضع المسمّى ((الخويراء))، جنوب الهفوف، فهُزم جند سعود، وأمنت البلاد وشملها الاستقرار"[241].

في هذه الاثناء فرّ عبد الله الفيصل وأخوه محمد الفيصل من الاحساء إلى نجد، وتشير المصادر السعودية إلى ان السبب هو خوف عبد الله من الاعتقال، إذ رأى ان نيّة الاتراك كانت تميل إلى عدم تسليم الاحساء والقطيف اليه.

ولربما كان العثمانيون – وبالخصوص مدحت – يميلون إلى تسليم المنطقة إلى عبد الله الفيصل بعد القضاء على اخيه، الا انهم سرعان ما غيروا رأيهم لسببين:

الاول: إلحاح الأهالي على نافذ باشا، ثم على مدحت باشا بألاّ يسلّما السعوديين الحكم في المنطقة، لاسباب واضحة، هي انهم للتوّ قد انتعشوا من الامن الضارب أطنابه، كما انهم رأوا ان الحكم العثماني أخفّ وطأة من حكم السعوديين الذي اثقل الأهالي بالمظالم والتعدّيات في معاشهم ومعتقدهم.

الثاني: شعور الدولة العثمانية بأن البيت السعودي الحاكم ضعيف وغير قادر على وضع حدّ للفوضى السياسية والأمنية، وحماية قوافلها التجارية المنطلقة من وإلى العراق عبر شمال نجد، كما لا تستطيع المنطقة في ظلّ الحكم السعودي من إيقاف الانتشار البريطاني، أو على الاقل تأجيله، حفاظا على ولاياتها في العراق.

ويبدو ان نقاشات ومطالبات عديدة وجهاء وتجّار الاحساء والقطيف إلى نافذ باشا، تدعوه إلى عدم تسليم السلطة لعبد الله الفيصل ولا شك ان الاخير كان على اطلاع بما يجري حوله، وموقف السكان المعارض له، ولربما كان واضحا لديه، ان نافذ باشا قد تأخر في تسليم الحكم له، ريثما يأتي مدحت للاحساء لتفقد قوات الحملة، وشعر ان النتيجة لن تكون في صالحه، وبالتالي فهو معرّض لخطر الاعتقال، فقرر الفرار.

غادر مدحت باشا بغداد متّجها لساحل الاحساء في ٢٨ اكتوبر ١٨٧١، فوصل إلى ميناء العقير في الاول من نوفمبر، ولكنه انطلق مباشرة من هناك إلى القطيف اولا، حيث قابله زعماؤها واحتفوا به، وألحّوا عليه بعدم تسليم الحكم للسعوديين، والا فان البلاد ستعود إلى سابق عهدها من الفتن، وأقنعوه بأن النتيجة المحتملة هي ان تخسر تركيا نتائج مجهوداتها التي جرّدت

[241] آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٧٢. وتاريخ الكويت الحديث، ص ٢٥٢.

الحملة من أجلها، وقدم وجهاء القطيف، وفي مقدمتهم زعيمها احمد مهدي بن نصر الله، اشبه ما يكون بعريضة رسميّة بهذا الطلب، وقّع عليها زعماء المدن والقرى في الواحة.

وحدث ذات الامر حينما وصل مدحت إلى الاحساء، فقد قدّم له شيوخها وعلماؤها وتجّارها عريضة يطالبون فيها الباب العالي، بأن يأخذ على عاتقه ادارة المنطقة مباشرة[٢٤٢].. وبناء على هذا الالحاح اصدر مدحت منشورا وزّعه على الاهالي معلنا فيه نهاية الحكم السعودي للاحساء والقطيف، وتعيينه نافذ باشا كأول متصرف لسنجق نجد.. وأكد مدحت في منشوره اسباب اتخاذ هذا القرار بأن الاهالي يرفضون الحكم السعودي الذي يعتمد على القسوة والظلم والاضطهاد[٢٤٣].

غير أن مدحت لم يتّخذ هذا القرار الا بعد ان طلب من عبد الله الفيصل ان يأتيه لمقابلته في الاحساء، وبعد ان رفض الاخير الطلب خوفا على نفسه، وقد اشارت ((مذكرات مدحت باشا)) إلى ان رفض عبد الله القدوم هو الذي اضاع عليه الاحساء!

لم يكن عبد الله راغبا أو قادرا على مواجهة الاتراك، وكتب لمدحت باشا مبديا استعداده لدفع ضريبة مقابل اعتراف الباب العالي به حاكما على الاقليم، واضاف بانه ((لا يحق للسلطان تجريده من ممتلكات آبائه واجداده، وان السلطان والموقعين على العريضة التي قدمت له ــ من الاهالي ــ، خُدعوا بمحتوياتها وأغراضها، فالسلطان اعتقد ان الموقعين يطالبون بالحكم التركي المباشر، بينما اعتقد موقعو العريضة أنهم كانوا بذلك يطالبون الحماية من الضرائب الزائدة على دخلهم وممتلكاتهم..))، التي كانت في العهد السعودي السابق[٢٤٤].

وغني عن القول ان هذه الحجة السعودية ضعيفة، فالأهالي بأجمعهم عانوا من الضرائب غير الشرعية التي سنّها السعوديون لابتزازهم، مما دفع بمدحت إلى سنّ نظام ضرائبي جديد، يقول على اساس الشريعة الاسلامية، وكانت هذه احدى المآخذ التي قدّمها الاهالي لتبرير طلبهم بالحكم التركي تخلّصا من الحكم السعودي.

وبالطبع فان عبد الله الفيصل تابع احتجاجاته لدى الباب العالي ولدى مدحت باشا، ولكن أيًّا منهما لم يعرها اهتماماً جادًّا، لان موقف عبد الله بالغ الضعف، حيث انه بعد ان سيطر على الرياض عاد أخوه سعود واحتلها من جديد، ولعلّ في رسالة عبد الله للخديوي اسماعيل، والي مصر، وطلبه الوساطة منه لدى الباب العالي من اجل ارجاع الاحساء، أو الاستفادة باجراء معاش له منها، ما يدلّل على الضعف والتذلّل، وسنلاحظ كيف ان هذه الرسالة كتبت بلغة بالغة الاستعطاف والترجّي.. يقول عبد الله في الرسالة:

---

242 العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٠.

243 تاريخ الكويت الحديث، ص ٢٥٢. والدولة السعودية الثانية، ص ١٦٩.

244 العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤١.

((... سار عسكر تحت رياسة الفريق نافذ باشا وضبطوا الاحساء والقطيف، وخادمكم ــ يعني نفسه ــ قد توجهت لخدمة الدولة، وحضرت عند الفريق المومأ اليه بالاحساء وملتقي بالخدمة، وبعد هذا صدر من والي بغداد اعلانات جملة إلى كافة الرعايا بالاعتراض على آل فيصل وعدم استخدامهم، وهذا خلاف ما كنّا نأمله من مراحم الدولة وعدالتها، وصرت مأيوس وظهرت من الاحساء، ولا زالت معروضاتي مترادفة على الفريق المومأ اليه وإلى والي بغداد، مستجلبا مراحم وتعطفات دولتي وعدالتها التي هي ملجأ كل مسلم، ولا صدر منّي بحق الحكومة، ولا بحق الرعية ما يوجب الصدود والتغافل عن خادمكم، فأما الشقي سعود، فهو لا يزال على فساده، ومرتين يتلاقا مع العساكر الشاهانية التي طاعتها فريضة على كل مسلم، والآن خادمكم دامع حريتّة من الرعايا والعشاير، وبحول الله ندمّره ونقطع عرق فساده، حيث ان اليوم كافة اهل نجد والعسكر الذي بالاحساء والقطيف بغير طمأنينة من حركاته وفساده.. فأما نحن اهل هذا البيت غرس المرحوم المبرور محمد علي باشا طيّب الله ثراه، وانجاله المعظمون. فالذي نلتمس من شفقة مراحمكم أن تنظرون خادمكم وتتفلون بعرض حالي على اعتبا دولتي العلية، وتستجلبون وقوع انظارها السنيّة بصدور فرمان يتضمّن وقوع انظارها على عبدها، ومع الانظار تحسن على عبدها بمعاش من واردات الاحساء والقطيف، وتستجلبونا بذلك الدعوات الخيرية منا ومن كافة الفقراء والرعية، وتخلص رقاب هذه الامة من جور هذا الشقي وسفاهته، ولأجل الدخالة على مقامكم العالي والالتجاء إلى فضلكم المتوالي، واستجلاب مراحمكم في تسوية الاحوال بما يراه نظركم.. وقد حررنا هذا العرض وشرحنا ما يلزم، ونحن حالا قريبين من البصرة منتظرين من فضلكم الجواب، وعلى كل حال الامر لحضرة من له الأمر، أفندم)).

ختم عبد الله الفيصل

عبدكم

عبد الله الفيصل[245]

سعى سعود من أجل التفاهم مع اخيه عبد الله لمهاجمة الاتراك، وكان من مصلحة الانجليز أن يتم التفاهم والتعاون فتخف قبضة العثمانيين على الاحساء، ويقل تدخلهم في امور الخليج[246]. وقد تعاون الاخوان عسكريا في الاغارة على القطيف والاحساء.. ففي ابريل ١٨٧٢ وصل سعود الفيصل ومعه العجمان وآل مرة بالقرب من القطيف لمهاجمتها، في الوقت الذي حشد فيه

---

245 جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٤٨٧، والرسالة غير مؤرخة.

246 عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٢٢.

عبد الله قوة من الهواجر والدواسر لاحتلال الهفوف، وكان التخطيط هذا بتقاسم الهجوم يهدف إلى تشتيت قوة الاتراك.. ومع ان حالة القوات العثمانية لم تكن جيِّدة بسبب تفشي الامراض فيها، رغم استبدال اعداد كبيرة من الجنود اثناء زيارة مدحت للاحساء.. الا ان القوات استطاعت انزال الهزيمة بالأخوين، حيث هرب البدو من جيش سعود، وأما جند عبد الله فقد كان منهزما فاسداً كالعادة[247].

كان هذا اخر هجوم قوي لسعود الفيصل، فقد اصبح يائسا من النصر، خاصة بعد تخلّي الانجليز والشيخ عيسى عن دعمه رغم إلحاحه المتواصل[248]، فاتجه نحو حلحلة الخلاف مع الدولة العثمانية بالسلم اكثر من أي وقت مضى.. وكان سعود اثناء وجود مدحت في الاحساء قد حاول التفاهم مع الاخير، وقدّم عرضا وقع عليه عدد من مشايخ نجد يطلبون فيه اسناد حكم نجد إلى سعود في اطار التبعية للدولة العثمانية[249]، ولكن مدحت لم يعره اهتماما، وعرض سعود مرة اخرى على والي بغداد ان يستعيد الاحساء وتكون تحت ادارته المباشرة، غير ان طلبه لم يلق قبولا لدى الاتراك، إذ انهم كانوا مصممين على الاحتفاظ بالاحساء وعدم التعامل مع آل سعود[250].

مع بداية عام ١٨٧٣ زحف سعود مرة اخرى لاحتلال الرياض، فهزم اخاه عبد الله، وأعاد احتلال المدينة، وفرّ أخوه إلى بادية الكويت، ومعه جموع من أعراب قحطان.. وبدأ سعود بالاتصال من جديد مع المقيم البريطاني في بوشهر من اجل الحصول على الدعم والمساعدة، ومنوّها بالسياسة البريطانية التقليدية التي تمنع استخدام مياه الخليج للاعمال الحربية، ولذلك فهو اهمل ساحل الاحساء لحماية بريطانيا مما افقده اياه، وراح يكرر طلب المساعدة البريطانية بصراحة.. لكن بيلي، وبناء على اوامر حكومته، أبلغه بانه لم يكن طرفا في اية معاهدة بحرية مع بريطانيا، وان الاخيرة لم تتعهد ــ رسميا ــ بحمايته، وبالتالي لا حق له بالعون!، وطلب سعود فيما بعد التدخل من الانجليز لدى السلطات العثمانية من اجل اخيه ((عبد الرحمن)) مما كان له اثر فعّال في عودته من العراق ليبدأ حربه ضد العثمانيين من جديد[251].

ورغم احجام السلطات الانجليزية من تقديم العون لسعود، خوفا أن يستغل الاتراك ذلك كحجة للتمدد نحو مناطق النفوذ البريطانية، فانها لم تتوقف عن الدسائس، وتشجيع المعارضة، وكانت

---

247 الدولة السعودية الثانية، ص ١٧٢، ١٧٢.

248 محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٧٨ ــ ١٩٤.

249 عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٢٢، ٤٢٢.

250 العابد، جزء ٢، مصدر سابق، ص ٢٤٤.

251 محمد عرابي نخلة، ص ١٩٤.

تتمنى ان يلتقي الاخوان، عبد الله وسعود، وان يعملا معا على اضعاف الاتراك في قاعدة نفوذهم ((الاحساء))، واشغالهم عن التوجُه للمناطق الاخرى[٢٥٢].

شجُعت بريطانيا المفاوضات بين السعوديين والاتراك حتى تعجل بانهاء الحكم التركي في الاحساء، بل انها حاولت التوسط بين الطرفين، الا ان الاتراك لم يكونوا راغبين في الوساطة البريطانية، وان كان سعود الفيصل يلحُ عليها، وقد سبق له ان كتب ليلي يستشيره في الشروط التي عرضها العثمانيون عليه، ومنها ان يبعث باثنين من اولاده كرهائن إلى بغداد، وان يدفع نفس المبلغ الذي كان ابوه فيصل يدفعه للسلطان، وقد قدُم هذا العرض خليفة مدحت باشا على ولاية بغداد ((رؤوف باشا))[٢٥٣].

فشلت العروض السابقة، كما فشلت القوات السعودية في تحقيق أي مكسب لها في الاحساء، وكان كل ما يطمح اليه سعود هو البقاء في سلطته داخل نجد.. وفي ١٨٧٣، ١٢٩٠هـ، طلب سعود من حاكم بندر عباس، احمد خان، ان يتوسط لدى رؤوف باشا في الامر، وكانت السلطات العثمانية تميل إلى الاتفاق معه على اساس ان يدفع الضريبة السنوية مثلما كان الحال في عهد ابيه على ان يقدُم رهائن إلى سلطات بغداد لضمان استمرار ولائه.. وقد ذهب اخ سعود، عبد الرحمن الفيصل ــ والد الملك عبد العزيز ــ إلى بغداد عام ١٨٧٣ كرهينة وبقي مدة عام، وبالتحديد حتى اغسطس ١٨٧٤[٢٥٤].

مع ان الكتاب السعوديين اعتادوا على تضخيم مدُة بقاء الامير عبد الرحمن في بغداد إلى ثلاث سنوات، وقالوا انه كان سجينا في المعتقل، وهذا غير صحيح، لان عبد الرحمن غادر وبسهولة بغداد ودون اعتراض.. يقول الملك لشكسبير، المعتمد البريطاني في الكويت، حول هذا الاتفاق، ان عمه سعود، وبعد ان فشل في الحصول على دعم القنصل بيلي، حاول ((ترتيب اتفاق مع الاتراك، الذين وعدوه بالكثير ولكن لم يفعلوه شيئا، إذ أرادوا أن يروا سعودا يحضر شخصيا إلى بغداد لكي يسجنوه ثم يستولوا على نجد بأكملها. وحين وافقوا على ان يذهب اخوه عبد الرحمن بن فيل مكانه مع وعد بالامان، فانهم في الواقع قاموا بسجنه))[٢٥٥].

---

252 المصدر السابق، ص ١٩٤، ١٩٥. سجّل البريطانيون في اغسطس ١٨٧١ شائعات ترددت في القطيف بأن القوات العثمانية على وشك الذهاب إلى الساحل العماني، الا ان الكولونيل روس الذي سجّل هذه الشائعة ونقلها إلى المقيم بيلي، عاد ونفاها.

253 العابد، جزء ٢، مصدر سابق، ٢٤٢.

254 عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٢٤.

255 رسالة من شكسبير إلى المقيم البريطاني في بوشهر، السير بيرسي كوكس، مؤرخة في ٨ / ٤ / ١٩١١.

ويجب الالتفات إلى حقيقة مهمة، وهي ان الاتفاق الاخير لم يكن يتعلق بتسليم الاحساء لسعود، وانما بابقاء حكم الرياض له، حيث صرف العثمانيون النظر عن متابعة الحملة لاحتلال نجد، وتمّ استدعاء مدحت للآستانة في ربيع ١٨٧٢.

محاولة عبد الرحمن في احتلال الاحساء

عانت القوات التركية كثيرا من الامراض اثناء تواجدها في المنطقة، خاصة في القطيف الملتصقة بساحل البحر، مما جعل مدحت يتطلع إلى بناء بلدة جديدة على بعد قليل منها، وحين غادر الاخير القطيف في الثامن والعشرين من ديسمبر ١٨٧١، اصطحب معه الجنود المرضى والمتعبين بعد ان جاء ببدل عنهم[٢٥٦].

ومن الواضح أن العثمانيين كانوا عازمين على سحب قواتهم من الاحساء والقطيف، مع ابقاء عدد قليل من الجنود في الحاميات، وانتهاج سياسة تتولى من خلالها القوى المحلية دورا في حكم المنطقة، مع ارتباطها الرسمي بالدولة.. غير ان هجمات السعوديين في العامين اللذين تليا حملة الاحساء على المدن الاحسائية والقطيفية والقرى التابعة لهما، أُجّل هذا الانسحاب، مع ان العثمانيين لم يتأخروا في سحب قواتهم.. فبمجرد ان لاحت لهم الفرصة عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣ سحبوها في الوقت الذي رُتّب فيه اتفاق ضمني مع سعود الفيصل، سافر بموجبه أخوه عبد الرحمن إلى بغداد كرهينة.

ويعزو العديد من المؤرخين اسباب سحب القوات العثمانية، وانتهاج سياسة محلية إلى ثلاثة امور:

الاول: ان الحكم المباشر يكلّف الدولة نفقات طائلة، في الوقت الذي لم تفد تركيا اقتصاديا من الاقليم، لان الحملة اساسا لم يكن من بين اهدافها الافادة الاقتصادية، بل مواجهة التسلّل البريطاني إلى الساحل الاحسائي، فضلا عن أن الافادة الاقتصادية تقتضي ـ كما فعل السعوديون ـ مضاعفة الضرائب التي تُجبى من الاهالي، مع ما في ذلك من محاذير تؤثر على نتائج التنافس البريطاني ـ التركي في الخليج، وهو امر حرص الاتراك على تجنبه منذ البداية.

الثاني: ارتفاع نسبة الوفيات في الجنود، وتفشّي الامراض بسبب الطقس الحار والرطب، في حين أن معظم الجنود جاؤوا من المناطق الشمالية الباردة.

الثالث: سياسة الاصلاح التي بدأ العثمانيون تطبيقها في البلاد العربية، والقاضية باعتماد رؤساء محليين، يتولون الادارة والحفاظ على الامن.

---

256 العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٢.

لهذا عهدت دولة الخلافة إلى والي بغداد بسحب القوة التركية، فعهد بدورة إلى ناصر باشا السعدون، زعيم المنتفق، ومتصرف البصرة، بادخال نظام قليل التكاليف، فزار ناصر الاحساء أواخر سنة ١٨٧٣، وصدرت الأوامر بسحب اربع كتائب من القوات التركية المعسكرة في الاحساء، وعادت إلى بغداد، ولم يبق الا كتيبة من الجندرمة أُنيط بها مسؤولية الدفاع عن الجبهة بين الاحساء ونجد.. وقد شجَّع الانسحاب التركي هذا السعوديين على خلق الاضطرابات والثورات وتهييج القبائل البدويّة.. ومن أشهر هذه الثورات تلك التي قادها عبد الرحمن الفيصل، والاخرى التي نفذها ابناء اخيه سعود الفيصل[٢٥٧].

تبع سحب القوات، ان سلَّم متصرف الاحساء فريق باشا الحكم إلى اكبر شيوخ بني خالد، وهو بزيغ بن عريعر، ابن حاكم الاحساء السابق.. ويستشفُ من المصادر التاريخية، ان لناصر باشا السعدون دورا في تعيينه، الذي وافق عليه الباب العالي. فبزيغ هذا هو صهر ناصر باشا من جهة، وهو زعيم قبيلة الخوالد المعروفة بعدائها للحكم السعودي من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة، فان بزيغ شارك في حملة الاحساء، وكأن إعطاءه الحكم، قد جاء ثمنا لتلك المشاركة.. وبتعيين الخالدي بدأت الخطوة الاولى والهامّة بتعديل الادارة في الاحساء، في حين بدأت القطيف تستعيد شخصيتها ويبرز فيها الزعماء السياسيون الذين أداروها بشكل شبه مستقل بالتعاون مع القائمقام العثماني، وبحراسة عشرات من الجنود[٢٥٨].

ويلاحظ أن قوة بني خالد بدات بالضعف والضمور شيئاً فشيئاً، فأصبح حكمهم للاحساء إسمياً، مع ان تسليمهم السلطة السياسية هو اعتراف بقوتهم، كما فعل المصريون حين انسحبوا من الاحساء عام ١٨١٨، ولعلنا لا نعدو الحقيقة ان قلنا، ان بني خالد قد تحضَّر القسم الاكبر منهم في ذلك الحين، وقد تسارع تحضُّرهم واستيطانهم في واحتي الاحساء والقطيف ببروز قوة العجمان، وقد كان احد اسباب ضعف بني خالد فيما بعد، هو ذوبانهم في التجمُّع الحضري، وفقدانهم للحمة العصبية الداخلية التي تجمعهم.

ويبدو ان الانجليز قد ارتاحوا لرحيل القوات العثمانية، حيث خلا لهم الجو لتعكير صفو الامن وترتيب أوراق تحالفاتهم للانقضاض على الاحساء، وقد استمروا في دعم سعود الفيصل وأخيه عبد الرحمن، وكذلك القبائل التي خسرت امتيازاتها باستقرار السلطة المنظمة في الاحساء. الا أن هذا الدعم الذي يجري في أغلبه وراء الستار، والذي يهدف إلى تقويض سلطة الاتراك، لم يكن في البداية سوى عامل اقلاق واشغال للعثمانيين من التفكير في المناطق الاخرى المحتلة من

---

257 تاريخ الكويت الحديث، ص ٢٥٢. وجمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ١٩٦، ١٩٧. وانظر أيضاً، العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٥.

258 الدولة السعودية الثانية، ص ١٧٥. وانظر تاريخ الكويت الحديث، ص ٢٥٢.

قبل الانجليز، وكان الاخيرون حريصين ــ ظاهريا على الاقل ــ على عدم تصعيد الاضطرابات إلى الحدّ الذي يجعل الاتراك يعيدون قواهم وقوتهم العسكرية المنظمة من جديد.

في اغسطس ١٨٧٤، أي بعد سحب القوات التركية ببضعة أشهر، غادر عبد الرحمن الفيصل بغداد بتساهل من واليها الذي أمن جانبه، بعد أن رتّب اوضاع الاحساء، فاتجه عبد الرحمن إلى البحرين ــ مركز المعارضة البريطاني ــ، وهناك حصل على دعم من المعتمد السياسي ((واستقبله الشيخ عيسى بحفاوة بالغة، وامضى بضعة اسابيع قضاها في الاتصال بشيوخ القبائل في الاحساء، يحثهم على الوقوف إلى جانبه، فوجد لديهم الاستعداد للمؤازرة، وأخذ يعدّ العدّة للثورة حتى أتمّ استعداداته، وبادر بالهجوم على الاحساء[٢٥٩].

ففي رمضان ١٢٩١هـ/ أواخر ١٨٧٤، توجّه عبد الرحمن إلى الاحساء والتقى بحلفاء اخيه سعود من العجمان وغيرهم، حيث اسرع شيوخهم إلى الالتفاف حوله واعلنوا الثورة والحرب ((وتناثرت الاشاعات عن ان شيخ البحرين والانجليز يقدّمون المساعدات لعبد الرحمن))[٢٦٠].. وفي بادئ الامر، قام اتباعه بحركات معارضة أدّت إلى اخراج المتصرف الخالدي بتواطؤ من النجديين المقيمين في الهفوف، مما أدّى إلى محاصرة القوات النظامية القليلة في الكوت، وراح العجمان وآل مرة ــ كعادتهم ــ ينكّلون بالحضر وينهبونهم ويقتلون من يعترضهم.

إنضمّ الاهالي الحضر ((سنة وشيعة)) الذين حوصر بعضهم في الكوت إلى القوات القليلة لمنع سقوط الحامية، ريثما يأتي المدد من العراق، وفعلا استطاعوا الصمود عدّة أسابيع، مما انقذ الوجود العثماني في الاحساء من نهاية محققة.

وفي الحقيقة، فان القوات العثمانية مدينة بصمودها إلى موقف الاغلبية الشيعية في الهفوف، حيث حمل هؤلاء السلاح تحت قيادة زعيم الشيعة في الاحساء، المجتهد آية الله الشيخ محمد بوخمسين، الذي وضع خططا عسكرية عديدة افشل بها محاولات اختراق قوات عبد الرحمن الفيصل للكوت، وقد قدّر الاتراك للشيخ محمد دوره هذا، فكان محطّ احترامهم وثقتهم واستشارتهم، ولمّا توفي سنة ١٣١٩هـ، شُيِّع تشييعا رسميًا، وحُمل جثمانه إلى مثواه على مدفع[٢٦١].

لم يرسل والي بغداد الجيش السادس في العراق لانقاذ الاحساء نظرا لضعف ذلك الجيش، فأسند أمر اخضاع البدو لناصر باشا السعدون، فأسرع الاخير في شهر ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤، على رأس قوة من عشرة آلاف مقاتل، ومعهم ألف بعير تحمل المؤونة والذخيرة،

---

259 العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٨.

260 عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص ٤٢٤.

261 استُقيت هذه المعلومات خلال مقابلات عديدة مع وجهاء من الاحساء في صيف ١٩٨٩.

والتقى بالعجمان وآل مرّة بقيادة عبد الرحمن الفيصل على مقربة من الهفوف في موقع يقال له ((الوزيّة))، حيث دارت الدائرة على عبد الرحمن، وقتل من جماعته الكثير، وفي اليوم التالي دخل ناصر باشا الهفوف، ونكّل بالوهابيين المتعاونين مع السعوديين، وفرّ كثير من المتواطئين إلى البحرين ـــ كالعادة ـــ خوفا من العقاب، غير ان الشيعة لم يتعرّضوا لأي اذى.. ولم ينس مؤلف سعودي أن يقول: ((ولم تلقَ الجماعات الشيعية أي أذى))، وقد عرفت هذه السنة بـــ ((سنة ناصر باشا))[٢٦٢].

وينقل المؤرخون ان العديد من الافراد والعوائل التي تعاونت مع الامير عبد الرحمن، مثل آل ملحم والعمير والنعيم، لجأوا إلى منزل آية الله الشيخ محمد بوخمسين، خوفا من الانتقام.. فأجارهم وألجأهم، وقد توسّط للكثيرين حتى لا تطحنهم آلة الانتقام العثمانية.

أمّا الملك عبد العزيز، مؤسس الدولة السعودية الحديثة، فيقول لشكسبير عن محاولة ابيه لاحتلال الاحساء، ان العرب ـــ أي البدو ـــ ((انضمّوا لشن هجوم على الاحساء لكي يستعيدوا بالقوة ما عجزوا عن استعادته بالدبلوماسية، الا ان سعود كان يخشى القيام بمثل هذه المغامرة، خوف ان يقتل الاتراك أخاه عبد الرحمن في بغداد، وأيضاً لان الانجليز لم يحاولوا منع القوات التركية من الوصول إلى الاحساء عن طريق البحر.. وبعد ان تمّ اطلاق سراح عبد الرحمن من الاعتقال الذي استمر ثلاثة أو اربعة اعوام قضاها في بغداد، ونزل إلى شاطئ الاحساء، وجد أن العرب ـــ البدو ـــ يكرهون الاتراك، وأبدوا استعدادهم للانضمام اليه ضدهم، ولان الاتراك كانوا ضعفاء نتيجة المرض والموت الذي نزل بهم، فقد هاجم عبد الرحمن قلعة الاحساء، ولكن قبل ان يتمكن من تدميرها، استدعى الاتراك قوات اضافية، فما كان منه الا ان غادر الاحساء إلى الرياض))[٢٦٣].

وعلى اثر هذه الحادثة تولّى ناصر باشا متصرفيّة الاحساء مدة قليلة من الزمن لضبطها، ثم غادرها عام ١٨٧٥/ ١٢٩٢هـــ، بعد أن سلّمها لابن بزيغ الخالدي (مزيد)، واصبح المتصرف فيما بعد هو الحاكم الفعلي للاحساء، إذ تقوّضت وضعفت سلطة بني خالد إلى ابعد الحدود.. واهتزّت الثقة بامكانيتهم على مواجهة غائلة البادية.

ردّ متصرّف الاحساء على دعم الانجليز وحكام البحرين لثورة عبد الرحمن، بالتحرش بآل خليفة، وفي شهر سبتمبر ١٨٧٤ طلب من تاجرين هنديين ـــ من ذوي التبعية البريطانية ـــ وكانا يقيمان في الدوحة، ان يحضرا للهفوف، فرفضا الامتثال، إلى ان أجبرهما قاسم آل ثاني

---

[262] الدولة السعودية الثانية، ص ١٧٥. وأيضاً عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ٤٢٤. ومحمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٩٥. وكذلك آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٧٤، ١٧٥.

[263] رسالة شكسبير إلى بيرسي كوكس، في ٨ / ٤ / ١٩١١.

على ذلك، وكان الهدف توجيه إهانة للمقيم البريطاني في بوشهر، وإخراج تجارة قطر من يد رعايا بريطانيا.

وفي اكتوبر ١٨٧٤ بعث قائمقام القطيف رسالة إلى الشيخ عيسى حاكم البحرين، وجّه له فيها اللوم والتهديد لاستقباله ودعمه عبد الرحمن الفيصل.

لقد أراد السعوديون استغلال فرصة خروج القوات التركية، فهاجموا الاحساء، لكن الردّ السريع من والي البصرة، ورفض الشيعة التعاون، اثبت لهم انه حتى لو أمن لهم الانجليز طريق البحر، بمنع ابحار السفن الحربية العثمانية فيه، فان الاتراك قادرون على الوصول اليهم وبسرعة عن طريق البر.. وهكذا غادر عبد الرحمن الفيصل الاحساء إلى الرياض يائسا ليلتحق بأخيه سعود الذي وافته المنيّة في شهر ذي الحجة ١٢٩١هـ، فاستولى عبد الرحمن على الحكم وانشغل بقتال أخيه عبد الله، ثم أبناء أخيه سعود، إلى ان اضطر لترك الرياض والالتحاق بأخيه.. ثم سقطت دولة السعوديين على يد ابن الرشيد.

وهكذا نجد استماتة واضحة لدى الحكام السعوديين للسيطرة على الاحساء، بعكس الحجاز التي سيطروا عليها في عهدهم الاول.. وليس هناك من تفسير لهذه الاستماتة الا أهمية الاحساء الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة لنجد.. إذ لا يمكن لحكومة ((نجدية)) سابقا، أو لاحقا، ان تستمر، دون الاعتماد على الاحساء ومواردها الكبيرة.

ورغم الاعياء الشديد الذي اصاب السعوديين، ورغم هزائمهم المتكررة، وحالة الصراع الداخلي المستمر، الا ان الاحساء لم تغب عن بالهم، فقد اصبحت نجد امارة مغلقة، وليس من الممكن تناسي مفتاحها وقلبها، واسرع عبد الله إلى التحالف مع اخوته وابناء أخيه لتجنيد حملة تهاجم القطيف ثم الاحساء والاستيلاء عليهما.

فقد قام أولاد سعود الفيصل في عام ١٨٧٨، ١٢٩٥هـ، بحملة ضدّ القطيف بالتعاون مع العجمان وآل مرّة، وضربوا حصارا حول المدينة التي استبسل أهاليها في المقاومة، واستطاعت السلطات العثمانية فكّ الحصار بمساعدة جاءت من الشمال، وهرب البدو وتخلّوا عن قياداتهم من آل سعود، فما كان من أولاد سعود الفيصل الا ان طلبوا اللجوء السياسي من شيخ البحرين والسلطات الانجليزية هناك.. لكن الاتراك احتجوا على دعم آل سعود في النهب والحرب، وحينها.. ومنعا للاحتكاك رضخ المعتمد ورفض منح حق اللجوء لابناء سعود بحجّة ((عدم اللياقة في حماية أشخاص عُرفوا مؤخرا باتصالهم باعمال الاضطرابات في أراضي دولة صديقة مجاورة))[٢٦٤].

---

264 الدولة السعودية الثانية، ص ٢٢١. وانظر، محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٩٦، ١٩٧ وأيضاً، جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ١٩٨، ١٩٩.

ولم يهدأ السعوديون في المقاومة من أجل استخلاص الاحساء، حتى انتهى حكمهم في نجد بالكامل على يد قبيلة شمّر وزعمائها آل الرشيد.

٥

السياسة والاقتصاد

في الاحساء والقطيف (١٨٧١ ــ ١٩١٣)

كانت واحتا الاحساء والقطيف، أو ما عُرف بسنجق ((نجد))، تشبهات الفتاة المدلّلة للأب العثماني!.. وإذا كان الحكم التركي المعروف بسوئه وطغيانه في ديار العراق والشام واليمن، يبدو واضحا لكلُ الباحثين، فان الاحساء لم يصبها من ذلك الا النزر القليل التافه.

ومهما كان تقييم الباحثين لحكم الاتراك في المناطق العربية الاخرى.. فقد كان للاحساء وضعها الخاص في الادارة والحكم، وذلك يرجع لاسباب متعلقة بموقع الاحساء الجغرافي، وخصوصياتها الثقافية والتاريخية، وتركيبتها السكانية، اضافة إلى وجود الصراع الانجليزي ــ التركي، حولها وعليها. حيث كان العثمانيون يحاولون وبشتى الاسباب والوسائل ارضاء الاهالي، وتخفيف الضغوط عنهم، وكان يكفي ان تُرسل عريضة من الاهالي إلى السلطان، أو إلى والي البصرة، أو إلى والي بغداد، حتى يُلبّى الطلب، حتى ولو كان عزل المتصرف.

كل ذلك كان من اجل راحة السكان، وعدم إعطاء الفرصة للبريطانيين بالتدخل وقلب الاوضاع، ليس في الاحساء وحدها فحسب، وانما في العراق العثماني أيضاً.

لقد كانت حملة مدحت باشا لاحتلال الاحساء جزءا من سياسة الاصلاح العامة التي اتبعها العثمانيون في بلاد العرب، وكانوا جادّين في تطبيقها، في المناطق التي استولوا عليها حديثا في الخليج العربي، على الاقل[265].

كانت هناك حساسية لدى العثمانيين تجاه تزايد النفوذ البريطاني في الخليج، ولم يغب عن بالهم أنهم ليسوا وحدهم في هذا المنطقة المتصارع عليها، وبالتالي كانوا حريصين على انتهاج سياسة تفوت على العدو المتربص بهم ما كان يخطط لهم. ولهذا نجت الاحساء والقطيف من سياسة القمع والاستبداد التي استُخدمت بطغيان بشع في المناطق العربية الاخرى.

تجدر الاشارة إلى ان الأخير ذكر بأن سفينة بريطانية ((فلتشر)) كانت تبحر بالقرب من القطيف لمكافحة القرصنة، لاحقت السعوديين. والحقيقة ان السفينة لم تقم بأي عمل حربي، لان ذلك ضد السياسة البريطانية. وقد كان ظهور السفينة بالقرب من الساحل القطيفي، قد اوحى للمهاجمين بأنها سفينة عثمانية ــ بالنظر لدخولها المياه الاقليمية للقطيف ــ.

[265] العقاد، مصدر سابق، ص ١٧٤.

من هنا كانت سياسة العثمانيين في المنطقة مرضيٌ عنها، بل كانت في الحقيقة الفترة الذهبية الوحيدة خلال قرنين من الزمان، ابتداء من سيطرة السعوديين الأولى عليها في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وحتى الوقت الحالي.

أما الكتاب والمؤرخون السعوديون، فقد تعودوا على تضخيم سلبيات الحكم العثماني، ليظهروا الحكم الذي خلف الاتراك كمخلص ومنقذ، وليظهروا حجم الانجاز الذي قدّمه الحكم الجديد، أو على الاقل لتخفيف وقع سلبيات حكم السعوديين.

ويمكننا مناقشة وتقييم العهد التركي، ضمن محورين اساسيين، هما، المحور السياسي، والمحور الاقتصادي.

الوضع السياسي

اثناء زيارته للاحساء، وضع مدحت باشا تشكيلا اداريا، جعل الاحساء بموجبه متصرفية سمّاها، سنجق نجد، يتبع ولاية بغداد، وقسّم السنجق إلى ثلاثة اقضية هي[٢٦٦]:

الاول: قضاء الهفوف، وهو مركز السنجق، ومحل اقامة المتصرّف.

الثاني: قضاء القطيف، ويشمل اضافة إلى القرى المحيطة، جزر تاروت وجنّة والمسلمية والعماير وغيرها. واعتُبر قضاء القطيف مركز تمويل الاقضية الثلاثة، وتتواجد به الادارة المدنية، ويحكمه قائمقام، له السلطة العسكرية والمدنية رسميا، ويعاونه احد الرؤساء المحليين ((كان الزعيم أحمد مهدي بن نصر الله، ثم المرحوم منصور بن جمعة يشغل هذا المنصب)).

الثالث: قضاء قطر، ويحكمه القائمقام قاسم آل ثاني، يساعده ضابط عثماني يشرف على الحامية العسكرية، ويمدّه بالجنود، وقد أجرى مدحت راتباً سنويا للقائمقام[٢٦٧].

من جهة اخرى، عينت السلطة العثمانية ــ كما يؤكد لوريمر ــ عُمدة في كل قرية ليكون همزة الوصل بين السكان والسلطة، وقد افسح هذا التنظيم للزعامات الحضرية ــ خاصة الشيعة باعتبارهم اغلب السكان الحضر ــ بالبروز والنمو، والتعاطي بالشأن السياسي. في نفس الوقت لم يهمل العثمانيون، الذين يمثلهم المتصرف، مشاورة القبائل كالعجمان وآل مرّة في شؤون البلاد ــ كما أكد ذلك زويمر اثناء زيارته للاحساء عام ١٩٠٠[٢٦٨].

---

[266] قال لوريمر، ويبدو انه كان خطئا، ان السنجق قُسّم إلى اربعة أقضية هي: الهفوف، والقطيف، والمبرز، والجفر. في حين أكد عدد من الباحثين ان الكويت كانت تابعة لمتصرفية الاحساء، ورأى آخرون، أنها اصبحت سنجقية مستقلة.

[267] جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ١٩٢. وانظر، محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٧٦.

[268] المصدر السابق، ص ٢٠٢. وانظر كتاب، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، د. عبد الفتاح ابو علية دار المريخ، الرياض ١٩٨٦، ص ٦٩.

كما اقام العثمانيون عدة حاميات ومفارز عسكرية للحفاظ على الامن ((ولكنهم لم يحاولوا التدخل في شؤون الناس الاجتماعية والاقتصادية.. وكان وجود الحاميات في الاقليم لمجرد حفظ الامن))[٢٦٩]، حتى انه لم يكن في العقير ــ أهم الموانئ ــ سوى ضابط واحد مع بضعة أفراد من الشرطة.

ويلاحظ ان عدد الجنود الاتراك كان قليلا على الدوام، وان كان يختلف من سنة الاخرى، فعقب نهاية حكم مدحت باشا في العراق، لم يكن في كل قضاء ــ حسب التقارير البريطانية ــ سوى ثلاثين جنديا ((أي ان المجموع ٩٠ جنديا فقط!!)). وفي عام ١٨٨٨ بلغ عدد الجنود ٧٥٠ جنديا.. أما في عام ١٩٠٠، أي بعد حوالي عشرين عاما من الاستيلاء التركي على المنطقة، فكان عدد الجنود في كامل السنجق((٩٠٠ جندي فقط))، ستمائة منهم في الهفوف، وثلاثمائة في كل من قطر والقطيف، كما أوضح ذلك زويمر، حينما كان في الاحساء في ذلك العام[٢٧٠].

ويوم سقطت الاحساء سنة ١٩١٣ لم يكن في كل السنجق سوى اقل من اربعمائة جندي، منهم ٩٠ في القطيف.

واتبع العثمانيون في بداية عهدهم سياسة الاعتماد على الولاة المحليين، فعيّنوا بزيغ بن محمد العريعر واليا وسحبوا جنودهم، لكن وكما رأينا، لم يستطع هذا الوالي الخالدي، ان يسيطر على الوضع، حينما تعاون العجمان وآل مرّة مع عبد الرحمن الفيصل في مهاجمة الهفوف سنة ١٢٩١هـ، الامر الذي أدّى إلى عزله، فاعتمد العثمانيون فيما بعد على تعيين ولاة اقوياء من العرب الآخرين، سواء من العراق أو غيرها، بالتعاون مع الواجهات المحليّة، والسبب يعود إلى التالي:

أولا: ان قبيلة بني خالد ضعفت كثيرا، ولم تكن قادرة لى النهوض بادارة الاحساء، ومكافحة غوائل البدو والقبائل الناهبة التي تعتدي على المدن والقرى الاحسائية، وكان مراد الدولة العثمانية ان تسيطر هذه القبيلة بقواها العسكرية الذاتية على الحكم، مع الاشراف الاسمي لها. لكن الخوالد اصابهم الضعف الشديد، بل أنهم كانوا ضعفاء منذ أن قوض السعوديون سلطانهم في المنطقة وأوقعوا في صفوفهم القتل والتشريد في أوائل القرن التاسع عشر.. وفي نفس الوقت وفدت إلى الاحساء قبائل اقوى واكثر عددا واشد شراسة كالعجمان، فتضاءلت أهمية الخوالد، واضمحلت قوتهم، خاصة وان الضربات السعودية المتلاحقة التي وجهت اليهم اجبرت العديد منهم على الفرار، إما إلى جنوب العراق، أو الكويت أو الاستيطان في المناطق الحضرية.

---

269 الاصلاح الاجتماعي، ص ٦٩.

270 جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٢٠٢.

وفي هذه الفترة ــ فترة الحكم التركي ــ كانت الاكثرية من افرع بني خالد قد تحضرت واندمجت مع السكان. ولربما يقال ــ وهو صحيح ــ ان الدولة العثمانية قد أرادت اعادة القوة لبني خالد، وهم القوة التقليدية المعادية للسعوديين، ولم يكن امام العثمانيين سواهم، حيث تجربتهم في الحكم ــ والتي استمرت مدّة قرنين ــ، وحيث علاقتهم الوطيدة بالاهالي.. بينما لم تكن الدولة، ولا الاهالي يأمنون القبائل العجمانية وغيرها، المنتشرة في البادية لتسوسهم وتدبرهم، وهي قبائل غلب عليها طبع الجفاء ومعاداة الحضر.

ثانيا: حينما اراد العثمانيون تسليم السلطة للقوى المحلية في الاحساء، لم تكن تلك القوى المحلية مهيأة لذلك ــ عدا القطيف ــ، فمنطقة الاحساء تعرضت في العهدين السعوديين الاول والثاني إلى تصفية في قواها المحلية قتلا وإعداما وتشريدا ــ باكثر مما حدث في القطيف ــ، وقد اعتاد السعوديون طوال مدة حكمهم، وحتى اليوم، على تعيين رؤساء وامراء واداريين من خارج الاحساء، وبهذا فان التهميش المتعمد طوال القرن التاسع عشر، أدّى إلى حدوث أمرين خطرين: أحدهما، عدم بروز قوى محلية تستطيع القيام بإدارة الحكم، وثانيهما: ولّد التهميش حالة من العُزلة عن مجريات السياسة المحلية، وهو أمر بلغ من الوضوح حدًا صارخا في الاحساء.

ويكفي شاهدا على ذلك ان الاغلبية السكانية الشيعية، تولدت لديها حالة من الابتعاد السلبي في مجال تعاطي امور الحكم والسياسة المحلية، ولم يكن يوم قدم الاتراك للاحساء، قوى فاعلة من الشخصيات يمكن الاعتماد عليها، أو لديها مجرّد الرغبة والطموح السياسي.. كما لا يبدو ان جو الانفتاح الذي خلقه الحكم التركي، اثر على الواجهات الشيعية التقليدية، وان كان من الصحيح انه في أواخر الحكم التركي، بدأت القوى المحلية الاحسائية بالانتعاش، ولكن هذا الانتعاش ما لبث ان أُخمد بمجرد أن سيطر الملك عبد العزيز على الحكم.

لا شك أن شيعة الاحساء لم يستفيدوا كثيرا من الفرص التي أُتيحت لديهم في فترة الحكم التركي بالشكل المطلوب، في بناء قواهم الذاتية، والتغلّب على مشاكل التهميش السابقة وابراز واجهاتهم السياسية والاجتماعية.. ورغم انه حدث ان ظهرت واجهات في العلم والأدب والفقه وسائر العلوم، وتطورت الحركة الدينية والثقافية تطورا ملحوظا، الا انها لم تتعدَّ ذلك كثيرا إلى الخوض في المجالات السياسية والإدارية.

وفي الوقت نفسه يلحظ الباحثون والدارسون للعهد التركي في المنطقة، ان النجديين المقيمين في الاحساء، والذين لم يكن عددهم يصل بأي حال من الاحوال إلى ٥% من مجموع السكان، كان صوتهم السياسي أعلى بكثير من السكان الأصليين، ونجد أن النجديين انخرطوا في الشأن السياسي المحلّي، ثم تطوّر بهم الامر إلى الدخول في تحالفات وعلاقات مع الانجليز ــ عن

طريق المعتمد السياسي البريطاني في البحرين ـ، كما وثّقوا علاقاتهم بالملك عبد العزيز الذي كان قد استولى للتوّ على الرياض.

لقد كانت هذه الفئة طموحة جدا من جانب، وكان اسمها قد ارتفع ومركزها قد تقوّى في عهد الاحتلال السعودي الاول والثاني للاحساء.. والغريب أن السعوديين كانوا يدفعون أتباعهم بقوة لتسلّق مناصب الحكم.. والتاريخ السعودي مليء بالشواهد، حيث ترى أن اميرا لقرية نجدية لا يزيد سكانها عن الألف نسمة يصبح حاكما على كل الاحساء ونواحيها.

غير أن فئة النجديين هذه لم تكن مرغوبة لدى الاتراك، أولا، لارتباطاتها مع الانجليز ومع آل سعود على حد سواء. وثانيا، لان اطروحتها الفكرية والمذهبية كانت تصطدم وبشدة مع الاهالي ومع الحكم التركي نفسه.

ثالثا: بقيت فئة اخرى في مجتمع الاحساء، وهي الفئة السنيّة الثانية التي تتبع المذهب الحنفي أو الشافعي أو المالكي، وهذه الفئة انتعشت بقوة نظرا لقربها المذهبي من مذهب الدولة العثمانية، ولان الاتراك انفسهم كانوا يدفعون هذه الفئة بقوة للبروز، فكانت تُستشار وتُقدَّر وتُحترم في رأيها، الا أن قوتها لم تصل إلى حد توليتها شؤون الامارة.. وان كانت تابعة للحاكم في حقيقة الامر.

وبصريح العبارة، فان الاغلبية الشيعية لم تُعزل من قبل الاتراك عن الحكم وممارسة دور المسؤول في مناطقها، بقدر ما ان الشيعة انفسهم لم يكونوا بمستوى المواجهة والاقتدار وفرض الذات.. وكان ابتعادهم عن السياسة وسلبيتهم العامّة تجاه الحكومات غير الشرعية من أخطر ما مرّ ويمرّ عليهم من ويلات ومآس، في الوقت الحاضر، كما في الماضي. لان ذلك قد أدى إلى وقوع الحكم في إيدٍ غير نظيفة سامتهم العسف والحرمان.

رابعا: اما القطيف، فهي تختلف إلى حد كبير عن الاحساء، ورغم ان كل سكان القطيف من الشيعة، وهو امر يجعل من تركيبتها السكانية شبه مقارب لما هو موجود في الاحساء.. الا ان الاختلاف واضح بين المنطقتين.

فشيعة القطيف، استجابوا ــ بقدر لا بأس به ــ للتحدّي والحفاظ على هويتهم، في مواجهة التحدّي السعودي في عهده الاول والثاني، وكان واقعهم واقع ثورات وانتفاضات، ومارسوا التحالفات مع القوى المحلية فترة من الزمن، وكانت المنطقة تولّد بين الحين والآخر الزعامات الدينية والسياسية التي استجابت للتحدّي وخوض المعارك من اجل انتزاع حقوقها.

وفي الوقت الذي رأينا فيه الفعاليات الاحسائية من العلماء الكبار والشعراء والمتفقهين، وأساتذة الحوزات العلمية، وهم كثرة كثيرة، يغادرون بلادهم بفعل الاضطهاد السياسي والمذهبي

السعودي، فاصبحت البلاد مفرّغة من القوى الفاعلة.. لم يحدث في منطقة القطيف مثل ذلك، وان حدث امر مشابه له، لكن الاخيرة سرعان ما أنتجت آخرين. وحتى أولئك الذين شرّدوا، مارسوا العمل السياسي والاعلامي وحتى العسكري من مواقعهم، سواء في العراق لعثماني، أو في البحرين المستعمرة الانجليزية.

وحين دخل الاتراك القطيف، كان معهم الزعيم الكبير احمد بن نصر الله، وكانت هناك زعامات سياسية في كل مدينة وقرية تقريبا، فتعامل العثمانيون معها على اساس الامر الواقع، وهكذا اصبح نصر الله زعيا لواحة القطيف، ولمّا توفي خلفه الحاج منصور بن جمعة، ثم أخوه عبد الحسين بن جمعة، وكانت لهؤلاء صلاحيات الرؤساء والمتصرفين، وكانت السلطات العثمانية تقدّر موقعهم.. ولا تصدر أمرا الا بالرجوع اليهم، وكان هؤلاء الزعماء يتشاورون مع الشخصيات الدينية ــ وهي كثيرة ــ وكذلك مع عُمد القرى والارياف.

وباختصار كانت سلطة العثمانيين في واحة القطيف ضئيلة جدا، وكانوا انفسهم راغبين في ذلك، بل انهم فكروا في تعيين الباشا منصور بن جمعة ليكون والياً على الواحتين. وأكثر من ذلك، ونظرا لثقل القطيف السياسي، أراد الانجليز من منصور أن يتمرد على الادارة العثمانية ليخلق له دولة أو امارة في مقاطعة القطيف والاحساء معا، ولكنه رفض العرض.

تبقى مسألة، أن ما تعرّض له الاحسائيون من اضطهاد على يد السعوديين واتباعهم، كان اكبر مما وقع على اهالي القطيف، وهذا ما يعطيهم بعض العذر.. ولقد كانت الاحساء ذات ثقل سكاني اكبر، واهتم الوهابيون بتغيير واقعها السكاني، والاقتصادي لصالح القادمين من نجد، ولأنها كانت تمثل التحدي المذهبي الاكبر بالنسبة للوهابيين، فقد جرى على الاحسائيين ما لم يجر على غيرهم من طغيان.

خامسا: واخيرا، فان الدولة العثمانية التي كانت سلطتها في منطقة شرق الجزيرة العربية متمركزة في واحة الاحساء، والتي كانت مستهدفة من قبائل البادية، ولمّا لم تجد من تعهد اليه بإدارتها، قامت بتعيين المتصرفين بنفسها، وكان المتصرفون في غالبيتهم من عرب العراق، وكانوا على علاقة جيّدة مع الاهالي قبل ان يمتد النفوذ السعودي للمنطقة.. بل وكان من بين المتصرفين الشعراء والأدباء، وكانت لهم مساجلات شعرية مع أدباء الاحساء، على نحو ما عدده آل عبد القادر في كتابه[٢٧١].

وتأسيسا على ذلك، فان الاعتماد العثماني على القرى المحلية، واسناد العديد من الصلاحيات الادارية لعُمد القرى والأرياف، وفّر على العثمانيين الكثير من الجهد، واطال مدة حكمهم، ولم

[271] آل عبد القادر، مصدر سابق، من ص ١٨٠ إلى ص ١٨٦. وانظر الجزء الثاني من الكتاب أيضاً.

يكونوا بحاجة إلى قوات كبيرة للسيطرة على مقاليد الامور بالقوة والعنف، فبادروا إلى سحب قواتهم، ورافق تلك الفترة أن تحلّل حكم السعوديين في نجد بسيطرة ابن رشيد الموالي للاتراك، فأصبحت القبائل بين فكّي كماشة، ورضخت، حيث انتهى التحريض السعودي لها.. ولكن بعد ان يسيطر آل سعود على الرياض، تتصاعد وتيرة الاضطرابات في الاحساء، ويحاول الاتراك تدعيم قواتهم وحفظ هيبتهم، الا ان الانجليز كانوا لهم بالمرصاد، فعملوا على منع وصول الامدادات.

من هنا يجب الالتفات إلى المبالغات التي يطلقها بعض المؤرخين المعارضين، والذين يقولون بأن حكم الاتراك كان قائما على القوة العسكرية، وعلى اضطهاد القوى المحلية.. في حين لم يكن من الجنود يوم سقوط الاحساء سوى اقل من ٤٠٠ جندي.. ولا توجد شواهد تدعم هذه الادعاءات، إذ حتى القبائل البدوية كانت تأخذ مرتباتها من متصرفية الاحساء، لان البديل عن ذلك هو زيادة القوة العسكرية، وهو امر ما كانت الحكومة العثمانية تريده.

إن من اسباب قبول الاهالي للحكم التركي هو تسامحه في سياسته المحلية.. وليس لدى المعارضين من أدلّة تؤكد مزاعم ((الاستبداد السياسي التركي))، وليس صحيحا ((ان الاستراتيجية العثمانية كانت تعتمد على القوة العسكرية)) وان ((بقاء استراتيجتها مرهون ببقاء قوّة عسكرية قوية لها.. لا عن طريق بناء القوة الاجتماعية المحلية))[٢٧٢].

ثم يقدّم لنا هؤلاء المعارضون دروسا في مضار ومساوئ الاستبداد: ((ان طبيعة الحكم، الاستبدادي تكون دائما من اهم العوامل التي تجلب نقمة الاهالي ضد الحكم، وهذا ما حدث في منطقة الاحساء، عندما عمّت المنطقة موجة من السخط ضد الاستراتيجية العثمانية، وصارت أدنى أو اقل حادثة تحدث في المنطقة، تثير غضب السكان ضد العثمانيين، واصبحت لدى الناس حساسية شديدة من اسلوب الحكم العثماني))، كما يقول كاتب سعودي![٢٧٣].

وقد تنبه المؤرخ القدير، الدكتور جال زكريا قاسم، إلى المبالغات التي تطلقها المصادر السعودية والبريطانية المعارضة على الحكم التركي في الاحساء، فقال في تقييمه للوضع السياسي والاداري: ((لا نريد تجسيم الاستبداد ــ العثماني ــ كما تصوره المصادر البريطانية أو السعودية... وان من الانصاف ان نذكر ان الدولة العثمانية حاولت في مرات كثيرة معالجة ادارتها في الاحساء، الا انها لم توفق في بغيتها، وينبغي ان نتيح للدولة العثمانية شيئا من العذر، فان انشغالها في حروبها، وخصوصا ضد روسيا عام ١٨٧٧، عاقها ولا شك عن تشديد قبضتها

---

272 دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص ١١٩.

273 المصدر السابق، ص ١١٨.

أو اصلاح ادارتها)). واشار إلى ان ضعف الحاميات العثمانية ترك فرصا كثيرة للقبائل للتمرّد[٢٧٤].

لم يكن الاتراك مع استخدام القوة، والا جاؤوا بآلاف الجنود، بل ان مشكلة أدارتهم أنهم لم يستخدموا القوة، خاصة من المراحل الأخيرة من حكمهم، القوّة حينما كانت القبائل تعتدي وتنهب.. ومن ناحية اخرى لم يكن الاتراك يريدون تكرار تجربة السعوديين السياسية والاقتصادية والمذهبية، والا كانوا سيخسرون الاحساء، المنطقة الوحيدة التي بين ايديهم.. وهذا ما حتّم عليهم قدر جهدهم معاملة السكان معاملة كريمة، بمقاييس ذلك الزمان.

ويعود المؤلف السعودي نفسه، فيعترف بأن الدولة العثمانية رأت ان تحدّد مصروفاتها فأوكلت حماية اتباعها إلى قوى محلية، دون ان تلجأ إلى جيشها المنظم، ويضيف بأن ((هذه السياسة الجديدة، جرّت الدولة العثمانية إلى سياسة محلية اخرى، وهي تعيين زعماء المنطقة المحليين حكاما عليها، بدلا من العثمانيين، فعيّنت بزيغ بن عريعر، ثم من بعده ابنه مزيدا، وكانت الدولة ترى من هذا الاجراء انها ستجني مجموعة فوائد منها: إقناع الاهالي بأن حكامهم منهم، وكذلك فان الدوة تكون قد ارضت الزعماء المحليين المتنفذين في المنطقة، وتكون أيضاً قد ضمنت ولاءهم وسيطرتهم على القبائل البدوية في المنطقة))[٢٧٥].

أليست هذه السياسة حكيمة تُرضي جميع الاطراف، الحكومة العثمانية والزعماء المحليين والاهالي؟!

أليس ذلك اعترافا بأن القوى الاجتماعية المحلية أُتيحت لها الفرصة في ممارسة الحكم ونالت حظها منه، خلافاً للمزاعم القائلة بأن الاتراك لم يكونوا يعتمدون على القوى الاجتماعية المحلية؟!

ورغم حسن هذه السياسة، الا ان الكاتب عاد من جديد وقال عنها ((الا ان هذا الاسلوب، كان يمكن ان يكون اكثر فائدة ونفعا لو كان في وقت غير هذا))!!.

لماذا.. الاسلوب جميل ولكن في غير هذا الوقت؟!.

لقد مارس الاتراك هذه السياسة منذ عام ١٨٧٢ على الاقل، أي بعد عامين من استيلائهم على الاحساء، وهي سياسة معتدلة، وأقرب إلى روح التسامح والإنسانية.

نعَم.. ربما كان الكاتب يشير إلى ان هذه السياسة ((عدم استخدام الجند والقوة))، لم تكن صالحة بين عامي ١٩٠٢ ــ ١٩١٣، إذ ان السعوديين استفادوا من ضعف القوات في هزّ هيبة

---

[274] جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٢٠٠.

[275] دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٢١.

الدولة بدفع القبائل البدوية لمهاجمة الاحساء والقطيف وقراهما، وكان ينبغي زيادة الجند، ومواجهة تحركات البدو المدعومين بالسلاح الانجليزي الذي كان يوفّره المعتمد السياسي البريطاني في البحرين. وإذا كان هذا هو ما يقصده المؤلف، فهو محق!.

من هنا يمكننا التأكي على ان السياسة المحلية في عهد الاتراك كانت تجري على يد الزعماء المحليين في الغالب، وكان لدى الاتراك الاستعداد للقبول بالولاية الاسمية.. لا عن ضعف، فالاحساء لم تكن بمثل العراق، ولا اليمن، حيث أخذ فيهما الاستبداد مأخذه.. ولم تكن الاحساء لتعجز الاتراك لو أرادوا استخدام القوة.

ووصل الاستعداد التركي، لان يقبلوا عزل واليهم أو متصرّفهم بمجرد ان يشكوه السكان، كما حدث عام ١٣٢٢هـ حينما عُزل طالب باشا النقيب، وبمجرد أن يصطدم المتصرف بالسكان المحليين وبالواجهات المحلية فانهم يعزلونه.. وما ان يقرروا أمرا ويرفضه الاهالي، الا وبادروا بالتراجع عنه بأمر من السلطان العثماني نفسه، الذي كان متأثرا من ان الولاة متعودون على الغطرسة، وهو أمر ما يريده للاحساء.

وتدلّنا الحرية المتاحة للسكان، كثرة الشكاوى المقدمة لوالي البصرة، أو للسلطان مباشرة، بل وحتى اغلاق المتاجر ــ كاضراب ــ وهو امر لم تقبله الحكومة العثمانية في أية منطقة عربية اخرى، ولم ترضخ له ــ على حدّ علمنا ــ كما فعلت مع ((سنجق نجد المدلّل!!)).

ويصوّر المعارضون للحكم التركي، هجوم القبائل البدوية على القرى والمدن الاحسائية بشكل خاص، كثورات مسلحة ضد الحكم التركي، وهي في حقيقة الامر لا تعدو كونها هجمات للنهب بدعم ابن سعود نفسه الذي اقام تحالفا معها.. وما وجد المعارضون للاتراك شيئا يعبّر عن امتعاض الاهالي من حكم الاتراك، سوى اعتبار هجمات البدو اعمالا ((ثوريّة))، تعبّر عن رأي الاهالي الحضر، رغم ان الاخيرين هم المكتوون بنارها!، ورغم ان هذه الحوادث تمّت بعد اكثر من ثلاثين سنة من الحكم العثماني، ومع ذلك نرى ضرورة توضيح الموقف السياسي لقبائل البدو في الاحساء.

كانت القبائل البدوية التي تعيش بالقرب من الاحساء والقطيف، أو تلك البعيدة نسبيا عنها، هي قبائل العجمان والمناصير وآل مرّة والهواجر وغيرهم.. ومعلوم ان البدو لا يريدون الخضوع للسلطة المدنية المنظمة التي تحدّ من غزوهم ونهبهم، وهو امر جرّبه السعوديون طوال عهدهم الماضي والحاضر.

كانت سياسة الدولة العثمانية تجاه قبائل الاحساء ترتكز على وسائل ثلاث:

الاولى: دعم بني خالد، الذين كانوا يوما ما سادة الصحراء، وحكام الاحساء، الا ان شأنهم ضعف وتراخى في الوقت الذي صعد فيه نجم العجمان، الذين علا شأنهم منذ أواخر الدولة السعودية الثانية، اثناء صراع سعود وعبد الله ابناء فيصل بن تركي، كما رأينا ذلك في صفحات سابقة.

الثانية: الابقاء على حامية صغيرة العدد ومجهزة لحماية الاهالي من اعتداء البدو، وكانت هذه القوة رادعة في بداية الامر ــ إلى جانب اعطاء المال ــ حينما تضعضعت وتلاشت قوة السعوديين في نجد، واضطروا إلى اختيار حياة المنفى في الكويت، وتسلّم ابن رشيد كامل القوة في نجد. فلم يكن هناك يومها لدى القبائل من خيار سوى الرضوخ، أما بعد ان سيطر الملك عبد العزيز على الرياض عام ١٩٠٢، فقد بدأ يظهر جموح هذه القبائل من جديد، وراح الملك يعطيها المال والسلاح ويحرّضها على زعزعة الامن.. وحتى مبارك الصباح، حاكم الكويت، وصديق العجمان، كان هذا دأبه، وبالتالي لم تكن الحامية قليلة العدد ــ كافية لدرء المخاطر.

الثالثة: إعطاء القبائل مخصصات مالية تعوضهم عن النهب، وقد استمر الاتراك في الدفع حتى سقوط يد الملك عبد العزيز، وذلك لكفّ شرّ القبائل، وللمحافظة على طريق البرّ الموصل بين العراق إلى نجد والاحساء.. الا ان ظهور ابن سعود أربك هذه السياسة، واضطرت الدولة إلى استخدام القوة ــ دون إلغاء الاعانات ــ الا ان ذلك لم يكن يجدي كثيرا.

كان اكبر خطأ للاتراك، هو أنهم لم يدعموا وجودهم السياسي في الاحساء بقوة عسكرية معقولة، تحفظ الامن وتردع المعتدي، وتعيد الهيبة التي بدأت بالاضمحلال، كلما زادت القبائل في خرق القانون والهجوم على القرى نهبا وحرقا وتخريبا.. كان بامكان العثمانيين قطع الطريق على العدو من استغلال القبائل إما بدفع المال اكثر!، أو باستخدام القوة، ولسوء الحظ فان الاتراك انفسهم ــ وفي أواخر حكمهم ــ امتنعوا عن زيادة الاعانات المالية، ولم تكن القوة البديلة موجودة، وكان المحرّضون جاهزين، وكان السلاح متوفرا ((ببركات!)) الانجليز في البحرين.. فهوجمت القرى وأُحرق بعضها، وعادت الدولة فاتفقت معه زعماء القبائل من جديد على الراتب، ولكن من موقف الضعف!

وازدادت هجمات البدو القبلية على السكان الحضر، اواخر العهد التركي، وكان الاتراك في الاحساء متنبهين لمصدر الازعاج هذا.. يدلّك على ذلك وثائقهم.. فقد كانوا يعلمون ان ابن سعود وراء التحريض، وكذلك الانجليز وحليفهم مبارك الصباح.. ولكن لم تكن الدولة العثمانية ــ وهي تلفظ آخر انفاسها ــ قادرة على ممارسة سياسة حازمة وفعّالة. وسنعود لمناقشة هذه المسألة في صفحات لاحقة.

لكن ما يجب قوله هنا، والتأكيد عليه، هو ان هجمات البدو كانت راجعة إلى العادات القبلية المكتسبة، ولا يمكن اعتبارها معارضة سياسية.. والا أمكن اعتبار هجمات البدو في عهد تركي بن عبد الله وعهد فيصل بن تركي، اعمالا ثورية ضد الحكم السعودي، وهذا غير صحيح.

اصطدمت القبائل الاحسائية بالأهالي فنهبتهم وقتلتهم، وقليلا ما اصطدمت مع الحامية التركية.. ومع ذلك صوّر الكتاب المعارضون هذه الافعال بأنها ثورات كبرى، واعتبروا تذمّر الحضر من ضعف مواجهة الاتراك للبدو وغاراتهم، تذمراً من اجل ((الحكم العربي السعودي))!.

وهكذا جمع أحدهم هذه الثورات القبلية ((العظمى!))، مع تذمُّر الأهالي من ضعف الاتراك، وعدم توفير الأخيرين الحماية للازمة، وضرب البدو بيد من حديد.. ليقدِّم لنا خليطا غريبا، فيقول: ((إن حالة تذمُّر أهالي الاحساء وسخطهم على الحكم العثماني، كان يقابله تمرُّد بدوي قبلي على السلطة العثمانية هناك. فتظافرت القوتان، فكانتا من أهم العوامل التي اضعفت قواعد الاستراتيجية العثمانية في الاحساء)) [٢٧٦].

المحور الاقتصادي

لم يكن هدف العثمانيين من استيلائهم على اقليم الاحساء.. الافادة الاقتصادية من الاقليم.. رغم ما به من خيرات زراعية واقتصادية وتجارية.. وطوال عهدهم الذي استمر نحو ٤٢ عاما ((١٨٧١ ـ ١٩١٣)) كانت جباية الزكوات وغيرها لا تكاد تفي بالنفقات التي يصرفونها على الحاميات.. هذا ما يؤكده معظم الباحثين لتاريخ هذه المنطقة.. وإذا ما لاحظنا ان حجم القوات الموجودة في الحاميات كان ضئيلا، فان النفقات ستكون ضئيلة أيضاً، وبالتالي فان ما سيؤخذ من الأهالي سيكون قليلا بصورة تلقائية.

اتخذ العثمانيون خطوات حاسمة لاصلاح الوضع الاقتصادي في سنجق الاحساء:

* فبادروا بسنّ نظام ضرائبي جديد يعتمد على قوانين الشريعة، وابطلوا الضرائب الزائدة المرهقة للسكان، والتي استُنّت في العهد السعودي.

* وأُعيدت الأراضي المغتصبة من قبل الوهابيين إلى اصحابها [٢٧٧]، الا إذا كانت مجهولة المالك، أو فرّ مالكها خوفا على نفسه ولم يعهد بها إلى احد.. وهذه الاراضي كثيرة جدا خاصة في قرى ومدن الاحساء، بعضها استولي عليه في فترة قريبة أثناء الحرب الاهلية، فكانت كاقطاعات من سعود الفيصل إلى أتباعه من العجمان وآل مرة.. وبعضها صادره السعوديون

---

[276] المصدر السابق، ص ١٢٠.

[277] مذكرات مدحت باشا ص ١٧٩، ١٨٠.

بالقوة أثناء حكمهم واستحوذوا عليه لانفسهم، لهذا كانت احدى وسائل الضغط التركية على سعود الفيصل، هي مصادرة املاك عائلته في الاحساء[278]، بل ان عبد الله الفيصل طلب من الخديوي اسماعيل ان يتوسط له لدى الاتراك لاجراء معاش له من الاحساء[279].

* وهُيئت اسباب الأمن بعد سنوات طويلة من الحرب التي أتت على الأخضر واليابس.

ولئن أُكد الباحثون على ان الاحساء لم تكن في عهد الاتراك تقدُم دخلا للدولة العثمانية، لاسباب ترجع إلى سياستها التي اعتمدتها في ((إرضاء الاهالي))[280]، فأنها حاولت استثمار بعض الاراضي لصالحها، حيث ينقل لوريمر الذي زار الاحساء في مطلع القرن العشرين في معرض حديثه عن ((الدائرة السنيّة)) أنها: ((تلعب دورا هاما في اقتصاديات العراق التركي، ومنذ ظهورها في الاحساء قبل حوالي عشرين سنة، كانت تملك في واحة الاحساء زراعات في قرية باب الجفر، وكانت تغلُ ما يتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ نخلة من التمور، وانتاجها السنوي من التمور في القطيف يبلغ حوالي ١٦ الف قلّة من التمر. ويبلغ قيمة الانتاج السنوي من تمورها في كلا الواحتين ــ القطيف والاحساء ــ حوالي ٣٠٠٠ جنيه استرليني، وفي قرى الجبيل، وجليجلة، والحليلة، والمنيزلة، والمطيرفي، والمزاوي، والشقيق، في واحة الاحساء، توجد اراضي ارز مملوكة للدائرة السنيّة، تغل ١٠٠٠ موسمية ((الموسمية تعادل ١١٠ كغم)) من الارز سنويا. وتملك الدائرة أيضاً حوالي ٢٥ منزلا في مدينة القطيف، كانت مملوكة في السابق للشيخ ابن غانم من شيوخ البحارنة[281]. كما ويوجد بالاحساء مدير املاك الدائرة السنيّة، ولكن بصورة غير دائمة، وكذلك رئيس الجندرمة في الهفوف، وواحة القطيف لا تزال منحصرة في حاجي منصور باشا ابن جمعة))[282].

وبسيطرة ابن سعود على الاحساء، استولى على املاك الدائرة السنيّة، ووزّع أهمها على ابناء اسرته ورجاله الذين ساعدوه في احتلالها، وعهد بالنزر اليسير إلى ادارة مالية منطقة الاحساء للاعتناء بها كأراض وأملاك حكومية[283].

---

278 العايد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٤.

279 انظر الصفحات السابقة.

280 التطور السياسي لقطر ((١٨٦٨ ــ ١٩١٦))، عبد العزيز محمد منصور، ط ٢، ص ١٤١. وقد اشار احد الكتاب السعوديين إلى ان الاتراك لم يفيدوا من الاحساء اكثر مما كلّفهم من مصروفات. انظر الدولة السعودية الثانية، ص ١٧٤، ١٧٥.

281 آل غانم هم زعماء الشيعة في القطيف وحكامها في عهد الخوالد، وفي عهد الدولة السعودية الاولى والثانية، وقد قتلهم السعوديون اكثر من مرّة.

282 دليل الخليج، لوريمر، القسم الجغرافي، ص ١٠٢٥.

283 اكتشاف النفط واثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ١٢٥٢ ــ ١٢٨٠هـ/ ١٩٢٢ ــ ١٩٦٠م، د. عبد الله ناصر السبيعي، ط ١، ١٩٨٧، ص ٧٢.

الضرائب

لمّا وصل مدحت باشا إلى الاحساء بعد شهرين من نجاح حملته التي أعدُّها، وزّع منشورا على الأهالي حوى اعلانا موقعاً من جانبه، جاء فيه:

((... قد أسقطنا الرسومات التي تؤخذ من الأهالي باسم الجهاد، وخدمات المأمورين على تحصيل الزكاة، والزيادة في الخرص المخالف للاحكام الشرعية، ومراد الدولة العلية ترقية أحوال التبعة وزيادة ثروتهم، وأمرنا بالغائها وعدم أخذها، ونبّهنا المأمورين بعد تحليفهم على عدم الزيادة على الواجب الشرعي. والذي يتبين منه انه ارتكب ذلك فقد أوعدناه بالمجازاة الشديدة، ولاعلام كافة الاهالي وتبشيرهم، حررنا هذا الاعلام نسخا متعددة، وأمرنا بتوزيعها على المدن والقرى، ليكون معلوم الجميع، ليبتهلوا بالدعوات الخيرية، ببقاء ايام الدولة العلية، ويشتغلوا بتعمير أملاكهم، وتوسيع دائرة محاصيلهم وتجارتهم، وأن يكونوا آمنين مطمئنين، ليكون معلوم الجميع، في جمادى الاخرى، سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف))[٢٨٤].

من الواضح من خلال البيان المذكور اعلاه، وأيضاً من خلال اعلان مدحت باشا الذي وزعه نافذ باشا على القطيف، والذي استعرضنا فصوله في صفحات سابقة، ان الدولة العثمانية لم تكن لها النية بالافادة من منطقة الاحساء اقتصاديا، وكان الجانب الاقتصادي احد سببين كانا مثار نقمة الاهالي ضد الحكم السعودي.. اما السبب الاخر، فهو القمع والتمييز الطائفيين المطبقين بحق الشيعة، ولا زال هذان السببان مدار احتكاك مع الحكم السعودي الحالي منذ ان احتل الاحساء عام ١٩١٣.

ومدحت باشا ــ مُعد البيانين ــ يدرك حجم المعاناة، لهذا سارع واسقط كل الرسوم والضرائب غير الشرعية.. وما قاله منشور مدحت، هو في الواقع ادانة صارخة لممارسات الحكم السابق، وحين يُبطل العثمانيون أمرا كان جاريا، فانه يقصد بذلك فترة الحكم السعودي.

والمعلوم ان احدى حجج الاهالي والعثمانيين في عدم تسليم الاحساء لعبد الله الفيصل، هو الارهاق الاقتصادي الذي يشكو منه الناس، بل ان عرائض وجهاء الاحساء والقطيف، والتي قُدمت لمدحت باشا، والمطالبة بعدم تسليم البلاد للسعوديين، كانت تستند إلى هذا الامر بالتحديد. وقد اعترف الحاكم السعودي ((عبد الله الفيصل)) بزيادة الضرائب، حين فسّر توقيع الاهالي لعريضة اقصائه، بأن ((السلطان اعتقد ان الموقعين يطالبون بالحكم التركي المباشر، بينما اعتقد

---

284 آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٧٢، ١٧٢.

موقعو العريضة انهم كانوا بذلك يطالبون الحماية من الضرائب ــ السعودية بالطبع ــ على دخلهم وممتلكاتهم))[٢٨٥].

أما الضرائب التي أسقطها مدحت فهي كثيرة، خُذ مثلا ضريبة ((الجهاد)) والتي اشار اليها الاعلان، وهي ضريبة ابتدعها السعوديون، وطُبِّقت على الشيعة وحدهم، وقد استُنّت الضريبة هذه، في عهد الدولة السعودية الاولى، وصُدِّرت فيما بعد إلى البحرين اثناء احتلال السعوديين القصير لها، ولكن آل خليفة لم يلغوها، وكانت مطبقة حتى الثلاثينات الميلادية من القرن الحالي، وعلى الشيعة وحدهم وهم الذين يشكلون الغالبية العظمى من سكان الجزيرة.. وتُسمّى الضريبة أحيانا بــ ((الروسيَّة)) نسبة إلى الرأس، حيث كانت مفروضة على كل شخص صغيرا كان أم كبيرا، رجلا أو امرأة.. وفي البحرين كانت تسمّى ((رقبيَّة)).

ولمّا جاء الحكم العثماني ألغى هذه الضريبة في الاحساء، ثم عادت بعودة حكم السعوديين فيما بعد واستمرت إلى نهاية الحرب العالمية الثانية.

إن ضريبة الجهاد هذه، تشابه إلى حد بعيد ((الجزية)) في الإسلام، التي تؤخذ من الكفار نظير حمايتهم.. بل أن عددا من الكتاب السعوديين كان يسمّيها الجزية، على اعتبار انها تطبَّق بحق ((الشيعة)) الذين يُعبرون كفارا بنظر أتباع المذهب الوهابي وأساطينه.

وبالنسبة للسعوديين، فقد كانت الضريبة إحدى الوسائل الفعّالة في ابتزاز الأهالي، وكانت تؤخذ اكثر من مرّة في العام، قد تصل إلى خمس مرّات، ولهذا عُرف في عهد آل سعود الأخير ((الجهاد المطبوق))، و((الجهاد المربوع)).. وكانت هذه الضريبة الغريبة تموّل خزانة الحكم السعودي، وبالتالي كان لها دور اساسي في تمويل المعارك السعودية.

لقد وجد السعوديون أنَّ من غير الممكن لهم الاعتماد على الشيعة في القتال معهم، إذ كيف يقاتل الكافر ــ بزعمهم ــ إلى جانب المسلم؟!، وطالما استغنوا عن خدمات الشيعة في هذا المجال، فلا بدَّ اذن من ارهاقهم بالبديل من المال.. والضريبة هذه لم تحدَّد قيمتها ومقدارها، بل ان ذلك متروك للحاكم السعودي نفسه، وكانت في كل الاحيان باهظة، واكثر من ذلك ان ضريبة الجهاد لم تلغِ اخذ الزكاة من الشيعة، باعتبارهم مسلمين!.. بمعنى أنهم كانوا يدفعون الجزية كالكفار، والزكاة كالمسلمين، اضافة إلى الضرائب الاخرى.

ويعترف السعوديون في معظم مراجعهم بضريبة الجهاد واجهاد السكان في اقليم الاحساء والقطيف بها، تحت اسماء ومبررات مختلفة.. قال احدهم: ((أخذت الحكومات المحلية ــ السعودية ــ ضرائب سنوية من الشيعة في الاحساء لعدم دخولهم في الخدمة العسكرية، حيث

[285] العابد، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٢.

أُعفوا من الجندية الاجبارية مقابل دفع ضريبة مالية سنوية، يمكن القول عنها أنها ضريبة البدل عن الخدمة العسكرية)) وهناك ((ضرائب اضافية تؤخذ من ـ بعض ـ السكان الحضر ((الشيعة))، وكانت تأتي لهم بالمتاعب الاقتصادية، التي تؤثر بدورها على اوضاعهم الاجتماعية[٢٨٦].

من جهة أخرى، نلاحظ ان منشور مدحت باشا ـ أو اعلانه ـ سارع وألغى ضريبة الجهاد، واعتبرها من الضرائب غير الشرعية، كما سارع وألغى رسوم ورشوات جامعي الزكاة.. لان هؤلاء في العهد السعودي كانوا لا يستلمون رواتبهم من الزكاة نفسها، وإنما من الأهالي المجبورين على دفعها. ولأن الأهالي ـ وهم في غالبيتهم من المزارعين في حقول وبساتين النخيل ـ فان السعوديين إعتادوا تقدير الزكاة قبل ان يحين وقت جني الثمار، مما جعل التقديرات ((الخرص)) تعتمد على شهوات ((الخراصين)) التابعين للحكومة، وكان هؤلاء، وبسبب الاحقاد الطائفية العمياء، قد فتحوا ابوابا واسعة من الظلم، وراحوا يقدرون الثمار قبل نضوجها بأكثر من حجمها، وبالتالي فان الزكاة تكون اكبر، ولم يكن أمام الاهالي الا التسليم، أو ارضاء ((الخرّاص)) ورشوته!.. وفي كلا الحالتين يقع الظلم.. ولذلك بادر مدحت إلى إلغاء الزيادة في الخرص، وحلف المسؤولين على جمع الزكاة بالالتزام، والا فان العقاب شديد.. وهذه الامور مجتمعة كانت تثقل كاهل الاهالي.. وتثير لديهم الأذى والحنق على الحاكمين وأعوانهم.

الغريب ان المقربين من الحكم السعودي من زعماء الوهابيين في الاحساء، تألّموا من الخرص بعد ان اصابهم منه النزر القليل، فراحوا يشكون، يقول الشاعر الشيخ أحمد بن مشرف شاكيا لدى فيصل بن تركي ما اصابه:

إليك شددتُ العيس أشكو ظلامتي		فقد رام خسفي حاسدٌ وظلوم
وجار عليَّ العاملون بخرصهم		وظلم الورى يوم الحساب وخيم!

لقد حدد الاتراك ما سيأخذونه من رعاياهم في القطيف والاحساء بالزكاة والاعشار الشرعية، واسقطوا كافة الضرائب غير الشرعية التي سنّها السعوديون خلال حكمهم الماضي.. وقد قوبل هذا الامر بالارتياح، ليس لان ذلك كان وعدا وهميًا، وانما كان حقيقة ملموسة، الا انه في أواخر عهدهم ـ ونظرا للأزمات المتلاحقة ـ التي كان الجنود يعانون منها، وباجتهاد شخصي من بعض المسؤولين، أرادوا زيادة بعض الضرائب، وصادف ان بعض المتصرّفين كانوا فاسدين، وبعضهم كان متواطئا مع ابن سعود، وكانت قبضة الدولة قد تراخت، ففرضوا ضريبة على التمر لتغطية نفقات الحامية، فرفض الاهالي ذلك، وسرعان ما استجابت الدولة إلى مطالبهم.

[286] الاصلاح الاجتماعي، ص ١٢٢.

والسؤال كم هو مقدار الضرائب العثمانية، وكم كانت المصاريف؟

يشير المستشرق السوفياتي، إليكسي فاسيلييف، إلى ان ((عائدات الاقليم في عهد الادارة العثمانية تعادل ٣٧ الف ليرة ــ عثمانية ــ سنويا. بينما بلغت نفقات الحامية والادارة ٥٢ الفا.. ويمكن زيادة عائدات الاحساء، وهذا ما عزم عليه عبد العزيز السعود.. حيث فرض ضريبة بنسبة ٨% على كل الواردات التي تصل إلى الاقليم الشرقي من جهة البحر))[٢٨٧].

ويبدو أن هذا التقدير كان أواخر القرن التاسع عشر، أما في بدايات القرن العشرين، فيقدر لوريمر واردات الاقليم بستين ألف ليرة عثمانية، ينفق على الجنود والموظفين ٥٤ ألفا منها.. وعاد لوريمر فأكد بانه حدث في احدى السنوات ((١٩٠٧)) أن انقطع حبل الامن، فتدهورت تجارة التمور وانخفضت اسعاره من ٧ دولارات للمنّ الواحد[٢٨٨]، إلى اربعة دولارات، وتبع ذلك انخفاض في الضرائب إلى اقل من ٥٤ الف جنيه، أي اقل من المصروفات[٢٨٩].

وتشير مذكرات مدحت باشا[٢٩٠]، إلى ان إيرادات منطقة الاحساء والقطيف كانت تكفي مرتبات الموظفين والعساكر والضباط، ويبقى منها جانب لخزينة الحكومة. ولكن الذين خلفوا مدحت اعادوا الجنود إلى بغداد، واقاموا مقامهم طائفة من الاكراد والعربان، وأرسلوا اليها رجلا من اشراف الاهالي لا يعرف قوانين الحكومة ولا نظامها إسمه عبد الرحمن[٢٩١].. وكانت الحكومة قد وعدت الاهالي باعفائهم من كل شيء عدا الزكاة والاعشار، فأراد المشيرون الاكثار من الايراد، ووضعوا الضرائب واحدثوا رسوما جمركيّة مما أدّى إلى استياء الأهالي وطرد موظفي الحكومة.

كما اشارت المذكرات السالفة إلى ان الحكومة التركية جمعت الزكوات والاعشار الشرعيّة بعد الاستيلاء المباشر على الاحساء بكل سهولة، وبلغت واردات الحكومة في سبعة اشهر ثلاثين مليونا وسبعمائة ألف من القروش، وكان متوقعا انه إذا تمّت الاصلاحات وزادت ثروة الاهالي واستتب الامن، ازدياد إيراد الحكومة[٢٩٢].

---

287 فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٤٢.

288 المنّ، وحدة وزن يختلف مقدارها بين الاحساء والقطيف، فهي في الاخيرة تساوي ٢٥ رطلا انجليزيا ((١٦ كغم))، وفي الاحساء بين ٥٢٥ و ٦٥٠ رطلا.

289 الاصلاح الاجتماعي، الصفحات ٦٩، ١٢٠، ١٢١.

290 يوسف كمال حتاتة، مذكرات مدحت باشا، ص ١٨٢.

291 عبد الرحمن سلمان، نجدي مقيم في الاحساء، تظاهر بالولاء للأتراك، وكان على علاقة قوية مع المعتمد السياسي في البحرين، ثم كانت له ارتباطات قوية مع ابن سعود، الذي بعثه ليفاوض الانجليز بشأن الاحساء قبل احتلالها من قبل السعوديين، انظر دوره في موقع اخر من الكتاب.

292 يوسف كمال حتاتة، مصدر سابق، ص ١٧٩، ١٨٠.

وواجهت الحكومة التركية أول مشكلة بالنسبة للزكوات مع البدو البعيدين عن مركز الدولة، فعقد اجتماع حضره زعماء البدو، واتفاق على اخذ ريال عن حمل كل بعير يرد إلى القرى، وانفض المشكل[٢٩٣].

وجاءت تقديرات لوريمر في بدايات القرن العشرين لما يأخذه الاتراك من المنطقة على المحاصيل الزراعية من زكوات واعشار شرعية كالتالي:

تمور الاحساء	٢٦٦٠٠٠ روبية
تمور القطيف	٨٠٠٠٠ روبية
قمح الاحساء	٦٧٢٠ روبية
أرز الاحساء	١٣٤٤٠ روبية
المجموع	٣٦٦١٦٠ روبية[٢٩٤]

تجدر الاشارة إلى ان المجموع هذا، يساوي حوالي ٧٨٥٠ ليرة عثمانية ذهبية.. ممّا يعزّز الشكوك القائلة بأن دخل العثمانيين من المنطقة لم يتجاوز من أي عام ثلاثين الف ليرة أ يلحظ هنا أن أهم الزكاة على المحاصيل لم يتجاوز سدس المصروفات البالغة، حوالي ستين الف ليرة ذهبا.

وهناك ضرائب تافهة تؤخذ من صيادي اللؤلؤ، مقدارها نصف ليرة ذهبية تركية عن كل سفينة صيد مهما كان حجمها، وذلك في اول موسم الغوص. وأشار لوريمر إلى ان عدد السفن العاملة في الاقليم حوالي ١٦٧ سفينة، ويعمل بها ٣٤٤٤ رجلا.. وبكلمة، فان الضريبة لن تصل إلى ((٩٠)) ليرة ذهبا، وهو مبلغ لا يستحق الذكر والتسجيل!

أمام هذه الحقائق، يمكن القول ان الضرائب العثمانية كانت قليلة، وقد حاول بعض الكتاب الالتفاف على ذلك بالقول ان الضرائب تستهلكها الحاميات ــ رغم قلّة عددها ــ ولا يتوفّر منها شيء للخدمات.. وفي هذا القول اهمال لحقيقة انه لم تكن هناك دولة أو امارة في الخليج أو نجد أو الحجاز تضع في اهتمامها مسألة الخدمات، بل ان دولة السعوديين الأولى والثانية، ورغم ضخامة الامكانات الماديّة التي استوفيت من السكان، لم يكن لديها بند للمصاريف على الخدمات

293 المصدر السابق.

294 لوريمر، جزء ٢ القسم الجغرافي، ص ٩٩. وقد اشار لوريمر إلى ان هناك ضرائب اخرى على النخيل، وانها كانت على ثلاث درجات، الأولى تدفع قرشين ذهبيين عن كل شجرة نخيل، وهذه لجود انواع النخيل، والثانية قرشا وربع القرش عن كل شجرة، والثالثة تدفع ثلاثة ارباع القرش. مع ملاحظة ان الليرة العثمانية تساوي مائة قرشا.

اطلاقا، ذلك ان أَسس الدولة المنظمة والحديثة لم تقم بعد، وكان الحكم على سوء أو حُسن أي نظام يتمُّ من منظار ما يأخذه من السكان من ضرائب.

فضلا عن ذلك فان الاحساء شهدت في وقت مبكر المدارس الحكومية التي أسسها العثمانيون، سنة ١٩٠٢، وسبقت بذلك كل مناطق الخليج بدون استثناء، في حين لم يدخل التعليم النظامي في العهد السعودي إلا بعد ٢٥ عاما من سقوط الاحساء، وبعد ٣٨ عاما من احتلال القطيف!!.

ولم تتأخر الاحساء والقطيف في مجال الخدمات البلدية والبريد وغيرها.. فقد اسس العثمانيون أواخر ١٩٠٢ بلديّة في الاحساء وعيّنوا احد الوجهاء رئيسا لها، ثم طالب الأعيان بترئيس محمد احمد الشعيبي، فتمُّ لهم ذلك.. وبقي الشعيبي رئيسا حتى سقوط الاحساء ١٩١٣، فألغى ابن سعود مهام البلدية، ولم تؤسس بلدية جديدة، الا بعد خمسة عشر عاما، أي في عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

وكانت هناك بلدية في القطيف أُسست في ذات الفترة ولتؤدّي نفس المهمات[٢٩٥].

وفوق هذا عرفت المنطقة في العهد العثماني الاتصالات البريدية، حيث اوجد الاتراك مكاتب بريدية في كل من القطيف والهفوف والجبيل، وأدُت خدماتها حتى احتلال ابن سعود للاحساء، فتوقف البريد مدّة اثني عشر عاما على الاقل، أي إلى ما بعد سقوط الحجاز سنة ١٩٢٥، وحينها اعتمد المواطنون ــ بدرجة رئيسية ــ على المسافرين في إيصال رسائلهم[٢٩٦].

النشاط الاقتصادي

مارس سكان الاقليم مجموعة من النشاطات الاقتصادية جعلت من الاقليم اغنى اقاليم الجزيرة العربية، فإلى جانب الزراعة عمل السكان في مجال الغوص لصيد اللؤلؤ، كما مارسوا مهنة صيد الاسماك، وتربية المواشي، والصناعات المحلية العديدة، والتجارة، وغيرها.

الزراعة

وكانت تعتبر المورد الرئيسي للسكان الذين هم في أغلبهم فلاحون، وقد ساعد على نمو الزراعة عبر العصور غزارة المياه، والأرض الخصبة وتشبُّث الأهالي بأرضهم وزراعتهم.

أما أهم المزروعات، فهي النخيل التي إشتُهرت بها المنطقة منذ عهود ما قبل الإسلام، وضرب بها المثل ((كناقل التمر إلى هجر)). ويعتبر التمر يومها الغذاء الرئيسي للسلكان بدون

---

295 اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية، ص ١٧٢، ١٧٤.

296 المصدر السابق، ص ٢٥٠ ــ ٢٥٤.

مزاحم، ليس فقط في الجزيرة العربية، بل وفي مناطق اخرى من العالم، قبل ان يزاحمه القمح والأرز التمر على الموائد.

واضافة إلى زراعة التمر، نَمت في الاحساء، وبعض مناطق القطيف، زراعة الارز المشهورة، والمعلوم ان الارز يحتاج إلى الكثير من الماء، وبرزت أيضاً ــ كما تذكر مدحت باشا ــ زراعة القمح، بعد نجاح حملته في الاستيلاء على الاحساء، وكان اول عهد السكان بزراعة القمح هو في تلك السنين الخوالي. كما زرعوا الذرة والدخن والسمسم واللوبيا والشعير وعبّاد الشمس وغيرها.

وزرعت في القطيف والاحساء الخضار بأنواعها والفواكه مثل الرمان والتين والعنب والخوخ والحوامض، واللوز والموز والتوت والنبق وتمر الهند والليمون والمشمش والبوبي وغيرها.

وبالنسبة للتمور، قدّر لوريمر انتاجها في الاحساء عام ١٩٠٧ بـ ((٥١)) ألف طن سنويا، وفي القطيف ((٣٤)) ألف طن سنويا، وكان هذا الناتج الضخم يسدُّ حاجات السكان ومعظم حاجات شرق ووسط الجزيرة، حيث اصبحت القوافل تهفو نحو الاحساء والقطيف، لتعود محمّلة بالتمور والأغذية، وقدُرت المساحات المزروعة بحوالي أربعين ألف هكتارا، تحوي ما بين ٤ ــ ٥ ملايين نخلة، في الاحساء وحدها. أما في القطيف فقدُرت المساحة المزروعة في العهد العثماني بـ ١٧ ألف هكتارا، وبها حوالي مليوني نخلة.

وحدّد لوريمر صادرات التمور من المنطقة على النحو الذي يوضحه الجدول التالي:

* ٣٠٠٠ طن تصدُّر إلى جدّة عن طريق ميناء العقير.
* ١٠٠٠ طن تصدُّر إلى جدّة عن طريق ميناء البحرين.
* ٥٠٠٠ طن تصدُّر إلى البحرين.
* ٢٠٠٠ طن تصدُّر إلى قطر.
* ٤٠٠٠٠ طن للاستهلاك المحلّي والتصدير إلى الكويت ونجد[٢٩٧].

وقدُّر فايدل ((Vidal)) صاحب مؤلف واحات الاحساء قيمة التمور المنتجة بحوالي مليار وخمسين مليون جنيه، وهو مبلغ بالغ الضخامة يومئذ.

واشتهرت القطيف بتصدير الدبس ((عسل التمر)) المستخرج من رطب الخنيزي الذي اشتهرت به الواحة، هذا اضافة إلى تصدير السلوق ((الرطب بعد ان يُغلى ويجفف)) إلى الهند قبل ان تصدر الاخيرة قانونا يعيق الاستيراد.

[297] لوريمر، القسم الجغرافي، جزء ٢، ص ٩٩.

أما الارز الاحسائي، فقد طغت شهرته على كل الانواع، وكان سعره من أغلى الاسعار، وقد توسَّع الأهالي في زراعته أبان العهد العثماني، وقدُر الانتاج السنوي بـــ **((٤١ مليون رطل))**. في حين بلغ انتاج القمح في المواسم الجيِّدة ما يقارب **((ألف مليون رطل))**[٢٩٨].

صيد الاسماك واللؤلؤ

واشتهرت به منطقة القطيف وتوابعها كسيهات وصفوى وتاروت، وكانت هذه الحرفة مصدر ثراء كبير للمنطقة.. وقدُر لوريمر عدد السفن التي تنطلق للغوص في سنة ١٩٠٧ بحوالي ١٦٧ سفينة يعمل بها ٣٤٤٤ رجلا.. ويبدو من خلال المقارنة بأحاديث الطاعنين في السن، ممُن عمل بالغوص أن عدد السفن والعاملين يفوق تقديرات لوريمر بكثير.

لقد اشتهرت منطقة ساحل القطيف **((الخط))** على مرُ العصور بأن بحارها تحوي اجود انواع اللؤلؤ واكثرها، حيث انخرط المواطنون في سلك الغواصين، اضافة إلى القيام بالزراعة وغيرها بعد انتهاء الموسم، بل ان بعض المراجع اشارت إلى ان جميع اهل القطيف غوّاصون، إما لأنفسهم، أو بالأجرة للغير[٢٩٩].. وتشير التقديرات إلى ان واردات الغوص تصل إلى مائة مليون روبية فضية هندية.

وهكذا نشأت طبقة من المواطنين تقوم بالمتاجرة باللؤلؤ، فتبيعه في البحرين أو الهند وغيرها.. وعادة ما تزدهر الحياة الاقتصادية في المنطقة بعد انتهاء كل موسم، وتزداد حركة التجارة بشكل كبير.

من جهة اخرى، اعطت سواحل الخليج كميات هائلة من الاسماك، فالخليج بمياهه الدافئة وملوحته الزائدة، جعل منه ملاذا للاسماك، واحترف الاهالي صيده ببراعة، وابتدعوا وسائله، مما وفُر غذاء جيدا ورخيصا، وصاروا مع تقادم السنين خبراء في اماكن صيده وتوقيته.. ولولا المضايقات الحكومية الحالية، لغطُى انتاج المنطقة كثيرا من بلاد العالم.

وبلا شك فان الاهالي، ما كانوا يستهلكون كامل الانتاج، بل يصدرون الفائض إلى الاحساء – التي لم يزاول سكانها هذه المهنة – وإلى الرياض ومدن نجد الاخرى.. في حين تُحفظ الانواع الرديئة من الاسماك كطعام للأبقار، أو كأسمدة للزراعة[٣٠٠].

---

298 اكتشاف النفط واثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ص ٧٦.

299 القطيف واضواء على شعرها المعاصر، عبد العلي يوسف آل سيف، ط ١، ١٤٠٦هـــ ص ٦٤.

300 تصدر المنطقة في الوقت الحالي أجود انواع الربيان في العالم، إلى العديد من دول الغرب، خاصة الولايات المتحدة، وقد احتكر احد افراد عائلة القصيبي صيد الربيان، مما تبعه حرمان الأهالي من صيده اغلب اوقات السنة.

الصناعات المحليّة

وهي عديدة ومتنوعة، وقد برع فيها الشيعة الاحسائيون بوجه خاص، ذلك أن البدو كانوا يأنفون من مزاولة الحرف لأنها تحطّ من مقامهم ــ كما يرون وفق العادات القبلية ــ بعكس الحضر.

فقام الحدّادون والصفّارون والنحّاسون بتأمين الاحتياجات المحلية من أوان وقدور ودلال القهوة والهاونات التي استوردوا النحاس من الخارج لصناعتها، ويذكر زويمر ان الاحساء اشتهرت بصناعة الأواني النحاسية من مختلف الاشكال، وكانت تصدر إلى مختلف أجزاء شبه الجزيرة العربية[301].

وصنع الحدّادون مستلزمات الزراعة والبناء، كالفؤوس والمحاريث، والسلاسل، والمناقيش.. ونشطت صناعة دباغة الجلود والاحذية والحقائب والقرب، وحافظات التمر، والأحزمة، وغمد السيوف وسائر الامتعة الجلدية.

ومن الفخار قامت صناعة أواني الطبخ والصحون، وبالخصوص أوعية حفظ المياه وتبريدها كالزير والحب والمصخنة والخرس، والتنور والذي يصنع فيه الخبز. ومن النخيل قامت صناعة الحبال، والحصر والاقفاص، والمراوح اليدوية، وسفر الطعام، وقلال التمر ((الخصف))، والزنابيل وأسرة الاطفال، واستخدمت الجذوع للسقوف، وبرع النجّارون في صناعة الابواب والنوافذ ونقشها.

وكانت هناك صناعة النسيج، كالأزر، والغتر المحلية، والطوافي الصيفية والشتوية، والجوارب الصوفية والقطنية.. اضافة إلى صناعات اخرى كالفرش والوسائد والمساند والأردية[302].

وأهم من هذا كلّه تميّزت الاحساء بشهرة عريقة في صناعة العبي والمشالح المشهورة حتى اليوم في كل انحاء الخليج والجزيرة العربية، وعدها زويمر واحدة من أهم صناعتين تميّزت بهما الاحساء، وكانت تصدر العباءات إلى البلدان المجاورة، ويوصي الحكام والأمراء بصنعها لهم بخيوط فضية وذهبية. وقد مارست الجاليات الاحسائية في كل مناطق الخليج هذه الصنعة العريقة.

---

301 جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٢٥. والاصلاح الاجتماعي، ص ٦٠.

302 اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية، ص ١١٧، ١١٨.

وانظر أيضاً ((Saudi Arabia; Its people; Culture)) ص ٢٩٢.

ويضاف إلى هذا كله، صناعة الحلي الذهبية والفضية، التي اشار اليها لوريمر، حيث اكسبت المصوغات والحلي والمجوهرات التي يتم صقلها وتصميمها في الاحساء ــ بوجه خاص ــ شهرة واسعة.

وكل هذه الحرف ــ كما اشرنا ــ كانت تعتمد على الشيعة[٣٠٣] تماما مثلما هي الزراعة وصيد الاسماك واللؤلؤ ــ الذي انخرط فيه اعداد من البدو المتحضرين ــ.. والسبب في استنكاف الآخرين عن ممارسة هذه المهن، انهم عدُّوها مهنا وضيعة تتنافى مع طبيعة البدوي ــ والمتحضِّر حديثا ــ الذي يرى في ممارستها إهانة له.

ومع وضوح هذه الصورة الاجتماعية، الا أن احد الكتاب اعتبر ان ((المذهب له أثر في تحديد نوعية العمل الذي يمارسه السكان السنَّة والشيعة[٣٠٤]. وفي هذا تجاهل للخصائص والطبائع البدوية.. وايحاء بأن المهن الوضيعة ــ بالمنظار البدوي ــ لا يمارسها الا الشيعة!

التجارة

واحتلت المرتبة الثالثة بعد الزراعة والغوص، وقد ازدهرت التجارة في العهد العثماني، رغم المعوقات البريطانية. وكان انتعاش البحرين بالخصوص مرهوناً بحركتها التجارية مع مينائي القطيف والعقير. ولهذا ازدهرت التجارة بين هذين المينائين، وبين البحرين والهند ((اضافة إلى تعامل محدود مع العراق والكويت وعمان وايران)). رغم ان الانجليز اشاروا على الشيخ عيسى، وبمجرد ان سيطر الاتراك على الاحساء، بأن يُضاعف الضريبة على البضائع المصدرة لمينائي القطيف والعقير بغية إيذاء العثمانيين، فرفعها من ٥% إلى ١٠%، ولم تخفض هذه الضريبة الا بعد احتلال ابن سعود للاحساء، أو قُلْ فور احتلاله لها، فأعادها عيسى إلى ٥% بعد ان استمرت لمدة تزيد على اربعين عاما، والسبب كما قال شيخ البحرين، انه جعلها ٥% ((مساعدة منه لابن سعود))، لأنه بدأ يفرض ضريبة مماثلة في موانئه[٣٠٥].

كانت القطيف والاحساء، مركز التجارة، حيث يعتمد على ما يعرض في اسواقهما عشرات الآلاف من البدو والحضر، ويكفي ان دخل موانئ المنطقة يزيد على مائة الف روبية شهريا يوم احتل ابن سعود المنطقة[٣٠٦].

---

[303] الاصلاح الاجتماعي، ص ٦٠.
وانظر أيضاً ((Saudi Arabia; Its people; Culture)) ص ٢٩٢.
[304] المصدر السابق، ص ٤٨.
وانظر أيضاً ((Saudi Arabia; Its people; Culture)) ص ٢٩٢.
[305] التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين، د. محمد الرميحي، ص ١٠٧.
[306] عبد العلي السيف، مصدر سابق، ص ٦٥.

ويعتبر ميناء العقير اكثر نشاطا من ميناء القطيف، وكان يغادره ما بين ٢٠٠٠ ــ ٣٠٠٠ جمل اسبوعيا محملا بالبضائع[٣٠٧].

أما صادرات المنطقة فهي: التمور وسعف النخيل، العباءات، والجلود، وحطب الوقود، والحلي الذهبية، اللؤلؤ، والخيول، والحمير الحساوية ذات الشهرة العالمية لقوتها وسرعتها وحجمها، وكان الطلب عليها كبيرا في العراق وإيران والبحرين ومصر.. ومن الصادرات السلوق والدبس، والأواني النحاسية وغيرها من الصناعات اليدوية.

في حين كانت الواردات تشمل، الخيوط الملونة والاقمشة، الشاي، القهوة، الهيل، وأخر صرعات السلاح المهرّب من البحرين ومسقط وقطر، والتوابل والاخشاب.

وهكذا انتعشت الموانئ في العهد التركي، وازدهرت التجارة، وذلك بفعل عاملين:

١ــ استتباب الأمن اكثر من ثلاثين عاما متواصلة ١٨٧١ ــ ١٩٠٢.

٢ ــ انخفاض الضرائب، قياسا للعهد السعودي السابق واللاحق، وقياسا للمناطق الاخرى الرازحة تحت الاحتلال البريطاني. وقد رأينا ان مشايخ هذه الدول يفاخرون أحيانا ــ حينما يقومون بتخفيض الضرائب ــ فيقولون أنها وصلت إلى ما يقارب حجم الضريبة المفروضة في القطيف والاحساء.

تربية الحيوانات والدواجن

حيث لم يكن يخلو منزل في المدن والقرى من حظيرة لتربية الابقار أو الاغنام أو الدواجن أو الطيور، اضافة إلى مستودع لتخزين التمر والمواد لغذائية الاخرى.. وكان من عادة السكان ان يخزّنوا التمر والأرز والحنطة والسمك المجفف والحطب داخل منازلهم، بما يكفي احتياجاتهم لعام كامل تقريبا[٣٠٨].

واعتمد الاهالي بشكل كبير على منتوجات الابقار بشكل خاص من حليب ولبن واجبان وسمن وغير ذلك، وكان هناك اكتفاء ذاتي من البيض، وقام تبادل بين منتوجات البدو وما ينتجه الحضر.

وبشكل عام بدأت ملامح الثراء تبرز في المنطقة بعيد استيلاء دولة الخلافة عليها، لأنها تحمل مقومات الازدهار والنمو.. فكثرت الخيول والبيوت، وانبثقت شريحة واسعة من التجّار

---

307 اكتشاف النفط وأثره على الحياة الأقتصادية، ص ٩٩، ص ١٠٤.

308 اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية، ١٢٥٢ ــ ١٣٨٠هـ/ ١٩٢٢ ــ ١٩٦٠، الدكتور عبد الله ناصر السبيعي، ط ١، ١٩٨٧، ص ٥١.

والملاّكين، ولم يقتصر الغنى والثراء على منطقة دون اخرى، الا ان الهفوف والقطيف تركزت فيهما الشخصيات والثروات، واضيفت للعديد من الاغنياء لقب ((شاه)) كدلالة على الغنى.

واشار البريطانيون في مصادرهم عن تلك المرحلة إلى تزايد اعداد الزنوج العاملين بالزراعة، وهي احدى علامات الثراء، بل ان بعض البدو ـــ وهذا امر غريب ـــ كان لديهم عبيد يعملون في الرعي مع ان تجارة الرقيق في المنطقة كانت قليلة جدا بسبب مراقبة السلطات البريطانية، واستنكاف الاهالي عن ممارسة ((النخاسة))، ومع ذلك كان الرقيق كثيرا في الاقليم، وكان لدى الاغنياء اكثر من واحد.. في حين ان تجارة الرقيق في ((نجد)) كانت مزدهرة بسبب ما يُجلب إلى اسواقها من رقيق محمّل من افريقيا، وأصبحت الرياض مركزا من مراكز بيع الرقيق[٣٠٩].

ومن علامات الثراء، ان اقليم الاحساء، كان له عملته الخاصة به، وهي ((الطويلة))، اضافة إلى استخدام العملات العثمانية ((البارة، القرش، الليرة))، وشاع استخدام الروبية الهندية لكثرة التعامل مع الهند، ولكونها لعملة الرئيسية في البحرين والكويت، واضافة إلى ذلك استخدم الدولار النمساوي ((دولار ماريا تريزا)) ويسميه الاهالي ((بالريال الفرنساوي، الفرانسي))، وكان من الفضة، وقد سكُ في فيينا سنة ١٧٨٠، ويحمل صورة امبراطورة النمسا والمجر، وبقيت هذه العملات مستخدمة إلى ان تمُ ضرب الريال السعودي سنة ١٩٢٨ ـــ ١٣٤٧هـــ، في بيرمنغهام[٣١٠].

لقد عرفت المنطقة الثراء في العهد العثماني بصورة لم تعهدها من قبل، ولو لم يكن بها الا التمر الذي اشتهرت به في القديم والحديث لكفى به ثروة في عصر كان اهل نجد يأكلون القدّ الملوي، والأخضر واليابس.. وقد أثُرت هذه البيئة المترفة على شعراء الاحساء السنّة، فاختفت رنّة الحزن والبكاء، فما اقل ما يبكون وما يحزنون، وما اضعف رثاءهم وشكواهم، وحتى غزلهم وما فيه من شكوى قليلة ضعيفة.. بالرغم من ان هؤلاء الشعراء اختلطوا ببيئة التشيُع التي أجادت شعر البكاء والرثاء، بصورة لا تراها في شعر الغابرين أو المعاصرين.. وحتى الشاعر ابن مشرف رغم حماسه للدعوة الوهابية، وبعد ان استوطن الاحساء، لم يقل شيئا ذا بال يمكن ان يوازي شاعريته في نكبات الدرعية والرياض، وذلك بسبب عيشه المترف في الاحساء[٣١١].

---

309 الاصلاح الاجتماعي، ص ٢٦، ص ٥٢. وانظر جمال زكريا قاسم، الجزء الأول، ص ٢٦.

310 المصدر السابق ص ٢١٢ إلى ٢١٥. واكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية، ص ١١٤ ـــ ١١٦.

311 د. عبد الله العلي الاحامد، مصدر سابق، ص ٢٢١.

ويذكر الالوسي ان ثمن المنزل في الاحساء كان ألف ليرة عثمانية، وان اجرة الدكان كانت ٤٥ ريالا في الشهر في الاحوال العادية، وإذا جاءت القوافل بلغت أجرة الدكان في اليوم أربعة مثال الاجرة العادية، وتلك ارقام تدلُ على ثراء واسع وكبير، إذا علمنا أن قيمة الجمل في ذلك الحين تبلغ من ريالين إلى خمسة ريالات[٣١٢].

والآن لنستعرض الرؤية السعودية تجاه الوضع الاقتصادي في العهد التركي في الاقليم.

يقول أحد الكتاب[٣١٣] تحت عنوان: ((موقف أهالي الاحساء من الاستراتيجية العثمانية))، ان الواقع الاجتماعي في الاحساء اثبت ان هذه الاستراتيجية ـــ القاضية بتدعيم الوجود العثماني في الجزيرة العربية ـــ غير موفَّقة، لسببين هما: ((أن الدولة العثمانية لم تفِ بالوعود التي منَّت بها الاهالي، فكان هذا سببا في فقدان القاعدة الشعبية والتأييد السكاني في المنطقة)).. أما السبب الثاني فهو: ((استناد الاستراتيجية العثمانية على القوة العسكرية، وان هذا الاسلوب يفتقر إلى تأييد الناس له دائما)).. وقد ناقشنا بطلان هذا السبب في صفحات سابقة.

أما عن الاول، فيتحدث المؤلف عمَّا جاء في منشورات مدحت ونافذ باشا حول تخفيف الضرائب وإزالة الكثير وغير الشرعي منها، الا انه يقول بأن هذه الوعود لم تكن حقيقية ((فازدادت الضرائب المفروضة على كاهل السكان، وسادت المنطقة حالة من التذَّمر والسخط، كانت حصيلته الانفجار الشعبي الذي عبَّر عنه أهالي الهفوف حين استنفروا وتجمَّعوا عند مقر حكومة متصرفية نجد، بحجة ان السعر الذي سعَّرته الحكومة للتمر زائد ومضر، فأغلقت الدكاكين مدَّة ما، ولكن تدابير الحكومة أدَّت إلى تسكين الأهالي)).

واعتبر الكاتب هذه الحادثة ((من بوادر التذمُّر الجماعي المنظم في الاحساء ضد الاستراتيجية العثمانية))، وانها تدل على ((عدم انسجام الاهالي مع اسلوب الحكم العثماني))، وهو ايحاء عنصري كريه، مع ان الاهالي، والاغلبية الساحقة من السكان العرب ما كانوا ينظرون إلى الاتراك كمحتلين، بل اعتبروهم مسلمين، ولم تكن البضاعة القومية المصنَّعة في بريطانيا وفرنسا قد غزت يومئذ الا بعض العقول اليهودية والمسيحية في ديار الشام ومصر، بينما لم يفهم الأهالي العرب ما هي القومية؟

لقد استخدمت هذه الحادثة لتكون دليلا ضد الاتراك، ليس في مجال الاقتصاد فحسب، بل وفي مجال السياسة، وليس لدى المعارضين أدلة تؤيدهم، إذ لحسن الحظ ان معظم المعلومات المتوفرة، ومن بينها المعلومات الواردة في الوثائق التركية والانجليزية، والتي عادة ما يقتبس

[312] المصدر السابق، ص ٤٩.

[313] دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص ١١٦، ١١٧.

منها المعارضون ما يريدون فتصبح مشوهة.. مع هذا فالمعلومات عن الحقبة التركية في معظمها تفند أقوال هؤلاء الباحثين.

وحادثة تسعير التمر، رغم ما نُفخ فيها، لم تكشف سوى محاسن الحكم التركي.. فالحادثة وقعت أولا في عام ١٣٢٢هـ، أي أواخر عهد الدولة السعودية، وبعد حكم للاحساء دام ٣٤ عاما، فلا تصلح أن تكون دليلا على الفترة السابقة.. والملاحظ ان الباحثين السعوديين، لا يقيمون الوضع الاقتصادي من اساسه وبدايته، وإذا ما أرادوا الحديث فانهم يبدأون من عام ١٣٢٢هـ، لأنه من ذلك العام أو قبله بقليل بدأت الاضطرابات الامنية تجتاح المنطقة، بفعل تحريض الملك عبد العزيز لقبائل البادية.

والحادثة المشار اليها لا نعرف تفاصيلها، لكن صاحب كتاب تحفة المستفيد يقول عنها التالي:

((في أيّام أبي سهيل – الوالي التركي – قتل في بلد المبرز رجل من عسكر النظام، يسمّى محمود كردي، فقبض أبو سهيل على مشايخ المحلات وسجنهم، وطلب منهم ان يأتوا بقاتل الرجل.. فكتب له العلماء في اطلاقهم لعدم علمهم بالقاتل، فلم يلتفت لقولهم، فأوعزوا للأهالي بالاضراب عن البيع والشراء، وفتح المتاجر وجلب السلع إلى الاسواق احتجاجا على عمل ابي سهيل))، وأخيرا ((طلب من العلماء التوسط في القضية، فأطلق الرؤساء والأعيان، وأسقط بعض الضرائب، وخفّف في البعض، وسكنت الفتنة، والحمد لله))[٣١٤].

وهناك جانب من وثيقة تركية من وثائق الباب العالي، صادرة من الفريق اول سليمان باشا، قائد الجيش السلطاني السادس في بغداد، دائرة الاركان الحربية العامة، الشعبة الرابعة، مؤرخة في ١٩ آذار/ ١٣٢٢هـ، وهي برقية تتحدث عن الاوضاع في الاحساء، وتشرح الحال وتقول ((أن الواجب والمصلحة العامة تقتضي مضاعفة الجهد لنيل حب الأهالي)).. وان الاخيرين ((أغلقوا المتاجر في الهفوف وما حولها من قرى... وهذا ما دعاني إلى ان أذهب إلى مركز الحكومة المحلية، وأطلق سراح الموقوفين بعد ان زودتهم بالنصائح المؤثرة)).. ويشير كاتب البرقية، إلى ان سبب الأزمة هي ((أن الحكم بيد البكباشي محمود بك، وهو رجل جاهل، وآلت مصالح المتصرفيّة إلى أُناس غير مؤهلين)). وتقول الوثيقة ان محمود بك وجماعته يعاملون الأهالي بقسوة و((يقومون بأعمال تزعج الأهالي وتدفعهم إلى النفور منهم، وهذا بدوره يؤدي إلى محاذير عظيمة))[٣١٥].

---

314 آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٨٩، ١٩٠.

315 دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ((مصادر تاريخ البلاد السعودية))، الدكتور عبد الفتاح ابو علية، دار المريخ، الرياض ١٩٧٩، ص ١٩٩، ٢٠٠.

ويلاحظ هنا، أن السياسة العامة للاتراك لا يجريها الولاة كما ينبغي، وهذا يؤدي إلى ((محاذير عظيمة))، والمحاذير هذه هي سقوط الاحساء بيد الانجليز، أو بيد حليفهم ابن سعود.

ومن المهم جدا الانتباه إلى ان محمود بك، وهو مقدم الدرك، متواطئ مع ابن سعود، كما تشير إلى ذلك وثائق اخرى، وتذكر الكتب السعودية انه كان يغري القبائل بمهاجمة الحضر وقطع الطرق، فكانت النتيجة ان قتله أهالي المبرز، ففتّ ذلك في عضد الملك ابن سعود، كما سنرى في الصفحات القادمة.

وحول مسألة التمر أيضاً، هناك وثيقة تركية[٣١٦] تقول ((أن الحكومة المحلية قد أعدّت قيمة للتمر في مركز لواء نجد ــ الهفوف ــ فعدَّ الافراد ان هذه القيمة زائدة عن القيمة السابقة، وتسبب ضررا على الناس. فقام هؤلاء النفر من الناس وهيَّجوا الاهالي ضد الحكومة. فأُغلقت الحوانيت في السوق بعض الوقت. وحلاً للمسألة فقد اجرت الحكومة المحلية ما يقتضي عمله من تدابير)).

أما ما هي التدابير فيلخصها مخبر سري للدولة العثمانية في وثيقة تركية[٣١٧] بقوله: ((ان المتصرف قدر ضريبة التمر بـــ ١١ ريالا بدلا من خمسة ريالات، واضاف اليها بعض التكاليف الاخرى، مما سبَّب نفور الاهالي في الاحساء، وقدموا الشكاوى في ذلك إلى قيادة اللواء التي رفعت أمرهم إلى ولاية البصرة، فردَّت الولاية على شكاويهم وأطلقت سراح مسجونيهم)).. أي خففت الضريبة وأطلقت سراح السجناء.

هذه هي السياسة العامة للأتراك.. نراها قائمة على اساس استرضاء الأهالي، وإن كان الولاة في الأيام الأخيرة خرجوا عن الخطة المرسومة، بسبب ضعف الحكم المركزي وانتشار الفساد في جهاز الدولة، مما أدَّى إلى كثرة تبديلات المتصرفين، حيث توالى خلال الاثني عشر عاما الأخيرة من الحكم العثماني ((١٣٢٠ ــ ١٣٣١هــ)) على حكم الاحساء ستة متصرفين.

وقد لاحظنا ان العثمانيين استجابوا للشكاوى وبسرعة، كما رأينا حريَّة الحركة لدى الاهالي سواء في الاضراب أو الشكوى، وهو امر لم يحصلوا عليه حتى يومنا هذا. وفوق ذلك ان الحادثة ــ وهو المهم ــ لم تكن الا في الايام المرضية للاتراك، وضمن سياق الانفلات العام، بسبب سقوط هيبة الدولة جراء هجوم البادية.

316 صادرة من ولاية البصرة، إلى دائرة الصدارة العظمى، ومؤرخة في ٢٥ مارس ١٢٢٢هــ وموقعة من قبل والي البصرة وقائدها. انظر المصدر السابق، ص ٢٠٠. ويلاحظ أن الاتراك يستخدمون التاريخ الميلادي والهجري معا.

317 صادرة عن دائرة الاركان الحربية العامة، الشعبة الرابعة، رسالة موجهة إلى قيادة الجيش السلطاني السادس في بغداد ومؤرخة في ٢٥ مايو ١٢٢٢هــ، وهي موقعة من مخبر اسمه محمد عبده، انظر المصدر السابق، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

واعترف الكاتب السعودي الذي نفخ في ((ثورة التمر!))، فقال ان الاهالي يرفعون الشكاوى إلى متصرف الاحساء ((وفي حالة عدم استجابة مطالبهم، كانوا يرفعون الشكاوى إلى والي البصرة... وأن الدولة كثيرا ما كانت ترضخ لقبول مطالبهم، فتصدر الأوامر بتخفيض ضريبة التمر والعمل على تحسين أحوال السكان في المنطقة)).. واستشهد بوثيقة تركية مؤرخة في الحادي والعشرين من شعبان ١٣٢٢هـ[318].

وللعلم، فان الرخص شيء في الاحساء كان التمر، وان الأهالي اعتمدوا على انعاش وضعهم الاقتصادي من خلال بيعه وتصديره.

إننا لا نقبل التفسيرات التي تأخذ من حادثة التمر دليلا على اثقال كاهل الناس بالضرائب، وانها من دلالات السخط العام على الاتراك، فقد اشارت احدى الوثائق التركية إلى ان هناك جهة محرضة اتخذت من حادثة التمر، وغيرها فيما بعد حجة لاظهار العصيان وتقريب السكان للحكم السعودي الوليد في نجد.

ومن التفسيرات التي لا تتسم بالموضوعية، ان يُقيَّم عهد الاتراك في السنوات العشر الأخيرة، ليكون حجة على الثلاثين سنة التي سبقتها.. وفي هذا تجنٍّ على الحقائق.

أو ان يعتمد على المصادر السعودية كدليل على سوء الاوضاع الاقتصادية.. وطبيعي فان المصادر الرسمية ليست طرفا محايدا، بل هي خصم للعثمانيين.. انظر قول مصدر حكومي الذي هو عرض الحكومة السعودية لقضيتها حول البريمي، وفقد جاء فيه ((لقد بدأت علامات التذمُّر في المنطقة من حكم الاتراك لكثرة الضرائب الباهظة التي فُرضت على الشعب، مما جعلهم يفكرون في الثورة على حكم الاتراك وعودة الحكم السعودي))!

وبيت القصيد، هو في ((عودة الحكم السعودي)).

أو ان يعتمد على كراس ((تحفة الالباء في تاريخ الاحساء))، وكاتبه سليمان الدخيل، الذي تزوج ابن سعود أخته، والكتاب مقتضب ضعيف السبك، قليل المعلومات، ولا يحوي قيمة علمية ذات معنى، وقد تعرض له علامة الجزيرة الاستاذ حمد الجاسر بالنقد.. فضلا عن ان الدخيل كان واسطة جيدة لنقل المعلومات للانجليز في بغداد عن أحوال نجد والاحساء وشيعة حائل[319]. ومصدر كهذا لا يُعتدُّ به اساسا، خاصة إذا اعتمد على اقاويل ومسلمات دون ابراز الدليل.

وكانت اشارة ان بلنت في كتابها ((رحلة إلى نجد)) ((Plegramige to Nejd))، وهي مذكراتها عن رحلتها إلى حائل أبان حكم الرشيديين لها، صادقة، فقد قالت ((ان منطقة الاحساء

---

[318] المصدر السابق، ص ١١٨.

[319] انظر الوثيقة رقم، ((FO 371/ 4147)) من ضابط البعثة في بغداد إلى حكومة الهند، بتاريخ الثالث من نوفمبر ١٩١٩.

تضايقت من حكم الاتراك لكثرة الثورات القبلية التي أدت إلى تدهور الناحية التجارية، وأدّت إلى عودة القرصنة نتيجة لضعف سيادة الترك وحامياتهم في المنطقة[٣٢٠] وهذا قول صحيح لا غبار عليه، وهو تقييم لعهد الاتراك في أواخره.. وأما ثورة البدو فهي من تدبير الانجليز والسعوديين، وسنوضح ذلك في الصفحات التالية.

لقد كان الناس يبحثون عن خلاص، وكان الأهالي قد تضايقوا ــ على حد تعبير آن بلنت ــ من الحكم التركي، لأنه لم يوفّر الامن والطمأنينة للحضر.. ولكن السكان لم يكونوا ضد الحكم التركي كحكم، وهو ما ثبت أثناء تسليم القطيف، ولو وفّر الاتراك الأمن، لما كان ابن سعود يستطيع أخذ الاحساء.. ولذا كانت سياسة الأخير تعتمد على اثارة البادية، وتطفيش الحكم التركي وإنهاكه، ودفع الأهالي للقبول بحكمه انقاذا لهم من المخاطر.. وهو ما حدث فعلا.

٦

الوضع المذهبي والثقافي

في الاحساء والقطيف (١٨٧١ ــ ١٩١٣)

من الصعب تحديد مدّة زمنيّة لمراقبة نشاط ثقافي أو فكري، فالنهوض لا يتأتى طفرة واحدة، ولا يخمد مفاجأة وبقرار رسمي.. فرغم ان السعوديين حينما استولوا على المنطقة في مطلع القرن الثالث عشر، وعمدوا إلى كتب الشيعة وتراثهم ومؤلفاتهم ومساجدهم وحسينياتهم فأحرقوها ودمّروها، واضطهدوا علماء الشيعة وطردوا الكثير منهم خارج البلاد، كما اضطروا اخرين إلى الهجرة، شأن الكثيرين من علماء السنّة، ومنهم حنابلة أيضاً كإبن فيروز المشهور.. ومع ان السعوديين لم يسمحوا للشيعة بممارسة عقائدهم ودروسهم في مدارسهم، الا ان الحركة العلمية لم تخمد، لأن رجالها بقوا احياء، وقاموا بنشر المعارف في مناطق اخرى، وطبعت مؤلفاتهم هناك، إلى ان هدأت الاوضاع وانتهت الدولة السعودية الأولى بعد حوالي ٢٥ عاما من احتلال المنطقة اول مرة، فعاد المهاجرون والمهجرون إلى ديارهم، وبدأوا عهدا جديدا ونهضة في كافة العلوم.

ومن اوضح الامثلة في الاحساء، على وجه الخصوص: الشيخ احمد زين الدين الاحسائي، صاحب المدرسة الفكرية المشهورة، وابنه الشيخ علي، والشاعر احمد القاري الاحسائي وغيرهم.. فهؤلاء عاشوا مدّة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، ثم عاصروا الدولة السعودية إلى ان انتهت، وعادوا إلى اوطانهم وبدأوا نشاطهم من جديد.

---

[320] رحلة إلى بلاد نجد، تأليف آن بلنت، ترجمة محمد أنعم غالب، ط ١، ١٩٦٧، الرياض، منشورات دار اليمامة.

لا شك ان الحركة العلمية تباطأت الا أنها لم تخمد، ثم ما لبث أن بدأت بالنهوض حتى استولى السعوديون مرّة اخرى عليها، وحدث لها ذات الأمر.. إلى ان جاء الاتراك في اواخر القرن الثالث عشر الهجري، فكان في البلاد بقية من علم وحركة دينية، فنمت وتطوّرت على يد المخضرمين ممّن عاصروا الدولة السعودية الثانية والحكم المصري للمنطقة، حتى بلغت الذروة قبيل الاحتلال السعودي الأخير لها.

لكنها حينما احتلت – ورغم المحاربة الشرسة لكل ما يمتُّ إلى مذهب التشيع – فكرا أو اشخاصا – لم تفقد مكانتها البارزة في مجال العلم، حيث لا زالت هناك بقية من العلماء والمجتهدين والمراجع والمفكرين، وما هي الا ٣٠ عاما، أي بين العقد السادس والسابع من القرن الرابع عشر الهجري، حتى تخطّفت يد المنون اولئك الرجال، واحدا تلو الاخر.. وبقيت القطيف والاحساء بعد جيل الروّاد الذين صنعتهم الحركة النشطة إبان العهد العثماني تندب حظها وتراثها.. قال الاستاذ الشاعر محمد سعيد الجشي – احد تلامذة أولئك الرواد – مصوّرا الأحوال:

يا أيها البلد الذي سلب الحمام مفاخره		أين المجالس زاهيات بالفوائد عامره
بالامس كانت للقطيف نجوم فضلٍ سائره		واليوم اضحت في دياجٍ دامساتٍ عاكره [٣٢١]

وللشاعر قصيدة اخرى يصوّر فيها القطيف بعد فقد أولئك الفطاحل:

مال الخريف على الربيع فصوّحت		تلك الأزاهر في الربيع الأخضر
وطغت رياح الخطب تعصفُ بالربى		تلقي بكلُّ مزمجر ومدمِّر
حتى أكفهر الأفق وانقطع الرجا		من نور فجر للهداية مسفر
اين الجهابذة العباقرة الألى		طلعوا شموسا في دياجي الأعصر
سحبوا على قمم الخلود مطارفا		والطهر ملء ردائهم والمئزر
يا ليتهم يلقون ضوءً ساطعا		يمحو ظلام عماية وتحيُّر [٣٢٢]

وواضح انه لم تنتج القطيف والاحساء ((شيعة وسنّة)) علماء أو شعراء ومفكرين بمستوى السابقين ولا بعددهم وعطائهم الثقافي والفكري.. وقد اعتبر الاستاذ عبد العلي السيف ان العقود الأولى من القرن الهجري الرابع عشر، كانت حقبة وعي لدى الشعب في المنطقة بفضل وجود

321 القطيف واضواء على شعرها المعاصر، عبد العلي السيف، ص ١٠١.

322 المصدر السابق، ص ١٠٠، ١٠١.

العلماء المخضرمين والخطباء.. وواضح انه يتحدث عن حقبة العهد التركي ((العقود الثلاثة الاولى))، والثلاثة الاخرى السعودية التي هي استمرار للشوط السابق[٣٢٣].

كذلك الأمر بالنسبة للدكتور السبيعي الذي اشار إلى ((ظاهر غريبة في حركة التأليف العلمي والأدبي في المنطقة، لا يملك الناظر في تاريخ الحركة الثقافية للمنطقة الشرقية الا ان يقف عندها طويلا، وهي ظاهرة تقف عندها مسجلين لها ولافتين نظر مؤرخي الآداب إلى ضرورة دراستها وتفسيرها، وهي انقطاع الأدباء والمؤلفين فجأة عن مواصلة عطائهم الثقافي في مجالات التأليف، ويمكن التاريخ لهذا الانقطاع المفاجئ بعام ١٣٦٠هـ، حيث لم يظهر بعد هذا العام مؤلف ذو بال من قبل مشائخ وعلماء المنطقة، مع وجود العلماء وافراد الاسر العلمية الذي اشتهر اسلافهم بالتأليف، والعطاء المتواصل))[٣٢٤].

لا نعتقد ان الاستاذ السبيعي، وهو يكتب هذا المقطع كان غافلا عن السبب، ولكنه أراد مجرّد اثارة الموضوع للنقاش، فلا شك انه كتب ذلك وهو يعلم ان الستينات الهجرية كانت نهاية جيل الروّاد، وان هذا الجيل لم يخلف في الثلاثين سنة التي تلت الاحتلال السعودي من يرثه، بعد ان قُضي على المدارس المذهبية والفكرية، وفرض فكر احادي ومدرسة فقهية محددة لا يمكن الخروج عن حدودها، فأي حركة علمية يمكن أن تبرز في ظل اضطهاد اتباع المذاهب التي لا تلتقي مع المذهب الرسمي الحاكم، وقد كانت الاحساء والحجاز مرتعا للتعددية الفكرية والمذهبية؟.. ومَنْ مِنَ العلماء والمفكرين والمؤلفين والشعراء من هو مستعد لتسجيل شيء يمكن أن يعاقب عليه بالاعدام، في وقت وصل فيه التطرّف الطائفي مداه ببروز قوّة الأخوان بعد عامين من الاحتلال السعودي للاحساء.

لقد سيطر الفكر الأحادي، والقمع الفكري والمذهبي، وكانت يد السلطة قويّة وفي عزّ عنفوانها وبطشها، يدعمها سلك علماء نجد، فالتزم العلماء في الاحساء ثم في الحجاز بالصمت، وانخرط القليل في اجهزة ومؤسسات النظام الرسمية.. وانتهت المدارس الفكرية والأدبية في كل مناطق البلاد، اللهم سوى نجد التي أُفسح المجال فيها ــ وهذا أمر طبيعي ــ لدعاة المذهب الرسمي ولفكره بالبروز والنمو، فأفلت شمس الحجاز والاحساء والقطيف، وتقدّمت نجد ضمن الاطار المذهبي الرسمي، الذي أُريد لعلمائه وفكره أن يغطي الساحة ويذوّب المخالفين.

---

323 المصدر السابق، ص ٥٥.

324 الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية، الدكتور عبد الله السبيعي، ص ١٢٢.

الحريّات المذهبيّة

أنّ أهم سبب بنظرنا لتطور المنطقة الثقافي في العهد التركي، هو الحريّات المذهبية والفكرية، فبعد ان لاقى أتباع المذاهب الاسلامية الاضطهاد، توفرت الحريّة للجميع، ولم يفرض العثمانيون مذهبهم ((الحنفي))، ولا اضطهدوا أو منعوا احدا من ممارسة حرياته الدينية، وعاد أتباع المذاهب إلى نشاطهم بمجرّد ان سيطر الاتراك على المنطقة وأنهوا حكم السعوديين فيها، بعد فتنة الحرب الأهلية.

جاء في مذكرات مدحت باشا، في حديثه عن المنطقة: ((وكل أهالي تلك البلاد في القرى وفي بيوت الشعر يدينون بدين الإسلام، ومذاهبهم خمسة.. ولما دخلت الحسا في قبضة الحكومة، عاد اليها اصحاب بقيّة المذاهب، وكانوا قد فارقوها فرارا من ظلم رجال المذهب الوهابي))[325].

واعترف كاتب سعودي بأن العثمانيين ((سمحوا لكلّ المذاهب السنيّة، وأعطوها الحرية الكاملة لفتح مدارسها، الا أنهم لم يكونوا على وفاق مع الشيعة ومع الحنابلة الجدد الذين اعتنقوا السلفيّة))[326].

إن اشارة المؤلف لحرية المذاهب السنيّة في الاحساء، وفتح مدارسها لدليل على أنها لم تكن تتمتع بالحرية في العهد السعودي السابق، والا لما استحقت الاشارة.. اما خلاف الاتراك مع ((الحنابلة الجدد الذين اعتنقوا السلفية))، فان الحقيقة هي خلافهم مع الوهابية وليس مع اتباع المذهب الحنبلي، ولم يشأ الكاتب أن يقول ((الوهابيين))، فسمّاهم ((حنابلة جددا)) اعتنقوا السلفية، والسلفية مرحلة زمنية وليست مذهبا، وان حاول الوهابيون التلفع برداء السلفية المطاطي[327].

أما أن الاتراك كانوا على خلاف مع الشيعة، فليس هناك من شاهد واحد يدعم هذا الرأي.. فالحقيقة ان الاتراك راعوا خصوصية المنطقة الطائفية، ولعل تفسير اقحام الشيعة في هذا الموقع هو ابرازهم كنقطة خلاف، بينما الواقع هو ان الوهابيين كانوا مكروهين من مختلف التيارات المذهبية والفكرية، ولعله اراد أيضاً تبرير الاضطهاد المذهبي للسعوديين، بل انه أكد بأن المذاهب كلها توحدت على خلاف الوهابية.. قال: ((ان انتشار المذهب الحنبلي السلفي ــ الوهابي ــ وما رافقه من تشدّد في نشره بين السكان.. أثار حساسيات عند اصحاب المذاهب الاخرى غير الحنبلية، وكان لهذه الحساسيات أثر في وحدة المجتمعات التي دخلها المذهب

---

[325] مذكرات مدحت باشا، ص ١٧٩.

[326] الاصلاح الاجتماعي، مصدر سابق، ص ٧١.

[327] صدر مؤخرا ((١٩٨٨))، كتاب السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب اسلامي))، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

الحنبلي السلفي ــ الوهابي ــ.. وان بعض القبائل والجماعات والافراد هاجروا تحت ضغط المذهب خارج حدود الاقاليم التي دخلها الحكم السلفي ــ الوهابي ــ..))[٣٢٨].

وهذا اعتراف صريح بأن الوهابيين اضطهدوا المذاهب السنيّة والمذهب الشيعي في المنطقة الشرقية، ممّا اضطرهم إلى الهرب، وإلى الاجماع على كرههم، حتى اصبح هذا الكره احدى وسائل التقارب بين هذه المذاهب.

وحاول المؤلف ان يجعل العثمانيين والوهابيين في جهة مقابلة للشيعة، وهذا في منتهى المغالطة، فهو يقول: ((لم تكن علاقة السكان الشيعة في الاقليم بالعثمانيين والسعوديين علاقة طيبة وحسنة، بل كانت تسير في منتهى الحذر والشك والريبة، لان العثمانيين كانوا على مذهب أهل السنّة وكذا السلفيون))![٣٢٩].

ولا ندري ماذا كانت علاقة الاتراك بالوهابيين، ألم تكن الحرب قائمة بين الطرفين مدة قرن من الزمان، وكان الاتراك الذين اسقطوا دولة الوهابيين الاولى في حملة محمد علي باشا، كفارا وملاحدة بنظر الاخيرين.. الم يقل الوهابي ابن مشرف في الاتراك وحكمهم للاحساء:

ويحكم بالدستور بين ظهوركم فمن لم يكفّر كافرا فهو كافرٌ		وحكم النبي المصطفى ليس يذكر ومن شكَّ في تكفيره فهو أكفر؟

أو لم يقل ابن سمحان مكفّرا الاتراك أيضاً:

ومن لم يكفّر كافرا فهو كافرٌ		ومن شك في تكفيره من ذوي الطرد

ألم يقل:

وما الرفض للاتراك في غمرانهم ولكن بتكفير لهم وبشتمهم		هو الدين يا معتوه لو كنت مبصرا جهارا وتصريحا وغيبا ومحضرا؟!

هكذا اصبحت الدولة الكافرة بنظر الوهابيين حليفة لهم، طالما هي تضطهد الشيعة، فهذا من أهم حسناتها، ولكن لا يوجد دليل واحد على اضطهاد الشيعة طائفيا، بل وللحق لم يمرُّ في التاريخ الحديث حقبة ذهبية مثل الحقبة التركية، اللهم الا في عهد بني خالد الطويل.

أما مدحت باشا، الذي قال ان جميع السكان مسلمون، ومذاهبهم خمسة ((رابعة اضافة إلى الشيعة))، والذي اتهم الوهابيين باضطهاد المذاهب الاخرى ((السنيّة والشيعية))، فيعلق على ذلك ابو عليّة مضيفا مغالطات ونكهة طائفية كعادة الغلاة المتطرفين: ((ونستخلص من قول مدحت

---

328 الاصلاح الاجتماعي، ص ١٢٢.

329 المصدر السابق، ص ٤٨.

باشا ان الدولة كانت تحترم جميع المذاهب.. ولكن علينا ان نلاحظ ان الاتراك كانوا من أهل السنّة والجماعة، لذا ظل الشيعة نقطة خلاف مع السلفيين والأتراك))[330].

طبعا، الاتراك من أهل السنة والجماعة!.

لهذا قال ابن سعود، ان المسيحي الكافر، اقل كفرا من الاتراك!، وانه لو كان في بدنه قطرة دم تميل اليهم لأزالها!.

واعتبر الدكتور الحامد، ان الوهابيين في آخر عهدهم، غلبت عليهم الحدّة والعاطفة ((فكثرت ألفاظ القذف الديني، واستخدام التكفير استخداما واسعا، والتشدّد في بعض الامور، كقضية تحديد من هم المشركون ومن هم الكفار، وتكفير البدو والصلب، وتحريم ذبائحهم، وتكفير الدولة العثمانية، وتحريم السفر للتجارة إلى ما يسمّى بلاد المشركين[331].

إن القول باضطهاد المذاهب الاسلامية، وبالأخص المذهب الشيعي، الذي يشكل اتباعه الغالبية من السكان الحضر في القطيف والاحساء، ينسف الرأي القائل بأن هناك نهوضا في المنطقة من الاساس، ذلك ان النهوض الفكري والعلمي ما قام الا على التعددية والحريات المذهبية، ولان طليعة المجتمعات يومئذ كانوا من العلماء والمشائخ وطلاب المدارس الدينية وروّاد المجالس الأدبية[332].

ملامح النهضة الفكرية

كثرت في العهد التركي المدارس الدينية، وزاد عدد الطلاب والوافدين من اجل العلم، ووجد عشرات الشخصيات النابغة في الشعر والفقه والفلسفة، وألفت عشرات الكتب في مختلف العلوم، ونشطت حركة الاتصال العلمي بالمناطق المجاورة، وشارك فقهاء المنطقة في التصدّي للمذهب الوهابي، حيث ألف العديد من اتباع المذاهب كتبا وانشدوا القصائد المناقضة.

المدارس الدينية: شهدت المنطقة المدارس الدينية منذ وقت طويل، وعمّت شهرتها الافاق في القرن الثاني عشر، حينما كانت المدارس الشيعية والسنيّة تستقطب اعدادا كبيرة من ابناء المنطقة الخليجية ونجد.. ويكفي ان زعيم المذهب الوهابي الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان قد قضى شطرا من حياته متعلّما في الاحساء على يد الشيخ عبد الله آل عبد اللطيف، والذي كتب ردًا على افكار المدارس يومئذ تعتمده سمّاه: ((تجريد سيف الاجتهاد لمدّعي الاجتهاد)).

---

[330] المصدر السابق، ص ٦٥.

[331] الدكتور عبد الله الحامد، مصدر سابق، ص ٧٠، ٧١.

[332] اعتبر الاستاذ جمال زكريا قاسم، ان هجمات البادية على المدن دلالة على عدم وفاق السنّة والشيعة في الاقليم، وهذا بالطبع غير صحيح، لان البدو لا يحركهم الوتر المذهبي، ولقد تعرّضت املاك السنّة إلى التلف والعطب، وقتل العديد من الشخصيات السنيّة في الاحساء على يدهم دون تمييز.

وكانت المدارس يومئذ تعتمد على القواعد المذهبية، فكل مذهب له مدارسه ومعتنقوه ومريدوه واساتذته، واشتهر آل عفالق بتخصصهم في المذهب الحنبلي، حيث نبغ منهم المحقق محمد بن عبد الرحمن بن عفالق، صاحب الردّ الشهير على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ((تهكّم المقلدين بمن أدّعى تجديد الدين)). وتخصّص آل الملا في فقه المذهب الحنفي، ولكثير من علمائهم كتابات واشعار في الردّ على الوهابيين، وكذلك آل عبد القادر تخصصوا في فقه المذهب الشافعي، وهكذا.

وبالنسبة للشيعة، فكانت روابط المذهب تشدّهم نحو العراق وايران والبحرين، حيث كانت الاخيرة تعجُّ بالعلماء والمراجع والمجتهدين الكبار، فأسست المدارس وأوقفت الاوقاف على طلاب العلم وازداد عدد الشعراء والأدباء، وتتباعت المؤلفات في مختلف الحقول الدينية، والعلمية، ونبغ العديد من المراجع في الاحساء والقطيف، وظهرت البيوتات العلمية.

كل هذا التراث، والمجهود العلمي تعرّض للتدمير في مطلع القرن الثالث عشر، حين بدأت الهجمات الوهابية تترى على المنطقة، وباستيلاء السعوديين عليها اضطرت اشهر اسرتين علميتين سنيّتين في الاحساء إلى الفرار ((آل عفالق الحنابلة، وآل فيروز)) إلى الكويت، ثم إلى جنوب العراق ((الزبير)).. وكانت هاتان الاسرتان أشدّ من تصدّى فكريا لدعاة المذهب الوهابي.

وتعرضت مدارس مختلف المذاهب إلى المصادرة والتعطيل، وفرض تدريس المذهب الوهابي ((كتاب الثلاثة أصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب))، وأحرق الوهابيون الكثير من الكتب، ونُفي المعارضون الذين هم في أغلبهم من رجال الدين.. قال ابن غنّام رادًّا على قصيدة الشيخ محمد بن فيروز الاحسائي، موضحا ومادحا أفعال الوهابيين في الأحساء:

وقـــد ولـــي الأحـــسا ســـعود فأســـعدت		مـــساعيه أهـــل الخيـــر فـــانتظموا ســـمطا
وأبعـــد أهـــل الـــشرك عنهـــا وأُبعـــدت		مـــذاهبهم فيهـــا ومـــا أبـــصروا غمطـــا

وأهل الشرك، هم كل من خالف الوهابيين في أفكارهم.. ثم يعود إلى الشيعة فيقول مخصّصا:

نعم هُـدّمت للـــرفض فيهـــا كنائـــس[٢٢٣]		وكل شعار الرفض عـــن أرضـــها ميطـــا
ومـــا كـــان مـــن جـــور ونكـــث وبدعـــةٍ		ولهـــو وتـــابوت بكـــل الـــدعا مُعطـــى
ولم ينـــف إلا كـــل مـــن عمـــل الـــردى		ومـــن كـــان ســـبّابا لمنطقـــة مـــسطا[٢٢٤]

[333] يسمّي الوهابيون مساجد الشيعة بـ ((الكنائس)) !!.

[334] مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص ١٥٤، ١٥٥ .

وتتالى الحكام على المنطقة، فمرة تكون بيد المصريين، وأخرى بيد الاتراك، وثالثة في يد الخوالد، ورابعة في يد آل سعود، حتى كانت الحملة التركية، فاستخلصت البلاد من آل سعود.. وعادت المدارس على عهدها السابق، وازداد عددها.

ففي الاحساء كان للشيعة مدارس معروفة تولاّها الشيخ المجتهد محمد بوخمسين، ثم من بعده الشيخ المجتهد موسى بوخمسين، وكان يدرس فيها اضافة إلى الفقه والاصول والمنطق.. الحساب والخط وعلوم اللغة العربية.

وفي القطيف افتتح الشيخ محمد بن نمر عدّة مدارس في العوامية والقديح والدبابية، وحبس لها من ماله ومن مال المقربين منه بعض الاوقاف، وخرّجت مدارس النمر العديد من علماء المنطقة كالشيخ منصور المرهون الذي سجنه الملك ابن سعود هو وابنه، لأنه طالب بافتتاح مدرسة دينية!، وكذلك الشيخ رضوان العجيان، والشيخ حسين القديحي، والشيخ طاهر البدر، والشيخ جعفر بن الشيخ محمد صالح، والشيخ محسن العرب، والشيخ محمد بن احمد بن محسن الفرج وغيرهم[٣٣٥].

وأهم من مدارس النمر مدرسة صاحب مؤلف ((أنوار البدرين)) الشيخ المرحوم علي البلادي القديحي، والتي تخرج منها معظم مجتهدي الشيعة وزعماؤهم مثل: المرجع الشيخ عبد الله المعتوق، والحجة السيد ماجد العوامي، والمجتهد الشيخ محمد النمر، والسيد حسين العوامي وغيرهم كثير.

وكانت هناك مدرسة للمرجع الشيخ عبد الله المعتوق في تاروت، كان مقرّها منزل الشيخ عيسى السنّي، وتتلمذ فيها على يديه السيد باقر العوامي، والشيخ عيسى السنّي نفسه، والشيخ منصور بن غنّام، والمجتهد الشيخ علي بن يحيى[٣٣٦].

ويضاف إلى هذا عشرات المجالس التي تتخذ صفة المدارس، وان كانت في اهميتها تضاهي أهمية المدارس نفسها، باعتبار كثرتها، واختلاف مستوياتها، حيث تبدأ من العلوم الأولية حتى تصل إلى بحث الخارج الذي هو قمّة التدريس حيث يتخرج المجتهدون والمراجع.. وفي الغالب كان لكل رجل دين مجلس يجلس فيه للتدريس، إما في الفقه، أو الاصول، أو المنطق واللغة العربية، ودراسات القرآن من تفسير وغيره، أو علم الحديث.

---

335 عبد العلي السيف، مصدر سابق، ص ٥٠.

336 المصدر السابق، ص ٥١.

وقد كان المجتهد الحجّة ابو الحسن الخنيزي يلقي بحث الخارج في مجلسه، وهو من أجلى مظاهر الحركة العلمية في المنطقة، ومن مظاهر رقي القطيف كثرة المجتهدين والمراجع الذين يرجع لهم العامّة في امور دينهم مثال:

١ــ الشيخ محمد النمر ((١٢٧٧ ــ ١٣٣٤هــ)).

٢ــ الشيخ حسن علي البدر ((١٢٧٨ ــ ١٣٣٤هــ)).

٣ــ الشيخ ابو الحسن الخنيزي ((١٢٩١ ــ ١٣٦٣هــ)).

٤ــ آية الله الشيخ علي ابو عبد الكريم ((١٢٨٥ ــ ١٣٦٥هــ)).

٥ــ السيد ماجد العوامي ((١٢٧٦ ــ ١٣٧٦هــ)).

٦ــ الشيخ عبد الله المعتوق ((١٢٧٤ ــ ١٣٦٢هــ)).

٧ــ الشيخ علي الجشي ((١٢٧٦ ــ ١٣٧٦هــ))[٣٣٧].

من جهة اخرى انتشرت الكتاتيب في المنطقة حتى انه ليصعب عدّها وحصرها وهي بالمئات، وهي تدرس المبادئ الأولية، حيث يتعلّم الطالب والطالبة القرآن والحروف الهجائية ومبادئ الكتابة والحساب، وسيرة الرسول والاخلاق الاسلامية، وعلوم أخرى.. وكان الكتاب منتشرا حتى السبعينات الهجرية، لأن المدارس النظامية لم تبدأ الا في وقت متأخر جداً.

وكان من الطبيعي ان يكون التدريس سواء في المدارس أو المساجد وفق المذهب الذي تنتمي اليه كل جماعة، قبل ان يفرض التدريس وفق المذهب الوهابي وحده ــ بعد الاحتلال السعودي الاخير.. وهكذا رأينا في الاحساء أن الوهابي وحده ــ بعد الاحتلال السعودي الأخير ــ، وهكذا رأينا في الاحساء ان آل مبارك يدرسون وفق المذهب المالكي، وآل عبد القادر وفق المذهب الشافعي، وآل الملا وفق المذهب الحنفي، والشيعة وفق مذهبهم الجعفري.

وكان لاتصال الشيعة بحركة العراق العلمية اثر فعّال في تطوّر الاوضاع في المنطقة، ذلك ان معظم علماء الشيعة هاجروا إلى العراق ودرسوا فيها على يد كبار علمائها ومجتهديها، وقلّما تجد عالما لم يرحل إلى حواضر الشيعة في النجف وكربلاء وغيرها من اجل تلقي المزيد من العلم، وقد أسهم العائدون في تنشيط الحركة العلمية والأدبية، خاصة وأن تراث المنطقة الأدبي منذ جاهليتها، وبحكم اتصالها بالأقوام المختلفة، أهلها لتساير أوضاع البلاد الأخرى المتطورة علميا.

وللدلالة على اثر الارتباط الثقافي والمذهبي على المنطقة وشعبها، ان سكان حاضرة القطيف وغيرها، كانوا اثناء العهد التركي على مستوى رفيع من الثقافة واللغة العربية، حتى انه قلّما

---

337 المصدر السابق، ص ٥٢.

يوجد من يلحن في كلامه، وعلى معرفة بالدين وتعاليمه مكّنته من ان يعرف حتى أحكامه الخاصة التي لا يلمُّ بها الا المتخصصون في علم الفقه.. وأما الأدب فيتذوقونه ويحسنون نقده[٣٣٨].

التعليم النظامي: يدهش الباحث للوضع الثقافي في المنطقة إبان العهد العثماني، حينما يجد ان التعليم الحديث دخلها قبل اية منطقة خليجية اخرى.. ففي عام ١٩٠٠ زار المبشر المسيحي زويمر الاحساء، ذكر ان بها ثلاث مدارس في الهفوف التحق بها ٣٥٤٠ طالبا، وان عدد سكان الاحساء كان يومها ٢٥٠ ألفاً[٣٣٩]. وهو رقم مبالغ فيه، فكل السكان الحضر يومها لا يزيدون عن تسعين الف شخص يشكل الشيعة ثلثيهم على الاقل. وهكذا فان نسبة الطلاب جيدة، مراعاة لتلك الاوضاع.. كما ان التعليم الحديث في العهد السعودي لم يدخل المنطقة الا بعد نصف قرن، وكان عدد الملتحقين لا يزيدون عن المائة طالب، ومع هذا فانك تجد من المعارضين، تشنيعا بالاتراك، لأنهم لم يهتموا بالعلم، وأن عدد المدارس لم يكن سوى ثلاث فقط!.

وفي سنة ١٣١٩هـ، ١٩٠٢ أنشأت الدولة العثمانية مدرسة الرشدية، واختارت لها موقعا متوسطا وبنتها على طراز حسن يليق بها كمدرسة، حيث كانت منعزلة من جميع جهاتها عن البنيان، وكان يحيط بها فناء واسع أعدُّ لمزاولة التمارين الرياضية ــ كما وصفها الشيخ العلامة حمد الجاسر ــ. اما مواد التعليم، فهي العربية والتاريخ والرياضيات، وغيرها.. الا ان هذه المدرسة أغلقت وصودرت بعد سيطرة آل سعود، ولم يسمح الأخيرون ببناء مدرسة الا بعد عقدين من الزمان، حيث تبرّع الأهالي ببنائها من أموالهم الخاصة[٣٤٠].

وهناك مدارس شبه نظامية كان للاتراك جهودا في تأسيسها ورعايتها، ومن بينها:

* مدرسة على باشا في الكوت، وعلي باشا هو احد الولاة العثمانيين، وقد اسست المدرسة سنة ١٠١٩هـ، وتدرس الفقه الحنفي، واستمرت حتى السبعينات الهجرية من القرن الرابع عشر.

* مدرسة مصطفى باشا بن علي باشا.

* مدرسة راشد بن دهنين العماني، أُسست عام ١٢٩٢هـ.

* مدرسة محمد بن حسن خاطر، شيدت عام ١٢٧٢هـ[٣٤١].

---

338 المصدر السابق، ص ٩٢.

339 الاصلاح الاجتماعي، ص ٦٤، وانظر الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية، ص ٤٦.

340 الحياة العلمية والثقافية، مصدر سابق، ص ٤٦.

341 المصدر السابق، ص ٢٧.

وعدد الاستاذ السيعي حوالي عشرين مدرسة شبه نظامية يتولاّها اصحاب المذاهب، كانت قائمة اثناء الحكم التركي، أو بعده بقليل، الا انها ضمرت وماتت مع الزمن، بفعل القمع الحكومي، وفرض المذهب الرسمي.

الشخصيات العلمية والأدبيّة

[١] العلاّمة الشيخ محمد النمر ((١٢٧٧ ــ ١٣٤٨هــ)).. هو الشيخ محمد بن ناصر بن علي بن علي بن احمد بن علي بن حسين بن عبد الله بن نمر بن نمر بن عايد بن عفيصان، كان أجداده سكنة نجد ((قرية الاسلمية)) وتشيعُوا منذ عدّة قرون.

تلقّى علومه الأولى في القطيف على يد أعلامها ((الشيخ أحمد صالح آل طعان القطيفي، والعلامة الشيخ علي البلادي))، ثم هاجر إلى النجف الاشرف وتلقى العلم على يد اساتذته من المجتهدين ((الشيخ محمد طه نجف، والشيخ محمود ذهب، والملاّ هادي الطهراني)).. وبرع في الرياضيات والطبُ فكان طبيبا مشهورا حاذقاً، اضافة إلى تفوقه العلمي في الاصول والفقه وعلم الكلام، رغم انه كان ضريرا، ولكنه وجد الوسيلة للتغلب على تلك المشكلة.

نال درجة الاجتهاد، وممّن شهد له بذلك مرجع الطائفة في عصره الشيخ محمد طه نجف، والسيد محمد الهندي، ولمّا عاد إلى مسقط رأسه تولّى الفتيا في امور الفقه والقضاء، واصبح احد مراجع الشيعة في المنطقة.. وقد أسس مدرسة علمية وحبس لها من ماله الخاص، وتتلمذ فيها العديد من علماء الطائفة.

له عدّة مؤلفات من رسائل وكتب، فكتب في الفقه والفلسفة والنحو، والطب، والحساب، ونظم عدّة قصائد في الامور النحوية والفقهية والفلسفية، اضافة إلى قصائد اخرى في الرثاء.

كانت له وقفات مشهورة اثناء حادثة الشربة سنة ١٩٠٨، وقد أشرنا اليها في موقعها.. وفي عام ١٣٤٧هــ، ثار ضد الملك السعودي وحمل السلاح، وحاصر مقرُ الامارة في القطيف، مندّدا بسياسة التمييز الطائفي، وكانت العوامية مركز ثقل الثورة، ولك الامور لم تأت وفق رغبته، فاضطر إلى المصالحة وتسليم السلاح، فأصابه ألم نفسي ما لبث أن توفاه الله بسببه.. قال الشيخ سعيد ابو المكارم: ((وترحّل هذا الفقيد الاسلامي بسبب قهر غاشم مرُ عليه وعلى أمّته، وغَلَبَة خالفت سيرة آبائه وشممه، واضطهاد أراد فيه الحفاظ والدفاع اللذين يفرضهما الدين والعقيدة الاسلامية، وقلبت الظروف القاسية ذلك المراد الذي رام فيه الاستشهاد الحبيب رأسا على عقب، فأصيب ذلك الطبيب النطاسي بعقدة نفسية، وأدركه القضاء بعد ذلك بزمن قصير في التاسع من

شوال سنة ١٣٤٨هـ، فتأثر الجمهور لفراقه، وكان لصوت ناعيه صدى ورنّة بلغت آفاق القطر))[٢٤٢].

والحقيقة فان الألم كان بسبب مخالفة بعض العلماء لمشروعه التغييري، وركونهم إلى مصالحة الملك، وتثبيط الناس عن الثورة.. فهذا هو الذي آلمه وهدّ أركانه.

رثاه ابن أخيه الأديب محمد حسن بن الشيخ حسن النمر فقال:

حكم الزمان وجار في الأحكام		وغدوت نهب مخالب الأيام
يا دهرُ حيفٌ في قضائك نحونا		أكدا القضاة وعادة الحكام
.. بدر هويت على التراب فليتني		لُحدتُ قبلك قبل يوم حمامي
ما ((نمرٌ)) بعدك يا أجلُّ سرائها		إلا قطيعٌ شتتٌ بعد ونام
أفهل درى الجمع الذي بك قد سرى		نحو القبور سيقبرون عصامي
.. أفهل درت نمرٌ بدفن زعيمها		دفنت علاها في أحط مقام
أبكيك من بُعدٍ بأقرح مقلةٍ		ما كان أحراها بيلٌ أوام
ولأبكينّك ما حييت لأنني		لم أرنُ نعشك إذ رُفعت أمامي
ورثاه المرحوم الشيخ فرج العمران فقال:		
قضى نحبةُ مَنْ لدين الهدى		غدا مرشدا لمن استرشدا
قضى نحبةُ ومضى للجنان		وعانقَ اترابها الخرّدا
قضى فهوى عمد المكرمات		ولا غروَ فهو الذي شيّدا
وأبكى جفونَ المعالي دماً		وأحرق منها الأسى الأكبدا
.. أيا حامل النعش كيف استطعت		حملتَ على النعش ركن الهدى
ويا حافر القبر كيف اهتديت		شققتَ لنور الهدى ملحدا
ويا ملحد الجسم في قبره		دفنتَ المكارمَ والسؤددا
ويا من هالَ عليه التراب		ألمْ تدر أنّ الندى أُلحدا
ويا من أقام عليه العزاء		ألا فابك ما عشتَ طول المدى[٢٤٢]

[342] أعلام العوامية، سعيد الشيخ علي آل ابي المكارم، مطبعة النجف ١٢٨١هـ الجزء الثاني، ص ٢٧. وانظر شعراء القطيف من الماضين، ص ٢١٦، وأيضاً الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية، للمرحوم الشيخ فرج العمران، الجزء الثالث ص ٧٤. وانظر أيضاً أنوار البدرين، للعلامة البلادي، ص ٢٧٨.

[343] آل ابي المكارم، ص ٢٧ ـ ٢٩. والأزهار، الجزء الثالث، ص ٧٤.

وللشيخ النمر قصائد رثاء، تعكس روحيته الثوريّة، فأغلب قصائده تدعو للأخذ بالثأر، وتحرّض النفوس على الثورة ضد الطغيان، يقول في إحداها[344]:

قوّمـــوا الـــسمرَ هاشـــمٌ والكعابـــا		وامتطـــوا للنـــزال جـــردا صـــعابا
وانـسجوا مــن طرادهـا التـرب سـحباً		تمــــلأ الجـــوّ ظلمــــة وعــــذابا
عارضـــا يحمـــلُ الحمـــامَ ويـــسقيه		بنـــي حـــربٍ شـــيبها والـــشبابا
فلَكَـــمْ مـــن أكفِّهـــا جـــرّعتكم		كـــاس ذلٍ ذاقتـــه ذلاً وصـــابا
ولَكَـــم أنهلَـــت بـــرغم المعـــالي		بيـــضها الهـــام مـــنكمْ والرقابـــا
مـــا عرفنـــا لآل حـــرب مقامـــاً		قبـــل يـــوم الطفـــوف حتـــى تهابـــا
أفعجـــزا عـــن حربهـــا ولقاهـــا		أم نكـــولاً عـــن ضـــربها وارتهابـــا
أو مـــا حرّكـــت إبـــاكم جيـــادٌ		عوّضـــت عـــن صـــهيلها الانتحابـــا
أينمـــا كـــرُ ذكـــر الـــوغى كـــادت		كـــسيتْ مـــن صـــدى عليهـــا ترابـــا
هـــذه بيـــضكم لطـــولِ بقاهـــا		لا بـــصدر الكمـــاةِ تلـــك الحرابـــا
هـــذه ســـمركم ركـــزتم ولكـــن		لـــم تجـــد مـــن يهـــزُّ منهـــا الكعابـــا
وذهِ مـــن لظـــى تلـــوّت ولكـــن		ودُّ للـــضرب أن يعـــدُّ الـــضرابا
.. فاشحذوا فـــي ضـــرابها كـــلَّ عـــضب		صـــيِّرت فوقهـــا دمـــاكم شـــرابا
واغـــسلوا مـــن دمائهـــا كـــلَّ أرض		لـــو نحـــو جمعهـــا لـــولّى انقلابـــا[345]

وقال في قصيدة اخرى كسابقتها تتحدث عن الثأر المضيع:

[344] ثائر من اجل الدين، ملامح من حياة العلامة المجاهد الشيخ محمد بن ناصر النمر، محمد العوامي، ط ١٤٠٧ـ لندن، ص ٦٦ ـ ٧٢.

[345] آل ابي المكارم، مصدر سابق، ص ٦٢. وشعراء القطيف من الماضين، ص ٢١٦.

لهاشــم يــوم الطــفّ ثــار مــضيَّعُ		وفــي ارضــه للمجــد جــسم مــوزّعِ
هجعـــت فـــلا ثـــارٌ طلبتيـــه هاشـــم		ونمـــت فـــلا مجـــدٌ لـــك اليـــوم يرفـــع
وهذي بنــو حــرب أدارتْ لــك الــردى		كؤوســا ولا كــأس بــك اليــوم تجــرعُ
وتلــك الــضبا اللاتــي شــحذت حــدادها		لأنف الأبــا مــن مجــدك اليــوم تحــذعُ
وتلــك القنــا اللاتــي اقمــتَ كعابهــا		بصدر العلى مــن عــزّك اليــوم تقــرعُ
.. فنهضا فــان العــزُّ ان تنهــضوا لهــا		وإلا فـــان الكـــف للـــنفس انفـــعُ
ســنتم يــوم الفــتحِ صــفحا فأصــبحت		نــساء بنــي حــرب مــن الــسبي تمنــعُ
فتلك بهــا اللاتــي اشــادت لهــا الــضبا		مــضارب مــن هــام الــسماكين أرفــع
بــرغم الهــدى أمــستْ ولا دون خــدرها		صــريع وغـــى عنهــا يــذبُّ أرفــعُ
لقــد هجمــت حــربٌ عليهــا خباءهــا		فكــم برقـــع عنهـــا يمـــاط وينـــزع
.. وكم من خبا امسى إلــى النــار موقــدا		بحيث غَدَت فــي وجــهٍ عــزّك تــسفعُ[٣٤٦]

وله قصيدة ثالثة تحوي اكثر من ستين بيتا يقول فيها:

.. أتتــكَ وبــئس الــسائق البغــي ســاقها		ومركبهـــا فيــــه ارتكـــاب المحـــارمِ
فأصبحتَ أني ترســل الطــرفَ لا تــرى		ســوى جحفــلٍ تــالٍ لآخــر قــادمِ
وتطمــعُ جهــلا ان تــضام ومــا درت		بــأن فتــى الهيجــاء وابــن الملاحــم
أخا المجد ربُّ الفخــر قــد حــالف الإبــا		أو الحتـــف لا ينفـــكُّ ضـــربة لازم
.. فالقحتهـــا بعـــد المحجَّـــة غـــارة		يــضيق بهــا رحــب الفــضا والعــوالم
قــذفت بهــا مــن كــل شــهم شــمردل		وأبـــيض وضّـــاح الجبـــين وباســـم
.. وآساد غيــلٍ قــد نماهــا إلــى العلــى		أبــو طالــبٍ لا مــن ســلولٍ ودارم[٣٤٧]

[٢] الشيخ العلامة حسن علي البدر: من مواليد عام ١٢٧٨هـ، عاصر معظم سنوات العهد التركي في الاحساء، تلقى تعليمه في النجف الأشرف، وواصله في القطيف على يد الشيخ علي البلادي، وكان أحد مراجع الشيعة في المنطقة، وممّن شهدت الاحداث بمواقفهم المبدئية.. ألف رسالة ((دعوة الموحدين إلى حماية الدين))، داعيا المسلمين محاربة الاستعمار الايطالي لليبيا المسلمة، وحشد فيها فتاوى أهم مراجع الشيعة في العراق، وقد فرغ من رسالته في العشرين من شوال سنة ١٣٢٩هـ.

---

[346] محمد العوامي، مصدر سابق، ص ٧٤ ــ ٧٦. وآل أبي المكارم، ص ٦٠، ٦١.

[347] آل ابي المكارم، مصدر سابق، ص ٥٨ .

بعد احتلال ابن سعود للاحساء، دعا الشيعة في القطيف للمقاومة، لئلا يعيشوا مضطهدين طائفيا طيلة عمرهم، وسافر من البلاد في اليوم الذي وطئت فيه أقدام الأمير السعودي ابن سويلم أرض القطيف، وذلك إلى البحرين، ثم إلى العراق.

حمل السلاح إلى جانب مراجع الشيعة، وإلى جانب العثمانيين في الدفاع عن العراق أمام الهجمة الانجليزية في الحرب العالمية الأولى.. وتألم كثيرا لسقوط البصرة، حتى إذا ما أُقيم مهرجان للمقاومة في الكاظمية ألقى كلمته، ثم لفظ انفاسه سنة ١٣٣٤هـ.. وحاله هنا يشبه إلى حدٍّ كبير الشيخ محمد النمر، فهما من مدرسة واحدة، وتوفيا ألما وحسرة على ما أصاب الإسلام وأهله.

تتلمذ على يديه عدد من العلماء كالشيخ منصور المرهون، والشيخ حسين القديحي رحمهما الله.

ومن مؤلفات المرحوم العلاّمة البدر ما يلي:

١ـ وسيلة المبتدئين إلى فهم عبائر المنطقيين، صنّفها للماجد الوجيه الحاج احمد بن الشيخ محمد علي بن مسعود الجشي المتوفي سنة ١٣١٧هـ، وقد فرغ من تصنيفها في الحادي والعشرين من جمادى الثاني سنة ١٣٠٧هـ.

٢ـ شرح مبسوط غير تام على المنظومة الموسومة بالعمدة، للعالم الشيخ المتوفى سنة ١٢٨١هـ.

٣ـ حاشية على فرائد الاصول، وضعها لتحليل رسائل المؤسس الانصاري، المتوفى سنة ١٢٨١هـ.

٤ـ حاشية على تهذيب المنطق.

٥ـ حاشية على كفاية الاصول، وضعها لحل غوامض الكفاية للمحقق الخراساني المتوفى في العشرين من ذي الحجة ١٣٢٩هـ.

٦ـ احقاق الحق وابطال الباطل، صنّفها جوابا لسؤال الشيخ علي بن محمد بن مهدي آل محسن القطيفي الكويكبي، وقد فرغ من تصنيفها في العشرين من ذي القعدة سنة ١٣٢٣هـ.

٧ـ رسالته العملية، المسماة روح النجاة وعين الحياة، وقد طبعت في بغداد في مطبعة الآداب سنة ١٣٢٧هـ.

٨ـ رسالة في أحكام المكاسب والتجارة.

٩ـ رسالة في قضاء ذوي الأعذار[٣٤٨].

---

[348] جريدة اليوم السعودية، ٧ / ١١ / ١٩٨٩.

وكان البدر يقول الشعر في المناسبات، واتخذ ذات المنحى الذي اتخذه الشيخ محمد النمر، في تحريضه على القتال والأخذ بالثأر من الطغاة.. يقول في احدى قصائده[٣٤٩]:

.. قضى وهو حرّان الفـؤاد مـن الظمـا		على غصص فيها قـضى كـلُّ هاشـمي
فمـا لنـزار لا تقـوم بثأرهـا		فترضـع حربـا مـن ضـروع اللهـاذم
وتملأهـا خـيلاً تـسابق طرفهـا		علـى آل حـربٍ تحـت اسـد ضـراغم
فتـوطئ هاتيـكَ الـسنابكُ هـامهم		كمـا أوطأوهـا صـدرَ سـيِّد هاشـم
.. هل اسـتبدلت بـاللطم فـوق وجوههـا		من الضرب بالأسـياف وجـه الـضياغم
وهـل رضـيت عـن سـفك آل أميـة		دماهـا بـإجراء الـدموع الـسواجم
هبـوا القتـل فـيكم سـيرة مـستمرة		فهل عرفـت كيـف الـسبى ابنـة فـاطم
.. أهـان علـيكم هجمـة الخيـل خـدرها		كان لـم يكـن ذاك الخبـا خـدر هاشـم
لهـا الله مـن مـذعورة حـين اضـرموا		عليهـا ففـرَّت كالحمـام الحـوائم
.. أعيـنكم ان يـستباح حـريمكم		وتُـسبى نـساكم فـوق عجـف الرَّواسـم
.. ايرضـى إيـاكم ان تـساق حواسـراً		كمـا شـاءت الأعـدا إلـى شـرِّ غاشـم
.. أيرضـى إيـاكم ان تـسيَّر فـي الـسبا		يتـامى علـيٍّ والبتولـة فـاطم

وله قصيدة أخرى تحريضية تكشف لنا خبايا مشاعره، وتفسِّر لنا العديد من مواقفه.. يقول:

[349] شعراء القطيف من الماضين، ص ١٧٢، ١٧٢. والأزهار، الجزء الثاني، من ص ١١٧ إلى ص ١٢٠. وانظر أيضاً: أنوار البدرين ص ١٧٩. وانظر جريدة اليوم السعودية في عددها الصادر في التاسع من ربيع الثاني الموافق للسابع من نوفمبر ١٩٨٩، مقال عن العلامة البدر بقلم عبد محسن آل حبان.

متـــى فقــدت أبنـــا لـــؤيٌ بـــن غالـــب		اباهـــا فلـــم يـــنهض بهـــا عتـــب عاتـــب
أمـــا قرعـــت اســـماعها حنّـــة النـــسا		إليهـــا بمـــا يرمـــي الغيـــور بثاقـــب
فكـــم نظمـــت جمـــر العتـــاب قلائـــدا		على السمع من قلب مـــن الوجـــد ذائـــب
وضـــجّت إليهـــا بالـــشكاية ضـــجّة		تميـــل بأرجـــاء الجبـــال الأهاضـــب
.. أأســبى ولا فتيــان قــومي عــوابس		يـــرفُّ لواهـــا فـــي متـــون الـــسلاهب
بها مــن بنــي عــدنان كــلُّ ابــن غابــة		يرى الصارم الهنـدي أصـدق صـاحب
كمي يــردُّ المــوت مــن شــزر لحظــه		مروع حشاً من شـدّة الخـوف ذائـب[350]
وله في مطلع قصيدة شعر حكمة، يقول:		
ومَـــنْ ينظـــر الـــدنيا بعـــين بـــصيرة		يجـــدها إغاليطـــا وأضـــغاث حـــالم
ويوقظـــه نـــسيان مـــا قبـــل يومـــه		علـــى أنّهـــا مهمـــا تكـــن طيـــف نـــائم
ولكنهـــا ســـحارة تظهـــر الفنـــا		بـــصورة موجـــود بقالـــب دائـــم
ولا فــرق فــي التحقيــق بــين مريرهــا		ومـــا يـــدّعى حلـــواً ســـوى وهـــم واهـــم
فكيـــف بنعماهـــا يغـــرُّ أخـــا حجـــى		فيقـــرع إن فاتـــت لهـــا ســـنَّ نـــادم
وهـــل ينبغـــي للعـــارفين ندامـــة		علـــى فائـــت غيـــر اكتـــساب المكـــارم
ومـــا هـــذه الـــدنيا بـــدار اســـتراحة		ولا دار لـــــذّاتٍ لغيـــــر البهـــــائم
على قـدر بعـد المـرء منهـا ابتعـاده		عـــن الـــروح واللـــذات ضـــربة لازم[351]

ومن شعره، ما جاء في تأبين الشيخ أحمد بن صالح آل طعان حيث يقول:

طرقتـــــك يـــــا أمُّ العلـــــوم		فقمـــــــاء تـــــــذهب بـــــــالحلومِ
فأرتـــك فـــي الظهـــر الكواكـــب		فأقعـــــدي جزعـــــا وقـــــومي
وأتتـــــك تنـــــسف راســـــيات		العلـــــم بـــــالريح العقـــــيم
خلعـــت علـــى وجـــه الزمـــان		براقـــــع الليـــــل البهـــــيم
فتغيَّبـــــت شـــــمس الهدايـــــة		فـــي دجـــا الجهـــل الفحـــيم[352]

[350] المصدر السابق، ص ١٧٢، ١٧٤. والأزهار، الجزء الثالث، ص ١٦٠.

[351] المصدر السابق، ص ١٧١، والاستاذ محمد سعيد المسلم، مصدر سابق، ص ٢٨٤. جريدة اليوم، العدد الصادر في ٧ نوفمبر ١٩٨٩.

[352] نفس المصدر.

[٣] آية الله الشيخ موسى بوخمسين: ولد سنة ١٢٩٥هـ في مدينة الهفوف، وهو من عائلة دينية معروفة تحظى بالاحترام الكبير لدى علماء السنّة والشيعة، فأبوه الحاج عبد الله وجدُّه الشيخ حسين بن الشيخ علي بوخمسين، وعمُّه آية الله الشيخ محمد بن الشيخ حسين بوخمسين الذي كان مرجعا دينيا في زمانه.

قرأ الشيخ موسى جملة من المقدمات في الاحساء، ثم هاجر إلى النجف الاشرف، حيث التحق بمدرسة المعتمد المعروفة بمدرسة كاشف الغطاء، وأقام فيها مدة خمسة عشر عاما يدرس على يد أفاضل علمائها، مثل الحجة السيد ابو تراب الخونساري، وأجازه دراية ورواية، وشيخ الشريعة الاصفهاني، وأجازه بالاجتهاد والرواية، والسيد محمد كاظم اليزدي، وأجازه بالاجتهاد والرواية، والميرزا محمد حسين الشهرستاني، والشيخ ملا حسين الاردكاني، والميرزا علي الشهرستاني.

ألف الشيخ موسى عدة كتب منها، كتاب النص الجلي في اثبات الآيات النازلة في الأمام علي ((ع))، وتعليقة مستقلة على رسائل الشيخ الانصارى، وأبحاث استدلالية في أبواب فقهية متفرقة، وتحقيق الأحكام، وهو كتاب في الفقه غير تام، ورسالة عملية في العبادات. كما ألف الشيخ في المنطق وله عدة كراسات ناقصة في مواضيع فقهية.

وقد أقام الشيخ موسى حوزة علمية قصدها طلاب العلوم الدينية من مختلف المناطق والقرى في الاحساء، وكان لها الأثر الكبير في استمرار الحركة العلمية، وتتلمذ على يده لفيف من العلماء الافاضل من بينهم: الشيخ عبد الكريم الممتن، والشيخ حسين الصحاف، والشيخ كاظم الصحّاف، والشيخ عبد الله الدويل، والشيخ ابراهيم الخرس والشيخ ناصر بو خضر، والشيخ محمد البقشي، وغيرهم.

وكان الشيخ موسى يمارس القضاء والقيادة في منطقة الاحساء، وقد عانى الكثير من المشاكل بعد سيطرة السعوديين على المنطقة، رغم انه والسيد ناصر الهاشم، كانا المفاوضين الرئيسيين لابن سعود بعد احتلال الاحساء.

في عام ١٣٥٣هـ توجه الشيخ موسى إلى ايران لزيارة الامام الرضا عليه السلام، وفي طريق عودته توفي في خانقين، ونقل جثمانه إلى النجف الاشرف، ودفن هناك في أواخر ربيع الثاني سنة ١٣٥٣هـ.

وقد خلف رحمه الله ذريّة صالحة، يأتي في مقدمتها نجله العلامة الشيخ باقر بوخمسين، الذي يتصدّى الآن لمهمة القضاء الجعفري في الاحساء، ونجله الفاضل الشيخ محمد جواد الذي توفي في عام ١٣٨٩هـ، اضافة إلى العديد من حفدته، كالشيخ حسن الشيخ باقر، والشيخ موسى الحاج

عبد الهادي بوخمسين، والشيخ حسين الحاج عبد الهادي بوخمسين، والشيخ حسن الحاج عبد الهادي بو خمسين[٣٥٣].

[٤] المرجع الديني آية الله الشيخ عبد الله بن معتوق بن درويش بن معتوق المرهون: ولد سنة ١٢٧٤هـ، تلقى علومه الأولية على يد العلامة الشيخ البلادي، والعلامة الشيخ أحمد آل طعان، ثم سافر إلى النجف حيث درس فيها أكثر من عشرين عاما، ثم عاد إلى مسقط رأسه في جزيرة تاروت، مرجعا دينيا، وأصبح مقلدا لكثير من أهالي القطيف والاحساء والبحرين.. له الكثير من الآثار العلمية، من جملتها رسالة في الشك أسماها ((سفينة المساكين))، وله ديوان رثاء لأهل البيت، تجد نماذج من شعره التقليدي في كتاب شعراء القطيف[٣٥٤].

في طريق عودته إلى وطنه في ربيع الاول سنة ١٣٣٧هـ، اعتقلته القوات البريطانية في البصرة التي كانت تحتلها آنذاك، واتهمه قائد الحملة البريطانية بيرسي كوكس، بأنه جاسوس يحمل كتباً من زعماء النجف إلى أهالي البصرة، فكتب العديد من علماء العراق رسائل احتجاج ومناشدة اطلاق سراحه، فأبعده البريطانيون إلى البحرين، ومنها عاد إلى وطنه.

توفاه الله أوائل جمادى الأولى سنة ١٣٦٢هـ، بعد أن أدّى خدمات جليلة في بث العلوم والمعارف الدينية، وكان لمدرسته الفضل في تخريج عدد من العلماء والمجتهدين، أمثال المرحوم المجتهد الشيخ علي بن يحيى.

[٥] الزعيم احمد بن مهدي بن نصر الله ابو السعود القطيفي: أشرنا في مواقع سابقة من الكتاب إلى نشاطه السياسي وزعامته للمنطقة.. ورغم أنه شُغل بالسياسة والحرب الا انه كان شاعرا مكثرا، وقد ترك ديوانا غير مطبوع في مجلّدين.. وله اكثر من مائة قصيدة في رثاء أهل البيت، وجارى ابن ابي الحديد في قصائده السبع العلويات، تجدها في كتاب أعيان الشيعة للمرحوم السيد محسن الأمين، كما جارى المعلّقات السبع.

توفي رحمه الله سنة ١٣٠٦هـ، بعد زعامة دامت حوالي العشرين عاما. من شعره في مديح الإمام علي، هذه الرائعة[٣٥٥]:

---

353 أهل البيت، نشرة تصدرها رابطة عموم الشيعة في السعودية، العدد الخامس.

354 شعراء القطيف من الماضين، ص ٢٢٨. وانظر: الأزهار، الجزء ١١ ص ١٧٧، والجزء الثاني من نفس المصدر في الصفحات ٦٥ إلى ٢١٨. وانظر: الأزهار، الجزء ١١ ص ١٧٧، والجزء الثاني من نفس المصدر في الصفحات ٦٥ إلى ٢١٨. وأيضاً انظر كتاب: انوار البدرين، مصدر سابق، ص ٢٧٥.

355 شعراء القطيف من الماضين، ص ١٤٠. واقرأ عن المترجم له: الازهار، الجزء الخامس، ص ٩٨، وانوار البدرين، ص ٢٥١.

.. وعلى أمير المؤمنين تلهفي		وله الثنا ونسيبه المضبالكُ
الفارس العربي والمتألق الـ		قرشيُّ والمتحنن الهتالكُ
ومسابق الآجال طعناً في العدى		متداركا والآسرُ الفكّالكُ
خلق أرقُ من النسيم وسطوةٌ		تعنوا لها الأقدارُ وهي ركالكُ
ومناط باسٍ لو ألمّ شذاهُ بالأف		ـلاك لم تتحرك الأفلاكُ
وعلاُ يطولُ على العلى ومكارمُ		خضعت لأخمص طولها الأملاكُ
ويدٌ تمدُّ الغيثَ من جدوائها		حتى يجلجل من نداهُ وشالكُ
أسدٌ يعيرُ الموت غرّةً وجهه		واليوم ليل والمجالُ ضنالكُ
ما سالم الدنيا قد أدلى لها		كفٌ المهالك والشكيم يلاك
كلاّ ولا ترك الضلال وإنّما		انحى اليه من يديه هلاك

ومن شعره:

في كلّ يوم للحشاشة مصدع		أرقٌ يلم وظاعن لا يرجع
وخليقة هتفت عليك ببؤسها		قلب يسيم وناظر لا يهجع
أما الأحبّة فالدجنة لونهم		عب الخضارم واليباب اليرمع
جرّبت من نار الهوى لا تنطفي		نار الهوى وتكلّ عمّا تقطع
وغدوت التجع الدنوّ كأنني		دان من الصفواء لا تتصدّع
.. سبع وعشرون اهتبلن لي العدا		فغدت بكاسات العنا تتجرّع
أرعى من العهد القديم بروضة		أنف وأدعو معرضاً ما يسمع
وأضن من عصر الصبا بشيبة		ذهبت وفات بها الزمان المهيع
لم يترك الزمن اللجوج بمهجتي		شيباً يتيذمه الغزال الأمرع
.. ما لي أذلّ ولا ذراعي رخوة		كلاّ ولا عضبي كهام يوزع
فلأقذفن بكل حزق واسع		عيسا تجدّ السدّه وتزعزع
ولأخضمنّ إليه كل شقيقة		خضم المصاعب نبت واد يمرع يجبى لهم
ولأحملن على الدجنة فتية		من كل فضل مرتع
شعثا يلوثون الأكف قوابضا		أكباد وجد في الصبابة تمزع
ضربوا على هذا الدجا بسرادق		من نعدهم ورواق عنف يشرع
وتملكوا شرق العلاء وغربها		وتسلّقوا دين العلا وتدفعوا
فهم نجاد المجد اين تنجّدوا		والشوق بين ضلوعهم يتذلع
قذفوا بأيدي القارعات تغطرفاً		وهم طلاع المجد أين تطلّعوا
وتقنعوا سرح العلا فتقرعوا		منها العماد وفي البلاد تفرّعوا
الممرعون الجود وهو مغيّض		والسامكون المجد وهو موزّع
أرمي بهم غسق الظلام وأرتقي		منهم لمصدع قلّة لا تصدع
وإلى أمير المؤمنين تحمّلي		وإلى علاه معاذنا والمفزع

ومن قصائده:

سرى ورواق الليل بالدجن مضروب	وقيد الحواشي بالأشعة مقطوب
وميض كتلويح الرداء ودونه	وهاد تجافي بالسرى وأهاضيب
فما راعني عذب المراشف شادن	ولا شاقني وافي الروادف مخضوب
سرى البارق الملتاح من جانب الحمى	لنا وجناح الليل أسود غرّيب
بدا من كثيب عالج فاستفزني	بنجد وقلبي بالصبابة ملهوب
وذكرني من كنت أهوى وبيننا	على النأي ادلاج يطول وتأديب
.. تهون المعالي عند قوم وإنما	على الدهر شيء بالمنيّة مطلوب
سأتخذ الظلماء درعا حصينة	وإن قلّ عندي الرجال الاصاحيب
أما كان بدر شاهد الذّوي العلا	بأن رواق العز في الموت مضروب
غداة تولّى بالمعالي مهذّب	وعادت بأنكاث المخازي القراصيب
وجاءت قريش تمضغ الغضن والعنا	صدور عليها للضغائن تكتيب
على كلّ نهد المركلين مطهّم	كأن عليه من ذرى الشمّ مخشوب
وجرداء ما امتطّت عليها جزارة	ولكنها تحت العجاجة سرحوب
فلّما اشمخرّتِ واشمازت قناتها	إلى حيث لا تسمو الرعان الأخاشيب
سماها عليّ والرماح شوارع	وفحل المنايا بالشراسة مركوب
جلا نقعها واليوم باليوم مسدف	وكأس الردى بين الفوارس معبوب
فأضحت وفيها للغواني نوادب	وللوحش ولغ والقشاعم تخليب
وقد علت البيض القواضب ريّها	شفاء واشرعن الرماح السلاهيب
فكم ضيغم أعفى وليس به كرى	ولكنه من خمرة الموت مصحوب
وكم ملك يأبى المذلّة اصبحت	تقبّل مثواه العتاق اليعابيب
وممتقص قد كان يسمو إلى العلا	فأضحى وفيه للردى الحمّ تقطيب
وكم خرّ فيها مستطيل ودونه	طعين بأطراف الاسنّة مخضوب
وكم هان مشبوح الذراعين أغلب	فأمسى على المثوى لقى وهو مغلوب
وكم آسر اضحى وللأسر موثق	عليه وللأغلال غل وتكليب
وأصيد ما راضت نوازق بأسه	جرى وهو للجرد الشوازب مجنوب
وشقشقة قرّت لمقرم مصعب	وعضب تولّى وهو بالعضب معضوب
وناعم جسم عافر الوجه شاحب	عوائده العقبان والنسر والذيب
هو الخطب ما كانوا يظنون مثله	ولكنه من حارب الله محروب
تغشاه طلاع الثنايا مشيّع	إذا أرهق الأفواه للبؤس أثعوب

ومن شعره:

الا ما لعيني والخيال الموازر		ودون التداني طول رجع المعاذر
أفي كل يوم لي على الدهر عثرة		تكرُّ باعقاب الجدود العواثر
ولا يسمح الدهر الغشوم بصاحب		ولا ترجع الأيام منِّي بعاذر
ولا اقتضي منه ديوني ويقتضي		سوالف من استارها بالغوابر
فلا بل كفي بالسماح ولا روت		زنادي ولا ام الضيوف مناوري
ولا ذاق بأسي الزائرون ولا نما		عديدي على هام العلا والمفاخر
ولا اقتنصت هذي الليالي حبائلي		غلابا ولا دارت بهن دوائري
ولا جلجلت بالدار عين صواعقي		ولا نصبت فوق الاعادي منابري
ولا اغتبطت بي في الورى ام قسطل		ولا نجفلت من سطوتي أم عامر
ولا ابرقت يوم النزال صوارمي		ولا هتفت يوم الهياج زماجري
لعمري لقد خان الاجيدع ربه		وران على المعروف أم المناكر
.. حنانيك ليس المجد الا من السرى		ولا العزُّ الا تحت وطيء الحوافر
ولا مدح الا للوصي فانه		معاذ لمن اوداه سوء الكبائر
لئن تاه مدح فيه أو ضلَّ شاعر		فقد دلَّه من كل فضل بباهر
ولكن لفظ المدح فيه على فمي		من الفكر منثال بغرِّ الجواهر
.. اليك امير المؤمنين مدائحي		وفيك وان لجَّ اللواحي بضائري
هل المدح الا في معاليك رائق		وهل راق بالاشعار مثل المآثر

[٦] آية الله الشيخ محمد حسين بو خمسين: ولد في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري، وقد عاصر دولة السعوديين الثانية، كما عاصر العهد التركي منذ نشأته، وكان مرجعا دينيا وزعيما سياسيا في منطقة الاحساء، وقد ذكرنا نتفاً عن حياته ومواقفه إبّان الحرب الأهلية السعودية.

له العديد من المؤلفات والشروحات، بينها رسالته العملية الكبرى التي سمّاها ((منار العارفين))، وله الرسالة الصغرى وسمّاها ((مصباح العابدين))، توفي رحمه الله سنة ١٣١٦هـ[٣٥٦].

[٧] الشيخ علي البلادي البحراني القديحي: ولد سنة ١٢٧٤هـ حيث عاصر العهد العثماني في المنطقة من بدايته إلى نهايته، تلقى علومه على يد العلامة الشيخ احمد بن صالح بن طعان،

356 انوار البدرين، ص ٤١٤.

ثم هاجر إلى النجف الاشرف، وحضر عند جملة من فضلائها، وثلة من علمائها.. له العديد من المؤلفات اشهرها ((انوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين))، حيث حوى ٨٦ ترجمة لأهم علماء القطيف والأحساء، والكتاب لا غنى عنه لأي باحث عن تراث المنطقة.

والمرحوم البلادي يقول الشعر في المناسبات، وله:

هــلَّ المحــرَّم فــاخلع حلَّــة الطــرب		وألــبس بــه حلــل الأرزاء والكــربِ
واحرم وطــفْ كعبــة الأحــزان منتحــرا		هــدي الــسرور مــدى الآبــاد والحقــبِ
قامت على ساقها الحرب الضروس ضحــ		ــى واسفرت عن محيًّــا كــالح غــضب
فــصادمتها ليــوث الكــرُّ مــن مــضر		ثمَّ العــرانين مــن أهــل ومــن صــحب
فكلَّمــا اســتعرت نــار الحــروب خبــوا		نيرانهـــا بـــسيوف الهنـــد والقــضب
وكلمـــا نكـــصت ابطالهـــا قـــدموا		كأنَّمـــا اســتقبلوا خـــودا علـــى نجـــب
وكلَّمـــا ســجعت ورق الــسيوف علـــى		هــام الكمــاة أجــابوا الــسجع بــالطرب
وكلَّمـــا التهبـــت أكبـــادهم عطـــشا		ترشــفوا مــن دم الأعــدا عــن اللهــب
حتى هووا فــي عــراص الطــفَّ قاطبــة		فوق الصعيد على الكثبــان والهــضب[357]

[٨] الشيخ احمد بن الشيخ صالح بن طعان القطيفي: وهو أحد أبرز علماء المنطقة، ونابغة من نوابغها، تربَّى على يديه وفي مدارسه العديد من العلماء والمجتهدية وفطاحلة العلم من الرعيل الأول.

له العديد من الكتب والمؤلفات والرسائل، وطبع له بعد وفاته ((١/ ١٠ / ١٣١٥هــ)) ديوان حمل اسم ((المراثي الأحمدية)) ضمَّ بعض اشعاره التي قالها في المناسبات.. ومن شعره:

---

357 شعراء القطيف من الماضين، ص ١٩٢، ١٩٤.

علـــى الطـــفُ عـــرِّج ولا تعجـــلا		ففيــــه التعجُـــل لـــن يجمـــلا
وحـــلُ وكالمــــدمع المـــستفيض		وأجــــر المسلـــسلَ والمرســــلا
ورشُ بهـــا عرصـــات الطفـــوف		لتكـــسي بهـــا خيـــر وشـــي حـــلا
علـــى أن افـــضل بـــرُ الرســـول		بكـــاؤك قتلـــى ربـــى كـــربلا
.. وخاضـــوا الحمـــام أمـــام الإمـــام		كـــانُ الحمـــام مـــدام حلـــى
فكـــم قيُـــدوا للعـــدى مطلقـــا		وكـــم فـــصلّوا مـــنهمُ مجمـــلا
وكـــم زوُجـــوا البـــيض ســـمر القنـــا		وكـــان الـــرؤوس نثـــار الجـــلا
فتـــاق لـــروض الحنـــان الجَنـــانُ		وحـــلُ الـــذي فـــي القـــضا أجُـــلا
فخـــروا كمـــا أنجُـــمٌ قـــد هـــوت		عقيـــب التمـــام بَـــدَت أفُـــلا [358]

[٩] الشيخ علي ابو عبد الكريم الخنيزي: وقد كان الزعيم السياسي للطائفة في بداية العهد السعودي الأخير، بعد رحيل ابن جمعة، والعلاّمة البدر ونظرائهما.

هاجر إلى النجف الاشرف، وتلقى دروسه عند الشيخ محمد علي الجشي، كما درس المغني والحاشية والشمسية عند المرحوم الشيخ النمر، والمعالم واللمعة والقوانين عند الشيخ حسين بن الشيخ محمد علي آل عبد الجبار، والرسائل عند الشيخ حسن علي البدر.

كانت له مواقف معروفة في تسهيل مهمّة ابن سعود في ضمُ القطيف للمملكة، وكانت علاقته بابن سعود قوية في كل ما يتعلق بشؤون الشيعة، اقتصاديا وسياسيا ومذهبيا.. ولا أدلُ على ذلك رسائل الملك المتتابعة اليه، خاصة سنتي ١٣٤٧هـ، و١٣٤٨هـ، ففي هاتين السنتين قامت انتفاضة العوامية بزعامة المرحوم الشيخ محمد النمر، وفيهما فرُ حوالي ثلث سكان المنطقة إلى البلدان المجاورة نتيجة العسف الاقتصادي.. وكان للمرحوم الشيخ علي مواقف معلومة، ورسائل مسجّلة، وبمطالعة كتاب ((في ذكر الزعيم الخنيزي))، نكتشف الكثير عن شخصيته المحافظة، ومواقفه المعتدلة [359].

ولد رحمه الله سنة ١٢٨٥هـ، وتوفي سنة ١٣٦٣هـ.

[١٠] الشيخ جعفر بن محمد ابي المكارم العوامي: من نوابغ العلماء، ولد في العوامية في الخامس عشر من جمادى الاولى سنة ١٢٨٢هـ، وهاجر إلى النجف الاشرف وهو في سنُ مبكّرة، ومكث فيا حوالي ١٨ سنة، وعاد إلى بلده مجتهدا مرجعا كوالده.

---

358 المصدر السابق، ص ١٤٥ ــ ١٤٧.

359 في ذكرى الزعيم الخنيزي، وانظر الأزهار الجزء الثاني ص ١٢٥، وأيضاً: أعيان الشيعة، وشعراء الغري، وأدب الطف، وطبقات أعلام الشيعة.

من اساتذته آية الله المرجع الشيخ أحمد صالح آل طعان القطيفي، وفي النجف السيد محمد السيد محمود العاملي، والإمام الشيخ محمد الحسين الاصفهاني، وغيرهم.

له مواقف عديدة في الدفاع عن عقيدته، وله مناظرات مع المعارضين. أما كتبه ورسائله فكثيرة تزيد على ٤٤ مؤلفا، منها ١٩ في الفقه، وأربعة في الاصول، وأربعة في الاستدلال، منها كتاب ((مشكاة الأنوار))، يناقش فيه رأي الوهابيين الذين كفّروا زائري قبول اهل البيت، وله ((درّة الصدف))، وهو كتاب يحوي أجوبة على اسئلة محدّدة وردته من احد علماء المذاهب الاسلامية الاخرى.. اضافة إلى كتب اخرى عن ائمة أهل البيت، وديوان شعر سمّاه ((نهاية الادراك)).

توفي ليلة الاثنين ١٣ محرم ١٣٤٢هـ في البحرين، ودفن إلى جانب الشيخ ميثم البحراني المشهور.

فيما يلي استعراض لبعض شعره، كما وردت في كتاب ((أعلام العوامية)) [٣٦٠]:

وردت للشيخ جعفر قصيدة من العلاّمة السيد مهدي الغريفي البحراني، وكانت بينهما مراسلات، يشكوه فيها نوائب الدهر، ويقول فيها:

---

[360] آل ابي المكارم من ص ٨٢ إلى ص ١٥٢. وانظر شعراء القطيف من الماضين ص ١٩٦ ــ ٢٠٠.

يا بارق الخط حدّث عن نوادره	عن المحاسن فيها عن جواهره
عن المقاصير عن العين اليمامة عن	سكّانها عن ثغور من جئادره
عن العيون عن العين الحسان عن	الخد المضرّج عم دمعي وغامره
.. برق اليمامة لا تضحك ألست ترى	عقيق دمعي جرى نظما كناثره
.. إني وان كنت نائي الدار مغتربا	بين المحيطين من هجر وهاجره
((أبا علي)) ومن قلبي له سلم	عطفا فلا تسلمن صبًّا لواتره
لا تشمتن بيَ حسّادا تركتهم	ولومهم خلف ظهري غير ناظره
والقصيدة طويلة ردّ عليها الشيخ جعفر، فقال:	
دمعي يحدّث عن الحاظ ناضره	عن مهجة قد رست في غمر زاخره
عن حاملات الأسى في زيٍّ ساحرة	عن نار شوق ورت في قلب ناشره
عن سانحات الظبا عن جيد كاظمة	عن الحريق بنجدٍ عن مغاوره
عن الغرام عن القلب المهام وعن	جمر توقد عن انفاس ساعره
عن بارق الخطّ عن برق بلعلعها	عن قاطن بحماها عن هواجره
عن سارحات بنفسي في مراتعها	عن الحجيج وباديه وحاضره
عن طيبة ومنى عن خيف محسرها	عن سلع عن حرتيها عن مشاعره
عن مكة عن أهيل الدار في هجر	عن بابها عرفات عن مجاوره
عن الحجون وبطحاها ومروتها	عن الصفا عن حطيم عن منابره
عن نينوى عن نواويس الطفوف وعن	من قد تحيّر في اكناف حائره
عن الغريين عن نور بمربعها	عن الحماء وعن سورا وعابره
جاشت وما جشأت إلا على حذر	من جور دهر برى صبري بباتره
.. يا سيدا ينتمي للعز عن شرف	لفّت أوائله نبلا بآخره
أنا الأسير حريق القلب شقّته	بعيدة منك يرجو نيل آسره
إن كنت مغتربا فالقلب مضطهد	مما يحلّ به من غدر غادره
فأربع فدتك نفوس القوم عن كلف	يريك باطنه أخفى ظواهره
وأعلم هديت بأن الذنب مغتفر	إلا من اشرك في توحيد غافره
أن الحسود لماخوذ برمّته	يقاد قهرا على عنف لقاهره

وكعادة شعراء الشيعة فقد تخصّصوا في مراثي ومدائح الرسول وأهل بيته، ومن شعر المديح في المصطفى صلى الله عليه وآله:

.. يا عصمة الناس التي عرفوا بها نهج المدارك

أنت السفينة للنجاة، فكل من ناواك هالك

.. انت الطريق المهيعيّ، لمن غدا للحق سالك

عجز الأنام جميعه، من ان يدور على مثالك

.. يا مرغما انف الضلال، ولم تزل فينا كذلك

صلى عليك الله ما كشفت شموس الحق حالك[٣٦١]

أما رثاؤه لمصائب آل النبي فكثير، منه:

طـــال العـــزاء لفقـــد الـــسادة الغـــرر		ومعـــدن الـــوحي والآيـــات مـــن مـــضر
والقلب اصبح منّـي فـي لظـى وجـوى		بـــادي الكآبـــة ينعـــي ســـادة البـــشر
فكنـــت مهمـــا أنـــاخ الـــدهر كلكلـــه		وأظلـــم الـــدهر والأيـــام بالـــضرر
ذكـــرت مجـــدهم العـــالي علـــى علـــم		ومـــا أنـــاخ بـــه مـــن حـــادث الغيـــر
.. لله درهـــمُ كـــمْ أعقبـــوا ســـنناً		وكـــم اشـــادوا إلـــى العليـــاء مـــن أثـــر
وغـــودروا بـــين مـــسموم ومـــضطهد		يـــشكو إلـــى الله مـــا عانـــاه مـــن بطـــر
لله كـــم جرّعـــوا صـــاباً مـــصبّرةً		مـــن الحمـــام فـــذاقوها علـــى خطـــر
وكم لهم مـــن مزايـــا فـــي الأنـــام أبـــتْ		تُحصى وجلّت عن الأرصـــاد فـــي الزبـــر
حبـــاهمُ الله مـــن إحـــسانه شـــرفاً		علـــى الأنـــام وفـــضلا غيـــر منحـــصر
جـــاؤوا الخلافـــة إذ كانـــت لهـــم قـــدراً		كمـــا أتـــى ربّـــه موســـى لـــى قـــدر[٣٦٢]

ومن رثائه للإمام علي قوله:

---

[361] أعلام العواملية، ص ١١١.

[362] المصدر السابق، ص ١٤٤، ١٤٥.

أرى الـــدهر تنحـــو للكـــرام عظائمـــه		وتـــسعى لهـــا بالمرديـــات قواصـــمه
يقـــسِّم فـــي أهـــل الحفـــاظ ســـهامه		غـــثاثنا فتبـــدو للبـــصير ذمائمـــه
يمـــدُّ جناحـــاً قـــد تـــأبَّط للـــبلا		فتظهـــر منـــه الخافيـــات قوادمـــه
يطيـــر بـــه فـــي عاصـــفات متـــى بـــدت		علـــى عـــرض أفـــق اردفتهـــا روازمـــه
.. بـــلاء لـــه الـــصبر الجميـــل تهـــدَّمت		عوالمـــه لمَّـــا وطتنـــا مناســـمه
.. وذلـــك رزء المرتـــضى علـــم الهـــدى		ومـــن مـــلأت للخـــافقين مكارمـــه [363]

[١١] الإمام الشيخ علي ابو الحسن الخنيزي: أحد كبار مجتهدي الطائفة وزعمائها المبرزين في السياسة والأدب، ولد سنة ١٢٩١هـ، وقد عدّه المؤلفون أحد أهم المؤسسين للحركة العلمية الحديثة في المنطقة، ذلك أن جيل الأدباء المشورين اليوم، كالمرحوم الشيخ فرج المران والمرحوم الشيخ ميرزا البريكي والاستاذ محمد سعيد الجشي ومحمد سعيد الخنيزي وأضرابهم، كانوا قد تعلّموا على يد مثل أولئك الأفذاذ.

أخذ المقدمات من اساتذته في القطيف، كالشيخ عبد الله آل نصر الله، والشيخ ناصر آل نصر الله، والشيخ حسين آل عبد الجبار، والشيخ منصور الجشي.. واضافة إلى تدريسه لعلوم الفقه واللغة العربية والأصول، كان مجلس الخنيزي ملتقى لطلاب العلم وروّاد الأدب، وكان رحمه الله لا يبخل بوقته في التدريس والتوجيه لكل من لديه استعداد للعلم والمعرفة، فاهتمّ بالفئة الشابة ورعايتها، وكان كثيرا ما يزور منازل الأدباء الشباب ويحثّهم ويوجههم.

وللامام المرحوم ولدان من كبار علماء الطائفة، هما: الشيخ عبد الحميد الخطي، قاضي الشيعة في القطيف، وهو شاعر مبدع مشهور، والآخر الشيخ عبد الله الخنيزي، صاحب كتاب ((ابو طالب مؤمن قريش))، والذي أثبت فيه إيمان ابي طالب، فاعتقلته السلطة، وحكم عليه الوهابيون بالاعدام، ولم يتراجع عن الحكم الا بعد وساطة شخصيات سياسية ودينية من كافة انحاء العالم الاسلامي.. وللشيخ عبد الله عدّة مؤلفات مطبوعة، وجدّدت طباعة اكثرها، كما ظهرت له في السنوات الأخيرة عدّة مؤلفات.

توفي الامام الخنيزي سنة ١٣٦٣هـ، ويصوّر الاستاذ عبد الله الجشي في رثائه اللوعة والحسرة بفقده، فيقول:

---

[363] المصدر السابق، ص ١١٢.

جــــدَّدت عهــــداً للمعــــارف ذاهبــــا		ونجــــدتَ شـــعباً للتحــــرُّر واثبــــا
ودأبــــت جهـــدك للـــشباب موجِّهـــا		فخلقـــــت فيــــه كفــــاءة ومواهبــــا
وجمعـــتَ شـــمل المخلـــصين مؤلفـــاً		مـــــنهم لاســـــعاد الـــــبلاد كتائبــــا
وأخـــذت تـــدفعهم لبـــاب مليـــكهم		كـــالهيم توردهـــا المعـــين تعاقبــــا
وعـــدلت لـــم تجـــنح لـــذي قربـــى ولـــم		تـــدفع عـــن الحـــق الـــصراح أجانبــــا
وخفـــضت للعـــافي جناحـــك رحمـــة		ولأنـــت أجـــرأ للطغـــاة مغالبــــا
وصبرت صـــبر المـــصلحين علـــى الأذى		وصـــفحت صـــفح الأكـــرمين مجانبــــا
.. إيـــه أبـــا الحـــسن اســـتمع لمقـــالتي		وأحلـــم علـــيٌّ فمـــا عهـــدتك غاضـــبا
هـــذي بـــلادك قـــد أضـــاعت رشـــدها		وتفرقـــت بعــــد الوئـــام مـــذاهبا
القـــوم قومـــك إذ تهـــان ســـرانهم		والـــشعب شـــعبك حـــين يلقـــى عاتبــــا
ولأنـــت مـــنهم فـــي الـــصميم ارومـــة		ومـــصالحاً ومبادئـــاً وعواقبــــا
.. أأبـــا الحـــسين، وكـــم دعيـــت لأزمـــة		فحللتهـــا وكـــشفت كربـــاً لازبـــا[٣٦٤]

ورثاه خالد الفرج، شاعر الخليج المشهور، والذي سكن القطيف مدة ٢٥ عاما، وتوثقت علاقته بعلماء المنطقة وشعرائها، فقال في قصيدة طويلة:

364 ذكرى الامام ابي الحسن الخنيزي، للشيخ عبد الله الخنيزي، المطبعة الحيدرية، ص ١١٥ ــ ١١٦.

للمزيد عن المترجم له، انظر: عبد العلي السيف، مصدر سابق، ص ٩٤ ــ ٩٥. وأعيان الشيعة، للعاملي، جزء ٨ ص ٢٩٥، وأنوار البدرين، ص ٢٧٧. والأزهار جزء ٦، ص ١١١ إلى ص ١٨٠. ونسيم وزوبعة، للشيخ عبد الله الخنيزي، ص ٢٢٢. والذريعة إلى تصانيف الشيعة، للآغا بزرك الطهراني، الجزء ٤ ص ٤٨٠.

إبكوا بدمع أو نجيع	شيخاً يعزُّ على الجميع
وتصوروا البدر اختفى	في غامض الليل المريع
وكأنه روح الحياة	مضت على الجسم الصريع
أوّاه لو يغني البكاء	عليه أو هلع الهلوع
هل من زعيم بالرجوع	على الفدا هل من شفيع؟
.. أودى فشيِّعَ نعشه	ومشى على هام الجموع
نعش تداوله الأكف	يكاد يطفو في الدموع
سالت عليه نفوسهم	في دمعهم مثل الشموع
يمشون دون هدى وقد	غاب الدليل بلا رجوع
تالله لم أشهد بهم	من كان في حال طبيعي
والحزن يفتك بالنفو	س كفتكة الداء المريع
نشر السواد على الوجو	ه كآبة قبل الدروع
ومحا الوقار فلا ترى فيـ	ـهم سوى باك جزوع
غصٌّ الفضاء بهم كما	قد غصٌّ لحدٌ من ضجيع
يبكون شمس الفضل غابـ	ـت لن تعود إلى طلوع
يبكون نهر العلم جـ	ـف فمن لمصفرٌ الزروع؟
يبكون روحاً لن ترفـ	ـرف في سجود أو ركوع
فالخط اصبح دارساً	كالخط في طلل الربوع
يا شيخ كم إيتمت بعـ	ـدك من فطيم أو رضيع؟
ولكم تشكّى بعدك البؤ	ساء من عري وجوع؟
من للعويص من الأمور	يفكّهُ بالحل السريع؟
من للنوادي إذ تزان	بمثل مظهرك البديع؟
من للأحاديث الرقيقة	مثل ازهار الربيع؟
هذا الذي نبكيه من ذكر	اك بالدّمع الهموع
إنا تودّع بالبكاء	وأنت في الملأ الرفيع
تلتف من حلل الرضا	في نور باهرة السطوع
قد صار قبرك في القطـ	ـيف: كأنه بعض البقيع ٣٦٥

[365] ذكرى الامام ابي الحسن الخنيزي، ص ١١٢ ــ ١١٤ .

وللعصامي أحمد بن سلمان الكوفي، قصيدة رثاء لأبي الحسن الخنيزي[366]:

بمـــــن الحيـــــارى تهتـــــدي		مـــــن بعـــــد فقـــــد المرشـــــد؟
وبمـــــن تراهـــــا بعـــــد مـــــ		ـــــولاها علـــــيٌ تقتـــــدي؟
مـــــن ذا يقـــــوم مقامـــــه،		يقـــــضي بـــــشرعة أحمـــــد؟
قـــــد كنـــــت بـــــدراً نستـــــضـ		ـــــيء بنـــــوره المتوقـــــد
واليـــــوم عـــــاد الـــــصُبـ		ـــــح ذا دجـــــن كليـــــل أســـــود
لمـــــا ابـــــو حـــــسن قـــــضى		وغـــــاب نـــــور المهتـــــدي
واحـــــسرتاه عليـــــك يـــــا		مـــــن كـــــان خيـــــر مقلُـــــد
والهفتـــــاه لـــــضيعة العـــــا		فـــــي الـــــضعيف المجتـــــدي
واضـــــيعتاه فمـــــا إليـــــ		ـــــنا ـ بعـــــده ـ مـــــن مـــــسعد
مـــــن للـــــصلاة وللمـــــصلُى		ـــــ بعـــــده ـ والمـــــسجد؟
يـــــا قلـــــب ذبْ جزعـــــاً عليـــــ		ـــــه وغلُتـــــي لا تبـــــرد
يـــــا مقلتـــــي ســـــحُي دمـــــاً		يـــــا أدمعـــــي لا تجمـــــد
فلقـــــد قـــــضى مـــــن همُـــــه:		إحيـــــاء ديـــــن محمـــــد
فـــــدفتُ فـــــي أعـــــضادنا		مـــــوت الـــــزعيم الأوحـــــد
ولهيـــــب جمـــــرة فقـــــده		فـــــي قلـــــب كـــــلُ موحُـــــد

[١٢] السيد هاشم السيد أحمد الاحسائي: كان احد كبار علماء الطائفة في الاحساء، تلقّى علومه في النجف الاشرف، وأصبح احد مراجع التقليد.. له مجلّد ضخم في اصول الفقه، وله رسالة عملية كبرى في الطهارة والصلاة، ورسالة صغرى، وكتب اخرى في العقائد.

عاصر كامل العهد التركي، وتوفي سنة ١٣٣٩هـ.

وخلف ابنا فاضلا سار على نهجه وهو السيد ناصر الذي فاوض الملك عبد العزيز بعد احتلال الاحساء، وقد كانت له وقفة مشهورة مع الجلاد ابن جلوي تجدها في موقع آخر من الكتاب[367].

[١٣] سلمان بن صالح بن أحمد آل ابراهيم الصفواني: ولد في مدينة صفوى، أواخر القرن التاسع عشر، وتوفي في السادس عشر من اكتوبر سنة ١٩٨٨ في بغداد.

[366] المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٧.

[367] أنوار البدرين، ص ٤١٥، ٤١٦.

لما ناهز العشرين من عمره هاجر إلى مدينة النجف الاشرف لتلقي العلوم في مدارسها. وقد اصبح الاستاذ الصفواني احد رموز الحركة الثقافية في العراق لانه لم يعد إلى وطنه بل فضل العيش في العراق وشارك في صنع احداثه السياسية، وقد سبق له ان اشترك في ثورة العشرين الاسلامية التي قادها مراجع الدين في النجف. ويذكر المرحوم في سيرة حياته التي نشرها في جريدة الهاتف العراقية في عدده الصادر في الخامس عشر من حزيران سنة ١٩٥٣ ما نصه: ((فلمّا نشبت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، اضطرتني ظروفي الخاصة بعد الثورة إلى النزوح إلى الكاظمية، وكان ثقل الحركة الوطنية قد انتقل اليها، وتولّى الشيخ مهدي الخالصي قيادة الحركة، وكنت قد التحقت به، كما كنت من اقرب طلاب مدرسته اليه)).

واضاف في مقالته: ((في تلك الآونة عزم الاستاذ محمد الهاشمي وشقيقه المرحوم رشيد الهاشمي على اصدار مجلة باسم اليقين، فاتصل المرحوم الهاشمي بالشيخ الخالصي ورجا منه ان يرشح له من شبابه الطلاب من يتعاون معه في تحرير المجلة. وكانت الوحدة الوطنية شعار الجميع، وكنت مؤهلا من قبل فوقع الاختيار عليّ)).

وبسبب اشتراكه في الثورة فقد كان ضمن المنفيين إلى خارج العراق على يد المستعمرين البريطانيين، إلى جانب استاذه الخالصي اكثر من سنة، وبعد ذلك سمح له بالعودة إلى العراق، ومارس العمل الصحافي كمهنة، فأصدر لأول مرة جريدته ((اليقظة))، ومع اشراقة صباح يوم الجمعة المصادف للخامس من سبتمبر ١٩٢٤ ـ الخامس من صفر ١٣٤٣هـ، صدر اول عدد منها.

وقد شهد له الكثيرون انه احد روّاد الصحافة العراقية ((انظر تاريخ الصحافة في الكاظمية للعلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين، الصادر في حزيران ١٩٦٩)).

وبعد صدور العدد الثالث عشر، اغلقت جريدته من قبل مديرية المطبوعات، فأصدر بدلها جريدة ((الرأي العام))، وهي جريدة اسبوعية، صدر عددها الاول في العشرين من ديسمبر ١٩٢٥، في مدينة الكاظمية، وقد عطلتها السلطات البريطانية بعد صدور عددها الثاني عشر، فاستأذف اصدار جريدة اخرى باسم صاحب الامتياز هذه المرة، وبقي محررها ومديرها المسؤول، وهي صحيفة اسبوعية جامعة صدرت بأربع صفحات، ومن العدد الثاني اصبح الصفواني صاحبها ومديرها المسؤول، كان ذلك في شهر سبتمبر ١٩٢٦، وقد عطّلت الصحيفة أيضاً بعد صدور عددها الثاني عشر.

وبنهاية العام ١٩٢٦، انتقل إلى بغداد عاملا بصحافتها، وفي العام ١٩٢٧ تعين موظفا في الدولة واختير سكرتيرا لوزير المواصلات والاشغال يومذاك، المرحوم السيد علوان الياسري ــ أحد قادة ثورة العشرين الاسلامية ــ، وبعد فترة استقال وعاد للعمل بالصحافة.

ومن يونيو حتى سبتمبر من عام ١٩٣٦، سجن الصفواني وحكم عليه بالحبس الشديد سبع سنوات، ثم قيد بسلاسل الحديد وزج وراء ابواب مغلقة بتهمة اشتراكه في ثورة العشائر التي حدثت في الديوانية على عهد وزارة ياسين الهاشمي، وقد كتب المرحوم مذكراته عن تلك الفترة على شكل رسائل بعث بها من السجن إلى زوجته، وقد جمعها بعدئذ في كتاب مستقل بعنوان ((محكوميتي)) طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩٣٧، ونشر بعض مقتطفاتها.

في عام ١٩٤١ اشترك في الثورة، وكانت له مواقف معروفة لمعاصرته، وقد انيط به منصب مدير الاذاعة، وفي عام ١٩٤٦، وبعد انتهاء فترة الحرب العالمية الثانية، واجازة الاحزاب والصحف، كان الصفواني من مؤسسي حزب الاستقلال، وكان عضوا بارزا في هيئته العليا، ومنح امتيازا باستئناف جريدته ((اليقظة)) اليومية السياسية الشهيرة، التي ظلت تصدر بانتظام حتى شهر مارس من عام ١٩٥٩، ثم ما لبث ان تعرضت صحيفته بعد فشل ثورة الشواف في الموصل إلى الهجوم، وتم تدمير وحرق مكاتبها الواقعة في شارع الرشيد، والتجأ الصفواني إلى القاهرة ولم يعد لبغداد الا بعد ثلاث سنوات.

في العام ١٩٦٥ استوزر الصفواني لشؤون الصحافة، واثر سقوط الوزارة انصرف إلى كتابة مذكراته عن الاحداث التي عاصرها أو اسهم فيا، وقد نشر فصولا منها في بعض المناسبات في الصحف والمجلات، كمجلة ((آفاق عربية)) وجريدة الاتحاد وغيرهما[٣٦٨].

المدهش ان صلات الصفواني بأخيه المرحوم حسين في مسقط رأسه، في مدينة صفوى بالمنطقة الشرقية من السعودية كانت مستمرة ودائمة، ولا زال خلف المرحوم الصفواني يعيشون في العراق، ويحملون الجنسيّة العراقية.

[١٤] الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله آل عيثان الاحسائي: درس في النجف الاشرف واشتغل في التعليم والتعلُم مدّة تقرب من ثلاثين سنة، ثم قفل عائداً إلى الاحساء، بعد وفاة والده.. من مصنفاته رسالة في معاني الحروف، وله شرح رضاعية السيد مهدي القزويني، وله رسالة عملية في الطهارة والصلاة، وغيرها.

وقد توفي رحمه الله في نفس العام الذي احتلت فيه الاحساء ١٣٣١هـ[٣٦٩].

---

[368] المعلومات وردت في مقال كتبه احد الصحافيين العراقيين في ذكرى رحيل الاستاذ سلمان الصفواني.

[369] انوار البدرين، ص ٤١٥، ٤١٦.

[١٥] الشيخ المجتهد محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ احمد العوامي: ولد سنة ١٢٥٥هـ، وتوفي في السابع والعشرين من محرم ١٣١٨هـ بالمدينة المنورة، ودفن في البقيع.. أطراه العلامة الشيخ أحمد بن صالح آل طعان، وكانت يبنهما مناظرات ومحاورات علمية، جمعت في كتاب لم يطبع واسمه ((الخلافية بالاستدلال)). وللمرحوم عدّة مؤلفات في الفقه والنحو والأدب.. وله أيضاً منظومات شعرية في العقائد وأصول الدين.. ومن شعره:

.. وعلَّ أمراً لا يقبل النصح جاهلا	يكذبني قولا ويرمقني شزرا
وينسب قولي للمجاوزة التي	يضيق بها من لا يطيق له حصرا
فحسبك إني ما اعتقدت بأنه	إله، ولكنْ في الورى قد علا قدرا
فما لم تشأ فاترك وما شئت فاعتقد	فهذا اعتقادي قد كشفت له سترا
وداد أمير المؤمنين سجيّتي	حياة وموتا، لمت لو لم ألم نشرا
وحسبي بـ ((خم)) نصُ أحمد جهرة	بما بعده في الناس قد قطع العذرا[370]
وله أيضاً:	
لا تبك ما عشت يوما خاشيا سببا	وإن تعاظم قدرا أو علا رتبا
وربُ قائلة في المال تعنفني	يوما إذا قلَّ أو أنزلته وصبا
مهلا عداكِ البلى لا تظهري جزعا	ما دمت حيّاً وإنْ جلَّ الذي ذهبا
فانني لم ترعني قطُ نائبة	يوما وإن كثرت من عظمها النوبا
نعم نوائب آل الله كم فصمت	منّي قواي وسامتني به العطب[371]
ومن شعره:	
بُكم المعاهد ماذا فيكِ قد حانا	وأين سكانك السافون قدحانا؟
وقفت فيها أناديها وأسالها	أين الأنيسُ ومن أعلوك بنيانا؟
أين البدور المشيدون العلى شرفا	والملبسون الهدى والدِّين تيجانا؟
أين الأسود التي تحمي الثغورُ بهم	لا يطلبون لدى الهيجاء أعوانا؟
نادت بهم لعبت أيدي النوى فغدوا	للسيف والنبل والخطّي قربانا[372]

[370] أعلام العوامية، ص ٥١.

[371] المصدر السابق، ص ٥٦. وانظر شعراء القطيف من الماضين، ص ١٥٦.

[372] المصدر السابق، ص ٥٩.

[١٦] الشيخ عبد الله بن رمضان: كان احد كبار العلماء، ويعدُّ من فحول الشعراء، له قصيدة طويلة اوصى فيها ابنه، مطلعها:

هـــــي الـــــدار دار العنـــا والمحــــن		ودار الفنـــــــــاء ودار الفـــــــــتن

وله ابن اسمه علي، يعد من الأدباء والعلماء المعروفين، وله يد قويّة في الشعر، وقد قتل شهيدا على يد الوهابيين[٣٧٣].

[١٧] الشيخ عبد الله بن علي الاحسائي: وهو من العلماء الاخيار، وشاعر مكثر، له ديوان شعر في مجلدين، وله القصيدة الهائية الكبيرة التي جارى بها المرحوم الشيخ كاظم الأزري في قصيدته المشهورة بالألفية وهي:

لمـــن الـــشمس فـــي قبـــاب قباهـــا		شــفَّ جــسم الـــدُّجا بـــروج ضـــياها

[١٨] الشيخ علي الشيخ جعفر العوامي: احد مجتهدي الشيعة وشعرائهم، ولد سنة ١٣١٣هـ، وعاش في ظلِّ العهد التركي ثمانية عشر عاما، وقد ألَّف كتابه الاول سنة ١٣٣٠هـ، وهو ((اللؤلؤ المنظوم)).

تلقى الشيخ علي اكثر علومه على يدي أبيه، ثم رحل إلى النجف الاشرف، وتتلمذ على يد ثلَّة من أعلامها المشهورين، وبعد وفاة ابيه هاجر إلى البحرين فعُيِّن قاضيا هناك ثم عاد وتوفي في سيهات في ١٣٦٤هـ، له ثلاثة عشر مؤلفا منها ((دعوة السلام)) وهي رسالة عملية في العبادات والمعاملات، و((الكبير)) جامع في الفقه، و((علية الوعظ)) الذي حوى خطبه في الجمعة والأعياد، واشتمل على مواعظ تدعو إلى لمِّ الشمل والوحدة بين اتباع المذاهب الاسلامية لمواجهة المخاطر التي تهدد المسلمين، واضافة إلى ذلك ديوان شعره.

من نماذج شعره رثاؤه لأبيه[٣٧٤]:

---

[373] أنوار البدرين، ص ٤١٥، ٤١٦.

[374] أعلام العوامية، جزء ٢، ص ١٢.

أيا دهـــرُ لا ترمـــي ســـهامك مـــن وتـــر		أصبت بني الإيمـــان فـــي فقـــرة الظهـــر
رميـــت عمـــاد الـــدين بالـــسهم صـــائبا		وهدَّمت اركان الـهـدى حيـث لـم تـدر
فـــلا صـــوَّت النـــاعي بفقـــدان جعفـــر		ففقدانـــه قـــد فـــلَّ منَّـــا عـــرى الـــصبر
أيـــا جعفـــر لـــو كنـــت بالبـــذل تفتـــدى		فـــديناك بـــالأموال والولـــد والعمـــر
أيـــا جعفـــر لـــو أنـــك اليـــوم نـــاظر		يتاماك أمسكت الحشا من جـوى الـصدر
فوا عجبا تـسري علـى الـنعش راحـلا		ومن عجـب هـلاَّ تـسير علـى النـسر
ومـــن عجـــب أن النجـــوم تـــضمُّها		لحود وتبقـى فـي مغيـب إلـى الحـشر
ومن عجـب رضـوى العلـوم مدكـدك		فمـن ذا رأى رضـوى ببحبوحـة القبـر
ومـن عجـب ان المنيـرة فـي الـدجى		تغيب وتخفـي فـي الثـرى هالـة البـدر

[١٩] الملأ علي الزاهر العوامي: ولد سنة ١٢٩٨هـ، وتوفي سنة ١٣٥٥هـ، له ديوان شعر، ومنه[٣٧٥]:

يـــا ليـــوث الحـــروب مـــن آل طـــه		اســـرجوا الخيـــل يـــا ليـــوث وغاهـــا
وامتطـــوا قـــبَّ ظهرهـــا وابعثوهـــا		واشـــحذوا مـــن ســـيوفكم امـــضاها
يـــا بنـــي هاشـــم ويـــا آل فهـــر		أنـــتم فـــي النـــزال قطـــب رحاهـــا
يـــا بنـــي هاشـــم دهيـــتم بـــرزءٍ		طبـــق الارض نعيـــه وســـماها
أعلمـــتم جُـــذَّت أنـــوفُ رجـــ		ـــالاتكم الغـــرُّ عـــدوة طلقاهـــا؟
لـــيس يـــشفى جـــوى القلـــب اعتـــذار		مـــا ســـوى أخـــذ ثارهـــا مـــن عـــداها
أنـــتم شـــدتمُ إلـــى المجـــد بيتـــاً		وشـــرعتم إلـــى الأبـــاة إباهـــا
رجُـــت الارضَ بالنياحـــة رجُـــاً		لرزايـــا دهـــاكم أدهاهـــا
والـــسموات كـــدن أن يتزلـــزلن		فمـــنهنُّ هـــدَّ طـــود علاهـــا
أســـبلت دمعهـــا دمـــاً باكيـــاتٍ		حيـــث آل الرســـول ســـال دماهـــا
وعـــرى الـــشمس ظلمـــة بعـــدما كـــ		ـــان علـــى العـــالمين عـــمَّ ضـــياها
ذبـــح الـــسبط مـــن قفـــاه لهيفـــاً		ليـــت عـــين الميـــاه قـــد غـــاض ماهـــا

[٢٠] آية الله العلامة الشيخ علي بن حسن الجشي: ولد سنة ١٢٩٦هـ، ودرس العلوم الدينية عند مجتهدي القطيف ومراجعها، كالشيخ علي ابي الحسن الخنيزي، والسيد ماجد العوامي، والشيخ علي ابي عبد الكريم.. ثم ترحَّل إلى النجف وتابع دراسته الدينية، وعاد مجتهدا يتصدَّى للفتيا.. له آثار عديدة منها: منظومة في اصول الفقه، وكتاب الانوار في العقائد،

375 المصدر السابق، جزء ٢، ص ٨٩، ٩٠. وانظر شعراء القطيف من الماضين، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

ومنظومة اخرى في التوحيد، وكتاب الشواهد المنبرية، طبع سنة ١٣٦٠هـ، اضافة إلى ديوانه المطبوع سنة ١٣٨٣هـ، والذي احتوى على ثمانية آلاف بيت من القصيد. توفي بالقطيف في منتصف جمادى الأولى سنة ١٣٧٦هـ[٣٧٦].

[٢١] الحاج محمد بن احمد البراهيم: توفي سنة ١٣٣٥هـ في مسقط رأسه بمدينة صفوى، ومن شعره في الاعتداد بالنفس والاستنهاض:

لا رضعت نفسي ضروع العلى		إن لم أروِّ قضبها والقنا
في معرك الحرب إذا حشرجت		نفس كميٌّ القوم واستجبنا
فقد أعددناها باسيافنا		واحدة لكنْ سما فوقنا
يا صاحب العصر أصبرا وفي		دوركمْ صاح غراب الفنا
أخلت أمي منكمْ دوركم		وأوحشت منكم ربوع الهنا
ضيّقت الأرض على آلكم		فلم تدع فيها لكم مأمنا
فانهض فديناك فما في عسى		أو سوف أو علٌ بلوغ المنى
واطلب بثارات الألى قد غدت		أجسادهم طعم الضبا والقنا[٣٧٧]

[٢٢] الشيخ حبيب شعبان ((ت ١٣١٠هـ)): احد الشعراء والأدباء المعدودين.. من جيِّد شعره في مديح الزهراء، وهو يقدِّم الغزل كعادة الشعراء السابقين، يقول:

هي الغيد تسقي من لواحظها خمرا		لذلك لا تنفك عشاقها سكرا
ضعائف لا تقوى قلوب ذوي النُهى		على هجرها حتى تموت به صبرا
وما أنا ممَّن يستلين فؤاده		وتفتنه الألحاظ في عقله سحرا
ولا بالذي يشجيه دارس مربعٍ		فيسقيه من أجفانها أدمعا حمرا
أأبكي لرسم دارس حكم البلا		عليه ودار بعد سكانها قفرا؟
وأصفي ودادي للديار وأهلها		فيسلو فؤادي ودُّ فاطمة الزهرا؟
وقد فرض الرحمن في الذكر ودُّها		وللمصطفى كانت مودَّتها أجرا[٣٧٨]

[٢٣] الشيخ حسين علي بن حسن البلادي القديحي: ابن مؤلف ((أنوار البدرين))، ولد سنة ١٣٠٢هـ، ودرس على يد والده مدَّة من الزمن، ثم ترحَّل إلى النجف وتتلمذ على يد علمائها.. له مؤلفات: كنز الدرر، رياض المدح والرثاء، مجمع الفؤاد، نزهة الناظر، معاد الدارين،

376 شعراء القطيف من الماضين، ص ٢٨١، ٢٨٢.

377 المصدر السابق، ص ١٧٦، ١٧٧.

378 المصدر السابق، ص ١٤٢.

المجموعة الحسينية، وغيرها.. اضافة إلى شعره.. توفي رحمه الله في الثالث عشر من ذي القعدة سنة ١٣٨٧هـ[٣٧٩].

[٢٤] الشيخ رضي ابراهيم المحروس: عاصر العهد التركي في معظمه، تلقى مبادئ العلوم في القطيف، ثم هاجر إلى النجف الاشرف، وبقي فيها ١٦ عاما، وتوفي سنة ١٣٥٢هـ، له ديوان شعر في شتى المواضيع، وله كتاب عن الزهراء عليها السلام، وعدد اخر من المؤلفات.. وكان الشيخ ذا شعبية كبيرة يدل عليها التشييع الضخم لجثمانه.

ومن شعره في الرثاء هذه الابيات من قصيدته المؤثرة المشحونة بالألم، والتي جارى فيها قصيدة الرثاء الشهيرة للسيد حيدر الحلّي التي مطلعها:

الله يـــا حـــامي الـــشريعة		أتقـــرُّ وهـــي كـــذا مروعـــه
بـــك تـــستغيث وقلبهـــا		لـــك عـــن جـــوى يـــشكو صـــدوعه
تـــدعو وجـــرد الخيـــل مـــصغية		لـــدعوتها ســـميعه
قال المحروس رحمه الله:		
الله يـــا حـــامي الـــشريعة		هـــذي قواعـــدها المنيعـــه
قـــد هـــدَّمتها آل حـــرب		يـــا لهـــا دهيـــا فظيعـــه
مـــا جـــاءك العلـــم المـــشوم		ألـــم تكـــن أذنـــاً ســـميعه
.. مـــاذا يهيجـــك والحـــسين		بكـــربلا ذبحـــوا رضـــيعه
مـــاذا يهيجـــك والخيـــول		بنعلهـــا طحنـــت ضـــلوعه
مـــن بعـــد مـــا قطعـــوا الكـــريم		فـــأيتموا تلـــك الرضـــيعه
مـــاذا يهيجـــك والعليـــل		مقيَّـــدا أبـــدى خـــضوعه
مـــن بعـــد مـــا هتكـــوا الخيـــام		بنـــارهم حرقـــوا ربوعـــه
فـــانهض علـــى خيـــ		ـــل مـــسوَّمة ســـريعة
.. ودعـــوا خيـــولكم تـــســ		ـــدُّ ثـــرى الأرض الوســـيعة
وخـــذوا بثـــأر رئيـــسكـــ		ـــم فأميَّـــة شـــربت نجيعـــه
يـــسري بهـــا الحـــادي علـــ		ـــى عطـــش مكـــشفة مروعـــه
أعلمـــت قـــد حملـــت حرائـــ		ـــركم علـــى بـــزل ضـــليعه؟[٣٨٠]

379 محمد العوامي، مصدر سابق، ص ٢٦.

380 شعراء القطيف من الماضين، ص ٢٢٢، ٢٢٣. انظر تفاصيل عن المحروس في الأزهار، جزء ٢، ص ١١٤.

[٢٥] الحاج يوشع بن حسين البحارنة ((ت ــ ١٣٠٣هــ)): أحد الأدباء والشعراء المرموقين، من شعره في الغزل:

زارت بليل على جنح من السَّحر		فأرَّج الربع منها نفحة العطر
أحيت من الشوق أيَّاماً قد اندرست		وعذَّبت أعيُن العشاق بالسهر
كان حاجبها قوس قد اتَّخذت		سهما به حتف من تغشاه بالنظر
كأن بين عقيق لؤلؤا نثرت		إذا تبلَّج منها الثغر بالسفر
حوريَّة لو رآها البدر سافرة		لجاء يسعى اليها سعي معتذر
فقلت وصلا رعاك الله فأبتدرت		تبدي العتاب فلم تبق ولم تذر
.. لله كم ليلة بتنا على طرب		ما بين روضٍ على بسطٍ من الزهر
نبيت تحسدنا الجوزا وتلحظنا		عين الرقيب، وعين الغفر والنسر[٣٨١]

[٢٦] الملاَّ عبد الله بن علي المادح: من الخطباء المعدودين، عاصر كامل العهد التركي، وتوفي سنة ١٣٤٥هــ، له كتاب ((سلوة الأخلاَّء)) وديوان شعر، منه:

يا صاحب الكرَّة الغرَّاء أرقبها		النصر يقدمها والبشر يعقبها
تقرُّ منَّا عيون طالما قذيت		وأنفس طال في الدنيا تغرُّبها
أشكو إليك رعاك الله نار جوى		قد كاد يأتي على الدنيا تلهبها
يرضيك أن العلى صرعى ضياغمها		وذمَّة الغي يرعى النجم أكلبها
آلت صوارمنا ألا نجرِّدها		إلا أمامك أو ينفلُّ مضربها
نفوسنا وموالينا وما ملكت		فهاهي اليوم قرباناً تقرِّبها
أيدي الخطوب أقصري عنَّا فقد بلغت		منَّا الشكاية ندبا لا يخيبُها[٣٨٢]

[٢٧] الشيخ محمد الزهيري ((توفي في ١٣٢٩هــ)): ولد في قرية ((الملاَّحة))، وتوفي والده بعد ولادته بفترة قصيرة، فتكفل به جده، وبعدها تولى أموره الحاج محمد عبد العزيز البيات. كان رحمه الله ينظم الشعر، وقد قطن مدَّة من الزمن في البصرة ثم الكاظمية إلى ان توفي فيها.. له ديوان شعر جمعه العلاَّمة الشيخ عبد الحميد الخطِّي، مع مقدمة ضافية عن حياة الشاعر[٣٨٣].

من شعره:

---

381 المصدر السابق، ص ١٢٨، ١٢٩. وانظر الأزهار، جزء ٦، ص ١١٥.

382 المصدر السابق، ص ٢٠١ــ ٢٠٢.

383 الأزهار الاجزاء ٢ من ص ١١٨ إلى ص ١٢٩. ٤ ص ١٢٢. والجزء العاشر ص ١٧٦.

يـــا عـــين جـــودي بانـــسكاب		لمـــــصاب آل أبـــــي تـــراب
وحـــــثاي ذوبـــــي بـــــاحتراق		واضـــــطرام واضـــــطراب
وفـــــؤادي المـــــضنى أفـــــم		مـــا عـــشت دهـــرك فـــي اكتئـــاب
وعلـــــيهم عنّـــــي إأذنـــــي		يـــا نفـــس حزنـــا بالـــذهاب

[٢٨] الحجّة السيد ماجد السيد علي السيد هاشم العوامي: احد مراجع الشيعة المقلّدين، وآخر بقيّة العهد الزاهر، آلت إليه زعامة المنطقة في القضاء والفتيا والسياسة.

ولد رحمه الله سنة ١٢٧٩هـ، وهاجر للنجف الأشرف طالبا العلم سنة ١٣٠٢هـ، وتعلّم على يد الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد العزيز آل سيف القطيفي، والمرجع الشيخ عبد الله المعتوق، حيث قرأ عندهما المقدمات من العربية والفقه والاصول.. كما تعلم عند العلامة الشيخ محمد بن عيثان الاحسائي، وحضر بحث الخارج لدى آية الله محمد طه نجف والمحقق السيد أبي تراب الخونساري، الذي شهد له بالاجتهاد.

وممن شهد له بالاجتهاد شيخ الشريعة الخونساري، والمرجع الأعلى للشيعة السيد محمد كاظم الطباطبائي وغيرهم.

حجّ رحمه الله سنة ١٣٦٦هـ، ورافقه بحجة جمهور كثير، ثم توجه مباشرة إلى العراق، وهناك وافته المنيّة سنة ١٣٦٧هـ، ودفن بجوار الامام الكاظم، موسى بن جعفر عليه السلام.

وكان لوفاته رنّة ألم وحزن منقطعة النظير، إذ كان اخر المراجع الذين وافاهم الحمام، فبقيت البلاد تندب مجدها الضائع، ولعلّ استعراض بعض ما رُثي به الحجّة السيد ماجد، ليس يكشف جانب الاسى والالتياع لفقده، وانّما أيضاً مكانته العظيمة في المنطقة [٣٨٤].

للشاعر خالد الفرج قصيدتان ترثيانه، إحداها في اربعينيته، وكان المرحوم خالد الفرج على صلة وثيقة بالسيد المرحوم وغيره، وقد شارك في مختلف المناسبات بقصائده الرنانة التي لم يعهدها النقاد له من قبل.. ولعل مراثيه تؤكد ما يرويه بعض المعاصرين من انه اعتنق المذهب الشيعي.

---

[384] الأزهار جزء ٢ من ص ٤٠ إلى ص ٦٨، وأعلام العوامية جزء ٢ من ص ١١١ إلى ص ١١٩.

قصيدة خالد الفرج الأولى[385]:

هل بالبكاء أو العويل		تُطفي الأوار من الغليل
كلاً وهل تشفى عصي		الداء أُنات العليل
ام هل تخف لواعج		الأشجان بالصبر الجميل
هيهات ان الصبر اجمع		ليس يغني من فتيل
يا ويلنا هل من سبيل		للعزا هل من سبيل
فالخطب أدهى ان يهون		عليّ من هذا القبيل
لكنه الأمر المحتّم		ردّه كالمستحيل
يا برق برق صواعق		الأرزاء لا برق المخيل

385 ذكرى حجّة الإسلام الامام السيد ماجد العوامي، للسيد محمد حسن الشخص، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٢٦٩هـ وآل ابي المكارم، ص ١١٦ ــ ١١٨ .

وإذا تكون مخائل … فمخائل الدمع الهطول
إنعب كما نعب الغراب … حيال دارسة الطلول
وقل الذي قد قلته … فالصاع ملأن المكيل
ان المصائب لا تعدد … بالكثير أو القليل
إن الرزايا لا تحدُّد … بالقصير أو الطويل
إن الخسارة لا تقوم … بالحقير أو الجليل
فالبحر يغرق منه عمق … الباع أو أعماق ميل
مات ابن هاشم ماجد … مات النبيل ابن النبيل
شخص يفدُّيه الشباب … نفوسهم قبل الكهول
كل النفوس تودُّ لو … ترضى المنايا بالبديل
مات الأب الحاني على … الشعب المضاع بلا كفيل
شعب غدا مثل اليتيم … بلا وصيٍّ أو وكيل
من للأرامل واليتامى … من لأبناء السبيل
من للمساجد والفتاوى … في الفروع وفي الأصول
يا هولها من ساعة … عمَّت بغاشية الذهول
أرأيتهم النجم الذي … قد غاب عن عين الدليل
والشمس غابت لن تعود … مضيئة بعد الأفول
هي تلكم الروح التي … غابت عن الجسم النحيل
يا ماجد الآباء والأجـ … ـداد من خير الأصول
الهاشمي ومن ذوي الغـ … ـرر المضيئة والحجول
يا ليتنا كنَّا شهدنا … يوم مشهدك المهول
يا ليتنا فزنا هنا … بنظرة قبل الرحيل
حيث الجسوم تشيع والأر … واح طائشة العقول
حيث العيون يصب منها الـ … ـدمع امثال السيول
حيث القلوب تدق دقَّ … أكف نائحة ثكول
وترى الثياب ممزقات … من جيوب أو ذيول
وترى الصدور كأنما … صبغت بألوان الأصيل
أوَّاه من ذاك الرحيل … مضيت فيه بلا قفول
يا خاتم العلماء في الـ … ـخط المرزا بالفحول

كنتم كأعلام الصوى		والغيث في البلد المحيل
كنتم كأعلام البناء		وقد هوى فوق النزيل
فختمتهم والأنبيا		ختموا بوالدك الرسول
قد كنت سلوتنا إذا		ما مات ذو علم جليل
وعمادنا في الحادثات		وكلٌ ذي حمل ثقيل
والمنهل العذب الذي		يجري كماء السلسبيل
والدوحة الكبرى لمن		يأوي إلى الظلِّ الظليل
وإذا الطريق تشعَّبت		تهدي إلى خير السبيل
والمشكلات تحلُّها		بالعلم في أهدى الحلول
والحجَّة الكبرى التي		تهوى على الغاوي الضليل
والآن تتركنا إلى		كرب من اليأس الوبيل
إن القطيف الآن أحـ		ـوج ما تكون إلى دليل
يا ربنا رحماك قد		عودتنا فعل الجميل
فمنن علينا بالعزا		وعليه بالأجر الجزيل

وقال خالد الفرج في قصيدته الثانية في أربعينية الحجة العوامي[386]:

إكليل شعر على قبر من النور		في القلب لا في أديم الأرض محفور
مضمَّخ بعبير الذكريات له		نشر يضوع بلا مسك وكافور
يضم جثمان فضل لا حدود له		باق على صفحات القلب مسطور
والذكريات ومَنْ هذا يعدِّدها		وهل تعدُّ بتقليل وتكثير؟
في المسجد الجامع الزاهي بطلعته		ذكراه في كل تهليل وتكبير
في مجلس الأربعا والجمع محتشدٌ		يصغي لأحكام آيات وتفسير
في تلكم الطلعة الغرَّا تفيض على		ذاك المحيَّا صفات ذات تأثير
ويا لذكراه في يوم الوداع ضحى		إذ الشوارع غصَّت بالجماهير
كأنهم أشفقوا من طول غيبته		فشيَّعوه بتقبيل وتوقير
وللمحبين إحساسٌ كأن لهم		علما من الغيب عنهم غير مستور
من السعادة إيتان المقادير		كأنها صدرت عن فعل تخيير

[386] المصدر السابق، ص ٤٩ ــ ٥١، وانظر أيضاً د العلي السيف، مصدر سابق، ص ١٠٤ ــ ١٠٨.

قدُست يا من أتمَّ الواجبات على ... خير الوجوه بتوفيق وتيسير
فزرت أجدادك الأطهار بعد قضا ... حجَّ الوداع على هدي وتقصير
واخترت مثواك في ارض زكت تربا ... في الكاظمية بين الولد والحور
مدثراً بالتقى والفضل مدرعاً ... من الأئمة في الجلّ المشاهير
ويا لهول مصاب الخط مزدوجا ... إذ متّ عنها بعيداً غير منظور
يا ماجد الاسم والأفعال كنت لها ... روحا وريحان أيام الأعاصير
فليتها أودعت في الارض فلذتها ... من بعد افخم تشييع وتقدير
بدمعة من تراب الخط ساربة ... تسقي رفات عظيم القدر مشهور
يشع منك على الأوطان نور هدى ... فيه المبارك من هدي وتنوير
الأربعون، وهل في الأربعين سوى ... معنى تعاقب اشراق وتغوير
أفي جمادى مقام اليوم أو صفر ... ما الفرق الا بتقديم وتأخير
رزء الحفيد كرزء الجدّ لو سلمت ... تلك الشهادة من ظلم وتحسير
حزن يجدّد في الاجساد لاعجه ... كالنار تخرج من أعماق تنور
تكاد تنفلق الأكباد من ألم ... وما النياحة منا غير تعبير
يا يومها إذ نعى الناعون ماجدها ... فأصبح الجمع فيها جمع تكسير
مثل السكارى حيارى في أزقتها ... من داخل السور أو من خارج السور
هل هزّت البلد المنكوب زلزلة ... ففرّ سكانها خوفاً من الدور
لا إنها نكبة كبرى يهولها ... وقع العجائب من فعل التقادير
فما هناك سوى باكٍ وباكيةٍ ... غدوا يهيمون فيها دون تفكير
قد لا يصدّقني من لا يشاهدهم ... والشعر يعجز عن وصف وتصوير
لو لا ابن آدم قاسٍ في مرونته ... لما تحمّل عبء الحزن كالطور
يا آل هاشم ماذا الدمع إنكم ... مطهّرون متى احتجتم لتطهير
وهل مصائبكم لا تنقضي أبداً ... وما سواهنّ يصفو بعد تكدير
لا تخلعون سواداً من ثيابكم ... الا على كفن في القبر مزرور
أهل القطيف لقد قمتم بواجبكم ... وكلّكم ما بين مبرور ومأجور
حملتم الصدمة الكبرى ونازلها ... من بالكويت إلى الاحسا إلى صور
تتلى بها سيرة بيضاء طاهرة ... نصائح بين منظوم ومنثور

ويضاف إلى هذه الشخصيات الدينية والأدبية، عدد آخر كبير منهم، بعضهم كان صاحب مؤلفات، والبعض الآخر كان من الخطباء أو العلماء الذين امتهنوا الوعظ والتدريس.. ومن هؤلاء الشيخ منصور بن علي المرهون ((١٢٩٤هـ ــ ١٣٦٢هـ)) الذي عاصر العهد التركي، ورأى النهضه العلمية وساهم فيها، وفي أواخر أيامه، وبعد أن رأى الانحدار الثقافي بسبب الضغوط الحكومية حاول تأسيس مدرسة دينية، فأمر ابن سعود باعتقاله هو وابنه الشيخ علي المرهوم، وارسلا إلى الرياض ليحقق الملك عبد العزيز معهما شخصيا، وأمضيا هناك مدّة في السجن، ولم يطلقا الا بالوساطات وبعد أخذ التعهدات، وقد تأثر رحمه الله بالحادث ومات بعد مدّة غير طويلة[٣٨٧].

ومن شخصيات المنطقة الملاّ حسن بن عبد الله الربيع، المتوفى سنة ١٣٦٢هـ، ولد في قرية ((الربيعية))، من تاروت وكان صديقاً للشيخ منصور المرهون وله ديوان معروف بـ ((الزهور الربيعية)) طبع عام ١٣٦١هـ.

ومنهم الحاج منصور بن محمد علي الجشي ((ت ــ ١٣٦٠هـ)) وله ديوان غير مطبوع.. ومنهم السيد حسن العوامي ((أخ السيد ماجد)) ولد سنة ١٢٧٨هـ، وتوفي سنة ١٣٥٨هـ، وقد تتلمذ على يد العلامة البلادي، ثم هاجر للنجف وتتلمذ على يد مجتهديها، الذين كان من بينهم المجتهد الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد العزيز القطيفي، وللسيد حسن شروحات وحواشي في المنطق والتوحيد والفقه، وتعليق على شرح منظومة السبزواري في الحكمة.

ومنهم السيد محفوظ العوامي، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ، وهو أيضاً اخ للحجّة السيد ماجد، وله شروحات في اللغة والأصول، كما ان له شعرا كثيرا في المديح والمراثي.

ومنهم الملاّ محمد آل نتيف، من أهالي قرية الخويلدية، توفي في البحرين سنة ١٣٧٢هـ، له ديوان مطبوع سمّاه ((عبرة المؤمنين)).

ومنهم الشيخ سليمان عبد الجبار، المتوفى سنة ١٣٦٢هـ، وكان رحمه الله من العلماء الابرار والفقهاء الاخيار، تلمذ على جماعة من فضلاء القطيف، كالمحقق الشيخ محمد بن عبد الجبار، والشيخ مبارك آل حميدان الجارودي. له مصنفات كثيرة منها ((النجوم الزاهرة في أحكام العترة الطاهرة))[٣٨٨].

---

387 ذكرى النور في حياة العلامة الشيخ منصور، الاستاذ محمد منصور المرهون. وانظر الأزهار، وشعراء القطيف من المعاصرين، ص ٢٤٢.

388 الأزهار، الجزء السادس، ص ١٢٨، ومن ص ١٦٢ الى ١٧٢. وانظر انوار البدرين، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

ومنهم الحاج حسين بن شبيب، المتوفى سنة ١٣٦٩هـ، له ديوان شعر في جزئين، طبعا في النجف الاشرف سنة ١٣٧٤هـ[389].

ومنهم العلامة الشيخ محمد صالح بن الشيخ احمد آل طعان ((١٢٨١ ـ ١٣٣٣هـ))، له العديد من المصنفات، منها منظومة في الاصول الخمسة، وله كتاب سمّاه ((ذرائع الآمال فيما يخص السنة من الاعمال))، وله ديوان شعر مخطوط[390].

ومنهم الشيخ أحمد الشيخ صالح القطيفي ((ت ـ ١٣٤٦هـ))، له مصنفات تربو على الأربعين، منها رسالة ((جامع الشتات في أحكام الأموات))[391].. الخ.

وهكذا ترى من الواضح القفزات العلمية للشيعة في العهد التركي، سواء من خلال استعراض اسماء العشرات من المؤلفات، أو من خلال كثرة الاسماء المتخصصة في مختلف العلوم والمعارف.. ولا يمكن لاحد ان يقارن ذلك العهد بالعهد السعودي الحالي، قياسا إلى هذين المؤشرين الواضحين.

وبالنسبة لعلماء السنّة في الاحساء، فان قراءة سريعة لكتاب شعراء هجر، تكفي لتبيان مستوى السموُ العلمي وريادة المنطقة شعرا وفقها وأدبا.

٧

الأمن في الاحساء والقطيف

(١٨٧١ ـ ١٩١٣)

قضية الأمن شغلت أهالي هذه المنطقة منذ زمن بعيد، فقد كان لتناثر الأماكن الحضريّة في صحراء قاحلة مترامية الأطراف، يرتادها الأعراب من كل جانب، بسبب وفرة المراعي، ولقربها من الواحات الغنيّة التي تلبّي احتياجاتهم المعيشية.. كان لهذا أثر كبير في بروز مشكلة انفلات الأمن، وطمع القبائل البدويّة في السيطرة على هذه الواحات الغنيّة.

وكانت بادية الاحساء، كما المراكز الحضرية الاخرى، مركز استقطاب للقبائل البدوية، أفرادا وجماعات، وإذا ما وجدت هذه القبائل الفرصة، فإنها تسيطر وتحكم المناطق الحضريّة، أو على الاقل تنهبها، وتهدّد استقرارها.. ذلك ان قوة البادية ليست قليلة، فمن حيث العدد كان البدو في تلك النواحي اكثر عددا من السكان الحضر إلى مطلع الثلاثينات الميلادية من هذا القرن.. ثم

---

[389] الأزهار، جزء الخامس، ص ١٦١ . وشعراء القطيف من المعاصرين، ص ٢٦١.

[390] أنوار البدرين، ص ٢٦٩، والأزهار، جزء ٥، ص ٧٩.

[391] أنوار البدرين، ص ٢٣٦. والأزهار، الجزء ١١، ص ١٧٧.

كانت للقبائل القابلية للسيطرة، بسبب وجود اللحمة والعصبية بين أفرادها، مما يوفّر لهم قوة كبيرة، بعكس المناطق الحضريّة التي تضعف فيها العصبيات.. ولذا لا تسلم المناطق الحضرية الا بوجود سلطة قوية ومنظمة بشكل كبير، بحيث تكون قادرة على التعاطي مع الانفلات القبلي بحزم.

وقد رأينا أن بني خالد سيطروا على الحكم في المنطقة سنة ١٠٨٠هـ، إلى ان أزالهم الحكم الوهابي السعودي سنة ١٢٠٨هـ، بعد أن حكموا اكثر من قرن وربع القرن.. وكان الحكم السعودي هو بداية الحكم الحضري المنظّم في نجد والاحساء، ولم يسبقهم في ذلك الا الاتراك اثناء تواجدهم في المنطقة ابان صراعهم مع الاستعمار البرتغالي.

وفي الدولة السعودية الثانية، لم يستطع السعوديون كبح جماح هذه القبائل البدوية، وتعتبر الفترة الممتدة بين ١٢٤٠هـ وهي السنة التي بدأ فيها الحكم السعودي الثاني، وبين سنة ١٢٨٨هـ وهي السنة التي إحتلّ فيها الاتراك المنطقة للمرة الثانية بعد الحرب الاهلية السعودية، تعتبر هذه الفترة الزمنيّة من أسوء الفترات التي تحكّمت فيها البادية بالمنطقة.

ففي هذه السنوات جاء العجمان اليها، وعاثوا فيها فسادا طوال الحكم السعودي، حتى أن بعض المؤرخين يلغي من الاساس وجود عهد سعودي ثان، لان فترة حكم السعوديون يومها كانت قصيرة جدا ومزعزعة، رغم ما اشتهر به الحكام السعوديونمن شدّة وغلظة في مواجهة القوى البدوية.. ويكفي دليلا على هذا أن الامير فيصل بن تركي الذي يعدّ أقوى حاكم في ذلك العهد، والذي وصف المؤرخون قسوته بأنها لا تعرف الحدود، لم يتمكن من القضاء على العجمان وآل مرة، رغم الذبح والتقتيل المستمر والغارات المتكررة على مضاربهم.

ولعلّ احمد بن مشرف، وهو احد مشايخ الوهابية في الاحساء، والذي كان على علاقة وثيقة مع السعوديين، كشف في ديوانه وقصائده كم كان الأمن مهددا في تلك السنوات.. فأكثر قصائد الديوان تضم التهاني والتحريض، تهاني بالانتصار على البدو، وتحريضا على افنائهم.

وهنا يهمّنا الالتفات إلى حقيقة ان السعوديين، يعتبرون توفير الأمن احد اهم مبررات حكمهم، في الماضي والحاضر، بل واعتبروا انفلات الأمن في الاحساء مبررا لاحتلالها واستخلاصها من الاتراك.

وسنقتطف هنا بعض الابيات الشعرية من قصائد ابن مشرف لتوضيح الأوضاع الأمنية في عهد السعوديين قبل مجيء الاتراك.

في سنة ١٢٧٥هـ قال ابن مشرف مستنهضا فيصل بن تركي آل سعود لقتال الأعراب، قال على لسان حبيبته النجديّة التي قطعت علاقتها به، وقالت أنه في بلد مخوف:

أنا في رُبى نجد وأنت ببلدة		أحاطت بها الأعداءُ من كل جانب
يغيرون في أطرافها وسُرُوحها		جهارا ولا يخشون سوطا لضارب
فكم قعدوا للمسلمين بمرصد		وكم أفسدوا في سُبلها بالنهائب
يقولون سيروا إن ظفرتم بنهبة		على رسلكم لا تحذروا درك طالب
وإن تسفكوا فيها الدماء فإنها		لكن هدر لا تحذروا من معاقبِ
.. فقل لإمام المسلمين وسِرْ له		بنفسك أو بلّغه مع كلّ راكب
وأنشده إن أحسست منه تثاقلاً		إذا لم يسالمك الزمان فحاربِ
وشُنَّ على الأعراب غارة مُحَنق		وأنهلهم صاب الرّدى بالمصائب
ومزّق جماعات الضلال وحزبه		بريح سموم من لظى الحرب حاصبِ
وجرَّ عليهم جحفلا بعد جحفلِ		وضيّق عليهم أرضهم بالمقانب
.. فان أنت سالمت العدوَّ مخافة		فأيسر ما تلقاه بول الثّعالب[392]

وقال قصيدة أخرى في فيصل سنة ١٢٧٨هـ، يمتدحه:

إذا أفسد الأعراب في أي موطن		أغار عليهم بالجيوش وأنجدا
فلما بغت حرب على الناس واعتدوا		رماهم بحرب منهم الشّمل بدّدا
وولّوا سراعا هاربين كأنهم		نعام تراهم في المفاوز شرّدا
فحسبك من أيّام نصرٍ تتابعت		على يده ذلّت بها سائر العدى
وكفّت بها الاعراب عن سوء فعلهم		ودان بها وانقاد من قد تمرّدا
فكم قد أخافوا السُّبل من قبل غزوه		وكم ريّس منهم أغار وأفسدا
فأضحوا عن المال النّفيس أعفّة		ولو نظروا في الطرق دُرًا وعسجدا[393]

وله قصيدة ثالثة يهنيء فيصل بن تركي على انتصار ابنه عبد الله على الاعراب سنة ١٢٧٥هـ، فقال:

392 ديوان الامام احمد بن علي بن مشرف، اعتنى بالطبعة عبد الله بن ابراهيم الانصاري، المكتبة العصرية، لبنان، غير مؤرخة ص ٢٢، ٢٤، ٢٥.

393 المصدر السابق، ص ٤٢، ٤٢.

.. قد سرّنا ما جاءنا من بشارة		فزالت هموم النفس وانشرح الصدرُ
.. فصبّح قوماً بالصبيحية أعتدوا		وقادهم للبغي مَنْ شأنُه الغدرُ
فروّى خدود المرهفات من الدّما		كما قد روت منها المثقّفة السُمرُ
فغادر قتلى يعصبُ الطير حولها		وشبعٌ منها النُسر والذيب والنُمرُ
قبائل عجمان ومنهم شوامر		ومن لحسين ينتمون وما برُّوا
وطائفة مريّة غير عذبة		خلائقها بل كُل أفعالها مُرُّ
أساؤوا جميعا في الامام ظنونهم		فقالوا ضعيف الجند في حزمه حصرُ
نغيرُ على بلدانه ونخيفها		ليعرفنا الوالي وينمو لنا الوفرُ
فان لم نُصب ما قد أردنا فانه		صفوح عن الجاني ومن طبعه الصبُرُ
وقد قسموا الاحساء جهلا بزعمهم		لعجمانها شطرٌ وللخالدي شطرُ
كذبتم فهجر سورها الخيل والقنا		ومن دونها ضرب القماحد والأسرُ
فقل للبوادي قد نكثتم عهودكم		وذقتم وبال النكثِ وانكشفَ الأمرُ
ولا تبن للاعراب مجدا فإنهم		كما قيل أوثانٌ لها الهدمُ والكسرُ
إذا أودعوا النُعماء لهم يشكروا لها		وإن رُمت نفعا منهم ابداً ضرّوا[٣٩٤]

وقال ابن مشرف بعد معارك أُخرى مع الأعراب، مادحا فيصل سنة ١٢٧٧هـ:

394 المصدر السابق، ص ٥٩، ٦٠.

تقول لاعداء بنا قد تربّصوا		عليكم أديرت سيئات الدّوائر
ألم تنظروا ما أوقع الله ربّنا		بعجمانكم أهل الجدود العوائر
بأول هذا العام ثم بعجزه		بأيام شهر الصوم إحدى الفواقر
.. إذا وردوا الاحساء يرعون خصبها		وفي برّها نبت الرياض الزواهر
وكم أحسن الوالي اليهم ببذلهِ		وبالصفح عنهم في السنين الغوابر
وكم نعمة أسدى لهم بعد نعمةٍ		ولكنه أسدى إلى غير شاكر
ومن يصنع المعروف في غير أهلهِ		يلاقي كما لاقى مجير أمّ عامر
فمدوا يد الآمال للملك واقتفوا		لكلّ خبيث ناكث العهد غادر
هموا حاولوا الاحسا ومن دون نيلها		زوال الطُّلى ضرباً وقطع الحناجر
.. فوافق في الوفرى جموعاً توافرت		من البدو أمثال البحار الزّواخر
سيعا وجيشاً من مطير عرمرما		ومن آل قحطان جموع الهواجر
.. فصبّح أصحاب المفاسد والخنا		بسمر القنا والمرهفات البواتر
.. فولّى العدا الأدبار إذ عاينوا الرّدى		بطعن وضرب والظّبا والخناجر[٣٩٥]

وبعد غارات بدوية سنة ١٢٧٦هـ، كتب ابن مشرف قصيدة استنهاض لفيصل جاء فيها:

قومٌ من الأعراب من جهلهم		قد خرقوا الدين ودست الكمامْ
وقطعوا السُبل وعاثوا بها		وحلّوا سفك الدماء الحرامْ
عادات سوء رضعوا ثديها		فاستصعبوا بعد الرضاع الفطام
والذئب قد يعدو على غرّة		في غنم الراعي لها إذ ينامْ
.. يا راكبا من أرض هجر ضحى		إن رُمت نجدا فالرياض الامام
أنخ قلوصيك لدى قصرها		وبلّغ الوالي أتمّ السلامْ
وقل له إنّ جهاد العدا		في ضمنه العز ونيل المرامْ
ما جرّد الصمصام ذو همّة		عند اعوجاج الأمر الا انتقام
فبالاماني لا ينال المنى		لأنّها تشبه حلم المنامْ
والمجد لا يدركه مولع		بلثمة الحسناء ذات اللثامْ
فثب وثوب الليث نحو العلا		وبادر الخصم بسلّ الحسامْ
وحكم السياف بمن قد عتا		ينقاد للحق ألدّ الخصامْ[٣٩٦]

395 المصدر السابق، ص ٦٢، ٦٣.

396 المصدر السابق، ص ١٢٩، ١٢٠، ١٢١.

وهناك قصائد اخرى كثيرة نكتفي بما نقلناه منها.

والسؤال هو، إذا كان الحكام السعوديون، ومع ما اشتهروا به من قسوة وقمع للبدو، لم يتمكنوا من انهاء غوائلهم، فكيف بحكم الاتراك الذي لم يكن يعتمد على القوة العسكرية، وانما على هيبة موهومة ثبت من خلال الاحتكاك أنها تخفي وراءها قصورا وضعفا؟

بل حتى ابن سعود نفسه لم يأمن شرور البادية، الا بعد توطينها، وكان العجمان آخر من توطنوا ــ أو أُرغموا على الاستيطان في الهجر ــ، ومع ذلك قاموا بثوراتهم إبان ثورة الاخوان وكانوا عماد قوتها، وكانت نهاية البادية الحقيقية في يناير ١٩٣٠، حينما تُمت تصفية الجيش السعودي (الاخوان) وإلى الابد.

وقد حاول العجمان تدمير الحكم السعودي في الاحساء، بعد سنتين من سيطرة ابن سعود عليها، فقاتلوا الاخير وقتلوا اخاه سعدا، وجرحوه شخصيا، بل وحاصروه عدّة أشهر في الهفوف.. ولذا لا يعتبر انفلات الأمن في الاحساء أواخر العهد التركي، سبّة عار للاتراك، ولا مبرّرا لحكم السعوديين، دون اللجوء إلى زيادة القوة العسكرية.. ولولا تدخلات ابن سعود والانجليز، لما اختلّ الأمن في المنطقة، حتى في نهاية الحكم التركي، وسنوضح ذلك في الصفحات التالية.

الأمن في الاحساء ١٨٧١ ــ ١٩٠٢

وهي مدة ٣١ عاما، نعمت المنطقة خلالها بالأمن والسلام، فانعكس ذلك على رخائها الاقتصادي، وانتعشت الحركة الثقافية والعلميّة والأدبيّة فيها إلى حد كبير ومذهل.. ولم تكن هناك حوادث ذات أهمية تخلّ بالأمن والنظام، رغم أن الانجليز سعوا طوال تلك السنين إلى خلق المشاكل والتعرُض لهيبة الدولة العثمانية، إذ أن أطماعهم في السيطرة على الاحساء والقطيف قديمة.

ففي عام ١٨٣٣، كان لمقيمية بوشهر مقيم وطني في القطيف، وفي سنة ١٨٦٤ افتتحت اول وكالة تجارية تابعة لمواطني الهند ــ البريطانية ــ فيها، وقد تمُ ذلك في عهد السعوديين أنفسهم.. وحاول تجار الهند البريطانية في البحرين وباصرار تعزيز مراكزهم في القطيف بشكل خاص، وطالبوا بتعيين وكيل قنصلي بريطاني فيها.. ولمّا استولى العثمانيون على الاحساء شرع البريطانيون في عامي ١٨٧٣ و ١٨٧٤، بمسح سواحل الاحساء، حيث ارسلت السفينةً (كونستانس) لأجل تنفيذ مهمّة استعمارية بالدرجة الاساس[٣٩٧].

[397] ناصر الفرج، مصدر سابق، ص ١٤، ١٥.

لقد بادر الانجليز إلى ممارسة شتى الضغوط على القوات التركية في الاحساء، سياسيا وعسكريا، واقتصاديا.. وقد رأينا كيف أنهم قاموا بمضاعفة الضرائب على البضائع المصدَّرة من البحرين إلى مينائي القطيف والعقير.. وحينما حاولت القبائل التعرُّض للنظام ووجهت يد قامعة، سيَّما وانها قد خرجت للتوّ جريحة من الحرب إلى جانب السعوديين الذين انتهى شأنهم، وقد ساعد في التخفيف من غلوائها، الاعطيات التركية التي تعوِّضهم إلى حدٍّ ما عن النهب.

لهذا اتجهت هذه القبائل فيما بعد لمهاجمة رعايا الانجليز من البحرانيين بوجه خاص، فبين عامي ١٨٧٨ ــ ١٨٨٠، لمع اسم زيد بن محمد من قبيلة الهواجر كقرصان خطر، حيث استولى على القوارب والسفن التجارية، وأخذ يروِّع بأعماله العدوانية الآمنين، وكان نشاطه متركزا قبالة سواحل القطيف، معتمدا في ذلك على اتباعه من بني هاجر، وآل مرّة، وبعض أفراد قبيلة العجمان، بزعامة (منصور بن منيخر)، الأمر الذي سبب في تأزيم العلاقات بين بريطانيا والدولة العثمانية، لأن معظم السفن المنهوبة تخصُّ البحرين، أو رعايا آخرين للانجليز[٣٩٨].

ويبدو أن الاتراك لم يكونوا مهتمين بالأمر، طالما أن القراصنة يوجهون اعتداءاتهم ضد الانجليز ورعاياهم، ولعلَّهم رأوا ان هذه الافعال تصبُّ في صالحهم من حيث أنها تسبب المشاكل لأعدائهم، وتشغلهم عن التفكير في اقلاق المنطقة الاحسائية. لهذا كان التجاهل التركي للطلبات المتكررة بايقاف القراصنة عند حدِّهم واضحا.. ووصل الأمر أن رفض والي البصرة ــ عبد الله باشا ــ العرض البريطاني بتزويد السلطات العثمانية في الاحساء بقوات نظامية تقضي على قطاع الطرق!

تبع هذا أن قامت السفن البريطانية بين عامي ١٨٧٨ ــ ١٨٧٩ بالاقتراب من موانئ الاحساء والقطيف، وازعاج الاهالي العاملين في صيد اللؤلؤ.. وفي عام ١٨٧٩ اسرت سفينة بريطانية سفينة أهلية، ثم ما لبث أن أصدرت السلطات البريطانية في عام ١٨٨١ لقائد بحريتها في الخليج بدخول مياه القطيف، وتعقُّب السفن الأهلية، وان لا يتقيَّد بمسألة السيادة العثمانية عليها[٣٩٩].

وفي العامين ١٨٨٧ ــ ١٨٨٨، وحينما نشطت اعمال القرصنة، وتعرضت لسفن أهلية، قام قارب عثماني بتوجيه إنذار للمتمردِّين، وقامت الدولة العثمانية بإنشاء قاعدة عسكرية صغيرة في رأس تنورة لمراقبة الوضع، فتوقفت أعمال القرصنة، الا تلك الموجهة لرعايا الانجليز.. وفي العام التالي ١٨٨٩، أعطت السلطات البريطانية الضوء الاخضر لزايد بن خليفة، حاكم ابو

---

398 د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ٢٠١.

399 العرب، دراسات في التاريخ الحديث المعاصر، د. رأفت غنيمي الشيخ، ط ١٩٨٢، ص ٤٩.

ظبي، ليغير على ميناء العقير بالاشتراك مع بعض افراد قبيلة المرّة[400]، إلا ان الهجوم فشل، ولقّن الاتراك المهاجمين دروسا قاسية.

في هذه الأثناء، كان الصراع بين آل خليفة في البحرين اثره في تأجيج القرصنة ضد الرعايا البريطانيين.. فقد خلف أحمد بن سلمان آل خليفة، وهو احد افراد الاسرة الحاكمة، وأمه من بني هاجر، خلف القرصان زيد بن محمد، وحشد جماعات من قبيلة أمّه لمهاجمة سفن البحرين نكاية بخصومه السياسيين، وقد احتجت بريطانيا على ذلك، واضطرت في فترات لاحقة المعتمد البريطاني في البحرين (الكابتن بريدو) أن يقوم برحلتين شراعيتين، استغرقت كل واحدة أربعة ايام في عرض البحر، بحثا عن ذلك القرصان، الذي حكم عليه العثمانيون غيابيا بالسجن مدة ١٥ عاما وذلك عام ١٨٩٣.. ثم زار بريدو القطيف، وقدّم للقائمقام العثماني احتجاجه على اعمال القرصنة، ويبدو أن السلطات البريطانية لم تكن مقتنعة بجديّة الاتراك في القبض عليه، خاصة إذا علمنا انهم قبضوا عليه، ولكنه إدعوا بأنه هرب من أيديهم[401].

وفي عام ١٨٩٦ جرت احداث مقلقة في الكويت، انعكس منها القليل على الاحساء.. ففي ذلك العام قام مبارك الصباح بقتل أخويه، حاكم الكويت محمد، والآخر جراح، واستولى على السلطة. وكانت اليد البريطانية ظاهرة واضحة في عملية الاغتيال، ذلك ان الحاكم محمد رفض مرارا عروض التحالف البريطانية لمنع تمدد النفوذ الألماني إلى الخليج عبر الخط الحديدي الذي كان مزمعا انشاؤه، وقد عرضت بريطانيا على حاكم الكويت سنة ١٨٩٥ التحالف، الا انه كان صادق الولاء للعثمانيين، مما أدّى إلى مقتله[402].

ورغم ارتياب الاتراك في ان عملية وصول مبارك إلى الحكم كانت انجليزية، الا انهم تظاهروا بالحياد، واصدروا فرمانا بتعيين مبارك قائمقاما على الكويت، خوفا من أن تكون مواجهتها له دافعا لارتمائه اكثر في الاحضان الانجليزية. لكن مبارك لم يبحث عن مبرر، ولم يهتم بالتملّق العثماني، وراح يجري اتصالاته الصريحة مع غرماء الاتراك، وكانت عيون الاخيرين ترقبه من البصرة، فلوّحوا له بعصا التهديد، وحينها احتضنه الانجليز، وهيّأوا انفسهم لمساعدته، وأرسلت تركيا سفينة حربية لتهديده، فما كان منه الا ان وقع اتفاقية حماية في يناير ١٨٩٩، وحُسم الصراع لصالح الانجليز[403].

---

400 كيلي، مصدر سابق، ص ٢٩٥.

401 د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ٢٠٤.

402 خالد السعدون، مصدر سابق، ص ٢٠.

403 المصدر السابق، ص ٢٢، ٢٤.

ترتب على عملية اغتيال امير الكويت وأخيه، ان قاد يوسف الابراهيم ((صهر المقتولين)) وبدعم من أبناء المقتولين، المعارضة ضد حكم مبارك، حيث خرج الجميع من الكويت لقيادة تلك المعارضة من البصرة حينا، ومن حائل والهند حينا آخر، ومن قطر حينا ثالثا.

ففي ٢٩ / ١ / ١٣١٥هـ ــ ١٨٩٧، ذهب يوسف الابراهيم والشيخ خالد بن الشيخ محمد الصباح إلى قطر للاستنجاد بالشيخ قاسم الذي يحمل عداء لمبارك، فقام الاخير باعداد حملة بحرية لمجابهة حاكم الكويت، فعلم الاخير بالأمر، وكتب إلى صديقه متصرّف الاحساء ــ سعيد باشا ــ شارحا الامر ومقدّما الهدايا. وقد ارسل سعيد باشا إلى متسلّم البصرة محسن باشا ــ والذي اصبح صديقا حميما لمبارك ــ يوضح له نوايا قاسم من إثارة الفتنة ضد مبارك، حيث وصف الاخير بأنه مطيع للدولة!.

لهذا سيّر محسن باشا قوة عسكرية حملتها الباخرة زحاف، ومعها السيد رجب النقيب، ومدير الاملاك السنيّة محمد علي، بغرض تهدئة قاسم، وقد نجحوا في ذلك.. ولما علم يوسف الابراهيم ان متصرّف الاحساء سعيد باشا هو الذي افشل الخطة، دعا اليه رجلا من اهالي الجنوب، يقال له ((عبد الرحمن بن سلامة))، واعطاه اربعين بندقية، وخمسين كيسا من الأرز، ومقدارا من النقود، وطلب اليه اثارة قبائل المرّ والعجمان وبني هاجر ضد المتصرف[٤٠٤].

وفعلا اثارت هذه القبائل الفتن واعتدت على احدى القوافل، فأدّبها سعيد باشا بحزم.

بعدئذ، قام يوسف الابراهيم باعداد مضبطتين وقّعهما رؤساء جميع القبائل المحيطة بالاحساء، يشكون فيها جور المتصرف، ويعزون فيها اسباب اخلالهم بالأمن إلى تعسف سعيد باشا وظلمه، وقد ارسل يوسف الابراهيم نسخة من المضابط إلى مشير بغداد والاخرى إلى محمد انيس باشا في البصرة، غير ان مبارك استطاع مصادرة المضبطتين قبل وصولهما، وكتب إلى سعيد باشا يشرح له المكيدة مع اصل المضبطتين، فشكره سعيد على يقظته، وكان ذلك في صفر ١٣١٥ هـ ــ ١٨٩٧[٤٠٥].

وبعد ان وقع مبارك معاهدة الحماية مع بريطانيا في ١٨٩٩، استاء السلطان عبد الحميد كثيرا، وكتب محتجًا في سبتمبر ١٨٩٩ إلى السفير البريطاني في عاصمته، بانه لن يتنازل لأحد عن البصرة أو الكويت أو البحرين أو القطيف[٤٠٦].

---

404 عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥١، ١٥٢. وانظر الشيخ حسين خلف خزعل، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٣٥، ٣٦.

405 عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٥٢.

406 خالد السعدون، مصدر سابق، ص ٢٥.

ومعلوم انه في نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت السلطة البريطانية معززة قويّة.. ففي البحرين كان آل خليفة يفقدون تدريجيا صلاحياتهم، حتى في الشؤون الداخلية، عدا مسألة اعلان الحرب ضد الاغلبية الشيعية في الجزيرة ــ السكان الاصليين ــ، وقد سبق ان وقعت البحرين معاهدة حماية مع بريطانيا في عام ١٨٨٠، وفي عام ١٨٩٢ لحقت كل من ابو ظبي، ودبي، ورأس الخيمة، والشارقة، وعجمان، وأم القوين، بالركب.. وقبلهم جميعا إلتحق حاكم مسقط، وبعدهم ألحق حاكم الكويت.. وفي عربستان كان هناك الشيخ خزعل، حامي الأملاك البريطانية.. وفي البصرة يوجد آل النقيب ((رجب، ثم طالب)) اصدقاء الانجليز الذين سهّلوا فيما بعد احتلال البصرة رسميا!.. أما قطر، فقد كان الشيخ قاسم في نهاية القرن التاسع عشر أكثر قربا ــ من الناحية العملية ــ للانجليز منه إلى الاتراك ــ أصحاب السيادة الاسمية ــ. وهكذا لم تبق الا الاحساء والقطيف، بعيدة عن متناولهم، فدفعوا بالقبائل لازعاجهما.

في عام ١٨٩٩ استولى بدو الهواجر على اموال تجار الاحساء، مما جعل سعيد باشا ــ المتصرّف ــ يهتم كثيرا للأمر هذه المرة ــ خلافا للمرات السابقة ــ فأرسل قواته لمهاجمة الهواجر، واستولى على ابلهم وأسر عددا من شيوخهم، ثم قام بدفع تعويضات لتجّار الاحساء المتضررين، ولكنه لم يعوّض تجار البحرين، الأمر الذي أدّى إلى إحتجاج البريطانيين[٤٠٧].

وفي أواخر عام ١٩٠٠ قام افراد من قبيلة المرّة بقتل الشيخ سلمان بن دعيج آل خليفة، بالقرب من مدينة القطيف، ونهب المهاجمون ممتلكاته.. ويبدو أن السلطات العثمانية لم تأبه للأمر، باعتبار ان آل خليفة اعداؤها.. ويومها طلب الانجليز من الاتراك التحقيق في الامر ومعاقبة القتلة ودفع الفدية، وحاولوا في السنوات الاربع اللاحقة الاستفادة من الحادث لصالح سياستهم الرامية إلى التدخل في شؤون الاحساء.

من جانبها، منعت الحكومة البريطانية شيخ البحرين من اتخاذ خطوات شخصية للحصول على الفدية، وحثته على انتظار نتائج التحقيق، وكان هدفها الرئيسي عدم اثارة مسالة السيادة على المناطق التي تقطنها قبائل بني مرّة.

وحين طرح ((راتسلو)) القنصل البريطاني في البصرة الامر على والي البصرة، سمع منه نفس الاعذار التي كان يبديها متصرّف الاحساء. وقال الوالي ان لديه: ((أوامر دائمة وثابتة تقضي باعتبار البحرين من الممتلكات التركية، وان يتجاهل حق الممثلين البريطانيين التحدّث باسم شيخ البحرين))[٤٠٨].

---

407 د. محمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ٢٠١، ٢٠٢.

408 الوثيقة ((FO.416 16)). من راتسلو إلى السفير البريطاني في القسطنطينية، في التاسع والعشرين من يوليو ١٩٠١.

وفي اغسطس ١٩٠١، كتب المقيم السياسي البريطاني في بوشهر ((كمبال)) رسالة إلى حكومة الهند، يقول فيها:

((لقد مضى ما يقارب من الثمانية اشهر على وقوع الجريمة، ومما لا شك فيه انه كان بامكان السلطات التركية في الاحساء ــ لو أرادت ــ ان تحل هذه القضية حلا كليًا أو جزئيا. ولذلك اقترح ارسال سفينة حربية إلى القطيف في اسرع وقت ممكن، وان يؤمر قائدها بابلاغ المسؤول التركي هناك بانه جاء للاستفسار عن الخطوات التي تتخذ لمعاقبة مرتكبي الجريمة ــ جريمة مقتل سلمان بن دعيج آل خليفة ـــ. فاذا اجاب المسؤول بانه لا يعلم شيئا عن الموضوع، فيطلب منه ان يحيل القضية إلى متصرِّف الاحساء، الذي يتوجَّب على قائد السفينة انتظار جواب منه))!.

والهدف بالطبع من ارسال السفينة، هو استعراض العضلات، لهذا يتابع المقيم قائلا:

((علمت انه لم تزر سفينة حربية بريطانية القطيف منذ عدَّة سنوات، وان زيارة تقوم بها سفينة في هذا الوقت، ربما يكون لها اثر جيِّد))[٤٠٩]!

وحتى أوائل عام ١٩٠٤ كانت السلطات البريطانية تستغلُّ جاهدة الحادثة للتدخل، وربما لم يهدأ لها بال الا بعد ان ابلغ وزير الداخلية التركي بريطانيا بأن القتلة قُتلوا في تصادم مع القوات الحكومية العثمانية في الاحساء، وبعد ان طلب من بريطانيا اعتبار الموضوع منتهياً.

فقد ارسل السفير البريطاني في القسطنطينية إلى وزير الخارجية في فبراير ١٩٠٤، معلقا على حادثة مقتل الشيخ سلمان دعيج آل خليفة: ((أن وزير الداخلية العثماني يجد نفسه مضطرا للتصريح بانه من المستحيل في الظروف الحالية أن تتمكن السلطات الحصول من القبيلة التي ينتمي اليها القتلة على المبالغ التي يطالب بها شيخ البحرين دية، أو على قيمة الاملاك المنهوبة.. فالقبيلة انسحبت إلى داخل الصحراء بعيدا عن متناول السلطات)).. وتابع السفير قوله انه ((طبقا لكلام وزير الداخلية، فان قتالا وقع بين القوات التركية، وبين ابن مكياره ((Ben mekiarih)) ورفاقه، وجميعهم ينتمون إلى القبيلة المذنبة، ويعتقد اعتقادا جازما بأن جميع القتلة المفترض اشتراكهم في قتل الشيخ، قد لاقوا حتفهم في ذلك القتال. ثم طلب الوزير من حكومة صاحب الجلالة ان تعتبر هذا الموضوع بحكم المنتهي))[٤١٠].

---

409 الوثيقة ((FO. 416 16)). من المقيم كمبال إلى حكومة الهند في ١٢ / ٨ / ١٩٠١.

410 الوثيقة السابقة، رسالة من السفير البريطاني في القسطنطينية، رقم ١١٥، إلى وزارة الخارجية في ٢٢ / ٢/ ١٩٠٤.

وهكذا نرى ان الاخلال بالأمن في المراحل الاولى من حكم العثمانيين للاحساء، كان محدودا وخارج الحواضر، والأهم من ذلك انه كان موجُها للسلطات البريطانية ورعاياها.. لكن الامور تغيُرت بعد سيطرة ابن سعود على الرياض عام ١٩٠٢.

عودة السعوديين إلى الحكم

كانت وقعة ((المليداء)) سنة ١٣٠٨هـ، بين محمد بن عبد الله الرشيد وبين عبد الرحمن الفيصل، آخر معركة فاصلة وحاسمة للحرب الأهلية السعودية في نجد، حيث استولى ابن رشيد على الرياض، بعد ان قتل من الجند السعودي حوالي ألف رجل، مما أثار سخطا كبيرا لدى النجديين خصوصا أهالي القصيم، وكانت المعركة قد نشبت بسبب محاولة عبد الرحمن الفيصل التمدُد خارج اسوار الرياض، للسيطرة على مناطق ابن الرشيد، رغم العهود والمواثيق الموقعة بين الطرفين.

وهرب عبد الرحمن الفيصل متجها شرقا، وأراد الاقامة في الاحساء أو في جوارها، ولكن عاكف باشا متصرف الاحساء، رفض ذلك[411]، فأراد عبد الرحمن البقاء مع العجمان، الا ان الأخيرين رفضوا ذلك، لان لجوءه اليهم يعدُ استفزازا للعثمانيين.

واتصل عبد الرحمن بحاكم الكويت، ولكن الاخير ابى ان يقيم عنده، فارتحل بعد ان ارسل إلى البحرين عائلته، إلى قبيلة مرّة، ثم كتب لشيخ قطر فقبل ان يقيم معه لاجئاً، ثم ما لبث ان أمرت الدولة العثمانية الشيخ قاسم بابعاده، وأخيرا كتب متصرف الاحساء للامير السعودي يستدعيه، فبقي في الاحساء وعينه على الكويت، وبعد لأي طويل، وافق الاتراك على ترحيله إلى الكويت، وان يعيش على راتب من الدولة العثمانية قيل أنه ٣٣ ليرة، أو ٦٠ ليرة سنويا، وأوعزت الحكومة إلى ابن صباح بالموافقة فوافق[412].

وتدُعي بعض المصادر السعودية، ان متصرف الاحساء عرض عليه امارة الرياض، وان يدفع للدولة العثمانية الف ليرة سنويا، ولكنه رفض لانه لا يقبل وصاية الاتراك!، ولكن هؤلاء يتناسون الراتب الذي راح يقبضه من العثمانيين بعد ان لجأ إلى الكويت، وظل يستلم ذلك الراتب حتى بعد احتلال ابنه للاحساء، أي حتى نهاية عهد الامبراطورية العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولى.

---

411 الزركلي، مصدر سابق، ص ٦٤.

412 المصدر السابق، ص ٦٧. وآل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٨٠. وخالد السعدون، مصدر سابق، ص ٤١، ٤٢.. الخ.

غير ان جلال كشك يقدّم تفسيرا صحيحا هو ان الاهالي والقبائل لم يكونوا يقبلونه، وقال عبد الرحمن أن ((القبائل صارت خائنة))[٤١٣].

على اية حال بقي آل سعود في الكويت حتى عام ١٩٠٢، وفي عام ١٩٠١ تعاونوا مع مبارك في قتال ابن الرشيد، فوقعت معركة الصريف التي هزم فيها الجند الكويتي هزيمة نكراء، ولم يوقف ابن الرشيد عن احتلال الكويت سوى نزول المدافع البريطانية عند الساحل الكويتي، وسوى أوامر والي البصرة محسن باشا الذي اصر على ابن الرشيد بالعودة.

في الكويت تعرّف عبد العزيز وابوه عبد الرحمن على الانجليز ووثقا صلتهما بهم، وكان مبارك قد قضى للتو على اخويه الحاكمين وقتلهما، ثم راح يغري السعوديين بالقيام باعمال ضد ابن الرشيد، مستفيدا من وجود السعوديين من ضيافته، وذلك لتحقيق طموحه من حكم الجزيرة العربية، فأتفق السعوديون في الكويت مع قبائل المنتفق وقبائل اخرى مقيمة شمالي الكويت بغزو اراض تابعة لابن الرشيد، وكانت كل الدلائل تشير بوضوح إلى ان الحاكم السعودي يرتكب تلك الاعمال متواطئا مع شيخ الكويت[٤١٤].

ومن المعلوم ان مبارك كانت تربطه علاقة شخصية مع عبد العزيز، حيث يتفق المؤرخون ان مبارك علّم ابن سعود فن السياسة، وان الكويت كانت له مدرسة[٤١٥]، ولا شك ان عبد العزيز، ومنذ ذلك الحين، كان على علاقة مع الانجليز، سواء عن طريق المقيم البريطاني في بوشهر، أو عن طريق مبارك الصباح نفسه، الذي كان يعتبر ابن سعود ولده، فيكتب إلى ((ولدي))، بينما يرد عليه الولد إلى ((والدي))!!.

في نوفمبر ١٩٠١ ترك ابن سعود الكويت بعد ان تجهّز منها ومعه اربعون رجلا ــ كما ينقل المؤرخون السعوديون ــ إلى الجنوب حيث الاحساء، وفي الطريق اجتذب عددا من البدو الذين يميلون إلى النهب، واستطاع ان يغير على عدد من القبائل، وصارت بادية الاحساء مركزا لتحركه للتشويش على الاتراك وابن رشيد معا، ثم ((لحق به طلاّب الكسب، وذاع الخبر بأن ابن سعود يغزو، واقبلت جماعات آل مرّة وسبيع والسهول يحدو أكثرها الطمع بمغانم الغزو)).

أغار عبد العزيز ــ ابن سعود ــ بهؤلاء على ابيات لقحطان من أعوان ابن رشيد فغنم وعاد إلى اطراف الاحساء، وفيها المتصرّف، فتموّن وقصد جماعة اخرين من قحطان، وهاجم فريقا

---

[413] السعوديون والحل الاسلامي، جلال كشك، واشار الدكتور محمد عرابي نخلة إلى الامر بلفظة اخرى، قائلا بأن عبد الرحمن برّر رفضه ((لعدم ثقته باخلاص العشائر النجدية بعد ان لمع نجم ابن الرشيد)). انظر ص ١٩٨.

[414] خالد السعدون، مصدر سابق، ص ٤٧.

[415] أنظر المصدر السابق ص ٦٥، والإسلام والوثبة السعودية، لفهد القحطاني، ١٩٨٥، ص ١٢. وأيضاً قلب جزيرة العرب، لفؤاد حمزة، مستشار الملك عبد العزيز، ص ١٨. والزركلي، ص ٧٠.. الخ.

من مطير فساق بعض مواشيهم امامه.. وتسامع البدو بخبر الغزو وتسارعوا يتبعون الظافر على عادتهم، فزاد عدد الغزاة مئات، ومركز الاستقرار والتموين جنوب الاحساء وداخلها[416].

كانت خطة مبارك الصباح تعتمد تشتيت قوة ابن رشيد، حتى لا يتفرغ له وحده، وكانت الخطة اشغاله، فما كان منه الا ان ضيّق على حاكم الكويت، وطلب من والي البصرة ابعاد ابن سعود عن بادية الاحساء، وشكا إلى الدولة العثمانية تراخي قبضتها على الاحساء.. كما طلب ابن الرشيد من ابن ثاني الكف عن دعم عبد العزيز. واستجابت الدولة لطلبه، واصدرت اوامرها لمتصرف الاحساء بمنع ابن سعود من الامتياز، وهددت بقطع راتب ابيه عبد الرحمن الفيصل.. وحين سمع البدو ان الدولة أعلنت عداءها لابن سعود، خافت وتفرقت عنه خشية أن تتعرض لسخط الدولة، وآثرت السلامة، وانفضت عنه مسرعة، وكتب عبد الرحمن لابنه بالعودة إلى الكويت، وكذلك فعل مبارك[417].

غادر عبد العزيز بادية الاحساء واتجه جنوبا إلى واحة يبرين، وهناك قرّر القيام بانقلاب في الرياض واحتلالها.. وهكذا تمّ له الامر في يناير ١٩٠٢، لتبدأ مرحلة حرجة من تاريخ الاحساء بعد فترة وجيزة.

كانت بريطانية على علم مبكر بخروج ابن سعود من الكويت، وبرغم اعلان الحياد المصطنع، فان انتصارات عبد العزيز كانت ستصبح مستحيلة بدون ضمان بريطانيا لسلامة الكويت[418]، وبدون دعم مبارك الصباح لعبد العزيز. وقد شهدت وثيقة بريطانية لمبارك الصباح بالدور الذي كان يفعله فقالت: ((أما مبارك الصباح فهو يدعم ابن سعود ويحرّضه بلؤم، ولم يكن الاخير ليستطيع عمل أي شيء تقريبا دون مساعدته))[419].

وكان اول عمل قام به ابن سعود بعد احتلال الرياض، ارسال ناصر بن سعود إلى الكويت مبشرا وطالبا المدد، فأرسلوا له مائة رجل وكميّة من الذخائر.. وندرك قيمة الذخيرة إذا علمنا ان ابن سعود كسب خلال استيلائه على قلعة الرياض على مائتي بندقية فقط[420].

بل ان مبارك الصباح تبرّع من نفسه ليكون ممثلا لابن سعود لدى الانجليز ولدى العثمانيين، فهو يقول للانجليز ان ابن سعود صاحبكم فادعموه، ويكتب لوالي البصرة ان يرسل للباب العالي

---

416 الزركلي، المصدر السابق، ص ٨٠، ٨١. والبلاد العربية السعودية، لفؤاد حمزة ص ٢٠.

417 خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ٧٢. وفاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢١٢. وقلب جزيرة العرب، ص ٢٦٩. وأيضاً الزركلي ص ٨١.

418 المصدر السابق، ص ٧٦، ٧٧.

419 وثيقة رقم ٢٩، مرسلة من أ. س. راتسلو، القنصل البريطاني في البصرة، إلى السير ن. اوكنور، سفير بريطانيا في القسطنطينية، مؤرخة في ١٩٠٢/٧/٢١.

420 خالد السعدون، مصدر سابق، ص ٧٥.

طالبا منه الاعتراف بالامر الواقع، وفي نفس الوقت يحاول طمأنة الدولة العثمانية من ناحية ولاء ابن سعود لها، ليكسب دعمها أو حيادها على الاقل[٤٢١].

ومن ناحيته أعلن عبد العزيز، كما ابوه عبد الرحمن بأنه سيحكم الرياض باسم السلطان، وانه خادم للدولة العليّة. وكتب عبد الرحمن إلى رجب النقيب، والد طالب النقيب: ((ونحن في كل مكان وحال من الاحوال لا نزال بحول الله نؤدّي الخدمات لحضرة امير المؤمنين، باذلين الجدّ والاجتهاد فيما يحصل به رضاه، منقادين إلى أوامر الدولة العلية..)) الخ[٤٢٢].

والحقيقة فان آل سعود أُعجبوا بطريقة مبارك في ادارة تحالفاته الخارجية، وخاصة مع الانجليز، وقد لمس ابن سعود بنفسه مدى النفوذ البريطاني وتفوقه على الدولة العثمانية، مما جعله يتّجه مبكرا إلى الاستعانة بالتأييد البريطاني[٤٢٣].

على ان السعوديين فكّروا بالاستعانة بالانجليز حتى قبل ان يصطدموا بالعثمانيين، وأمامنا رسالة عبد الرحمن الفيصل التي بعث بها من الكويت إلى المقيم البريطاني في بوشهر المستر ((كمبال))، وقد تسلّم الاخير الرسالة كما يقول هو في ١٩٠٢/٥/١٢، أما تاريخ كتابتها فهو ١٣٢٠/٢/٥هـ.. تقول الرسالة نصًّا:

((بعد التحيّات.. لا رغبة لي في التطلّع إلى احد سواك، وذلك بسبب افضالك وحمايتك التي تشمل بها كل أولئك الذين يضعون انفسهم تحت انظاركم، وانني أتمنّى أن تبقى عيون حكومتكم دائمة النظر اليّ.

أود أن أخبرك عن القنصل الروسي في بوشهر، الذي أتى اليّ حيث أقيم في الوقت الحالي، وأتى اليّ وطلب منّي أن اكتب له رسالة تصف سوء المعاملة التي تلقيتها على يد الاتراك[٤٢٤]، والمساعدات التي قدّموها إلى ابن رشيد للعمل ضدّي. ولم أجد من المناسب أن أتوجّه إلى غير حكومتكم.. وإنني أرجو من حكومتكم الكريمة أن تعتبرني واحدا من محسوبينكم))[٤٢٥].. وشرح كمبال لحكومة الهند معنى ((محسوبينكم)) التي كتبها بحروف لاتينية، بأنها تعني المشمولين بحماية الحكومة البريطانية.

---

421 المصدر السابق، ص ٧٥.

422 عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٧٩.

423 صلاح العقاد، مصدر سابق، ص ١٩٠.

424 والرجل لا يزال يستلم راتبا من الاتراك!.

425 شيوعيون في السعودية، ص ٦٢. وانظر عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ١٧٩، ١٨٠. ود. محمد عرابي نخلة ص ٢٢٨، ٢٢٩. وأيضاً التطور السياسي لقطر، عبد العزيز محمد منصور ص ٢٠١.

الوضع الأمني في الاحساء والقطيف ((١٩٠٢ ــ ١٩١٣))

تركّز وجهة النظر السعودية على مسألة اضطراب الأمن في الاحساء، وكيف ان البدو ينهبون المارّة ويقتلون الآمنين، بل ويبيعون منهوباتهم على الأهالي المنهوبين وأمام أعينهم.

ثم تتحدث الروايات السعودية، عن شكوى الاهالي من اضطراب الأمن إلى المتصرف في الاحساء، أو الوالي في البصرة، ولكن الحكومة التركية لم تستطع إيقاف الاضطراب، وهذا صحيح.

بعد ذلك تشير تلك الروايات، إلى دور ((المنقذ)) ابن سعود، وكيف أن الأهالي هم الذين طلبوا منه ان ينقذهم ممّا هم فيه، وليعيد اليهم الأمن المسلوب.

وهكذا فالروايات محبوكة بصورة جيدة، ولكن علينا ان نجيب على سؤالين هامين، هما، من الذي كان يشجِّع على الانفلات الأمن في المنطقة، ثم من الذي دعا ابن سعود من أهالي الاحساء؟!

اننا نلاحظ ان القاعدة التي اعتمدت عليها الروايات السعودية هي ((اضطراب الأمن))، فلنبحث عن دور ابن سعود والانجليز في اشعال ذلك الاضطراب، أمّا المسائل الاخرى فسنجيب عليها في موقع آخر.

جهتان كانتا وراء الفتنة والاخلال بالأمن، الانجليز وابن سعود.. وكان الطرفان يدعمان القبائل البدوية ويعينانها على اشعال الفتنة، وكان لكلا الطرفين جواسيسه ومخبروه من النجديين المقيمين في الاحساء، وكلاهما كان يرقب الوضع السياسي والأمني في المنطقة لاستثماره.

وكان العجمان ــ حلفاء ابن سعود وأبيه عبد الرحمن وعمّه سعود ــ وكذلك آل مرّة، يسعون للنهب، ولم يكونوا يريدون غيره، كما لم يفهموا كامل لمخطط الا بعد احتلال الاحساء، وحينها وقفوا معارضين لابن سعود، فصفّاهم بشكل دموي.

فور احتلاله للرياض، وثّق الحاكم السعودي تحالفه مع القبائل البدويّة في المنطقة، وشجّعها على مهاجمة القرى والحواضر ونهبها وحرقها، لتحقيق هدفين اساسيين:

* الاول: اضعاف هيبة الاتراك لدى الأهالي.

* الثاني: دفع الاهالي لقبول حكمه والتعاون معه في طرد الاتراك.

ولئن حقق ابن سعود هدفه الاول، فان هدفه الثاني لم يحصل عليه، رغم إلحاح مجموعة النجديين المقيمين في محلّتي الرفعة والنعاثل بالهفوف، حيث ((أخذت ترسل في الخفاء الرسائل

السريّة لابن سعود تخبره فيها عن الاوضاع الداخلية، وعن مدى استعدادات الاتراك هناك، وعن مدى امكانية نجاحه إذا حاول استرداد المنطقة))، كما يقول كاتب سعودي[٤٢٦].

وهذا اعتراف واضح بأن النجديين ــ رغم قلتهم ــ كانوا أداة التجسّس والتحريض. وتقول النجديين، لان العوائل التي دعمت ابن سعود وراسلته ودعته للاحتلال، هي عوائل نجدية الأصل، وهابية المذهب ــ في الأغلب ــ.

ويرى الكاتب السعودي المذكور، ان من مقدمات احتلال ابن سعود للاحساء: ((أنه استطاع كسب جماعة من قبائل العجمان التي أخذت تهاجم القوات العثمانية[٤٢٧] في الاحساء بين الحين والآخر، وهذه الغزوات[٤٢٨] أحدثت بلبلة وفوضى في المنطقة، زادت الطين بلّة بالنسبة للاستراتيجية العثمانية[٤٢٩].

وأشار المؤلف إلى ان بريطانيا كانت توزّع السلاح على القبائل البدوية هبة مجانية لتعمل على مناهضة الحكم العثماني وخربطة الأمن ((وبهذا الاسلوب، فان بريطانيا كانت تعمل على اثارة الفتن، وأعمال الشغب والاضطراب في المناطق الخليجية الواقعة تحت السيادة العثمانية ــ أي الاحساء والقطيف ــ. وهذا الاجراء كان عاملا من العوامل التي اضعفت مركز الاستراتيجية العثمانية في الاحساء، وكان همّ بريطانيا ان تخرج الدولة العثمانية من مناطق الخليج والعراق))[٤٣٠].

وأشار المؤلف في بحث آخر، بأن بريطانيا والقوى الوطنية المجاورة ((ويقصد ابن سعود)) قامت بمحاولات تشويش وتشجيع القبائل على الثورة ضد الاتراك، وان شيوخ القبائل كانوا يتقاضون أموالا من الانجليز، اصحاب السلطة في الخليج، ومن العثمانيين أيضاً[٤٣١].. ومعلوم ان عطايا الاتراك كان لضمان هدوء القبائل، أما عطايا الانجليز فتهدف عكس ذلك.

وهكذا رأت القبائل، كم هي فرصة ثمينة للنهب، خاصة وان السلاح يُدفع بالمجان، فبادرت بالهجوم وتهديد القوافل التجارية، ونهب السكان غير مرة، بل ومحاصرة القطيف اكثر من ستة اشهر، وحرق قرى بأكملها، وغير ذلك من الافعال.. هذه هي الافعال التي سمّاها الكتاب

---

426 دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ١٢٢.

427 في الواقع كان هجومها مركزا على الاهالي، وقد أراد المؤلف أن يصبغ عملية النهب بصبغة معارضة مسلحة وسياسية ضد الاتراك.

428 أيضاً العبارة مهذبة، وكان يجب أن يوضح أنها عمليات سطو ونهب.

429 دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٢٢.

430 المصدر السابق، ص ١٢٠.

431 الاصلاح الاجتماعي، ص ٥٤، ٦٩، ٦٧.

السعوديون بـ ((الحركات الاجتماعية!))، وهذا هو ((الكفاح المسلح!)) لأهالي الاحساء ضد دولة الخلافة!.

لقد وعى الاتراك، وابن رشيد، والحاج منصور باشا بن جمعة ــ زعيم شيعة القطيف ــ، وعوا مبكرا ما تفعله الايدي المحركة للاضطرابات، لكن ضعف الاتراك العام، وسدّ الانجليز الطريق أمامهم لم يمكنهم من ترتيب أوضاعهم إزاء الاخطار الجديدة الناشئة.

تنبّه ابن رشيد في وقت مبكر إلى محاولات التسلّل البريطاني للاحساء، والذي ترافق وتناسق مع محاولات ابن سعود في اثارة القبائل البدوية.. وكل الوثائق التي بين ايدينا تشير إلى ان ابن سعود وبعد اقل من شهرين من احتلاله للرياض، بدأ يظهر اطماعه في الاحساء.

كان ابن رشيد ــ حاكم حائل وأغلب مدن نجد ــ أول من تنبّه إلى خطوات ابن سعود، فارسل إلى الوالي التركي في الاحساء يبلغه ويحذره من الثلاثي ((الانجليز ــ مبارك الصباح ــ ابن سعود)).. ثم ما لبث ان ارسل إلى السلطان العثماني رسالة يشرح فيها الاخطار المحدقة بالاحساء، وان الانجليز يستعدون لاحتلالها.. الا انه لم يلق التجاوب المطلوب، لعجز وقصور في السلطة العثمانية نفسها، والتي وافتها اخبار اخرى تؤكد المسألة.

إعتمادا على الوثائق البريطانية، فان ابن رشيد تنبّه إلى ان ابن سعود بدأ بتوطيد علاقاته مع الاقلية النجدية الوهابية المقيمة في الاحساء، وانه يستخدمهم لتأليب السكان والرأي العام المحلي ضد الاتراك، ورأى من جهة اخرى انه قد عقد تحالفات جديدة مع العجمان وآل مرّة، وأخذ يدفعهم لمهاجمة الحضر، ليكون اختلال الأمن الحجة والمبرر للاحتلال.

ارسل ابن رشيد مبعوثا للوالي التركي في الاحساء اسمه ((سعد الحازمي)) ليطلع على الاوضاع هناك، فعاد هذا الاخير وأبلغ ابن رشيد بأفعال الجماعة النجدية، واقترح اعتقال مجموعة من المتعاونين مع ابن سعود، كان ذلك بعد شهرين من احتلال الرياض فقط، أي في أواخر فبراير ــ أو بداية مارس ــ أما الاشخاص الذين نصح باعتقالهم فهم:

((محمد بن عبد الله حسين، ابراهيم بن طوق، مساعد بن عبد المحسن السويلم، وابراهيم بن سيف)).. ولم ينس الانجليزي ان يشير اليهم بالقول: ((وكلّهم من مواطني الرياض المقيمين في الاحساء، ومن اشد المتحمسين والمرتبطين بعائلة آل سعود))[٤٣٢].

ولمّا كان من الصعب على والي الاحساء قبول رأي ابن رشيد ((فقد كتب الامير ــ ابن رشيد ــ إلى والي البصرة حول الموضوع، وبناء على ذلك اصدر هذا الوالي إلى متصرف الاحساء،

[432] وثيقة رقم ٦٤، من ج. س. فاسكن، مساعد المعتمد السياسي في البحرين إلى المقيم السياسي في بوشهر، بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٠٢.

بأن ينفذ رغبة سعد الحازمي.. وهكذا تمّ القبض على ثلاثة منهم مؤخرا ــ مارس ١٩٠٢ ــ بينما تمكن ابراهيم بن سيف من الهرب بمساعدة أحمد بن عبد الله بن ملحم، وهو احد ابناء الاحساء[٤٣٣]. حيث رافقته مجموعة حماية إلى مكان أمين. وكانت المجموعة مؤلفة من ١٦ رجلا من رجال قبيلة المرّة، حيث أوصلوه بأمان إلى منطقة الحسين، الواقعة على بعد ثمانية أميال جنوبي القطيف، ومن هناك قدم إلى البحرين يوم ٢٦ مارس، على ظهر قارب أرسله له خصيصا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي أخبر بموعد اقترابه عن طريق احمد عبد الله الملحم، حيث طلب الاخير من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان يهيّئ الترتيبات اللازمة لنقله سالما إلى البحرين)).

وما كاد ابراهيم بن سيف يصل إلى البحرين، حتى أُعدّ له لقاء مع المعتمد السياسي البريطاني هناك، ليعرف منه آخر الاخبار، وقد ابلغ ابراهيم المعتمد بسيطرة ابن سعود على جنوب نجد ــ وهو غير صحيح يومئذ ــ، واضاف بأن البدو انضمّوا لابن سعود. ومن الاخبار التي نقلها للمعتمد، انه ((وبناء على طلب من عبد العزيز آل سعود، فقد نفذ البدو عملية اغتيال لعبد الله بن ابراهيم بن عبد الرحمن، والذي كان والده احد كبار موظفي الامير ــ ابن رشيد ــ، حيث كان ذلك الشخص موجودا بين البدو لشراء الاغنام والماعز))[٤٣٤].

في ذات الفترة ــ مارس ١٩٠٢ ــ ارسل ابن الرشيد رسالة إلى رئيس الوزراء العثماني في ٢١ ذي القعدة ١٣١٩هــ، أي بعد شهر ونصف من احتلال الرياض.. يشرح له الاحوال السياسية ببراعة، ولكن رُسُل ابن الرشيد اطلعوا أحد الموظفين الانجليز عليها، قبل ان يسلموها إلى ((الصدر الاعظم!!))[٤٣٥].

نضع أمام القارئ نصّ الرسالة المترجم من الانجليزية لأهميته:

((٢١ ذي القعدة ١٣١٩ ، ١ مارس ١٩٠٢،

إلى الوزير الأعظم.

---

433 آل ملحم ليسوا احسائيين اصلا، فقد نزحوا من الجزعة قرب الرياض، وسكنوا محلّة النعاثل في الهفوف، وكان استيطانهم للاحساء حديثا. انظر آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ٢٤.

434 الوثيقة السابقة.

435 انظر الوثيقة رقم ٢٨٢، تاريخ ١٧ / ٦ / ١٩٠٢، مرسلة من م. دي. هنسن إلى الماركيز لاندزون، وزارة الخارجية، لندن.

ويقول المرسل: ((نقلت إلى رسالة باللغة العربية، صادرة عن امير نجد ــ ابن رشيد ــ ومرسلة إلى الوزير التركي الاعظم، لي الشرف ان ارفق ترجمتها مع هذه الرسالة. وقد اطلعت عليها بشكل سري، وعلى اساس الثقة بانها ستبقى هي والذي اطلعني عليها في طي الكتمان. الرسالة تتهم الانجليز بأنهم يسعون بمساعدة ودعم من شيخ الكويت إلى فرض سيطرتهم على اجزاء من شبه الجزيرة، وهي الاجزاء التي تشرف وتسيطر عليها الحكومة التركية في الاحساء والقطيف. ويحذر امير نجد تركيا من عواقب المكائد والدسائس البريطانية. الرسالة مهمة إلى حد ما، لأنها تفضح احد المصادر التي تغذي شكوك السلطان فيما يتعلق بسياسة انجلترا في شبه الجزيرة العربية والخليج الفارسي))!.

بعد السلام والدعاء للسلطان بالتوفيق.

تعلمون سموكم بالقضية التي أخبرناكم بأساسها، ولا يخفى عليكم ما حدث نتيجة مؤامرات ودسائس ذلك الوغد النذل مبارك الصباح بالاشتراك مع الحكومة البريطانية، وانقضاض هذه الاخيرة على الكويت[436].

كما تعلمون ان الكويت نقطة هامة، فهي مفتاح العراق، وحتى جزيرة العرب كلها، وقد تكون نتائج وعواقب سيطرة بريطانيا على الكويت فادحة الخطورة على الامة الاسلامية، لان الحكومة البريطانية نفذت مخططاتها، وقد حققت بعض المكاسب الهامة، والكثير من مخططاتها اصبحت مكشوفة، ونيّاتها مفضوحة تهدف إلى الاستيلاء على تلك الاجزاء من الساحل والتي تشرف على الاحساء، وكذلك السيطرة على الاحساء والقطيف، كما وتهدف إلى اقامة علاقة وثيقة مع العرب عن طريق مبارك وابن سعود.

ولقد حذّرت الحكومة الامبراطورية ((العثمانية)) بأن هذه المسالة قد يكون لها عواقبها الخطيرة والوخيمة، وتتطلب الحذر والانتباه.

أنتم تعلمون كيف بدأت هذه القضية، فلقد خُدع محسن باشا وغُرِّر به.. وانا لم نتوقف عن التنبيه إلى خطورة هذه المسألة خوفا من العواقب.. وإنني إذ اسمح لنفسي بوضع هذه القضية أمامكم واطلعكم عليها، لأعلم علم اليقين بأنكم الناصح والمستشار الامين للامبراطورية وللامة، وأنكم ستحيطون جلالة السلطان علما بها، حفظه الله وقواه ونصره على أمم الكفار، وأعاننا به، وأعاذنا بمشورة ونصيحة ورأي سموكم، وإنني ادعو الله بأن لا تنسونا، وان تهتموا بأمرنا.

صديقكم/ عبد العزيز الرشيد

((أمير نجد))[437]

إن محتوى الرسالة وتوقيتها، يدلُ ـــ كما قلنا ـــ على وعي مبكر بمجريات السياسة البريطانية في الخليج، ومحاولاتها احتلال ما تبقّى من الشريط الساحلي العربي. ولم يكن ابن رشيد يعدُ ما جرى من احتلال الرياض عملية منفصلة عن المخطط البريطاني الكبير، حيث التحالف الثلاثي، بريطانيا ـــ مبارك ـــ ابن سعود، والهادف إلى تمزيق النفوذ العثماني وانهائه بشكل مباشر، كما جرى في عمان والبحرين وغيرهما، أو عن طريق واجهات محلية، كابن صباح وابن سعود والشيخ خزعل.

---

436 يشير ابن الرشيد هنا إلى ما تلى معركة الصريف ((١٩٠١)) وهزيمته لابن الصباح، مما ادى إلى تدخل الانجليز، وكيف ان والي البصرة محسن باشا ـــ صديق مبارك ـــ منع الموقف الحاسم لأنهاء حكم آل صباح.

437 انظر مقتطفا من الرسالة، في قيام العرش السعودي، ناصر الفرج، ص ٢٤.

وابن رشيد ركز في حربه الاعلامية مع ابن سعود على ان الاخير عميل للكفار، وان قوّته ليست ذاتية وانما تأتيه من مبارك الصباح والانجليز، لذا كان بحاجة إلى اضعاف ركيزة الانجليز بالتعاون مع الدولة العثمانية، والا فان الخطر الذي يتهدّد حكمه سيتصاعد.

وقد كتب القنصل البريطاني في البصرة في الحادي والثلاثين من يوليو ١٩٠٢، إلى السفير البريطاني في القسطنطينية ((اوكنور))، ان ابن رشيد ((حاول عزل واستمالة بعض القبائل التي انضمت إلى ابن سعود، وذلك باعلان ان هذا الاخير ما هو الا أداة في ايدي الكفار الانجليز، وان من واجب كل مسلم صادق ان يتخلّى عنه)).

بالنسبة للاتراك فانهم بدأوا وبعد استيلاء ابن سعود على الرياض بتدعيم حامياتهم في المنطقة خوفا عليها، في حين كان الانجليز يرقبون الوضع من خلال مخبريهم.. وتنقل وثيقة بريطانية صورة عن وضع القوات التركية في الاحساء وقطر والقطيف بعد شهرين من احتلال ابن سعود للرياض، عبر ما كتبه ج. س. فاسكن، مساعد المعتمد السياسي البريطاني في البحرين، إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر س. أ. كمبال، اعتمادا على اقوال مخبر سرّي وصله يوم ٢٧ / ٣ / ١٩٠٢ من قطر، وقال انه يثق به.. قال ((ان قائد الحامية التركية في البيضا ((بقطر)) قال في حديث امام جمع كان المخبر أحدهم، بأن السلطات التركية تنوي زيادة افراد الحامية الموجودة هناك في فترة قريبة.. وان مناشدة القائد لأهالي البصرة والاحساء للتبرع بالاموال لسداد نفقات رواتب واعاشة القوات الموجودة تحت امرته لم تلق أي تجاوب، وانه اضطر ان يأخذ قرضا بمبلغ اربعة آلاف دولار استرالي من الشيخ احمد بن ثاني ليرضي قواته به، وأنه كحل اخير ارسل امين صندوق الحامية إلى الاحساء لجمع الاموال من أهلها)).

ولم تكن محاولة الاتراك في زيادة افراد حامياتهم، ناشئة من فراغ، فهم يشعرون بضغط التدخل الاجنبي، كما لم يكن صعبا عليهم زيادة جندهم، فالمشاكل لم تتضخّم بعد، كما حدث بعد سنوات واضطروا إلى سحب العديد من قواتهم ــ رغم ضعفها وقلّتها ــ لمواجهة الايطاليين الذين احتلوا ليبيا عام ١٩١٢، وقبلها لمواجهة اضطرابات البلقان عام ١٩١١.

لكن ما تميّز به الحكم التركي من فساد في الادارة، المرافق للضعف العسكري والمالي، هو الذ يجعل امبراطورية بحجم الدولة العثمانية عاجزة عن سداد رواتب بضع مئات من جنودها ــ على اكثر تقدير ــ.

والملاحظ انه في نفس الفترة، أي عام ١٩٠٢، عيّنت الدولة طالب النقيب متصرفا على الاحساء، وذلك بهدف اخضاع العشائر والفتن والثورات التي كانت تهدف إلى سلخ الاحساء من جسم الدولة.

أما ابن جمعة ((منصور باشا))، فله مواقف مشرّفة في مجابهة الاطماع الاجنبية البريطانية، حينما حاولت بريطانيا تكوين امارة محلية في القطيف والاحساء تحت رئاسته.. وكانت الخطوة الاولى تشجيعه على الانفصال، ليتم فيما بعد تقديم الحماية للامارة الوليدة، وبسط الهيمنة عليها.

والمعلوم ان عروضا من هذا القبيل كانت قد تمت قبل نهاية القرن التاسع عشر.. ففي عام ١٨٩٩، مثلا، زار المعتمد السياسي في البحرين، الباشا منصور بن جمعة، وعرض عليه المساعدة على الاستقلال، وتقديم الحماية ضد أي اجراء عسكري، قد تتخذه تركيا ((ولكن منصور باشا، وبوازع من الحميّة الدينية، ووفاء للدولة الاسلامية، رفض العرض البريطاني جملة وتفصيلا. وقد نمي إلى علم السلطان عبد الحميد امر هذه المحاولة ورفض ابن جمعة قبولها، فأنعم عليه برتبة الباشوية))[٤٣٨].

وحاول ابن جمعة من جانب آخر تقوية الحاميات التركية في المنطقة، والحَّ في طلب زيادة الافراد، حيث بدأت الحكومة يومئذ بارسال بعض منها تحت ضغط الالحاح، وذلك في النصف الاول من عام ١٩٠٢، مع ان الانجليز احتجوا على ذلك، وحاولوا منع وصول التدعيمات.

وهكذا ارسل العثمانيون بعض الافراد إلى جزيرة بوبيان، وأم قصر وغيرهما، وارسلوا آخرين عن طريق البحر إلى القطيف والعقير والدوحة، كما دُعّم الوجود العثماني في جزيرة العماير في خليج المسلّمية، شمال القطيف بنحو سبعين ميلا.. وكتب مبارك الصباح المقيم السياسي البريطاني في بوشهر المستر كمبال، في العاشر من محرم ١٣٢٠، الموافق للتاسع عشر من ابريل ١٩٠٢، يخبره بأمر القوات التركية.. يقول في جانب من رسالته:

((.. في هذه الأيام بعث الاتراك من القطيف، ثلاثين جنديا برفقة بن جمعة إلى جزيرة العماير، لأجل ان يبقى الجنود هناك، ولكن السكان لم يسمحوا لهم بالبقاء[٤٣٩]، لذلك عاد الجنود إلى القطيف، وبعدئذ اقاموا مع ابن وهب في دارين))[٤٤٠].

وأخبر ابن صباح المستر كمبال، بأن الجنود الاتراك حاولوا اثارة القبائل ضدّه هو، ولكنها لم تفعل شيئا.. وقال ان الجنود المزمع إرسالهم جنوبا، لا يزالون في بوبيان وصفوان وأم قصر، وان احد رجال ابن رشيد معهم في صفوان.

وسجل كمبال في مذكراته ان الاتراك وضعوا قواتهم في لعماير في الاسبوع لمنتهي في الرابع عشر من ابريل ١٩٠٢، وقد بعث بهذه المعلومة لحكومة الهند ضمن رسالة بتاريخ ٢٦ / ٤ / ١٩٠٢[٤٤١].

---

438 المصدر السابق، ص ١٥.

439 الثابت انه كان للاتراك حامية هناك وكانت على جانب من القوة.

440 انظر الوثيقة ((FO. 78 / 5252)).

وفي عام ١٩٠٥، قامت بريطانيا بمحاولة أخرى لاقناع ابن جمعة وزعماء الشيعة الآخرين بتكوين امارة خاصة لهم تحت الحماية البريطانية، وقُدِّم العرض هذه المرة إلى المرحوم حسين بن نصر، عمدة مدينة سيهات، ولكنه رفض العرض البريطاني، وأحاله إلى زعيم القطيف الكبير بن جمعة، والذي اكد رفضه للمرة الثانية ولذات الاسباب التي رفض فيها العرض السابق[٤٤٢].

ومرّة ثالثة في سنة ١٩٠٧، تولّى المحاولة المقيم البريطاني في الخليج نفسه، السير بيرسي كوكس، والذي نزل ضيفا على منصور بن جمعة في قصره المسمّى بقصر الدرويشية بالقطيف، وطلب منه الموافقة على مساعدة بريطانيا له للاستقلال بالاحساء والقطيف، دون التقيُّد بمعاهدة حماية بريطانية، ولكن منصور أصر على ان شعوره الديني وحده، يمنعه من التنكر للدولة الاسلامية، وليس الحاجة للمعونة العسكرية أو الحماية[٤٤٣].

ما كان ابن جمعة واهما ليحصل على استقلال دون حماية، فالاستقلال يعني محاربة دولة الخلافة، ومحاربة دولة الخلافة تعني الحاجة إلى استناد إلى حليف قوي في المنطقة، وليس هناك غير الانجليز.. وقد نظر رجال الدين وابن جمعة إلى الامر من زاوية الاختيار بين حكم فاسد، وبين حكم فاسد وكافر أيضاً، ونعني به حكم الانجليز، فاختار الشيعة الاول، واختار آخرون الانجليز، كما حدث بالنسبة لابن سعود ولوجهاء البصرة من آل النقيب، وكما حدث لامراء الكويت وغيرهم.

ولَئن كان مبارك الصباح، واشباهه قد قبلوا حكم الانجليز ورفضوا حكم الاتراك، فان الشيعة في القطيف لم يقبلوا ذلك انطلاقا من القاعدة الدينية التي توجب الدفاع عن حرمة ديار الإسلام.. وليس الدفاع عن الحكم التركي.. ولو قبل الشيعة يومها الحماية الانجليزية، لكان بيدهم اليوم أغنى دولة في العالم، ولكن على حساب الدين والمبدأ!.

قد يقال ان الشيعة في المنطقة كانت تنقصهم المعرفة والوعي السياسيين، وان رفضهم العروض الانجليزية دليل على ذلك.. إذ لو قبلوا لما عاشوا بعد ذلك وإلى يومهم هذا في مدن سوداء يترى بعضها بعضا.. ولما كانوا مواطنين من الدرجة الثانية، ولما كانوا ـــ رغم ان بلادهم مصدر الخير والعطاء في الزراعة والنفط ـــ أفقر السكان، ولما انتهكت حقوقهم كمسلمين وكبشر!.

نعم.. قد يكون ذلك صحيحاً، فالألاعيب السياسية لم يكن الشيعة بالامس، ولا اليوم يهوونها، ليس في الاحساء والقطيف فحسب، بل وفي كل مكان. وهم رغم ثوراتهم التي لا تعرف الكلل

---

441 الوثيقة السابقة.. من التلغرافات كولونيل كمبال، إلى هـــ. س. بارنز، حكومة الهند في سيملا.

442 قيام العرش السعودي، مصدر سابق، ص ١٥.

443 المصدر السابق.

والملل ضد الانظمة الفاسدة، يعرفون هذه الألاعيب، ولكنهم يأنفون من ممارستها، لذلك فان ثوراتهم تُسرق في كل مكان، لا لجهل ــ في الغالب ــ، وإنما ترفُّعا عن ممارسات مناقضة للشرع.

غير أن هذا لا ينبغي ان ينسينا بأن زعماء الشيعة في المنطقة ضيَّعوا فرصا كبيرة في تسلم زمام امورهم بانفسهم، وكانت الاوضاع الدولية مهيأة لذلك، فلم يستثمروها، أو يعدُّوا انفسهم لاستثمارها، دون الخروج عن اطار الشرعية الدينية.

مهما يكن من أمر، فقد اعيت بريطانيا الحيلة في الحصول على واجهة وطنية تبرر تدخلها المباشر في ساحل الاحساء، فأرسلت سفينة حربية عام ١٩٠٨ / ١٣٢٧هــ، ورست في رأس تنورة، وأقامت فوقه العلم البريطاني، ثم تقدمت إلى رؤساء البلاد بعروضها لحمايتهم من عبث البدو، الذين كانت تهيجهم وتسلحهم ضد الاهالي، غير ان أهل الحل والعقد رفضوا عروضها باعتبارها دولة غير مسلمة لا يجوز لها التدخل في شؤون المسلمين وقاوموا عروضها بشدّة.. وبادر أهالي صفوى[٤٤٤] إلى إنزال العلم البريطاني وتمزيقه وتحطيم ساريته مما ترك شعورا باليأس لدى المسؤولين البريطانيين في الخليج، وحملهم على التفاوض المباشر مع ابن سعود، وتسهيل مهمته في احتلال الاحساء نيابة عنهم، وطرد النفوذ التركي من الخليج كلّه وإلى الابد[٤٤٥].

بداية المشكلة

بدأ الامتحان الصعب للأمن في المنطقة، بعد وصول ابن سعود للسلطة في الرياض، وتحريضه القبائل على الثورة.. فقد طلب زعماء آل مرّة وبني هاجر زيادة مرتباتهم التي قررتها الدولة لزعماء البادية، فرفض المتصرف طلبهم، وحرّضهم ابن سعود على مهاجمة قوافل التجارة المتجهة بين ميناء العقير والهفوف، فكانت الحادثة الاولى التي اذهبت هيبة الدولة، حينما هجم البدو على قافلة تجارية يحرسها جنود نظاميون، في موقع يقال له ((قهدية))، وذلك في عام ١٣٢٠هــ/ ١٩٠٢، حيث انتهبوا القافلة، وقتلوا خمسين من رجال العسكر، وقدّر لوريمر الخسارة المادية بعشرة آلاف ريال، وستمائة جمل، وثلاثمائة حمار، ومنذئذ زالت هيبة العسكر من قلوب الناس، وكان ذلك إيذان بعهد مأساوي مضطرب.

---

444 صفوى: مدينة تقع على بعد ١٢ كم شمالي القطيف، وتقع رأس تنورة على مقربة منها في الشمال الشرقي.

445 ساحل الذهب الاسود، الاستاذ محمد سعيد المسلم، ط ٢، بيروت، ص ١٩٢، ١٩٢. وانظر ناصر الفرج، مصدر سابق، ص ١٦.

ومن المعلوم ان العقير، هو ميناء الاحساء، الذي تصدر من خلاله التمور وغيرها، وترد اليه البضائع من البحرين والبصرة وعمان وفارس والهند، ويبعد الميناء عن العاصمة مسيرة يوم وليلة.. وحينما استولى الأتراك على الاحساء، ولمّا كانت القوافل معرّضة على الدوام لنهب البوادي، قرّرت الدولة اخراج قوة عسكرية من النظام والهجانة في يوم واحد في الاسبوع هو ((الاثنين)) فاستقرّ الامن في الطريق، وكانت عساكر الدولة مرهوبة الجانب في نفوس الحاضرة والبادية إلى ان وقعت هذه الحادثة[٤٤٦].

وحين بلغ خبر المقتلة إلى والي بغداد، عزل والي الاحساء موسى كاظم، وعيّن بدلا منه السيد طالب النقيب، فجاء تصحبه قوة عسكرية، لتأديب البدو، وقد مدحه اثناء قدومه الشيخ عبد العزيز العلجي[٤٤٧] في قصيدة جاء فيها:

ديارٌ لِوا نجد أتاها سعودها		وعاد لها بالأروع الشهم عيدها
همامٌ أتى الاحساء وهي مريضةٌ		يُظنُ بها أن الشفا لا يعودها
فعاد شفاها مُذ أتاها وأصبحت		منغمة يربدُّ غيظا حسودها
وصارت شياطين اللوا من مخافة		أجل مناها أ، تُزاد قيودها
.. فنشكر بعد الله قرما متوّجا		أياديه باد كل يوم جديدها
إمام الهدى عبد الحميد الذي به		وصولته الكفارُ بات جنودها
خليفة دين الله أيان يمّمت		عساكرهُ بالله تعلو حدودها
إماماً يوالي أمّة احمديّة		ظلالا تقيها أو غياثا يجودها

ثم يوجه الحديث لطالب النقيب محرّضا إيّاه على الفتك بالبدو بقسوة:

446 آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٨٦.

447 هو الشيخ عبد العزيز بن صالح بن عبد العزيز العلجي، ولد بين عامي ١٢٨٥ ــ ١٢٩٠هـ تعلّم على ايدي كبار علماء المذاهب في الاحساء، فكان احد رجالات المذهب المالكي، وامتدح السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية وولاتها، وحينما استولى السعوديون على الحكم انضمّ لصفوف المنتصرين، له قصائد وكتاب ضد الوهابية، ولكنه احنى رأسه بعد سيطرتها، بل اصبح احد دعاتها المتطرفين. توفي سنة ١٢٦١ أو ١٢٦٢هـ. انظر شعراء هجر، د. عبد الفتاح محمد الحلو، من ص ٢٨٢ إلى ص ٢٨٨، وما تلاها من اشعار.

فجرِّدْ سيوف البأس واجعل غمادها	لئاما طغى من طول أمن عنديها
قبائل سوء بالاهانة عُوِّدوا	وقد طال عن لقيا الهوان عهودها
وغرَّهم الاكرام منكَ وهكذا	يجورُ باكرام الكرام عبيدها
وظنوا بأن الملك ليس لرعيه	أسودٌ ولا يحوي رجالا تسودها
فهان وليُّ الامر فيهم وقدرُهُ	ولم يحترمه وغدُها ورشيدها[448]
وقادوا اليه كل يوم بلية	قوافل تسبيها وقتلى تقودها
وما ردُهم عهد وثيق ولا يدٌ	عليهم من الانعام يُرجى مزيدها
.. فلا بُدٌ فيهم من عظيم نكاية	تذوبُ احترافا من لظاها صديدها
سحابة جُندٍ صبحتهم بصيحة	وهُم وبنوها عاذُها وثمودها
ولا ترض منهم باليسير تعطفا	وعفوا فان العفو ممّا يزيدها
وأجِّج بهذي الدار ناراً عظيمة	من الحرب أشلاءُ الاعادي وقودُها
وأخر جبان القلب إن لرأيه	مناهج سوداً تُفسدُ الملكَ سُودها
.. فان كنت حقا مرسلا فكتائبا	يروعُ الاعادي بأسُها وحديدها
وخذ ما بأيديهم وأجر دماءهُم	فيا طالما أجرى الدماء شديدها
وأبق لهم منهم مواعظ ينتهي	بها عن فسادٍ كهلها ووليدها[449]

وعلى أثر القصيدة ــ كما يقول الرواة ــ خرج طالب بالعساكر والمدافع، وصبّح فريقا من آل مرة وهم على ماء يسمى ((الزرنوفة))، فأخذ مواشيهم وعاد بها إلى الاحساء ليشاهدها الناس، فقويت نفوسهم، واطمأنوا وعادت الأمور كما كانت سابقة[450].

ومن الثابت ان طالب النقيب كان فتّاكا عنيفا، فخشيه البدو وأمنت السُّبُل، وصوّر العلجي في قصائده التي مدح بها طالب النقيب حالة البوادي بقوله:

ما سيفك المسلول الا الموت قد	أردى الكماة وإنه البتار
صقعَ البغاة فأصبحت فرسانهم	صرعى كزرع صَابَه إعصار
وأطاعك الجمُّ الغفير مخافة	وتباعدت عن خطنا الأشرار

[448] في شعراء هجر ((فهان مولى الحكم فيهم وقدره))، ص ٤٠٦.
[449] شعراء هجر، مصدر سابق، من ص ٤٠٥، إلى ص ٤٠٨. وانظر أيضاً آل عبد القادر، ص ١٨٧، ص ١٨٨.
[450] آل عبد القادر، ص ١٨٨.

ووصف الاحساء في قصيدة مدح لطالب:

لقــد عَعَــت الاحــساء حتــى أعــدتها		بـــرأي وعـــزمٍ منـــك لـــيس بخـــوّار
وشــرّفتها مـــن بعـــد طـــول خمولهـــا		وخلــصتها مـــن وصـــمة الـــذل والعـــار
وممـــا علاهـــا مـــن وقـــار وهيبـــة		أعيـــدت عواديهـــا نـــواكس أبـــصار [451]

لم يبق طالب في منصبه سوى عامين، من شهر ربيع الاول ١٣٢٠هــ حتى ربيع الاول ١٣٢٢هــ الموافق لشهر يونيو/ حزيران ١٩٠٤.. ففي هذا الشهر قدم استقالته، بسبب ((دواعي صحيّة)) [452]، أو كما تشير بعض المصادر إلى انه أُجبر على الاستقالة لخلافه مع المرحوم منصور بن جمعة الذي استصدر امرا باقالته من السلطان عبد الحميد [453]، وقد سافر طالب إلى عاصمة الخلافة ليقدم تقريرا عن مهمته ((وصلت للانجليز نسخة من التقرير عبر طالب نفسه!)) ويحوي التقرير اقتراحات لمحاربة حركة التشيُّع وانتشاره بين القبائل العراقية [454].

تجدر الاشارة إلى انه وفي عهد طالب النقيب، أرسل ابن سعود في نوفمبر ١٩٠٣ مبعوثا نجديا مقيما في الاحساء لمقابلة الانجليز في البحرين، وذلك لجسّ نبضهم حول امكانية مساعدته في احتلال الاحساء واستخلاصها من يد الاتراك.

وتوضح وثيقة بريطانية مؤرخة في السابع من نوفمبر ١٩٠٣ ((١٧ / ٨ / ١٣٢١هــ)) ان احد اصدقاء الانجليز من النجديين المقيمين في الاحساء اسمه عبد الرحمن سلمان، قابل المعتمد

---

[451] د. عبد الفتاح الحلو، مصدر سابق، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

[452] دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة لعربية، ص ١٩٨، ١٩٩.

[453] يذكر الاستاذ محمد سعيد المسلم في ساحل الذهب الاسود))، ص ٢٠٢، ٢٠٤. ان سبب اقالة طالب النقيب هو خلافه مع ابن جمعة.. قال: ((ويصفون السيد طالب بأنه كان طاغيا مستبدا.. حدثني المرحوم والدي، ان الصدفة جمعته – أي طالب – بمنصور باشا بن جمعة في الباخرة وهو قادم في طريقه لهذه المنطقة، فتحدث معه في مختلف الشؤون، وكان طالب في اثناء حديثه يظهر اعتداده بنفسه، ويقصُّ عليه حكايات مزهوًّا بفتكه وطغيانه، فسخر منه منصور باشا، وعلق على حديثه: بأنك لم تلتق برجل، فوجد عليه وأضمرها في نفسه، فلما قدم إلى القطيف وجد الفرصة مهيّأة للانتقام منه، فانتهز فرصة غيابه، فقبض على أخيه – عبد الحسين – واعتقله، ثم عمد إلى قصوره فهدمها، وساعدته الظروف إذ كانت البلاد في ذلك الوقت متفرقة إلى شيع وأحزاب. وحين وصل خبر النكبة لمنصور باشا اتصل بالباب العالي، ورفع قضيته للدوائر العليا، واستصدر أمرا بعزل السيد طالب باشا النقيب، وكان ابن جمعة في وقته ابرز شخصية مقربة للدولة العثمانية في القطيف)).. الخ. وأكد آل عبد القادر في تحفته، ان طالب النقيب أُقيل من منصبه وكان عمره يومئذ لم يتعدَّ الثلاثين عاما.

[454] الوثيقة رقم ((FO. 416 / 20)) من: السير ن. اوكنور، السفير البريطاني في القسطنطينية بتاريخ ٢٦ / ٨ / ١٩٠٤ ((رقم ٦٨٤ – سري جدا)). إلى: الماركيز لانزدون، وزير الخارجية.

ويحوي تقرير طالب التالي: ((ان الجزء الاكبر والأهم من شعب العراق تخلّى عن عقيدته السنّية وتحوّل إلى الهرطقة الشيعية! بسبب جهود المجتهدين وعلماء الفقه. ولذا – كما يقول – يتوجب على الحكومة الامبراطورية العثمانية ان تطرد هؤلاء من المراكز الدينية – مشهد / النجف، وكربلاء.. ثم يقترح مشروعا لتوطين البدو، ومعاملتهم بشكل حسن، حتى لا يتحوّلوا إلى المذهب الشيعي بسبب الظلم.. الخ.

السياسي في البحرين في دار المعتمد، وكانت له علاقة بالمعتمدية قديمة، فعبد الرحمن هذا ((هو الذي حمل رسالة المتصرف التركي لاقليم الاحساء في اغسطس ١٨٩٥ إلى دار المعتمد))[455].

قال عبد الرحمن للمعتمد ان ((هناك رغبة قوية في الانفصال عن الحكم التركي.. والعرب الآن مسلّحون جيدا وبأسلحة حديثة، ويستشعرون قوتهم، وما عادوا يخافون الأتراك)).. ويمضي عبد الرحمن قائلا ((أنه عندما يقضي آل سعود على آل رشيد، سيحاولون طبعا استعادة الاحساء من الترك، وسينجحون في ذلك، إذا استمرت الظروف الحالية))، وقال ان الاتراك تمكنوا من الاستيلاء على الاحساء بتعاونهم مع رؤساء الكويت وعرب المنتفق، ولكن الاوضاع تغيُّرت الآن. وسأل عبد الرحمن المعتمد عن امكانية الاعتماد على الحماية البريطانية في حالة الثورة على الاتراك.. ولكن المعتمد لم يعط جوابا يأخذ صفة التآمر على الدولة العثمانية، قال ((ليس من سياسة الحكومة البريطانة التآمر مع رعايا حكومة صديقة))!، فقال عبد الرحمن ((أرجو أن تعتبر ما دار بيننا سراً، وان تسمح لي بالكتابة إليك مرة ثانية)).. فرد المعتمد ((يسعدني دائما ان أتلقى إنباء من الداخل))[456]!.

الا ان اميرا سعوديا اعترف بأن عبد الرحمن سلمان هذا، وهو من اصل نجدي، ارسل كمندوب لابن سعود بهدف ((جسّ نبض البريطانيين حول التفكير في اعادة الاحساء، وذلك في عام ١٩٠٣، ومدى تقبّلهم لتلك الفكرة، ومقدار المساعدة التي يمكنهم تقديمها.. وقد قابل السيد فاسكن وأخبره بأن هناك تذمرا من قبل المواطنين في المنطقة)).. وقال الامير ((أن حكومة الهند البريطانية أبدت اهتماما بالغا بتلك الخطوة واوصت بمساندة الامير عبد العزيز، الا ان حكومة لندن كانت ترى ان مصالح بريطانيا لا تتعدّى الخليج وسواحله))[457].

ورأت حكومة الهند بعد وصول معلومات عبد الرحمن سلمان هذا، ان ترسل رجل مخابرات بريطاني الاصل إلى الاحساء، ليستطلع ((اوضاع الداخل))!، وحين استشير المقيم السياسي في بوشهر الكولونيل كمبال، قال: ((من الناحية العملية، اعتقد انه من المستحيل على انجليزي غير متنكّر ان يشقّ طريقه..))، وأبدى استعداده لترتيب الامر عن طريق الكويت، رغم انه لا يرحب بذلك في الوقت الحاضر.

وكان الرأي الحاسم لوزارة الخارجية التي ارسلت رسالة في السادس من فبراير ١٩٠٤ إلى وزارة شؤون الهند، يذكر فيها معاون وزير الخارجية انه عرض على الوزير نتائج الزيارة التي

---

455 جلال كشك، المصدر السابق، ص ٢١٥، ٢١٦.

456 المصدر السابق، ص ٢١٥، ٢١٦.

457 مجلة الدارة، مارس ١٩٨٦، بحث بعنوان ((علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز، ١٩٠٢ ــ ١٩٢٥))، بقلم الامير الدكتور تركي بن محمد بن سعود الكبير آل سعود، ص ٢٨، ٢٩.

قام بها الشيخ عبد الرحمن بن سلمان إلى مساعد المعتمد السياسي في البحرين، والمحادثات التي جرت بينهما بهدف ارتباط الشيخ المذكور بعلاقات اوثق مع الحكومة البريطانية.

وفي هذه الرسالة يأمر وزير شؤون الهند حكومة الهند بالامتناع عن اتخاذ اية خطوات لارسال معتمدين بريطانيين إلى سنجق نجد ((الاحساء))، بهدف الدخول في علاقات اوثق مع قبائلها، بدون موافقة الحكومة البريطانية، وتضيف بأن الوزير يشك في جدوى وحكمة الدخول حاليا في مفاوضات مع القبائل موضع البحث، ولكنه قبل اعطاء ردّه النهائي على الموضوع، يريد ان يتشاور مع السفير البريطاني في القسطنطينية[458]، وكان الرد النهائي بالنفي.

ومضت سبعة اشهر بعد اقالة أو استقالة طالب النقيب، كانت فيها متصرفية الاحساء شاغرة ((من ربيع الاول ١٣٢٢ هـ حتى شوال ١٣٢٢هـ)).. والسبب في تأخير تعيين الوالي الجديد، يرجع في جانب منه إلى ان الدولة العثمانية لم تكن تريد تسليم الاقليم إلى شخص غير مؤهل ــ حسبما تذكر الوثائق ــ، إذ تشير وثيقة مؤرخة في الحادي عشر من رمضان ١٣٢٢هـ، صادرة عن هيئة المدنيين، وموجهة إلى نظارة الداخلية، إلى الصفات التي يجب توافرها في المرشح لمنصب متصرفية نجد. من هذه الصفات، ان يكون متمتعا بالحنكة السياسية، ولديه لياقة وأهلية، فمتصرفية نجد ((الاحساء)) مترامية الاطراف، وذات موقع مهم، وادارتها صعبة، وهي بعيدة، لذا فان كل هذه الامور تحدُّ من رغبة الاشخاص المعروفين بادارتهم في قبول هذا المركز، خاصة وان راتب المتصرف لا يتجاوز ((٦٧٥٠ قرشا عثمانيا)) واقترحت الهيئة ثلاثة اشخاص لمنصب متصرفية الاحساء هم:

* عبد السلام افندي، المنفصل عن متصرفية فزان.
* ونجيب بيك، المعزول عن متصرفية إيلبصان في اليونان.
* وشوكت باشا، المنفصل عن وظيفة كاتب بغداد.

وقد رشّحت هيئة المأمورين المدنيين نجيب بيك، لمعرفته بأحوال العرب، وقد نال موافقة الاكثرية في الهيئة.

وقد وافق الصدر الاعظم على ترشيح نجيب بيك، وكتب إلى الباب العالي في العشرين من رمضان ١٣٢٢هـ يبلغه بذلك، موضحًا الاسباب، فوافق السلطان العثماني على الامر في ٢١ شوال ١٣٢٢هـ، الموافق ٢٨ نوفمبر ١٩٠٤[459].

حوالي سبعة اشهر والمنصب شاغر!!.

---

[458] انظر الوثيقة ((FO. 416 / 16)) لعام ١٩٠٤.

[459] مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٣٠، ابريل ١٩٨٢، وانظر دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية ص ٢٠٢، ٢٠٤.

وجلالة السلطان نفسه يتأخر مدة شهر كامل حتى يوافق ويوقع على الفرمان.

ومهما تكن تبريرات التأخير، فانه كان بالغ السوء على الاوضاع الأمنية، وقد ألح والي البصرة ووالي بغداد على سرعة تعيين متصرف ((إذ لا يجوز ان يبقى هذا المنصب شاغراً، لان هذا يؤدي إلى امور غير محمودة في المنطقة[٤٦٠].

والأمور غير المحمودة هي تدخل الانجليز وابن سعود، واشعال الاضطرابات، وهو الذي حدث بالفعل.. إذ تسلّم نجيب بيك منصبه في ظروف بالغة السوء، حيث لم يأت الا والاضطرابات قد تفاقمت إلى حدٌ بعيد.

في الثاني من كانون الثاني ــ يناير، ١٣٢٢هـ، كتب القائد العام في الاحساء إلى الصدارة العظمى: ((ان وكلاء الانجليز في بندر بوشهر وجزيرة البحرين يحرّكون مشايخ العشائر في سواحل نجد ــ الاحساء ــ ويبيعون أنواع الاسلحة والمعدّات الحربية في كل بقعة من تلك السواحل، تسليحا لقبائل هذه الجهات ابتغاء الفساد)).. وتشير الوثيقة إلى ان القيادة العامة قد اتخذت الترتيبات اللازمة لافساد ما يقوم به الانجليز في المنطقة[٤٦١].

ومن ناحية ابن سعود، فانه استطاع خلال عهد نجيب بيك ابو سهيل، والذي كان ضعيفا، ان يخترق الادارة التركية، وان يقنع محمود بيك بأن يتآمر مع العجمان وعشائر اخرى موالية لابن سعود لقتل الناس ونهبهم، فتحولت مهمته من حفظ الأمن إلى الاخلال به.

كتب مخبر للحكومة العثمانية[٤٦٢] عن اسباب تضايق اهالي الاحساء ((ان محمد نجيب بيك، متصرف الاحساء، كان قد ترك امر اللوا وكافة شؤونه في يد بكباشي/ مقدم الدرك، صاحب الدفعة محمود بيك، ولان محمود بيك هذا وابن سعود صحبة، وبينهما اتفاق سري، فان المقدم محمود بيك سلّط عشائر ابن سعود على الاحساء، حيث تجرّأت على قتل الناس، ونهب الاموال وغير ذلك من الامور غير المرضية، وقد وجه الاهالي والعسكر عدّة شكايات ضد هذه الاعمال إلى المتصرف)).. وقال المخبر العثماني: ((ان محمود بيك عندما توجه إلى البصرة، كان قد ترك خاله رشيد بيك وأخاه هناك في الاحساء، وكان من رشيد بيك ومن ابن أخته حركات فاسدة بقصد الاخلال أمن اللواء ليقال أن غياب محمود بيك أدى إلى مثل هذا الخلل في المنطقة.. وان

---

460 وثيقة تركية صادرة في ٤ تموز ــ يوليو ١٣٢٢ هـ من والي بغداد.

461 دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

462 وثيقة تركية مرسلة من مخبر اسمه محمد عبده، إلى قيادة الجيش السلطاني السادس في بغداد في ٢٥ أيار ١٣٢٢هـ انظر دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

اقارب محمود بيك جاؤوا إلى المبرز ونهبوا الاموال من الاهالي وساقوا معهم ثلاثين شخصا من رؤساء المنطقة، كل هذا الاجراء بسبب قتل احد رجال الدرك في المبرز))[٤٦٢].

ويتحدث المخبر أن عشرة من العجمان المؤيدين لابن سعود قتلوا رئيس قبائل آل مرة راشد بن شريم، والذي أعطته السلطات التركية الامان، وذلك في الاحساء بالقرب من القصر المسمّى ((حميدي))، ولان المتصرف غير موجود، ولما لم يعالج الامر، لذا كثرت تعديات العجمان على قبائل آل مرّة، التي وجدت نفسها ضعف الحكومة، فراحت تهاجم القوافل التجارية.

وفوق هذا كلّه يقول المخبر، ان هناك ((اتصالات سرّية بين وكيل القائمقام في القطيف ــ احمد افندي ــ، وهو من أهالي البصرة، وبين معتمد ابن سعود في البحرين. كما ان هناك اتصالات سريّة تتم بين وكيل القائمقام، وبعض أهالي القصيم وعشائره. وقد وعد وكيل القائمقام كل من اتصل به بتقديم كل التسهيلات اللازمة لهم، من اجل اثارة القطيف ضد السلطة المحلية التركية فيها)).. كما ((ان بواخر الانجليز تتردّد هذه الايام بكثرة على قضاء قطر، يرافقها في الذهاب والاياب قناصل دولة الانجليز في الخليج وجزر البحرين... الخ))[٤٦٤].

يبدو واضحا الآن، ان ابن سعود يقود دفّة الاضطرابات في الاحساء، بدفع العجمان لمهاجمة القرى ونهبها، وبالتآمر مع بعض موظفي الاتراك من العرب، كما حدث مع محمود بيك ووكيل قائمقام القطيف، وبالتنسيق مع معتمده في البحرين، وهكذا..

وتزايدت الشكايات ضد المتصرّف نجيب بيك ابو سهيل لضعفه وايكال الامور إلى المتواطئ مع ابن سعود محمود بيك، وسرعان ما اختلف المتصرّف مع قوّاد عسكره، فقد ارسل القائد العام إلى الصدارة العظمى رسالة في ٣١ يوليو ١٣٢٢هــ، تفيد بأن نجيب ((لا يأبه بأمور منصبه، وهو يرجح مصالحه الذاتية على مصالح دولته، ويظهر هذا من سلوكه وحركاته غير المرضيّة، بالاضافة إلى ذلك فقد كان يكتم الحقائق ويخفي أمرها. وهو يحاول ان يفتري على هذا أو ذاك ليؤمن نفسه ومصالحه واغراضه غير المشروع)).. ثم تأتي الرسالة إلى الخلاف بين نجيب وأمير اللواء حلمي بيك ((فقد كان نجيب بيك يتهمه بتهم ضالة ليتستر وراء ما تفعله يداه، وللاثبات ارفق طيّه المراسلات والصورة المرفقة إلى مقام الصدارة العظمى))[٤٦٥].

وقبل ذلك اتهمت دائرة الأركان الحربية، في وثيقة مؤرخة في الثاني من يوليو ١٣٢٢هــ، اتهمت نجيب بيك بناء على معلومات وردتها من الوكلاء الانجليز والبحرين ومن شكاوى

---

463 اشرنا إلى هذه الحادثة في تقييمنا للعهد التركي ــ الاقتصادية، انظر تحفة المستفيد ص ١٨٩، ١٩٠.

464 الوثيقة السابقة، ٢٥ ايار ١٢٢٢هــ.

465 دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ٢٠٧، ٢٠٨.

الأهالي، انه ((قليل الوقوف على الاحوال المحلية.. وهو لا يتصدّى للحركات غير المرضية في المنطقة، ويكتم الحقائق لستر اعماله، ولا يهتم بأمر ادارة المتصرفية))[466].

وهنا تشير الوثائق باصبع الاتهام إلى المتصرف بانه، كمحمود بيك، ليس متساهلاً في التصدي لغارات البدو فحسب بل وأيضاً متواطئ مع ابن سعود في تسهيل ذلك من اجل ان يحصل على جزء من المنهوبات، أو على بعض المال من ابن سعود نفسه، خاصة وان راتب المتصرف قليل إلى حدّ ما!.

وعلى اثر الشكاوى ضد ابي سهيل، قام الحاج منصور بن جمعة، زعيم القطيف بتأليب الناس ضد المتصرف، وكتب للسلطات العليا حول الامر، فطلب الباب العالي من والي بغداد تقديم بعض الاستيضاحات حول حقيقة المتصرف، وحول حقيقة ما يشكو منه السكان المحليون، وحول خلاف المتصرّف مع الامير لاي مصطفى حلمي بيك الذي كان يرفض تصرّفات المتصرف. فأجاب الوالي بأن معرفة المطلوب ليس امرا سهلا ((بخاصة انه لا توجد اعتمادات ومصاريف تؤمن ارسال رجل قدير يجري تحقيقا في الامر)). وتبرّع الوالي بالاجابة قبل ان يحقق، فقال بانه لم ترد اليه ((اية شكاية ضد متصرف نجد، ولم تأت اخبار عن ارتكاب قائد نجد لأعمال تسيء إلى وظيفته. كل ما في الامر ان الحاج منصور باشا القطيفي، اشاع مثل هذه الاخبار الملفقة ضد المتصرّف، حتى يظهر للناس عدم قدرته في الادارة، ويقصد بذلك إلى اقصائه))[467].

لم تقتنع السلطات العثمانية بالأمر، واجرت تحقيقاتها، ووجدت ان مصطفى حلمي بيك أدّى وظيفته بكل اخلاص، واقترحت تعيين سعيد بيك قائدا على نجد وأعداده لذلك[468].

مع هذا كانت الاوضاع تسير من سيّء إلى أسوء، فالخلافات بين المتصرّف وقيادات العسكر تتسع وتتفاقم، والنقص في المال زاد حدّة، فتناقص عدد الموظفين، وعاش الجند حالة سيئة، ورأى البدو الذين لا يمكن اخضاعهم الا بالمال أو القوّة، الفرصة لخربطة الاوضاع، حيث كانوا يريدون زيادة في مخصصاتهم، وأدّت كل هذه الامور إلى اهتزاز معنويات رجال الحكومة وأتباعها[469].

إزاء ذلك زاد الالحاح في طلب تعزيز قوّة الحاميات العسكرية التركية المهلهلة في الاحساء، لإعادة الأمن:

---

466 المصدر السابق، ص ٢٠٩.

467 المصدر السابق، ص ٢٠٨، وثيقة مؤرخة في ٢١ آب ١٣٢٢هـ.

468 المصدر السابق، ص ٢٠٩، وثيقة مؤرخة في ٢١ تشرين الثاني ١٣٢٢هـ.

469 المصدر السابق، ص ٢٠١، ٢٠٢، وثيقة مؤرخة في الخامس كانون الاول ١٣٢٢هـ.

* فقد طلبت ((الصدارة العظمى)) في برقية مؤرخة في الثالث عشر من تشرين ثاني ١٣٢٢هـ، وموجهة إلى نظارة البحرية ((بضرورة ارسال عدد من السفن العثمانية لنقل طابورين من الجيش إلى منطقة الهفوف لتأديب قبيلة العجمان التي أخلّت بالأمن في الهفوف)) [٤٧٠].

* وفي الخامس من كانون اول ١٣٢٢هـ، ارسل الفريق صدقي باشا قائد الجيش السلطاني السادس في بغداد إلى الجهات العليا برقية جاء فيها: ((ان الحل الأجدى للأزمة القائمة في الاحساء، هو ابدال العسكر النظامي بعسكر نظامي غيرهم، عن طريق ارسال اربعة افواج من الجند النظامي بدلا من الموجودين حاليا، اضافة إلى سرعة ما طلبنا ايصاله إلى المنطقة من قوى الخيالة)).. وتشير البرقية إلى أعوان ابن سعود في الاحساء وأفعالهم في تهييج السكان، حيث تقرّ البرقية بأن ((الأمن العام في المتصرفية قد انسلب))، وان اعوان ابن سعود ((كتبوا اليه خفية يعلنون انه إذا ما أراد ان يجعل اللواء – أي الاحساء – في يده فسوف يفتحون له سور المدينة))، و((أنه من الصعب على الحكومة المحلية الدفاع عن الاحساء إذا ما هوجمت من قبل ابن سعود)) [٤٧١].

* ووافقت ((الادارة السنيّة)) على ((ضرورة ارسال اربعة طوابير من العسكر إلى الاحساء، الا انه لا توجد سفن تنقل العسكر إلى المنطقة المذكورة، وأخيرا تمّ نقل طابور منهم، وهو الطابور الثالث المنسوب إلى الآلاي الواحد والأربعين إلى ميناء العقير، مع ذخائر تكفي لمدّة اربعة شهور، اما عن مفرزة الخيالة فيتعذر ارسالها لعدم وجود الدواب، وإذا تمّ ارسال ألفي ليرة من صندوق مال البصرة، فعندها يكون بالمقدور ارسال هذه المفرزة. لذا وجب تبليغ الامر إلى ولاية البصرة لارسال المبلغ المذكور إلى بغداد حتى ترسل المفرزة على جناح السرعة [٤٧٢].

* ووجهت برقية إلى نظارة الحرية من الصدارة العظمى في ١١ تشرين الثاني ١٣٢٢هـ، تشير إلى ان الامن في الاحساء غير مستتب، وان الحوادث الاخيرة فيها تكتسب طابع الخطورة، وفي البرقية ابلاغ بضرورة ارسال سفينتي شحن، واربعة قوارب عسكرية بحرية ((Gun Boats)) على وجه السرعة إلى الاحساء، لتعمل على استتباب الامن، وحتى تبقى طرق المواصلات مفتوحة [٤٧٣]. ويبدو أن طلب القوارب البحرية له علاقة بمسألة توزيع السلاح

---

470 المصدر السابق، ص ١٩٥.

471 المصدر السابق، ص ٢٠١، ٢٠٢.

472 المصدر السابق، ص ٢٠٤، وثيقة تركية صادرة عن دائرة الاركان العامة، ومؤرخة في السابع عشر من كانون اول ١٣٢٢هـ.

473 المصدر السابق، ص ٢١١.

الانجليزي على القبائل البدوية في الاحساء، فبعد مدّة طلبت الصدارة العظمى من نظارة البحرية، ان تعطي الأوامر إلى القارب البحري العسكري في ميناء بيروت، وسفينة الرصد ((طارش كوبري)) الموجودة في البحر الاحمر للقدوم إلى الخليج من اجل رصد سواحل الاحساء والبصرة، ومراقبة التحركات المعادية.

وهناك وثيقة تركية اخرى توصي باتخاذ ((الترتيبات اللازمة للسيطرة على المنطقة وحماية الاحساء من الانجليز ومؤامراتهم في المنطقة حتى تتمكن من عودة الهدوء والأمن))[٤٧٤].

في الثالث والعشرين من مارس ١٩٠٥ الموافق ١٧ محرم ١٣٢٣هـ، التقى القائم باعمال القنصل البريطاني في البصرة ((مونهان)) بالوالي هناك.. وجرى حديث عام اشار فيه القائم بالاعمال إلى ان حاكم الكويت لا يتدخّل في امور سنجق نجد ((الاحساء))، فقال الوالي له ((انه يتظاهر بذلك، ولكنه يتدخل فيها سرّا)).. ولما ردّ البريطاني بالقول ((أعتقد ان الكويت ستبقى على نفس الوضع)). أجاب الوالي ملمّحا بأن الامور تغيرت، وان العلاقات بين البصرة والكويت تبدّلت ((ولا بدّ من فتح حساب جديد مع حاكم الكويت))، لانه يؤوي المجرمين والفارين من العدالة، من الذين يقومون بالاعتداء على حقوق الناس[٤٧٥].

وفي أواخر ابريل من نفس العام، ألحّت حكومة الهند على وزارة الخارجية بأن تضغط على الباب العالي ((في المطالبة بانسحاب الحامية العسكرية التركية من جزيرة بوبيان)) لاضعاف النفوذ التركي في تلك الاجزاء.

وفي بدايات شهر رمضان المبارك ١٣٢٣هـ ((نوفمبر ١٩٠٥))، بعث قائمقام القطيف، والمرحوم منصور باشا الجمعة، العامل بالادارة المدنية هناك، برقيتين لوالي البصرة يقولان فيهما: ((ان الاوضاع مضطربة جدا في قضاء القطيف، وان السكان يهاجرون منه))[٤٧٦]. وعلّق والي البصرة الجديد: ((انه بما ان البرقيتين اُرسلتا عن طريق بوشهر والفاو، فلا بدّ ان يعرف محتواهما في الخارج)).. وأضاف الوالي: ((انه طالب احدى وعشرين مرة باتخاذ اجراءات للدفاع عن الساحل، وتبنّي الاجراءات الضرورية، ومع هذا فان شيئا من ذلك لم يحدث، وان الاوضاع تزداد سوء وتدهورا))[٤٧٧].

---

474 المصدر السابق، ص ٢١٧.

475 وثيقة مؤرخة في ٢١ / ٢ / ١٩٠٥ ((FO.416 / 22)).

برقية من ج. هـ. مونهان بالبصرة، إلى السفير اوكنور في القسطنطينية.

476 راجع الوثيقة السابقة، ((الارقام، ٢٩٧، ١٢٧، ٢٤٨)).

477 الوثيقة ((FO. 406 / 24))، برقية سرّية جدا من السير ن. اوكنور، السفير في القسطنطينية، إلى وزير الخارجية الماركيز لانزدون، مؤرخة في الرابع عشر من نوفمبر ١٩٠٥.

وكما جرت محاولات تركية لاعادة الامن المسلوب، جرت تبديلات عديدة في قيادات العسكر والحاميات لمواجهة التحديات المفروضة، والتي كانت اكبر مما تتحمله امبراطورية تسير إلى حتفها ونهايتها!.

فقبل ان يودّع محمد نجيب ابو سهيل متصرفية الاحساء، وقعت حادثتا ((الحزم والوزية)) واللتان كانتا من الوقعات البارزة في تاريخ المنطقة بين الأهالي في الاحساء، والعجمان. وكانت هاتان الوقعتان قد حدثتا في عام ١٣٢٤هـ ــ ١٩٠٦.

يقول مؤلف كتاب تحفة المستفيد[٤٧٨]، ان العجمان وأحلافهم اعتادوا ان ينزلوا صيفا في مكان يسمى ((الحزم)) قرب المبرز، و((الرقيقة))، قرب الهفوف، وذلك لشراء ميرتهم وقت جذاذ التمر.. وفي ذلك العام ١٣٢٤هـــ، اعتدى رجال من الساكنين في حزم المبرز على نخيل ((عين الزواوي)) فطردهم اهلها، وترامووا بالبنادق، وفزع أهل المبرز لأهل النخيل، وأهل الرقيقة لاصحابهم، ودامت المعركة من بعد طلوع الشمس حتى قرب الزوال، وقد انتصر الاهالي على البدو، وسقط من الفريقين قتلى كثيرون.. ويومها اعلنت الاحساء الحرب على العجمان، فلا يدخلها احد منهم، ودام ذلك من شهر جمادى الثانية ١٣٢٤هـــ، حتى رمضان من نفس العام ((يوليو ــ اكتوبر ١٩٠٦)).

وفي اوائل رمضان ١٣٢٤هــ بلغ أهالي الاحساء، ان العجمان جاؤوا بأجمعهم لمهاجمتهم، ومعهم حلفاؤهم من البدو، واخذ الميرة قهرا، فطلب الاهالي من المتصرف ان يخرج معهم حملة عسكرية للتصدي للبدو، ولكنه تردّد كثيرا ثم اجابهم، وخرج الاهالي من القرى وغيرها، ومعهم عساكر من الدولة إلى ناحية ((الوزية)) عصرا. ولكن نظرا لعدم وجود قائد يأتمرون بأوامره، تغلّب العجمان عليهم بحيلة عسكرية، وقتلوا كثيرا من الاهالي، في حين كانت الحامية ترمي بالمدافع على غير ناحية العدو!!

إنهزم الأهالي وانتشر الاعداء في النخيل والزروع وافسدوها، وهاجموا قرى، الحليلة، والكلابية، والشقيق وانتهبوها. وبعد ذلك جرى الصلح بين الطرفين، على ان تعود الأمور كسابق عهدها[٤٧٩].

---

478 تحفة المستفيد، مصدر سابق، ص ١٨٩ .

479 تشير معلومات المعتمد السياسي البريطاني في الكويت إلى ان حادثة نهب وحرق قرية الشقيق وقع في الثاني والعشرين من شهر اكتوبر ١٩٠٦، أي في الخامس من رمضان ١٣٢٤هــ.

أما قرية الحليلة، فهي قرية شيعية كاملة، واما الكلابية والشقيق فيسكنهما اخلاط من السنّة والشيعة.

وسجّلت وثائق الانجليز هذه الحادثة، ذلك انهم كانوا يراقبون الأوضاع، ويعقدون التحالفات مع العجمان، وكان مبارك الصباح يبلّغ بالاخبار اولا بأول إلى المعتمد السياسي البريطاني في الكويت، المستر نوكس!

فعلى اثر الحادثة، التقى مبارك الصباح في الكويت بالمعتمد البريطاني وأطلعه على ما وصله من اخبار الهجوم بمبالغة كعادته، وهو ما اكتشفه الانجليز بعدئذ. قال مبارك لنوكس: ((إنه لا يملك معلومات دقيقة عن عدد الاصابات التركية في الاحساء، الا ان قبائل العجمان أعلنت أنها دمّرت طابورين، واستولت على اسلحتهما، وان اكثر من نصف جنود حامية الاحساء قد قتلوا)).. واضاف: ((أنه مما لا شك فيه ان فهد بن حثلين ــ زعيم العجمان ــ والموجود حاليا في الكويت، قد استولى على مدفع واحد، واحضر معه بغلين والعديد من الحمير ليبيعها في الكويت[480]، وانه سيرسل أعدادا أخرى منها لهذا الغرض))[481].

غير ان نوكس، المعتمد في الكويت، والذي اصبح فيما بعد رئيسا للخليج ((أي لكل المعتمدين في الخليج))، لم يكن ليعتمد على مصدر واحد من المعلومات، ليقف على جليّة الامر في الاحساء، فانتهز فرصة وجود زعيم العجمان في الكويت، ودعاه لمقابلته في دار المعتمدية،ثم قدّم تقييما للاخبار.

قال نوكس: ((قدم فهد بن حثلين لزيارتي يوم التاسع عشر من الشهر الحالي ــ نوفمبر ١٩٠٦ ــ، ومعه شيخ مسنّ ذو نفوذ، من شيوخ العجمان، واسمه سالم بن محمد، من عشيرة الهادي. أما الزعيم نفسه ــ أي فهد ــ فهو شاب أنيق وسيم، في حوالي الثلاثين من عمره. كان يبدو كسولا، طيّب المعشر، ولم يكن يتكلم الا قليلا، ولكنه ترك انطباعا لديّ بانه سيكون قائدا للرجال شديدا قاسيا، وانتقاميا حقودا، حين يُدفع للعمل)).

وأضاف: ((كلا الرجلين ــ فهد وسالم ــ بالغا وأطنبا مدحا لرواية الشيخ مبارك عن انتصارهما، وقالا ان اهالي الاحساء، ومعهم الجنود، قد ذاقوا الآن طعم ثارهم وانتقامهم، وان الاخيرين على استعداد الان للقبول بأية شروط. لقد عرضوا ان ينسوا كلّ دية مستحقة لديهم، وان يدفعوا كل الرواتب المتأخرة والمستحقة لشيوخ العجمان[482]، وأنهم عرضوا ألفي ليرة تركية

---

[480] يدلك على تفاهة مكتسبات العجمان هذه المنهوبات التي لا تتعدى الحمير الحساوية ذات الشهرة العالمية!، وما وجود العجمان في ضيافة مبارك الا دليل آخر على المساندة، وقد اعتاد مبارك أيواء العجمان وتوفير الحماية لهم نكاية بخصومه، وهو ما فعله فيما بعد مع الملك عبد العزيز سنة ١٩١٥.

[481] انظر الوثيقة ((FO. 371 / 345)) ((E 5532)) والمؤرخة في العشرين من نوفمبر ١٩٠٦.

[482] هذه توضح ان احد اسباب شنّ الهجوم، هو رفض الحامية التركية دفع المبالغ التي يأخذها العجمان، أما الاسباب ترجع إلى عدم القدرة، أو لأن الاهالي الذين يفترض أنهم الذين يدفعون ذلك رفضوه فتعرضوا للانتقام!

لاسترداد المدفع، وان يدفعوا ضعف ثمن الاسلحة والبغال المنهوبة، لكن فهد رفض أن يبيعهم المدفع قائلا: أنه سيرسله إما إلى مبارك أو إلى ابن سعود))[483].

لاحظ هنا ما يستشف من علاقة ورابطة بين ابن سعود والعجمان، وبين الاخرين ومبارك الصباح، وهذا الحديث يُقال في دار المعتمدية البريطانية في الكويت، وللمعتمد نفسه، الذي حرص على القول بأن الزعيمين العجمانيين ((مرحبا بزيارتي لبلادهم إذا أحببت، والتي تقع على بعد مسيرة ثلاثة أيام إلى الجنوب من الكويت))!.

ويخلص نوكس من كلّ هذا إلى ان ما حدث في الاحساء من هجوم عجماني عليها، وما حدث في نجد من انسحاب القوات التركية من القصيم عدا ((٢٥ جندي في بريدة، و١٥ في عنيزة)) مع اعتراف ابن سعود الاسمي بتبعيته للسلطان العثماني، بأن ذلك أثر على موقع الاتراك، فأهتزت معنويات الاهالي.. يقول: ((يبدو ان الانسحاب التركي من نجد، والاخبار الواردة من الاحساء، قد تركت اثرا سيئا على الرأي العام تجاه الاتراك في هذه الانحاء، حتى ان الشخص يستطيع ان يغامر بالقول ان الشيخ مبارك يعلم الكثير، واكثر مما أخبرني به، حول المضاعفات والتعقيدات في الاحساء)).

لم تكن هذه الاخبار هي كل ما التقطه الانجليز من عملائهم ومخبريهم، فقد اضاف القنصل البريطاني في البصرة ((المستر كراو)) معلومات جديدة عن حادثة ((الوزيّة)) حيث ارسل القنصل برقية إلى القائم بالاعمال البريطاني في القسطنطينية في السابع من ديسمبر ١٩٠٦ تقول[484]:

((تلقينا رسالة من الاحساء مؤرخة في ١٢ نوفمبر ١٩٠٦، وطبقا للرواية التي توردها الرسالة، يبدو ان القبائل العربية هاجمت البلدة يوم ٢٢ اكتوبر، واشتبكت مع القوات التركية هناك. كانت الخسائر التركية كبيرة في الرجال والبغال والبنادق، كما استولى العرب على مدفع واحد، كما ان قرية تُدعى الشقيق، وتتبع الدائرة السنيّة قد نُهبت ثم أُحرقت. وقد دفعت الاموال للقبائل كي تتراجع، وأُعيد المدفع، واستعادت البلدة السلام والهدوء))!![485].

وصادف انه في اثناء حدوث هذه الوقائق، ان الاتراك استخدموا الكويت والبحرين كطريق عبور لقواتهم الذاهبة إلى نجد والاحساء، والعائدة منها إلى البصرة، بحرا بالمرور من البحرين،

---

483 الوثيقة السابقة.

484 الوثيقة ((FO. 371 / 345)) ((E 5532)). برقية رقم ٨٤ وتاريخ السابع من ديسمبر ١٩٠٦، مرسلة من المستر كراو ((F. E. CROW)) في البصرة إلى القسطنطينية، وارسل المقيم في الخليج إلى حكومة الهند نسخة منها في السادس عشر من ديسمبر من نفس العام.

485 لفظة العرب التي ترد في الوثائق البريطانية، يقصد منها البدو.

أو برا عن طريق الكويت. وقد اعتاد الاتراك على فعل ذلك، إذ انهم حتى ذلك الحين لم يتنازلوا عن حقوقهم في هاتين الامارتين ((البحرين والكويت))، وكان الانجليز في العادة يتغاضون عن مرور السفن التركية والقوات التركية المارّة بمناطق نفوذهم. الا انهم هذه المرة حاولوا اثارة الموضوع وتضخيمه مستغلين ضعف الاتراك، وكان على رأس الصقور حكومة الهند ومقيمها في بوشهر والمعتمدين في الخليج الذين طالبوا بايقاف الاتراك عند حدّهم، في حين اتخذت وزارة الخارجية البريطانية رأيا مخالفا وتبنّت رأي سفيرها عند الاتراك ((اوكنور)) الذي لا يحبّذ إثارة الموضوع.. ولان حكومة الهند تمثل رأي وزارة المستعمرات وكل الاستعماريين في بريطانيا.. ولما كانت العلاقة مع الاتراك تخضع لرأي وزارة الخارجية، فقد رضخت حكومة الهند لذلك الرأي.

فقد أُبلغ المقيم البريطاني ((بيرسي كوكس)) عن طريق المعتمد السياسي في الكويت، الكابتن نوكس، بأن ٣٠٠ جندي نظامي عثماني عادوا إلى العراق عبر الكويت. فأرسل إلى حكومة الهند يسألها: هل من الصالح دفع مبارك للاحتجاج، وهل من الصالح تقديم احتجاج للباب العالي بعدم استخدام الكويت، لما يسبب ذلك من اضطراب لدى الرأي العام!!

وكان من رأي كوكس انه إذا ما أراد الباب العالي ارسال قوات إلى نجد وغيرها، أو اخراجهم منها، فانه يجب ان يُطلب منه استخدام العقير لهذا الغرض، وليس مناطق الشيوخ المتصالحين مع بريطانيا[486].

وبالطبع فان الانجليز لا يريدون ان يشعر احد من حلفائهم أو اعدائهم، بأن لغيرهم أية سلطة أو ميزة في الكويت والبحرين، فهما اقطاعيتان خاصتان بالانجليز وحدهم. ومن جانب اخر، كان من أهداف الاحتجاج الانجليزي إعاقة تقدُّم القوات العثمانية إلى نجد والاحساء، لتكون الحاميات هناك اكثر ضعفا.

وما لبث أن ارسل الكابتن بريدو، المعتمد البريطاني في البحرين، إلى بيرسي كوكسفي بوشهر، رسالة يقول فيها انه سمع بأن الباخرة التركية ((جون أو سكوت ـ Jhon. O. Scott)) ستصل إلى البحرين، وان الاتراك ينوون انزال قواتهم هناك، ثم نقلها في قوارب شراعية إلى مقصدها ((القطيف، العقير، الدوحة)).

ويعتقد بريدو ان الباخرة نفسها لن تذهب إلى هذه الموانئ. وقال انه سمع بأن باخرة ستطلق قذيفتين في حال وصولها إلى البحرين، إما لتحية الشيخ عيسى، أو لاعلام القطيف بوصولها!.

[486] الوثيقة ((FO. 371 / 345))، من كوكس، المقيم السياسي في الخليج الفارسي، بوشهر. إلى السير لويس دين، في حكومة الهند، بتاريخ الرابع عشر من اكتوبر ١٩٠٦.

وعبّر بريدو عن استيائه من انزال القوات في البحرين، دون اذن رسمي منه، أو من الشيخ عيسى ((الذي هو في الواقع واجهة لا تحلُّ ولا تربط!))، وقال: ((يبدو لي ان انزال القوات هنا لا يمكن تبريره الا إذا كان الميناء جزءا من الامبراطورية التركية!، ولذا لا يمكن التسامح مع هذا الانزال ضمن اية احتمالات اخرى، الا بعد مراسلات خاصة والحصول على اذن رسمي))[٤٨٧].

وبعد أسبوع واحد، أي بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٠٦، ارسل الكابتن نوكس إلى الميجور بيرسي كوكس، يبلغه باستخدام الاتراك لاراضي الكويت، من اجل العبور من وإلى نجد، واثار نفس الاعتراضات التي سبق لزميله بريدو ان اثارها.

وبناء على هذا ارسل كوكس إلى حكومة الهند رسالة بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٠٧ يبلغها بالتفاصيل، وضمَّ صوته إلى اعتراض بريدو، ثم يطلب رأي حكومته!.

قدمت حكومة الهند رأيها لوزارة الخارجية، الذي يقضي بتوجيه تحذير إلى الباب العالي مباشرة، بحيث يتخذ هذا الشكل: ان استمرار عبور القوات التركية من البحرين والكويت، سيضطر حكومة جلالة الملك ــ البريطاني ــ لتفكر في ماهيَّة رد الفعل الذي يجب ان تتخذه لحماية مصالحها[٤٨٨].

وكما يبدو رأت وزارة الخارجية، ان المسألة لا تحتاج إلى كل هذه الاثارة، واستطلعت رأي سفيرها في القسطنطينية ((أوكنور))، فكتب الاخير إلى حكومة الهند في الاول من ابريل ١٩٠٧ ناصحا بعدم اثارة الموضوع بشكل مضخَّم، لان الحكومة التركية لها حججها التي تستطيع ان تدافع بها، وقال ان من الصالح اعطاء مهلة أو مدة معلومة للباب العالي، لكي لا يستخدم الكويت أو البحرين لعبور قواته.. اما في الوقت الحالي، فمن المحبَّذ أن يسمح لــ ((بعض)) قواته بالمرور.. الخ. وهكذا خمدت ثائرة حكومة الهند!

---

487 الوثيقة ((FO. 371 /345)).

رسالة من المعتمد السياسي في البحرين، الكابتن بريدو.

إلى المقيم البريطاني في بوشهر، الميجور بيرسي كوكس.

مؤرخة في السادس عشر من ديسمبر ١٩٠٦.

488 الوثيقة رقم ((FO. 371/345)). رسالة من أ. غودلي إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٧ مارس ١٩٠٧.

وقعة الشربة

بعد اكثر من عام جاء دور القطيف، حيث وقعت سنة ١٣٢٦ هـ ـــ ١٩٠٨ حادثة الشربة، وكان ذلك في عهد المتصرف محمود باشا.

أما سبب الوقعة، فقد اتفقت آراء المؤرخين، على ان بدايتها كانت بسبب اعتداء احد البدو على سقاء متجول يحمل شربة ((جرّة)) ماء. ويروي المرحوم الشيخ فرج العمران بأن الحادثة وقعت في سوق القطيف، يوم الخميس ١٨/ ٥/ ١٣٢٦هـ ((١٧/ ٦/ ١٩٠٨)) وبسببها سدّت الاسواق وعطّلت الاعمال، وتلفت النفوس ونهبت الاموال، وهدمت البيوت، وأحرقت البساتين.. ((وأصلها ان صبيًا اسمه مكي بن الحاج ابراهيم الدبّوس، من أهالي الدباية كانت بيده شربة كبيرة ((جرّة)) متخذة من الطين، ومملوءة ماء للبيع. ووقعت من يده على الارض فانكسرت، فرمى بها في الشارع فوقعت قريبا من احد البداة، فظنّ أنه رماها عليه متعمدًا، فجاء اليه البدوي فلزم حلقه ليخنقه، وضع خنجره في خاصرته ليقتله، فاجتمعت عليه الناس فخلصوه. فكثر القال والقيل، وفشا السبُّ والشتم، وتوفر الضرب والجرح، فكانت الحادثة العظيمة بين الشيعة وعشائر السنّة من الصبيح ومطير والعجمان والعوازم والمهاشير وغيرهم[489]. واستمرت الحادثة سبعين يوما تقريبا، وقتلت من الشيعة والسنّة رجال ابطال وذوو شخصيات، وممن قتل فيها من الشيعة الشجاع الباسل جعفر بن الحاج حسن علي الخنيزي، وكان مقتله في ١٨ / ٧/ ١٣٢٦هـ، ودفن في القلعة في المقبرة المجاورة لبيت آل ابي السعود))[490].

لقد تطورت الاوضاع المتأزمة من الحادثة، وتبعها هجوم على القطيف التي حوصرت قرابة ستة اشهر على مشهد ومسمع من قوات امن الدولة التركية التي اصابها الوهن والضعف.. وكانت وقعة الشربة في شهر يونيو ١٩٠٨ الموافق لشهر جمادى الاولى سنة ١٣٢٦هـ. أما الحصار فقد بدأ بعد الحادثة مباشرة حينما منع الأهالي البدوَ من شراء ميرتهم ودخول مدنهم وقراهم، واستمر الحصار حتى شهر نوفمبر ــ شوال على الارجح.

ومما ساعد الاهالي في القطيف وقراها على الصمود ضد هجمات البادية، وجود الاسوار والبروج التي تحفظ المساكن من عبث البدو.. وخلال أواخر العهد التركي، وبسبب انفلات الأمن، عُمِّرت الابراج وأُصلحت الأسوار، بل وابتُني عدد منها في القرى والأرياف.

---

489 المهاشير، فرع من الخوالد الذين هم أقرب القبائل البدوية إلى الشيعة، بسبب حكمهم السابق للمنطقة وتفاعلهم مع سكانها وامتزاجهم بأهلها واعتناق اكثرهم للمذهب الشيعي، ولا تزال صلاتهم قوية حتى اليوم مع الشيعة.. ويقال ان بني خالد لهم دور يذكر في وقعة الشربة.

490 الأزهار الارجية في الآثار الفرجية، المرحوم الشيخ فرج العمران، المجلد ١٢، طبعة النجف الاشرف، ص ٢٢٠. وانظر ساحل الذهب الاسود، ص ١٩٢.

فالقطيف ــ مثلا ــ كانت تتكون من الكوت، وحي محصن، وسوق طويل، وبجانبه ضواح سكنية مختلفة.. ويسمّى الكوت أيضاً ((قلعة القطيف)). وهي محاطة بسور له اضلاع يبلغ ارتفاعها ثلاثين قدما، في حين كانت بوابة القلعة مطلّة على البحر إلى جانب بوابات اخرى من الغرب والجنوب.

ووصف الكابتن ج. فورستر سادلبير في رحلته عبر الجزيرة العربية عام ١٨١٩ السور بقوله: ((يوجد لحصن القطيف ثلاث بوابات، وهو على شكل مستطيل، وبه قلعة عند اقصى زاوية باتجاه الشمال، وهي مزودة بنبع مائي جيّد، ويعتقد ان البرتغاليين هم الذين شيّدوه))[٤٩١].

ووصف الاستاذ محمد سعيد المسلم السور كما رآه ــ وهو وصف اقرب إلى ما كان عليه الوضع أواخر العهد التركي ــ فقال بأن القطيف ((يحيطها سور قديم يبلغ سمكه سبعة اقدام وارتفاعه ثلاثين قدما. وتبرز بين جوانبه وزواياه ابراج عالية مستديرة الشكل، وتوصل هذه الابراج التي يبلغ عددها أحد عشر برجا، جسور ممتدة في أعلى السور لتتصل الحاميات بعضها ببعض اثناء قيامها بمهامها))[٤٩٢].

لهذا شهد سور القطيف أكثر من هزيمة للبادية، إحداها كانت بعد بضعة أيام من نشوب الفتنة الأولى ((وقعة الشربة)).. فقد جاء البدو بجمع كثيف، وعسكروا في الجهة الغربية وفي النخيل المجاورة للدباببة، ثم واصلوا الزحف إلى القطيف للانتقام.. وكانت المدينة تتكون يومئذ من الشويكة والدباببة والكويكب والشريعة وميّاس والمدارس وباب الشمال والجراري والقلعة التي كانت اكثر تحصينا ومنعة، فأدخل فيها النساء والاطفال والعجزة والشيوخ، وعاش الرجال في البلد على حذر، وكان ضمن الحاضرين الشيخ محمد النمر ــ قائد انتفاضة العوامية ضد الحكم السعودي عام ١٣٤٧هــ ــ.

وحينها خطط الشيخ النمر ــ وهو ضرير ــ بأن يجعلوا الرجال على طول محيط السور وفي البرج، واوصاهم: إذا رموكم ــ بالنار ــ فلا ترموهم، وانتظروا حتى ينفذ بعض ما عندهم، ثم ابتدئوا بالرمي ولكن بصورة متقطعة.. وقبل هذا ضعوا ((قلال)) التمر على امتداد الجدار الامامي من الداخل، وبقدر الامكان اجمعوا التراب والرماد، فاذا اشتدت الرماية من قبلهم عليكم، ألقوا به من أعلى من جهتي الغرب والشمال، وعندئذ يظنون ان الحاجز الأمامي قد انهار، وسيتقدمون اليكم بجمعهم يريدون دخول البلدة من هذا المكان، وهم لا يبصرونكم من شدة

[٤٩١] الالعاب الشعبية في القطيف، عبد الله حسن آل عبد المحسن، ص ٥٩، ٦٠.

[٤٩٢] محمد سعيد المسلم، ساحل الذهب الاسود.

الغبار وكثافة التراب، وأنتم لهم مبصرون باطلالكم عليهم، فاذا ما اقتربوا ارموهم رمية رجل واحد، وبهذه الخطة سينهزمون، ان شاء الله تعالى.

وقد نفذ اهالي القطيف هذا التخطيط البارع، وكانت النتيجة هزيمة البادية عن القطيف[٤٩٢].

هذا بالنسبة لسور القطيف ودوره، اما القرى والمدن الأخرى، فكانت ـــ كما ذكرنا مسوّرة أيضاً ـــ ولم يستطع البداة اختراقها، فمدينة صفوى كانت للتو قد أعادت بناء سورها سنة ١٩٠٦، اما سورها الاصلي الذي بناه البرتغاليون فقد أُعيد بناؤه قبل عام ١٩٠٦، ولم تكن له الا بوابة واحدة يطلق عليها ((دروازة البحر))، وهي التي يخرج منها الاهالي للصيد واستخراج اللؤلؤ.. وأُضيفت بعدئذ بوابات مثل ((دروازة العصافير)) و((دروازة الخويدعة)) و((دروازة حسينية بن جمعة)). وعمل لكل بوابة دهليز لخروج البحارة والمزارعين. وللسور برجين يطلق عليهما ((برج العين)) و((برج البحر))[٤٩٤].

أما قرية عنك فكانت مسوّرة، وهي تتشكل من حي الشيعة ((العليوات)) وحي ((بني خالد))، وكان في القرية قلعة تطلّ على البحر، وحامية للاتراك. وكذلك يصدق القول على قرية البحاري، والملاّحة، وحلّة محيش، والخويلدية، والجارودية، وأيضاً مدينة سيهات، والاوجام، والقديح، وتاروت التي لا تزال قلعتها ماثلة للعيان حتى اليوم[٤٩٥].

على أن وقعة ((الشربة)) وتأثيراتها السلبية على الاهالي ما كانت لتخفى على الانجليز الذين يرقبون الاوضاع ويتحيّنون الفرص.. وقد سجلت الوثائق البريطانية الكثير من تفاصيل الحادثة.. وكان اهتمامهم منصبا لتحقيق غرضين اساسيين:

الأول: منع اتساع الاضطرابات بحيث لا تصل إلى مناطق تهدّد المصالح والرعايا البريطانيين في البحرين وحتى القطيف ان أمكن.. خاصة وان البدو استخدموا السفن لمحاربة أهالي القطيف وتجارتهم وسفنهم.. وان انتشار مثل هذه الاعمال يفقد البريطانيين المصداقية كحماة لما يدّعونه ((السلم البحري))!.

الثاني: استغلال الحدث، للظهور بمظهر المنقذ لدى السكان، في وقت تجلّت فيه الصورة عن ضعف الاتراك، الذين فقدوا هيبتهم بشكل كامل تقريبا. ولا شك ان هذا المظهر له اثر كبير في احتمال قبول السكان بالحماية البريطانية.. والذي حدث هو ان الانجليز تقدموا بعروض الحماية،

---

493 عبد العلي السيف، مصدر سابق، ص ٤٤، ٤٥، نقلا عن مجلة المنهل السعودية، الصادرة في ٢١ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨هـ. اجابة من قبل الاستاذ مهدي السويدان على سؤال حول حادثة الشربة.

494 الألعاب الشعبية في القطيف، ص ٧٦، ٧٧.

495 المصدر السابق، ص ٦٢ ـــ ٦٨.

وفي نفس الوقت رفعوا علمهم في رأس تنورة، ولكن الاهالي ــ رغم موافقة الاتراك على المساعدة ــ لم يقبلوا الحماية، وعمدوا إلى العلم البريطاني في رأس تنورة فمزّقوه!.

بمجرد وصول أخبار الاضطرابات في القطيف، افاد قائد البحرية في الخليج الفارسي الادميرال ج. وارندر عنها في برقية لحكومة الهند، قائلا ان هناك ((قرصنة في القطيف))!، وطلب (استخدام زورق المعتمد السياسي في البحرين.. وإذا أمكن إعارة الزورق اليه، فسآمر باستخدامه للعمليات العسكرية، وأزوِّده بطاقم وعَلَم))[٤٩٦].

ردّت حكومة الهند إلى الميجور كوكس ((المقيم في بوشهر))، بأنه: ((لا مانع لدينا من إعارة الزورق، شريطة اصدار أوامر المهمة الاصولية، وتزويده بطاقم وعلم))[٤٩٧].

وفي التاسع من اغسطس ١٩٠٨، ارسلت المقيمية البريطانية في بوشهر مذكرة إلى حكومة الهند حول الاحداث الاخيرة التي وقعت في القطيف، اعتمادا على المعلومات التي تلقتها المقيمية من المعتمد السياسي في البحرين.. تقول المذكرة[٤٩٨]:

((خلال الايام العشرة الماضية تصاعدت حدّة العداء بين أهل القطيف وبين البدو إلى حد ينذر بالخطر.. يبدو ان الشجار الذي نشأ بسبب القضية التي اشرت اليها في الفقرة ١٢٣٠ من تقرير هذه المقيمية رقم ((٢٧))، عن الاسبوع المنتهي في الخامس من يوليو ١٩٠٨، قد سوِّيت مؤقتا وظاهريا فقط، نتيجة وساطة القائمقام، والحاج منصور باشا ــ بن جمعة ــ، وان الطرفين ينتظران الفرصة المواتية لتجديد الأعمال العدائية)).

وتضيف المذكرة.. ((ومما زاد من حدة العداء، بعض المشاكل التي نشأت مؤخرا بين اهل القطيف وبدو السبيع وعمير المنتشرين على الساحل، بسبب رفض سكان القطيف السماح لهؤلاء البدو بدخول بساتين النخيل لقطف مؤونتهم من التمور، وقد انضم السبيعيون والعميريون إلى بدو المناطق الداخلية، واحتشدت نتيجة ذلك قوة كبيرة طوّقت الواحة من جميع الجهات، وبدأت بفتح طرق إلى داخل بساتين النخيل ــ لنهبها ــ، وقتل من البحارنة ــ شيعة القطيف ــ في مجموعات مؤلفة من شخصين أو ثلاثة)).

وأشارت المذكرة إلى تضامن الشيعة مع بعضهم في مقاومة الاعتداء، رغم عدم تكافؤ القوى، واستطاعوا إيقاف زحف البدو في هجمات متكررة قدموا فيها خسائر بين ((٣٠ ــ ٥٠)) رجلا

496 الوثيقة رقم ((FO. 424 / 216)) ومؤرخة في ٨ اغسطس ١٩٠٨، ومرسلة من الادميرال السير. ج. وارندر إلى حكومة الهند.

497 وثيقة رقم ((FO. 424 / 216)) ومؤرخة في ١١ اغسطس ١٩٠٨. برقية من حكومة الهند إلى كوكس في بوشهر.

498 الوثيقة السابقة، مؤرخة في ٩ اغسطس ١٩٠٨. ومرسلة من الكابتن تريفور، إلى حكومة الهند.

في كل هجوم، أما الجنود الاتراك المتمركزون في عنك ــ وهم قلّة ــ فقد حاولوا ((استعراض عضلاتهم بالزحف داخل الصحراء ولكن دون نتيجة)).

وتقوّم المذكرة الوضع بقولها انه اصبح ((خطرا للغاية منذ ذلك الحين، فالواحة يجتاحها حاليا بدو يرتكبون جميع انواع الجرائم الوحشية.. يُقال ان مئات من اهل القطيف قتلوا، كما جرُدت آلاف اشجار النخيل من ثمارها ثم قطعت.. ونهب البدو ثمان وعشرين قرية ثم أحرقوها.. وقد وصل حوالي ٨٠٠ من اللاجئين من الرجال والنساء والاطفال، ومعظمهم من طبقة صيادي اللؤلؤ، وصلوا إلى قرية سنابس في البحرين يوم التاسع والعشرين من يوليو ١٩٠٨ ((الاول من رجب ١٣٢٦هـ))، وتوزعوا في القرية حيث يشغل معظمهم بيوتا يهجرها اصحابها في هذا الوقت من العام ــ عادة ــ وينتقلون إلى المناطق الرطبة قرب الساحل)).

((ويقال ان البدو استولوا على كل قرى الواحة[499] باستثناء قلعتي عنك والقطيف، ويزيد من خطورة الوضع اندفاع البدو باتجاه البحر لنهب وقتل صيادي اللؤلؤ القطيفيين، كما يقال بأن زورقا محمّلا بـ ٢٣ قطيفيا، باغته البدو قرب دارين وذبحوهم جميعاً)).

واشارت المذكرة إلى احد اسباب الاهتمام البريطاني بما يحدث حين قالت بأن ((تجار البحرين، والرعايا البريطانيون والاجانب الذين لهم مصالح وأعمال كبيرة في القطيف، قدّموا مذكرة إلى المعتمد السياسي يرجونه فيها ارسال زورق حربي إلى القطيف لانقاذ الوضع.. وبناء عليه ارسل زورق المعتمدية بأمر القبطان الليفتنانت كوماندر غود سميث، يوم الثلاثين من يوليو ١٩٠٨، يقوده الليفتنانت بريدو ــ برون، من السفينة الحربية ((لابوينغ))، وذلك بهدف الحصول على معلومات صحيحة وحديثة من قائمقام القطيف)).

((عاد الزورق في الاول من اغسطس يحمل معلومات تشير إلى ان اهل دارين يتعاونون مع البدو، طائعين أو مرغمين، متجاهلين بشكل تام سلطة القائمقام.. وان البدو القراصنة يستخدمون قوارب أهل دارين بحرية للقيام بعملياتهم ضد اهل قرى وبلدان واحة القطيف. ويقال ان عددا من القوارب الكويتية قد سُحبت إلى دارين، وان اصحابها يجلسون خاملين بلا عمل في الجزيرة)). وعبّر القائمقام التركي في القطيف اثناء حديثه مع قائد الزورق البريطاني عن خشيته من ان يشنّ هؤلاء جميعا هجوما على القلعة!.

وكما انضمّ أهل دارين السنّة ــ وبدافع مذهبي وقبلي ــ إلى البدو، وكذلك فعل بعض الكويتيين.. حاول شيعة البحرين رغم بعد المسافة، والذين تربطهم علاقة نسب بأهالي القطيف، ان يساعدوهم بالمال وبالسلاح، من هنا كانت خشية البريطانيين من التورط في الاحداث.. وقد

---

[499] هذا غير صحيح، اضف إلى ذلك ان بعض المبالغات شابت المعلومات التي قدمتها المذكرة.

بعث أهالي البحرين عدّة شحنات من السلاح وصلت إلى القطيف، بناء على تنسيق وطلب من المرحوم بن جمعة، وفي إحدى المرات وقعت شحنة منها بيد البدو.. وقد أشارت المذكرة إلى ذلك بقولها: ((أن قاربا محمّلا بأربعين بندقية، غادر المحرق متوجها إلى القطيف حوالي الثلاثين من شهر يوليو، وان البدو باغتوه بهجوم مفاجئ قرب ميناء القطيف، حيث أُصيب النوخذا حمد بن عبد الله الحسن بجروح طفيفة اثناء محاولته انقاذ البنادق التي وقعت في ايدي البدو.. وأمر الاخيرون النوخذا بأن يأخذ زورقه ويعود به إلى البحرين، ويحذر الآخرين من مغبة الاقتراب من القطيف))[500].

ولان الحامية التركية في القطيف ضعيفة متهالكة فقد أرسل القائمقام برقية في الاول من أغسطس لمكتب بريد البحرين لارسالها إلى البصرة، يطلب فيها بالحاح ارسال التعزيزات العسكرية على جناح السرعة، بما في ذلك سفينة حربية وبعض المدفعية)). وكانت السفينة الحربية البريطانية ((لابوينغ)) وزورق المعتمدية في البحرين قد ابحرا في اليوم التالي ٢/ ٨/ ١٩٠٨ ((بهدف منع اللصوص والقراصنة من اعتراض طريق حركة النقل البحري))!.

وما هي الا ايام قلائل حتى بعث القنصل البريطاني في البصرة بتفاصيل اضافية عن الاحداث في القطيف إلى السير ج. لوثر في القسطنطينية، ومنه إلى ادوارد غري، وزير الخارجية بلندن.. ففي الخامس عشر من اغسطس ١٩٠٨ كتب القنصل البريطاني في البصرة ((آرثر. ب. غري)) بأن المقيم في بوشهر ارسل له برقية لينقلها إلى كبير الضباط البحريين البريطانيين، والذي كان متواجدا في البصرة يومئذ، ويقود السفينة الحربية ((سفنكس)).. ومما جاء في البرقية.. ((ان سكان القطيف، والذين تحميهم حامية صغيرة وغير كفوءة، في وضع بالغ الخطورة، حيث يطوق البدو البلدة بأعداد قدُرت بألفي بدوي. وما لم تصل تعزيزات للحامية فان من المحتمل ان يُذبح السكان عن بكرة ابيهم)).

وتتحدث رسالة القنصل[501] عن ارسال السفينة الحربية البريطانية ((لابوينغ)) إلى القطيف، بعد ان تقدم الاتراك رسميا بطلب المساعدة، وقيل بمبادرة بريطانية صرفة، غير ان السفينة لم تستطع الرسو في الميناء، فتمركزت في نقطة اقرب ما يمكن من المدينة، بسبب موقعها الذي يجعل من الصعب اقتراب القوارب الحربية إلى موقع يكون فيه الرمي المدفعي فاعلا إلى ما دون الستّة اميال.. واشارت الرسالة إلى ان سفينة حربية بريطانية ((ردبرست)) تستعدُ هي أيضاً لتقديم المساعدة إذا طلب منها ذلك.

[500] الوثيقة السابقة.

[501] الوثيقة رقم ((FO. 424/216)) ((E 1792)) مؤرخة في ١٤ سبتمبر ١٩٠٨.

الاّ أن السفينة التي رفعت العلم البريطاني في رأس تنورة ((لابوينغ)) تعرّضت لمحاولات الهجوم من الشيعة، فقد تقدّمت السفينة للأهالي بالحماية من عبث البدو، وقد رفض اهل الحل والعقد، وعلى رأسهم منصور بن جمعة، والشيخ علي بن حسن علي الخنيزي، العروض البريطانية باعتبارها دولة غير مسلمة، وقاوموها بشدّة، وعمد أهالي صفوى إلى العَلم البريطاني في رأس تنورة وحطموا ساريته في الحال[٥٠٢]. ومع هذا قدّم قائمقام الاتراك في القطيف اعتذارا عمّا بدر من الأهالي، نيابة عن حكومته كما سنرى!

وأشار القنصل البريطاني في البصرة ((آرثر. ب. غري)) إلى انه اجتمع بوالي البصرة للتأثير عليه، لان قائمقام القطيف خاضع لسلطة حسان بيك ((وقد أظهر الأخير ترحيبا بتصرفنا تجاه هذه المسألة، وأخبرني بأنهم ــ الاتراك ــ يستعدّون لارسال تعزيزات من البصرة، إما بواسطة السفينة الحربية ((لبليد البحر))، أو بواسطة سفينة نقل مستأجرة، حيث يوجد خلاف في الرأي حول هذه النقطة بين السلطات العسكرية والسلطات المدنية)). ومرّد الخلاف هو أن ((مرسى الزورق الحربي التركي بعمق ١٢ قدما، ولا يستطيع الاقتراب من القطيف إلى نقطة اقرب من رأس تنورة، حيث يتوجب في هذه الحالة انزال الجنود في قوارب، وقد يتعرضون اثناء ذلك لنيران البدو بقيادة جاسم بن محمد بن عبد الوهاب، الذي يحتل دارين والمتحالف مع ضاربي الحصار))[٥٠٣].

وسأل والي البصرة القنصل البريطاني، عمّا ((إذا كان من الممكن الحصول على مساعدة زورق الحكومة البريطانية، الموضوع تحت تصرف المقيم السياسي في البحرين))، فأجاب القنصل: ((انني لا استطيع الأجابة على هذا السؤال قبل تلقي التعليمات من السلطات الأعلى)).. وكان الميجور كوكس قد ذكر في برقية له، بأن حكومة الهند سألت عن مدى استعدادها لتقديم المساعدة للاتراك، نظرا للمصالح التجارية للرعايا البريطانيين الهامة الموجودة هناك.

في هذه الاثناء قدمت برقية من المعتمد في البحرين إلى المقيم في بوشهر تؤكد حرج الموقف في القطيف، فألحّ القنصل البريطاني ــ نظرا للمصالح التجارية ــ بارسال التعزيزات الفورية، ورغم وعد الوالي بأن يفعل ذلك ((فانني اشك في وعده، لأنه لا يوجد سوى حوالي ٢٥٠ جنديا في البصرة، والوالي غير راغب في اخلاء البلدة من الجنود، ومن المحتمل اصلاح هذا النقص عند وصول التعزيزات من بغداد، لكن من الممكن تماما في هذه الاثناء ان ينخفض عدد حامية

---

502 محمد سعيد المسلم، مصدر سابق، ص ١٩٢، ١٩٢.

503 الوثيقة السابقة.

القطيف انخفاضا حادا، وتجبر بالتالي على اخلاء البلدة، ولذلك فانا أواصل إلحاحي على الوالي لكي يرسل كل من يستطيع توفيره من القوات إلى مسرح العمليات))[٥٠٤].

على أن كل هذا اللغط لم يعط أية نتيجة، فلا الاتراك قدّموا المساعدة العاجلة، ولا الأهالي قبلوا المساعدة البريطانية، بل واصلوا المقاومة حتى ردّوا البدو على أعقابهم دون أية مساعدة.

وسبق لقائمقام القطيف ان كتب إلى الكابتن غود سميث معتذرا عمّا فعله الأهالي بالعَلَم البريطاني فقال: ((أُبلغت بخبر وصولكم إلى القطيف من قبل مترجمكم المستر كيلو، أنا آسف جدا للمعاملة غير المقصودة التي وقعت قبل بعض الوقت، وأنا على استعداد لزيارتكم، بدءاً من الساعة الخامسة صباحا – بالتوقيت الافرنجي – وإذا كانت الريح مؤاتية، فآمل ان أصل إلى سفينتكم في الساعة الحادية عشرة صباحا))[٥٠٥].

وقد وصل القائمقام وقدّم اعتذاره حسبما هو مطلوب ومتفق عليه – كما ذكرت وثيقة بريطانية –[٥٠٦].

ذلك أن الليفتانت كوماندر غود سميث كتب إلى الكوماندر ليتشفيلد، كبير ضباط البحرية في الخليج الفارسي، والقائد العام لجزر الهند الشرقية، من مقرّة في السفينة ((لابوينغ)) الراسية في شواطئ القطيف ((رأس تنورة)) في الثامن من يونيو ١٩٠٨ما يلي:

((بناء على أوامر الابحار الصادرة عنكم والمؤرخة في الثالث من الشهر الحالي، لي الشرف بأن أعلمكم بأنني وصلت إلى القطيف يوم الجمعة، الخامس من الشهر الحالي، وأُرسل المترجم إلى القطيف حاملا رسالة مفتوحة من والي البصرة إلى قائمقام القطيف. وقد وضعت الترتيبات لقدوم القائمقام إلى السفينة قبل ظهر اليوم التالي، بقاربه الخاص، لتقديم الاعتذار المطلوب. وقد ارسل القائمقام مع المترجم اعتذارا خطيًا باللغة العربية))[٥٠٧].

ويضيف غود سميث: ((وقبل ظهر يوم السبت، السادس من يونيو ١٩٨٠، توجّه القائمقام إلى السفينة، يرافقه ضابط الميناء، وقائد القوات التركية المتمركزة حول القطيف، وكان القائمقام يرتدي ثيابا مدنيّة، بينما يرتدي مرافقاه اللباس العسكري، وقد حضروا على ظهر مركبهم الخاص، وقاموا بزيارتي)).

---

[504] الوثيقة السابقة.

[505] الوثيقة رقم ((FO. 424 / 216)) مؤرخة في ٢٢ مايو ١٩٠٨. من قائمقام القطيف إلى الكابتن غود سميث.

[506] الوثيقة ((FO. 424 / 216)) ((E 28190)). مؤرخة في ١٢ اغسطس ١٩٠٨. ومرسلة من قيادة البحرية ((و. غراهام غرين)) إلى وزارة الخارجية في ١٢ اغسطس ١٩٠٨.. وقد ارسلت القيادة هذه نسخة ومرفقاتها عن الموضوع جاءتها من قادة السفينة ((لابوينغ)) مؤرخة في ٨ يونيو ١٩٠٨.

[507] الوثيقة ((FO. 424 / 216)) ((E 28190)). من الكوماندر غود سميث بالقطيف، إلى الكوماندر ليتشفيلد، بتاريخ ٨ يونيو ١٩٠٨.

((وبدأ واضحا ان القائمقام كان آسفا عن صدق لتصرفات مسؤولي الميناء السابقين، وأعرب عن أمله بألاً تتكرر تلك التصرفات في المستقبل. وقد ألح القائمقام عليَّ كي أردُّ زيارته، وانصور انه أُخبر بأن يتوقع هذه الزيارة بناء على أوامر تلقاها من القسطنطينية، خاصة وأنّه كرَّر ذكر السلطان وانزعاجه جدا من الحادثة ــ اعتداء البدو على أهالي القطيف ــ. وفي اليوم التالي زرت القائمقام في منزله وعوملت بكرم ضيافة بالغ، كما تلقّى طاقم قاربي عناية جيدة من القائمقام))[٥٠٨].

وما لبثت وزارة الهند أن ارسلت لوزير الخارجية البريطانية في ١٤ اغسطس ١٩٠٨، رسالة حول أحداث القطيف بناء على معلومات تلقاها الكابتن بريدو اثناء زيارته لها وأرسلها إلى المقيمية في بوشهر في ١١ اغسطس ١٩٠٨.

فقد ((أفاد بريدو الذي عاد لتوّه من زيارة القطيف، ان البدو في تلك الواحة وما جاورها قد تمرَّدوا وهاجموا بلدة القطيف والقرى الشيعية. وذبح المتمردون عددا كبيرا من الناس، كما دمَّروا معظم اشجار النخيل.. واضافة لذلك تتعرُّض القطيف في كل ليلة إلى اعتداءات جديدة، والاتراك في ضائقة كبيرة. يتوقع بريدو ان تضطر الحامية التركية إلى مغادرة البلدة والتخلّي عن أهلها، وتعريضهم لمذبحة رهيبة، ما لم ترسل التعزيزات بسرعة. كما يتوقع أن يتقدم القائمقام قريبا جدا بطلب مساعدة السفن الحربية[٥٠٩]. ويسأل بريدو عما إذا كانت حكومة صاحب الجلالة ستوافق على تقديم مثل هذه المساعدة، وإلى أي مدى)).

وتقول الرسالة: ((أرسل كبار تجار البحرين مذكرة لبريدو، اوضحوا فيها انه نتيجة علاقاتهم التجارية الوثيقة بالقطيف، فانهم سيكونون اكبر الخاسرين نتيجة تدمير الممتلكات في الواحة، والقضاء على اهل القطيف. ويعبر بريدو عن الأمل بأن يكون رد حكومة صاحب الجلالة في هذه الظروف ردا إيجابيا)).

ولكن حكومة الهند أبلغت المقيم في بوشهر ((أنه ما لم تطلب السلطات التركية المساعدة رسميا، فانه من غير الوارد بالنسبة لنا أن نقدمها))[٥١٠] خاصة بعد التجربة السابقة وما سببته من حرج.

---

[508] الوثيقة السابقة.

[509] هذا يعني ان تقدم السفن البريطانية في وقت سابق لميناء رأس تنورة لم يكن ذا صفة رسمية، وان كان مرضيا عنه من المسؤولين الاتراك المحليين.

[510] الوثيقة ((FO. 424 / 216)) ((E 28301)). مؤرخة في ١٤ اغسطس ١٩٠٨.

وهي رسالة من حكومة الهند إلى الفايكونت مورلي ((وزارة شؤون الهند)) بتاريخ ١٢ اغسطس ١٩٠٨.

هذا ما ورد من وثائق بريطانية عن وقعة ((الشربة)) التي لم يستطع الانجليز استغلالها بسبب تيقظ قيادات الشيعة الدينية والسياسية.. أما فيما يتعلق بالصراع نفسه، فقط جرى الصلح بين البداة والأهالي، رغم ما تكبّدة الاخيرون من غرامات، وتتابعت السنون والبلاد في حالة من القلق والفوضى، بحيث اصبح المواطن لا يستطيع ان يتعدّى اسوار القلعة الا بخفير أو فرقة مسلّحة من الرجال[٥١١].

وجدير بالملاحظة ان هجمات البادية على الاحساء، كانت اكثر شراسة وأكثر نجاحا، ذلك ان الاحسائيين اعتمدوا في الغالب على الحاميات التركية المريضة ، فلم تحم ارضا أو تدفع ضررا، بينما كان تواجد القوات العسكرية التركية، ومنذ البداية، قليلا في القطيف، مما جعل الاهالي يعتمدون على انفسهم في حماية أرواحهم وأملاكهم، وقد ساعد وجود الشخصيات السياسية في القطيف على التصدّي للبداة، وكانت خسائر هؤلاء الاخيرين اكثر من خسائرهم في الاحساء.

ومما جعل الاوضاع تتفاقم في الاحساء، هو ان المتصرفين أو اعوانهم الكبار اقاموا علاقات مع زعماء البدو ومع ابن سعود أحيانا، كما فعل محمود باشا سيء السيرة والتدبير، والذي كانت علاقته بابن سعود قويّة، وكان يوعز إلى البادية بقطع الطرق، مقابل أن يحصل على نصيب من المنهوبات، فما كان من أهالي الاحساء، الا ان ترصدوا له فقتلوه في سوق الهفوف بعد صلاة العصر، في الثامن من ذي الحجة سنة ١٣٢٧هـ، الموافق للعشرين من ديسمبر ١٩٠٩[٥١٢].

ووصل الحال أن اصبحت المنطقة في عام ١٩١٠ وما بعده، سائبة لمن أراد الاعتداء والنهب، حتى امير الكويت مبارك الصباح، وأمير قطر الشيخ قاسم، طمعا في الاستيلاء على المنطقة، فما بالك بابن سعود؟

وفي عام ١٩١١ تعدّى مبارك على أهالي الجبيل ((آل بو عينين)) دون خوف.. والقصة كما رواها حسين خلف خزعل، وعبد العزيز الرشيد، تقول بأن عشيرة آل بوعينين كانت تسكن الوكرة، وهم أصهار بني خالد، وكانت الرئاسة فيهم، حيث كان أميرهم عام ١٩٠٨ / ١٣٢٦هـ عبد الله بن علي بن راشد.

ولكنهم، وبعد خلاف مع امير قطر غادروها إلى الكويت، ولكن مبارك الصباح لم يفسح لهم المجال، فغادروها إلى الجبيل ــ من توابع القطيف ــ فخشي مبارك أن تزاحم الجبيل الكويت في المستقبل، فعرض عليهم العودة اليه، ولكنهم رفضوا، فما كان منه الا ان حرّض بعض بني خالد للتعرّض لهم بالأذى، ثم ما لبث أن وجّه لهم سريّة بقيادة الشيخ علي الخليفة، فشكوه إلى

---

511 محمد سعيد المسلم، مصدر سابق، ص ٩٢.

512 آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٩٠.

والي البصرة حسن رضا باشا، الذي كتب لمبارك سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١، طالبا منه كفّ الأذى وعدم التدخل في شؤون أهالي الجبيل أو التعرض لهم، وقال له في الرسالة ((ان الحالة الحاضرة التي عليها الدولة العثمانية لا تتطلب من المخلصين اليها القيام بمثل هذه الامور الصغيرة التي لا موقع لها الآن، وإنما المتطلب منهم مصافاتها والقيام بخدمتها وانقاذها من تلك الهوّة السحيقة))!!.. والوالي يشير هنا إلى الاوضاع المتأزّمة من حرب الغرب مع العثمانيين في البلقان، وقد اعتذر مبارك وأنكر، وكفّ الأذى[٥١٣].

واستمرت الأحوال في المنطقة على سوئها، ومما زاد الطين بلّة، ان والي البصرة السابق سليمان بك إستدعى سنة ١٩١٠ معظم القوة العسكرية، فأثار ذلك طمع ابن سعود، الذي أخذ يترقب الفرصة المؤاتية للاستيلاء عليها. وحين خرجت الدولة العثمانية من حرب البلقان منهوكة القوى، وأخذت الأطماع تكتنفها من كل جانب، رأى أن هذه هي الفرصة التي كان ينتظرها، فقرر احتلالها.. وفي الصفحات القادمة نتابع مطامع ابن سعود في المنطقة إلى ان يحتلها.

٨

أطماع السعوديين

في الاحساء والقطيف (١٩٠٢ ــ ١٩١١)

كانت الإحساء والقطيف تجلبان انتباه حكام الرياض دوما، ولم يكن الأمر يقتصر على اعتبارهما ضيعة لهم، فان واحات المنطقة الغنيّة، والمداخيل الجمركية، كان بوسعها ان تعزّز الحالة المالية للسعوديين، وتساعدهم في تحقيق مطامعهم التوسعيّة[٥١٤].

وإقليم الاحساء هو اخصب اقليم في جزيرة العرب قاطبة من حيث غزارة مياهه، وكثرة حاصلاته الزراعية منذ عهد قديم وإلى وقت ظهور النفط، وكان يغمر الاقاليم المجاورة له بالتمر والأرز ــ كما قال الاستاذ حمد الجاسر ــ[٥١٥].

ومن المعروف أن المنطقة كانت أزهى مناطق الجزيرة العربية حضارة، وأخصبها أرضا، وأكثرها خيرات، وأقواها صلة بالاقطار المجاورة شرقا وشمالا، وكانت مصدر قضاء حاجات سكان داخل الجزيرة العربية على اختلاف انواعها، حيث كانوا يستمدون منها غذاءهم وكساءهم

---

513 عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٠٠، ٢٠١. وانظر تاريخ الكويت السياسي، جزء ٢، ص ٨٢، ٨٤.

514 فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٢٢، ٢٢٤.

515 آل عبد القادر، مصدر سابق، المقدمة، ص ي.

وسلاحهم وتوابلهم وآنيتهم، ثم اصبحت بعد تدفق النفط أعظم مصدر للثروة والغنى حيث يرقد تحت ترابها بحار من النفط[516].

واعتبرها ((روبرت ليسي))[517]: ((أنها اليوم أثمن قطعة ارض على وجه البسيطة)).. وكتب مرّة أخرى مشيرا لى أهمية الاحساء بأنها ((أغنى مناطق آل سعود)) و((أن حقول بترول المملكة تقع في هذا القاطع الشمالي/ الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وقبل قرن كانت تجارة التمور واللؤلؤ هي مصدر غنى الاحساء.. وقد عجّل الاحتلال التركي للاحساء من سقوط حكم آل سعود في السبعينات والتسعينات من القرن الماضي، نظرا إلى أن الرياض كانت تعتمد على الدخل من واردات الاحساء لشراء ولاء القبائل.. لذا كان الاتجاه الواضح للسياسة الخارجية السعودية هو مقاومة قوة وأطماع الاتراك العثمانيين ــ في الاحساء ــ بعد ان رسّخ عبد العزيز دعائم حكمه في الرياض في السنوات التي تلت عام ١٩٠٢))[518].

وقال في موقع ثالث: ((لقد جعلت منطقة الاحساء مزدهرة لدرجة انه كانت للمنطقة عملتها الخاصة بها: الطويلة.. كانت تتداول إلى جانب الروبية الهندية وريال ماريا تيريزا.. ولمّا حاول الكولونيل بيلي عام ١٨٦٥ تقييم ثروة الامبراطورية الوهابية قرر ان نصف إيراداتها تماما من الهفوف ومنطقة الاحساء، التي كانت تضمُّ ربع السكان تقريبا.. وكان فقدان الاحساء عام ١٨٧١ بمثابة خسارة مالية كبيرة مُني بها آل سعود))[519].

واعتبر كشك[520] احتلال الاحساء: ((ضربة العمر لابن سعود وآل سعود، باعتبار الموقع وما تفجَّر عنه من نفط ومال. حتى وان كانت مكانة الحجاز في العالم الاسلامي لا سبيل لتقديرها ماليا))!.. وفعلا كانت الاحساء ولا تزال بالنسبة للحكم السعودي، وقبل النفط وبعده، أهم بالنسبة له من الحجاز ومقدساته، رغم ما يمثله من ثقل ديني لدولة السعوديين التي قامت على اساس دعاو دينية. ولهذا رأينا ان الحجاز سواء في الدولة السعودية الاولى أو الثالثة، يُحتل بأموال الاحساء والقطيف!.

لقد كان أمام السعوديين هدفان يجذبانهم نحو الاحساء:

---

516 المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، جزء ١، حمد الجاسر، ص ٤٢، ٤٢.

517 المملكة، روبرت ليسي، ترجمة دهام عطاونة، ص ٧٤.

518 المصدر السابق، ص ٤٨.

519 المصدر السابق، ص ٧٢، ٧٢.

520 جلال كشك، مصدر سابق، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

الاول: الثراء الهائل في المنطقة، حيث عُدَّت أغنى مناطق الجزيرة العربية، لوجود المياه بكثرة، وملايين من اشجار النخيل، ومساحات شاسعة من حقول الارز والقمح، ومحاصيل زراعية اخرى.

وكانت القطيف، اضافة إلى زراعتها، قد اعتمدت في جانب من ثرائها على صيد اللؤلؤ والاتجار به مع الهند وفارس والعراق.

الثاني: موقع الاحساء الاستراتيجي، الذي اغرى المستعمرين البريطانيين. وقبلهم البرتغاليين الذين احتلوا القطيف مدّة من الزمن، بل وأغرى الصهاينة حيث تقدم طبيب صهيوني في باريس عام ١٩١٤ بعرض تأسيس دولة لليهود في الاحساء ((راجع الملاحق)).. ولم يكن غائبا عن ذهن السعوديين حاجتهم إلى ميناء يطلُّ على البحر، إذ ان غير ذلك يجعلهم يختنقون في نجد، أو يجبرهم على الرضوخ إلى سلطات الساحل الاحسائي و غيره، باعتباره المنفذ الذي يرد اليهم منه حاجاتهم.

يصوُّر لنا فاسيلييف الحاجة السعودية هذه حينما قال مشيرا لاحتلال ابن سعود للمنطقة: ((لقد انتزعت امارة الرياض من الامبراطورية العثمانية اقليما غنيًا من اقاليم الجزيرة العربية، وحصلت على منفذ إلى الخليج من الكويت حتى قطر.. ان اهمية الاحساء بالنسبة لامارة الرياض لا تقدُّر بثمن، فالاراضي التي كان السعوديون يسيطرون عليها حتى ذلك الحين خالية من اية موارد طبيعية. ولم يكن محصول التمر في حدودها يكفي لسدَّ حاجة الحضر والبدو. ولم تكن الحبوب كافية، وكانت الامارة بحاجة إلى استيرادها. وكان السكان الحضر يعتمدون كليًا تقريبا على استيراد الاقمشة، وكانت القوات بحاجة إلى مشتريات السلاح من الخارج، وقد أمن الاستيلاء على اقليم الاحساء والحصول على منفذ في الخليج قوة حيوية للدولة السعودية واستمرار تطورها))[٥٢١].

ويلاحظ كل من تسنّى له الاطلاع على التاريخ السعودي، ولو كان هذا الاطلاع قليلا موجزا، ان الاحساء وواحة القطيف، كانتا في أول بنود استراتيجيات الاحتلال السعودي، فبمجرد ان يسيطر السعوديون على نجد، أو حتى على جزء منها، فانهم يحثُّون الخطا نحوهما، للسيطرة على مواردهما الضخمة واللازمة في تمويل احتلالات اخرى.

حدث ذلك في الدولة السعودية الاولى، فكانت الاحساء المنطقة الثانية التي أُخضعت بعد نجد، وحدث ذلك أيضاً في الدولة السعودية الثالثة، فان ابن سعود، وقبل ان تتدعَّم سلطته خارج اسوار

---

521 فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٤٢.

الرياض، بدأ يفكّر في احتلال الاحساء، وكان الملك السعودي مقتنعا انه لن يتمكن من اخضاع ابن رشيد واحتلال حائل ــ قلب نجد وعاصمته يومئذ ــ الا بموارد الاحساء نفسها.

وردت أول اشارات لاطماع ابن سعود في الاحساء، بعد اقل من شهرين من احتلاله للرياض في شهر يناير ١٩٠٢، حينما طلب ابن رشيد عن طريق مبعوثه الحازمي بطرد المتعاونين الوهابيين مع ابن سعود. أما الاشارة الثانية فهي في ارسال الاخير مبعوثه ((عبد الرحمن سلمان)) في عام ١٩٠٣ إلى البحرين لمقابلة المعتمد السياسي البريطاني هناك، وجسُّ نبضه حول امكانية احتلال ابن سعود للاحساء والقطيف، وموقف بريطانيا من ذلك، وما يمكنها ان تقدّمه من مساعدة، وذلك على النحو الذي أشرنا اليه في صفحات سابقة.

ولحساسية العلاقة مع الاتراك، أُعطي لخارجية لندن الدور الاكبر في تحديد مستواها مع ابن سعود، بالشكل الذي لا يزعج الاتراك كثيرا، ولذا أُجّل موضوع الحماية التي يطلبها ابن سعود ((بمنع الاتراك من مهاجمته بحرا إذا ما قام باحتلال المنطقة)) إلى فترة لاحقة، خلافا لرغبة حكومة الهند ووزارة لمستعمرات، وخلافا لرغبة السير بيرسي كوكس، رئيس المعتمدين في الخليج والمقيم في بوشهر.

في مايو ١٩٠٤، تحركت قوات تركية من اربعة آلاف مقاتل من العراق لدعم ابن الرشيد، فأرسل ابن سعود للمقيم السياسي محتجا على الغزو، وطالبا المساعدة والحماية[٥٢٢].. وفي فبراير ١٩٠٦ عرض ابن سعود احتلال المنطقة على السير بيرسي كوكس، في رسالة له ارسلها عن طريق الكابتن بريدو المعتمد السياسي في البحرين ــ بيد مبعوثه مسعود بن سويلم، وقال في الرسالة: ((انه قد استشعر في نفسه الآن قوة تكفي لطرد الاتراك من الاحساء، وانه راغب في عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية مع الترخيص لها بتعيين وكيل سياسي في الاحساء والقطيف، شرط ان يكفل الانجليز الحماية من الهجوم التركي))[٥٢٣].

وأضاف ابن سعود بصراحة: ((انه يريد تأييد الاسطول البريطاني في حملة تهدف إلى اخراج العثمانيين من الاحساء، ويبُن حاجته إلى ذلك الاقليم الذي يصله بالعالم الخارجي، وعرض مقابل ذلك امتيازات غير محددة تحصل عليها بريطانيا في بلاده))[٥٢٤].

---

522 كشك، مصدر سابق، ص ٢٢٢. وناصر الفرج، مصدر سابق، ص ٢٦. وانظر التطور السياسي لقطر، مصدر سابق، ص ٢٠٢، حيث يقول المؤلف ان ابن سعود ((استغاث بالحماية البريطانية)).

523 عبد العزيز محمد منصور، مصدر سابق، ص ٢٠٢.

524 د. العقاد، مصدر سابق، ص ١٩١. وانظر: جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٢٠٥، ٢٠٦. وأيضاً مجلة ((الدارة))، مارس ١٩٨٦، ص ٢٩.

ورغم ان بريدو لم يشجُع العروض السعودية، الا ان كوكس حاول عبثا توضيح مزايا التحالف مع ابن سعود للسياسة والتجارة والاستراتيجية البريطانية.. لكن جواب حكومة الهند كان الرفض، وحدُد جون مورلي للسير بيرسي كوكس، بأن بريطانيا تقتصر عنايتها ونفوذها على الساحل[525].

في عام ١٩٠٦ أيضاً، زار كوكس ((القطيف)) والتقى مع زعيمها ابن جمعة في قصر الدرويشية المطلُ على البحر، وعرض عليه الحماية إذا انفصل عن الاتراك، ولكن الاخير رفض العرض، ويبدو انه كان سهلا على بريطانيا تبرير دعمها ـــ لو حدث ـــ لابن جمعة، بحجُة انه زعيم محلُي، اما ابن سعود القابع في نجد، فلا يمكن لبريطانيا تبرير دعمها له لاحتلال منطقة اعترف الانجليز ((بعثمانيتها)).

واستخدم ابن سعود مبارك الصباح، وكذلك قاسم آل ثاني، حاكم قطر، كسعاة بريد لايصال رسائله للانجليز.. ففي اغسطس ١٩٠٦، حاول مبارك اقناع المعتمد السياسي في الكويت ((الكابتن نوكس)) بمزايا وضع ابن سعود تحت الحماية البريطانية، ومساعدته في احتلال الاحساء.. وبعد شهر واحد، أي في يوليو ١٩٠٦، طلب نوكس ـــ بناء على أوامر من المقيم ـــ من مبارك ان يعرفه بما لديه من معلومات عن الرواتب التي يتقاضاها امير حائل ((متعب ابن رشيد)) وعبد الرحمن الفيصل آل سعود، فأبلغه بالتالي:

* لعبد الرحمن بن فيصل بن سعود، ٩٠ ليرة تركية كل سنة.
* لمتعب بن رشيد، ٢٠٠ كيس أرز، و٢٠٠ ليرة كل سنة[526].

كان واضحا من الاستطلاع ان البريطانيين يعدُون خطة للسيطرة على كامل التراب النجدي، وذلك بإغراء ابن رشيد للتعاون معهم، وإقامة علاقات حسنة مع ابن سعود.. وقد فشلوا في ذلك ابان الحرب العالمية الأولى.

ويذكر كوكس أنه حينما كان يتجوُل على الشاطئ الغربي من الخليج في مايو ١٩٠٦، سنحت له الفرصة في لقاء الشيخ قاسم حاكم قطر، الذي أبدى تعاطفه الواضح مع ابن سعود. وقال ان الاخير قوي بما فيه الكفاية ليخرج الاتراك من نجد والاحساء، واضاف نيابة عن ابن سعود، ان

---

[525] عبد العزيز محمد منصور، مصدر سابق، ص ٢٠٢.

[526] انظر الوثيقة رقم ((FO. 371 / 345))، رسالة من الكابتن نوكس بالكويت، إلى الميجور بيرسي كوكس في بوشهر، بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩٠٦. وقال نوكس في رسالته ((وبينما كنت أناقش هذا الامر مع الشيخ مبارك، إلتفت إليُ فجأة وقال: لقد سألتني عن مخصصات ابن رشيد وابن سعود، ولكنك لم تسألني عن مخصصاتي؟.. قلت له: بالتأكيد انك لا تتقاضى أي شيء؟.. اجاب: بالطبع، ولكن السلطات التركية في البصرة تضغط عليُ لقبول المخصص، وبدلا من ذلك، انا الذي اقوم بالدفع للاتراك، فحينما يطلبون مني مائتي ليرة تركية، ارسل لهم ستمائة. لقد اخبرتهم في إجابتي على إلحاحهم، بأن قطع الحكومة للراتب صار مصدرا للشرف، ولذلك لم يعد يغريني قبوله. الحمد لله أنا أملك مالا كثيرا)).

الاخير يسأل الحكومة البريطانية ((ما إذا كانت على استعداد لتقديم الحماية له في البحر، مثلما فعلت مع مبارك ورؤساء العرب في الساحل، نظرا لسياسة بريطانيا التقليدية في حفظ امن الملاحة في الخليج))؟. وقال قاسم مقترحا: أن ابن سعود يمكنه بسهولة مقابلة أي مسؤول بريطاني على الساحل لمناقشة الامر، إذا كان ذلك مرغوبا فيه!.

رد كوكس: ((قلت للشيخ قاسم بأن تلك مسألة لا استطيع ان اقدّم له جوابا محددا ومرتجلا عليها، وبدون تعليمات من حكومة الهند))[٥٢٧].. فما زال الانجليز يودّون لو انهم لا يكلفون ابن سعود بهذه العملية.

وكان المقيم رغم ردّه الدبلوماسي هذا مقتنعا بمزايا التحالف ((الرسمي)) مع ابن سعود، وألحّ على حكومته اكثر من مرّة بأن تتبنّى وتدعم الحكم السعودي.. ففي رسالة كتبها لحكومة الهند في السادس عشر من سبتمبر ١٩٠٦، عدد الفوائد أو المخاطر التي يمكن ان تتم إذا ما جرى اتفاق رسمي مع ابن سعود، وهي:

١ــ ان تجاهل ابن سعود وعروضه لإقامة صداقة مع الحكومة البريطانية، قد يؤدي إلى تكوين نظرة عدائية لنا.

٢ــ إزالة القلق لدى مشايخ الخليج الصغار من ابن سعود ((فلو انني استطعت ان ابلغ امراء الساحل المهادن باننا على اتفاق معه لانتهى الامر، ولكنني لا استطيع، ونتيجة لذلك سيظل الامراء في حالة مضطردة من القلق والاضطراب)).

٣ــ ان تأثير ابن سعود سيساعدنا على قمع اعمال القرصنة.

٤ــ إذا لم تساعد بريطانيا ابن سعود ضد العثمانيين، فانه قد يتجه إلى الاستعانة بدولة اخرى.

وكان من رأي اوكنور ((السفير البريطاني في القسطنطينية))، انه لا يمكن الارتباط بابن سعود، الا إذا انسحب الاتراك من وسط الجزيرة العربية.. اما الحماية فان بريطانيا تغامر مغامرة كبيرة إذا ما ساعدته في السيطرة على الاحساء والقطيف.. اما إذا استطاع ابن سعود نفسه السيطرة عليهما، ففي هذه الحالة فقط يمكن ان ترتبط به الحكومة البريطانية[٥٢٨].

وفي اكتوبر ١٩٠٦، شعبان ١٣٢٤هــ، قدم ابن سعود عرضا آخر للانجليز لمساعدته في احتلال الاحساء، حيث بعث بالعرض عبر الشيخ قاسم، وعبر مبارك الصباح، للدفاع عن وجهة نظره ومطامعه.

---

527 انظر الوثيقة ((FO. 371 / 345))، رسالة من نوكس إلى المقيم كوكس في السادس عشر من سبتمبر ١٩٠٦. وانظر أيضاً جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٢٠٧.

528 جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، مصدر سابق، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

وحين وصل العرض إلى الشيخ قاسم من ابن سعود بعد شهر تقريبا، وفيه ((أنه ـــ أي عبد العزيز ـــ بدأ يرتاب ويشك بأن زعيم الكويت يعرض قضاياه على حكومة الهند بأسلوب فاتر))!، كتب الشيخ قاسم إلى الكابتن بريدو، المعتمد في البحرين، رسالة مقتضبة وبخط يده، مؤرخة في ١٩ شعبان ١٣٢٤هـــ، ٨ اكتوبر ١٩٠٦، تقول: ((بعد التحيات. اسمحوا لي بأن اقول انني في حاجة لمقابلتكم في لوصيل ((Lusail))، حتى ولو كان ذلك لمدّة ربع ساعة، فلدي كلمتان فقط أود أن اقولهما لكم شخصيًا))[529].

لكن بريدو لم يستطع مقابلته: ((لم يكن بامكاني الذهاب إلى لوصيل، خلال فترة معقولة بعد استلامي الرسالة، ولهذا أنبتُ عني مترجمي، السيد انعام الحق، لزيارة الشيخ قاسم، وأمرته أن يستلم رسالة الزعيم العجوز فقط، ألا يعطي أي ردّ باسمي)). وفي ٢٣ اكتوبر ١٩٠٦، الموافق للرابع من رمضان ١٣٢٤هـــ، غادر انعام الحق البحرين وتسلّم الرسالة، وعاد في اليوم التالي حاملا نسخة من رسالة ابن سعود.

تقول الرسالة كما كتبها بريدو على لسان الامير السعودي:

((إن موارد نجد قد استُنزفت إلى ابعد الحدود، نتيجة الحروب الداخلية الضروسة الأخيرة، وان ابن سعود يعدُّ واحتي الاحساء والقطيف من أغنى ممتلكات آبائه وأجداده الوهابيين في وقت سابق.. ولهذا فهو يتوق شوقا إلى استعادة هاتين المقاطعتين، وهو يقترح ترتيب اتفاق سرّي بينه وبين الحكومة البريطانية، يمنح هو بموجب الاتفاق الحماية البريطانية من أي هجوم تركي يأتي عبر البحر في حال نجاحه في طرد الاتراك، من ممتلكات آبائه وأجداده دون مساعدة خارجية. ومقابل هذه الحماية، سيكون الامير ابن سعود مستعدا لإلزام نفسه باتفاقيات معينة، وبأن يقبل بوجود ضابط سياسي بريطاني ـــ معتمد ـــ يقيم في بلاطه. كما انه يرغب في ان يتفق على تفاصيل هذه المعاهدة السرية، وان يتم بحثها في لقاء عبَّر عن استعداده لإجرائه معي ـــ أي مع بريدو ـــ شخصيا، وقد ينيب شقيقه كممثل له)).

((إن ابن سعود مصمِّم على القيام بمحاولة لامتلاك الاحساء والقطيف، إذ بدون العائدات الاضافية التي يمكن ان يستوفيها من هذه المناطق[530]، فانه يقرُّ ويعترف بأنه لن يكون قادرا في

[529] الوثيقة ((E 5532)) ((FO. 371 / 345)) مؤرخة في الثامن عشر من فبراير ١٩٠٧.
من المعتمد السياسي في البحرين، الكابتن ف. ب. بريدو.
إلى المقيم السياسي في الخليج ـــ بوشهر، السير بيرسي كوكس.
تاريخ الارسال في ١٧ نوفمبر ١٩٠٦.

[530] لاحظ ان ابن سعود، وقبل ان يستولي على الاحساء يفكر في كيفية استغلال أهلها وثرواتها، فهو لا يتحدث فقط عن الزكوات والضرائب المعتادة، وانما يتحدث عن عائدات اضافية فوق كل ذلك. ونحن نقدم هذا النص من الرسالة إلى كل اولئك الذين بالغوا في الحديث عن اضطهاد الاتراك الاقتصادي للسكان، وان ابن سعود جاء لينقذهم من ذلك، خاصة للاستاذ الدكتور عبد الفتاح ابو علية،

السيطرة على القبائل التي تعتدي على طرق التجارة والحج. وبناء على ذلك فهو يقترح ان يناشد السلطان التركي بأن يجعله متصرفا على المقاطعتين، ثم يطيح بنير العبودية التركي حالما يرى ان الفرصة مناسبة، وبعد ان يكون قد ثبّت قواعده، ووطّد أقدامه هناك)).

((أما إذا رفض طلبه هذا من قبل السلطان، فسيغير على المقاطعتين بمجرد ان يكون مستعدا لذلك. وبعد ان يستولي عليهما، سيناشد الحكومة البريطانية علنا طالبا حمايتها. وحتى إذا فشل في كل مخططه، فانه ـــ أي ابن سعود ـــ لن يفشي سرّ الاتفاق بينه وبين الحكومة البريطانية![531]، وربما لا يقوم بمحاولته الا بعد أربعة أو خمسة اعوام اخرى))[532].

هذه الرسالة ـــ العرض ـــ التي قدّمها ابن سعود للانجليز، تكشف لنا الخطوط العامة لسياسة ابن سعود المزدوجة تجاه الاتراك، وتجاه الانجليز، وأهدافه من احتلال الاحساء، وحتى وسائله في تحقيق هذه الأهداف!

فالرسالة مثلا، تكشف عن أهمية الاحساء الاقتصادية في تعزيز السلطة السعودية قديما وحديثا، وأنه لولا خيراتها فانه ما كان بامكان السعوديين السيطرة على قبائلهم. اما طرق الاستفادة من الاحساء فهي بفرض مزيد من الضرائب، مع ان الاحساء والقطيف لم يعلم احد يومها انهما تحويان كنوز النفط، وأنهما ستدرّان في وقت ما نصف مليار دولار في اليوم الواحد، حينما ارتفعت الايرادات بسرعة الصاروخ[533].

مسألة أخرى توضحها رسالة ابن سعود، جديرة بالتأمّل، فهو يعرض في الرسالة، أن بامكانه وحده احتلال الاحساء دونما حاجة إلى دعم انجليزي، ذلك أنه كان يعلم بأن الجنود الاتراك لا يزيدون عن ٥٠٠ رجل في كلتا الواحتين، وقد اثبتت هجمات بدو القبائل التي حرّضها هو، على المدن والقرى، هشاشة القوة العسكرية التركية، وكان ابن سعود على اطلاع كامل بحقيقة اوضاع الاحساء. لكن ما كان يخشاه هو ان ترسل تركيا قوات عسكرية إلى المنطقة عن طريق البحر لاستعادتها، وبالتالي فهو بحاجة إلى الدعم الانجليزي العسكري والسياسي.

أما المسألة الثالثة والهامة، فقد اوضح ابن سعود طريقتين للاستيلاء على واحتي الاحساء والقطيف:

ولفاسيليف الذي يقول ((كان سكان الاحساء الذين أرهقهم ابتزاز الاتراك وظلمهم ينظرون إلى النجديين كمنقذين)) انظر ص ٢٤١ من كتابه، فصول من تاريخ العربية السعودية.

531 علامة التعجب موجودة في الاصل، وهذه من عندنا ((!!!)).

532 الوثيقة السابقة، وانظر ملخصا لها في كتاب التطور السياسي لقطر ص ٢٠٢، وكتاب قيام العرش السعودي، ص ٢٢. وأيضاً تاريخ الاحساء السياسي، ص ٢٢٠، ٢٢١.

533 جلال كشك، مصدر سابق، ص ٦٢.

أولها: ان يطلب من الاتراك أن يجعلوه متصرفا عليهما، ويحكم باسمهم، ثم ينتهز الفرصة بعد أن يثبّت أقدامه فيطرد الاتراك، ويعلن الانفصال. وبالطبع فان هذا المخطط لا يمكن ان ينجح، وقد رأينا وثائق الاتراك تشير اليه باصبع الاتهام والتآمر مع ابن صباح[٥٣٤]. ولم يصدّق الاتراك مزاعم ابن سعود وتملّقاته لهم بأنه يتبع ((عظمة السلطان!))، وما كانوا مصابين بالعمى إلى حد أنهم يسلمون ابن السعود الحكم في المنطقة.. ولا يوجد بين أيدينا أية معلومات تشير إلى ان ابن سعود قد قدّم هذا الطلب إلى السلطان العثماني. فالأقرب انه تراجع عن هذا الخيار، لعدم امكانية تحقيقه.

وثانيها: الهجوم المباغت على الاحساء وإحراج الترك. وهذا لا يتمّ الا في حالة انهاك القوات العثمانية هناك، وترتيب أوراقه في نجد، وكان ابن سعود يتوقع ان يتم ذلك خلال اربع أو خمس سنوات.

وإزاء هذا الخيار الذي رجح من الناحية العملية، استمر ابن سعود في دفع اتباعه من العجمان وآل مرة لزيادة هجماتهم على المدن والقرى في المنطقة، أملا في فرض الامر الواقع وإحتلالها، وهو الذي نجح في آخر الامر، وكتب للانجليز طالبا الحماية منهم فور سقوط المنطقة بيده، فالتقى به بيرسي كوكس في العقير هذه المرة لينسق الامور معه.

على أية حال، لم يلق الاقتراح السعودي تحمّسا لدى الدوائر البريطانية العليا خاصة في وزارة الخارجية، ولكن بقيت وزارة الهند والمستعمرات تناقشان مدة من الزمن فكرة تكليف ابن سعود بالمهمة.. واقترح المعتمد السياسي في البحرين، الكابتن بريدو، ان يكون الرد على رسالة ابن سعود كالتالي:

((طالما أن الحكومتين البريطانية والتركية، تربطهما علاقات وديّة مع بعضهما البعض، فانه يستحيل على الحكومة الهندية ــ حكومة الهند البريطانية! ــ أن تدخل في أي اتفاق من النوع الذي يرغب فيه الامير ابن سعود)).. ويضيف بريدو انه يجب توجيه تحذير لابن سعود بأن لا يتجه إلى الاتراك حتى لو رفض الانجليز مشروعه: ((إلا أنني أسمح لنفسي بأن أضيف إلى هذا الرد تحذير للامير، بأنه يجب ان يكون حريصا على عدم إلزام نفسه بأي صورة من صور الاعتراف بخضوعه للسلطان.. الا إذا قرّر ان يتحمل العواقب، وقد فهمت بأنه لم يفعل شيئا من هذا القبيل حتى الآن))![٥٣٥].

---

[534] اصدر السلطان العثماني في عام ١٢٢٢هــ أمرا بالانعام على ابن رشيد بلقب قائد عام العسكر والمجاهدين في نجد والزبير، اعترافا منه بفضل ما قام به من اعمال حربية ضد الانجليز.

[535] الوثيقة السابقة، من بريدو إلى كوكس، رسالة مؤرخة في ١٧ نوفمبر ١٩٠٦.

وصل العرض السعودي إلى بيرسي كوكس، ثم ما لبث ان تسلّم عرضا مشابها من المعتمد في الكويت والذي سلمه له مبارك الصباح. فقد التقى نوكس صباح العشرين من نوفمبر ١٩٠٦ بمبارك الصباح، وقدّم الأخير له ((سلّة)) أخبار عن الاحساء والأتراك.

قال مبارك أنه تلقى رسائل من ابن سعود تفيد بأن ((المتصرف التركي وبرفقة ١٢٠٠ من الجنود السوريين، واثنا عشر مدفعا قد غادروا الاحساء إلى المدينة المنورة في الخامس عشر من رمضان ١٣٢٤هـ، الموافق للثالث من نوفمبر ١٩٠٦)).

ثم قدّم عرض ابن سعود لمساعدته في احتلال الاحساء، ضمن تقييمه للاوضاع هناك، فقال: ((ان الاحساء في حالة سيئة للغاية، وسيكون عملا ممتازا لو ان ابن سعود استولى على املاك آبائه وأجداده في الاحساء والقطيف، وعندها يتقدّم بطلب رسمي لفرض حماية حكومة جلالة الملك البريطاني)).

ولمعرفة نوكس بتوجهات حكومته، لم يعط جوابا واضحا لمبارك حول العرض المقدّم، حيث قال بغموض يحمل الرفض: ((انني لا استطيع ان اعلق على هذا الاقتراح بأي تعليق على الاطلاق. ولكن وكما يدرك الشيخ تماما، فان كل المعلومات عن الاتصالات التي يقوم بها، والتي يقدمها لي، يجري على الفور نقلها لكم ـ المخاطب هنا هو كوكس ـ، لتقوموا بدوركم بنقلها إلى السلطات البريطانية العليا، والتي ترسل بدورها من التعليمات ما تراه مناسبا، وأنه سيكون من الغباء بالنسبة لي ان أحاول التكهّن بوجهات النظر التي قد تتبنّاها تلك السلطات))[٥٣٦]!.

وفي الوقت الذي كان يحاول فيه ابن سعود جاهدا للحصول على الحماية الانجليزية، كان يمارس سياسة مزدوجة مع العثمانيين، حيث ينقل مبارك لنوكس بعض أخبار الامير السعودي التي تسلّمها منه، والتي منها: ((أن ابن سعود يحتفظ بورقة وقّعها ثمانون ضابطا تركيا يقولون فيها أنهم وجدوا ابن سعود خادما مخلصا لجلالة سلطان الامبراطورية، وأنه ساعدهم في كل ما يحتاجون اليه قدر المستطاع، وان منطقة نجد فقيرة الموارد، وذات مناخ سيء جدا، ومياهها آسنة، وليس فيها من المؤن والموارد ما يكفي لدعم القوات التركية))![٥٣٧].

ان هذه الورقة ـ على فرض صحتها وهو الاقرب ـ تدل على ان القوات التركية فاسدة حتى النخاع، ولا تريد ان تقاتل أو تبقى في نجد، وان ابن سعود لا يريد بقاء القوات التركية بحجج غريبة، مثل ان موارد نجد قليلة، وكأنه مُلزم باعاشة آلاف الجنود. لقد طلب الاتراك ان

---

[536] الوثيقة ((FO. 371 / 345)) ((E 25532))، رسالة من الميجور نوكس، المعتمد السياسي في الكويت، إلى الميجور بيرسي كوكس، المقيم السياسي في الخليج الفارسي، بوشهر مؤرخة في العشرين من نوفمبر ١٩٠٦.

[537] الوثيقة السابقة.

تبقى قوة من مائة جندي في بريدة، ومائة آخرون في عنيزة، ولكن ابن سعود اصرَّ على ان تبقى قوة لا تزيد عن ٢٥ رجلا في بريدة، و ١٥ آخرين في عنيزة.

لقد كان بيرسي كوكس من أشد المناصرين لقضية دعم ابن سعود، لولا ان وزارة الخارجية البريطانية كانت تعيق تحركه، وكان من المستعجلين في إنهاء الامبراطورية العثمانية وقد افرغ حماسه كاملاً حينما عُيِّن قائداً لحملة الانجليز على العراق واحتلاله.. لهذا ارسل اقتراح ابن سعود، الذي جاء من نوكس في الكويت إلى حكومة الهند طالبا ارسال معتمد بريطاني للبلاط السعودي، حتى يحفظ مصالح بريطانيا في الخليج، وربما ساحل الاحساء، فأجابته حكومة الهند مهدِّئة من حماسته، ومؤكدة ((بأن مصالح بريطانيا يجب أن تُحفظ على الساحل وان تستمر))، ولكن ليس بالضرورة أن يتم ذلك عن طريق ارسال الوكلاء إلى نجد[538].

ثم ارسل كوكس نسخة تفصيلية حول العرض السعودي، والذي وصله من الكابتن بريدو، إلى حكومة الهند، وألحَّ في دعم ابن سعود، كما حذر من عواقب عدم إعطائه جوابا مقنعا، وحاول إثارة ضجَّة بربط الأمر وكأنه إهانة شخصية له، وقال:

((إن الصعوبة التي أواجهها حاليا تكمن في ايجاد جواب مناسب إلى الشيخ مبارك والشيخ قاسم في قطر، واللذان يتحدثان نيابة عن ابن سعود، وأنا لا استطيع ان لا أُقدم جوابا الا إذا أردت أن أُعرض سمعتي للاستخفاف الشخصي والفظاظة بين الرؤساء المهتمين، مما يؤدي إلى تعريض عملي للأذى بطرق شتى)).. واقترح كوكس على حكومة الهند ان تقدم أجوبة جديرة بالاعتماد والمسؤولية[539].

بناء على ذلك أرسل نائب الملك في الهند برقية إلى كوكس تخبره بأن حكومة الهند تعد دراسة ((مذكرة)) لمراجعة سياسة بريطانيا في شرق الجزيرة العربية، وقالت البرقية[540]:

((سنرسل لكم قريبا مراسلة تستعرض الوضع في شرقي الجزيرة العربية، ونقترح أن تنقلوا ردَّنا على ابن سعود، بأن الحكومة البريطانية في حين ترغب في المحافظة على علاقات وديِّة معه، طالما انه يتصرف بطريقة تخدم المصالح البريطانية، وتتفق مع التزاماتنا مع الشيوخ العرب على الساحل، فانها لا ترى اية ضرورة في الوقت الحاضر لتقديم أي وعد رسمي له بالحماية، وهو وعد ـــ إذا قُدِّم الان ـــ فقد يكون له اثر في دفع وتشجيع المقاومة والمعارضة

538 الوثيقة السابقة ((E 5532))، رسالة رقم ٢٧١٩، تاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٠٦.
من المقيم السياسي في بوشهر، إلى حكومة الهند.

539 الوثيقة السابقة.

540 الوثيقة السابقة ((E 5937))، تاريخ ١٥ فبراير ١٩٠٧. من نائب الملك في الهند، إلى المقيم السياسي في بوشهر.

التركية لمحاولاته في توطيد سلطته ونفوذه. يمكنكم نقل هذا الرد شفهيا بواسطة الشيخ قاسم، أو بواسطة أي وكيل بريطاني يوصي به معتمدنا في منطقة الخليج الفارسي))[541].

والآن لنستعرض ما خلصت اليه المذكرة، بل الدراسة الشاملة تجاه ابن سعود والاحساء، والتي سببها إلحاح بيرسي كوكس وخلافه مع وجهات نظر اوكنور ووزارة الخارجية، فهذه المذكرة تخلص إلى:

١ــ ليحتل ابن سعود الاحساء والقطيف، ثم ليطلب الحماية من الانجليز.

٢ــ سيقوم الانجليز حينها بمساعدته، والاحتجاج على أي تحرك عسكرية تركي بأن عملهم يؤدي إلى خلخلة الأمن.. الخ.

لقد أعدّ المذكرة ثمانية من فطاحلة الاستعمار بناء على رغبة حكومة الهند[542]، حيث توضح المذكرة الخطوط العامة للسياسة البريطانية في الخليج والقائمة على عدم التصادم مع الاتراك، وحفظ مصالح الحكومة البريطانية، وتطلب بتعديل جزئي في هذه السياسية، التي تتبناها بحذافيرها وزارة الخارجية، وتطويرها بحيث تتناسب والأوضاع المستجدة، وتتوافق مع رأي حكومة الهند، التي ترى أن الاتراك باتوا ضعفاء في نجد، وقد تأزّم حالهم في الاحساء، في حين ان ابن سعود يرمي بكامل ثقله نحو الحكومة البريطانية، بينما يدعم الاتراك بقوة ابن الرشيد.

لقد سبق أن حذّر السفير البريطاني في القسطنطينية من استعداء الاتراك بدعم ابن سعود في احتلال الاحساء وحمايته من غضب الاتراك.. لكن المذكرة تفنّد بحس استعماري هذه المخاوف، وتقول أنه لا بدّ من مراجعة السياسة القديمة، وليس بالضرورة دعم ابن سعود لاحتلال الاحساء، ولكن ان لا تقف بوجهه.. ونلاحظ في المذكرة تعاطفا واضحا مع مطامع ابن سعود، ولكن السؤال: كيف يتم ذلك دون استعداء الاتراك؟!.

تقول المذكرة: ((لقد اصدرنا أوامرنا الضرورية إلى الميجور كوكس لتأمين تقيُّده والتزامه بخط السياسة العامة، ولكن في الوقت الحالي فاننا نعتقد بوجوب توضيح ان هناك ما يوحي ان

---

[541] انظر احمد عرابي نخلة، مصدر سابق، ص ١٢٠، ١٢١. والإسلام والوثنية السعودية، ص ٢٧. وانظر أيضاً: جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٢٠٨.

[542] انظر المذكرة في الوثيقة رقم ((FO. 371 / 345))، وقد اعدّت حكومة الهند المذكرة في الحادي والعشرين من فبراير ١٩٠٧، وقدمت إلى جون مورلي.. اما الثمانية فهم:

1 / E. N. Baker.
2 / C. H. Scott.
3 / H. Adamson.
4 / J. F. Finlay.
5 / Minto.
6 / D. Ibbetson.
7 / Kichener.
8 / H. E. Richards.

اوضاع الاتراك في نجد أصبحت اكثر صعوبة، وانهم اضحوا غير قادرين على فعل شيء اكثر من المحافظة على مظهر القوة الشكلي في الاحساء، إذ اوقفوا إلى حد ما التراجع العكسي الذي تمّ على يد العرب المحليين[543]. ويحاول الاتراك الان، اعادة ترتيب وضعهم هناك بواسطة الجنود اليائسين. كما أن الاتراك اشاعوا بأنهم سيستخدمون البحرين كقاعدة وسيطة لنقل قواتهم، ولكنهم لم ينفذوا تهديدهم وأرسلوا قواتهم مباشرة إلى القطيف)).

وهكذا تمضي المذكرة في استعراض انتصارات ابن سعود في نجد عام ١٩٠٦، وتقرر أن الاوضاع تتطور وتتغيّر، وبالتالي لا بد من التعاطي مع مسألة الاحساء. فلقد ((قدّم ابن سعود طلبا محددا عبر الشيخ قاسم، من ان بامكانه ترتيب اتفاق تفاهم سرّي مع الحكومة البريطانية، يحصل بموجبه على الحماية البريطانية من الهجمات التركية البحرية، إذا ما نجح في طرد الاتراك من اراضي اسلافه)).

ثم تتحدث المذكرة عن الردود التي أُعطيت له، وتحذر من مخاطر إهمال تطلعات ابن سعود، لانه قد ينجح ((في السيطرة على الاحساء والقطيف بدون اعلامنا، سواء كان بعقد ترتيبات مع الاتراك ليكون ممثلا لهم في المقاطعتين، أو إذا احتلهما بجهده الشخصي)).

صحيح: ((نحن لا نريد ان تكون القوات التركية قوية معززة في نجد، لدرجة تؤدي إلى اضعاف تأثيرنا على الكويت والشيوخ الاخرين))، ولكن ((إذا حصل ابن سعود على سلطة غير مسؤولة في نجد والاحساء والقطيف، فانه سيؤدي إلى اضطراب في تأثيرات على سياسة الساحل، الا إذا ارتبط ابن سعود بنا بطريقة ماء))!.

وتعالج المذكرة مسألة هامة تتعلق بكيفية عمل ابن سعود لاحتلال الاحساء، من خلال عرضه السابق لاحتلالها، فقد كتب ابن سعود انه سيطلب من السلطان العثماني ان يجعله متصرفا للاحساء والقطيف، فان فعل فانه سينقلب من السلطان العثماني ان يجعله متصرفا للاحساء والقطيف، فان فعل فانه سينقلب عليه بعد ان يثبّت مواقعه، وإذا لم يوافق فان ابن سعود سيعدُّ نفسه لاحتلالها بالقوة.. وهذا رأي الانجليز في ذلك:

((من غير المتحمل ان يسلّم الاتراك السلطة الاسمية في نجد والاحساء والقطيف إلى ابن سعود، في جوابهم على طلباته التي يعتزم تقديمها للسلطان العثماني[544]. وحتى إذا فعلوا، فان

---

543 اشارة إلى حادثة الشفيق وحرقها من قبل العجمان.

544 ارسل الكابتن بريدو إلى كوكس في ١٧ نوفمبر ١٩٠٦ حول اشاعة ترددت في البحرين ((بأن الحكومة التركية، وبعد أن وجدت نفسها غير قادرة على تحصيل العائدات في القطيف والاحساء، وبعد ان وجدت ان الأهالي فيهما يميلون إلى ابن سعود، تفكر بدعوة هذا الاخير إلى تسلّم منصب المتصرف فيهما باسم السلطان)).

ابن سعود بقبوله ذلك سوف لن يستمر طويلا، ولكنه سينتهز اول فرصة للاطاحة بالعبودية التركية. وإذا ما أخرج ابن سعود الترك من الاحساء بالخداع والنفاق أو بالقوة، واستنادا على خياره المقترح، فانه لن يستطيع أبدا المحافظة على حكمه هناك طويلا، ما دام الاتراك قادرين على مهاجمته من البحر)).

لهذا تنصح المذكرة بأنه لا تجب المجازفة بتحويل ابن سعود إلى الانجليز عن طريق السقوط في صراع مع الاتراك.. الا في حالة واحدة هي:

((إذا استطاع ابن سعود النجاح ورسُخ سلطته في الاحساء والقطيف، فحينها سيبقى مجبورا ليتجه نحو الحكومة البريطانية من اجل الحماية ضد الهجمات البحرية.. وحكومة جلالة الملك ــ البريطاني ــ ستكون في وضع يمكنها فيه من التفكير فيما تتطلبه مصالحها، بحيث تنسجم مع تعهداتها مع الباب العالي. فتمدُ يدها لابن سعود المُجبر على أخذها حفاظا على مصالحه، ومن الممكن إذا ما أخرج الاتراك من الاحساء والقطيف، ان تدرس حكومة جلالة الملك فيما إذا كان من الصالح كبح جماح الاتراك ومنعهم من مهاجمة ابن سعود على الساحل، بحجّة اننا مسؤولون عن السلام البحري في الخليج، وأننا لا نستطيع السماح لحرب ان تتواصل على الشاطئ لتلحق الضرر بذلك)).. وختاما تقول المذكرة ((ان الاتراك لا يجب ان يحوزوا على أي مظهر للسلطة في شواطئ شرق الجزيرة العربية ابتداء من جنوب الزبير..))!.

لقد جمعت المذكرة رأي وزارة الخارجية، في عدم التحرش بتركيا بعقد معاهدة حماية مع ابن سعود عدو الاتراك، وعدم مساعدته ماديا ــ على الاقل ــ في احتلال الاحساء.. وأرضت المنكرة في نفس الوقت عتاة الاستعماريين في حكومة الهند، بأن ابن سعود سيلقى الحماية والدعم بعد ان يطرد الاتراك من شرق الجزيرة العربية، ويثبت اقدامه فيها، وهذا ما يطلبه ابن سعود تحديدا!.. انه يريد حمايته قدر الامكان من الهجوم البحري التركي، وهذا هو المهم. وقد قدّمت المنكرة سيناريو اتبعت خطوته بحذافيرها حتى احتلال ابن سعود للاحساء.

هذه نقطة بالغة الاهمية، فقد ابلغ شكسبير المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ــ ابن سعود بسياسة الانجليز هذه، وحرّضه على احتلال الاحساء، في حين كتب لرؤسائه بأنه نصحه بعدم الاقدام على ذلك!، واكتشف رؤساؤه الامر، وإزاء ضغط وحنق وزارة الخارجية أُبعد إلى لندن، وما هي الا مدة قصيرة حتى اشتعلت الحرب العالمية الاولى، فطُلب شكسبير على وجه السرعة ليمثل مصالح بلاده في بلاط ابن سعود كأول ممثل لبريطانيا، وما هي الا أشهر حتى

انظر الوثيقة ((E. 5532)) ((FO. 371 / 345))، ولا شك ان هذه الاشاعة من تصدير ابن سعود نفسه، خاصة وانها توحي بأن ابن سعود سيستلم الحكم ليأخذ العائدات التي لم تدفع للاتراك!.

كان شكسبير هذا يدبر مدفعا لابن سعود ضد ابن رشيد في معركة جراب في يناير ١٩١٥ فيُقتل على يد الشمَّريين.

فهناك من أوصل فحوى المذكرة لابن سعود.. هناك من قال له: أن بريطانيا لا تعارض احتلال الاحساء، وانها ستدعمه وتحميه، وليس أحد يعرف هذه السياسة سوى المعتمدين البريطانيين في الخليج.

وهذا ما دفع احد الكتاب لان يقول ((ورغم ان ابن سعود لم يتلق جوابا بريطانيا حاسما، فلم يغب عن ذكائه اللماح موقف الرضا الذي يكمن في ثنايا الصمت البريطاني. إذ لم تكن السلطات البريطانية غافلة عن الفوائد التي ستعود عليها من عمليَّة كهذه))[545].

مهما تكن الاحوال، فقد وافقت وزارة الخارجية على السياسة المعدَّلة الجديدة، وأرسل السفير اوكنور إلى حكومة الهند في الأول من ابريل ١٩٠٧ مؤكدا موافقته، ومعيدا بالنصح بعدم التورط في دفع ابن سعود لاحتلال الاحساء ((لأننا اعترفنا بأنها جزء من الامبراطورية العثمانية)) وأن ((ابن سعود لم يتعاط بعد مع القوة العسكرية التركية الكبيرة، بسبب الاضطرابات القبلية من جهة، وبسبب سياسة النفاق التي يتبعها تجاه السلطان العثماني من جهة أخرى)).

ولكن: ((إذا حدث في وقت ما ان ابن سعود قد نجح في تأسيس حكم وسلطة تتمتع بقدر مقبول من الاستقرار، فانه يبدو من الضروري التفكير فيما إذا كان علينا ان نعترف به كممثل لرغبة شعبه، وربما نفكر في المقدار المرغوب فيه من الحماية لشواطئه قبال الهجوم ــ التركي ــ والقرصنة))!.

وهنا تتفق رؤية أوكنور مع ما ورد في المذكرة مع اختلاف بسيط جدا، ولكنه ملحوظ جدا[546].

ومرَّت السنون، ١٩٠٧، ١٩٠٨، ١٩٠٩، وطيف الاحساء وأحلام السيطرة عليها لم يفارق مخيلة الحاكم السعودي، وكلَّما زادت مشاكله في نجد مع آل الرشيد، إزداد قناعة بضرورة أهمية الاحساء في تسهيل وتوسعة المُلك السعودي.

في مطلع ١٩٠٩ كانت المشاكل قد تصاعدت في غير صالح آل سعود في نجد، حيث الثورات المتكررة، وانشقاق العائلة المالكة، وتفرق القبائل عن الحكم الجديد.. في ذلك الاثناء كتب القنصل البريطاني في دمشق ((ج. ب. ديفي)) إلى السير ((ج. لوثر)) في القسطنطينية

---

[545] خالد السعدون، مصدر سابق، ص ١٤٢.

[546] يذكر حافظ وهبة في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين، ان العرض السعودي للانجليز حول احتلال الاحساء، قد تمَّ سنة ١٩٠٧، وربما كان ذلك اشتباها منه، بسبب ان مناقشة العرض استمرت إلى ذلك العام. انظر كشك، مصدر سابق، ص ٢٢٥.

بتاريخ التاسع عشر من يناير ١٩٠٩ يبلغه: ((أن القوات التي كان ابن سعود يعتمد عليها بدأت تتلاشى إلى حدٌ أنه تخلّى عن فكرة القيام بحملة على الاحساء والساحل الشرقي)).. وهذا غير دقيق تماما، فالفقرة هذه توضح حجم مصاعب ابن سعود، وقد أشارت الرسالة إلى شيء منها، حين قالت ان حمود بن سبهان نجح في تقريب وتوحيد فروع قبائل شمر تحت قيادته، واستطاع استمالة اكبر عدد من قبائل نجد. وأن ابن سعود قد تخلّت عنه قبائل عتيبة ومطير، وأعلنت استقلالها عن كلا الأميرين في نجد وابن سعود، وابن الرشيد)). وان قبيلة أسلم، وهي فرع من شمّر، والتي انحازت عام ١٩٠٨ إلى ابن سعود، عادت وانضمت إلى ابن سبهان.

ويرى احد الكتاب انه لم يمنع ابن سعود ((من تحقيق أهدافه في بسط سيطرته على الاحساء، الا انشغاله في حروبه داخل الجزيرة العربية، ومنها على سبيل المثال، ثورة الهزازنة في مقاطعتي الحريق والخرج في عامي ١٩٠٩ و ١٩١٠، وهي ثورة أُسرية من جانب المطالين بالحكم، وهم الفرع الاكبر من أحفاد عمّه سعود))[٥٤٧].

وفي عام ١٩١١ احتلت ايطاليا ليبيا، فأحدثت هزّة كبرى في العالم الاسلامي، لم تستطع دولة الخلافة الاستفادة منها واستثمارها في مقاتلة المحتلين.. ففي اليمن اعلن الامام يحيى الذي اكتوى بنار حكم الاتراك انه مستعد لارسال قواته لمحاربة الكفار الايطاليين الذين اعلنوها حربا صليبية ضد الإسلام، وظهرت أناشيدهم تقول:

أنا ذاهب إلى طرابلس
فرحا مسرورا لأبذل دمي
في سبيل سحق الأمة المعلونة
ولأحارب الضلالة الاسلامية
سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن
ليس بأهل للمجد
من لم يمت إيطاليا حقًا

وفي مصر تطوّع الناس للقتال إلى جانب الاتراك، وراح الشعراء ((شوقي وحافظ)) وأمثالهما يشعلون الحماس، وشُكّلت لجان الدعم والمناصرة، بل ان بعض المبتعثين إلى اوروبا، قطعوا دراساتهم وعادوا للقتال في ليبيا.

[547] عبد العزيز محمد منصور، مصدر سابق، ص ٢٠٢.

وفي داخل العراق أفتى العلماء الشيعة بوجوب الجهاد ضد الايطال، منهم آية الله محمد سعيد الحبوبي، وآية الله محمد كاظم الخراساني، وآية الله عبد الله المازندراني، وشيخ الشريعة الاصفهاني، وعلي رفيش، ومحمد حسين القمشة، وغيرهم[548].

وانتشرت حركة الرفض إلى الاحساء والقطيف، حيث أفتى المجتهد العلامة حسن علي البدر بحمل السلاح ضد الايطاليين، وقد طبعت الفتوى في كرّاس حمل اسم ((دعوة الموحدين إلى حماية الدين)).. وعلى العموم كانت النقمة عامة، في كل أرجاء البلاد الاسلامية، لكن الاتراك استسلموا للهزيمة، وكان ذلك من اكبر الاسباب التي أدّت إلى النفور منهم فيما بعد.

أما الموقف السعودي، فان الكتب السعودية نفسها تشير بوضوح إلى انتهازيته، فالأتراك الذين حاربوا إيطاليا لبعض الوقت لم يلقوا من حاكم الرياض أي تعاطف، بل اعتبر ذلك فرصة مناسبة للانقضاض على الاحساء واحتلالها، وقد فعل.

وحتى مبارك الصباح، اضطر لان يحني هامته امام المشاعر الجيّاشة التي كانت سائدة يومئذ، فتبرع بثلاثة آلاف ليرة تركية في حرب طرابلس، وأرسلها إلى والي البصرة في التاسع والعشرين من نوفمبر ١٣٢٩هـ، مصحوبة بخطاب يعلن فيه ((تعلقه بأذيال الدولة وتمنّيه من

---

[548] لعلّ من المناسب ان نورد نموذجا من فتاوى علماء الشيعة في وجوب الجهاد ضد الايطاليين، واليك نص إحداها:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة المسلمين الموحدين، ومن جمعتنا وإياهم جامعة الدين، والاقرار بمحمد سيد المرسلين.

السلام عليكم ايها المحامون عن التوحيد، والمدافعون عن الدين، والحافظون لبيضة الإسلام.

لا يخفى عليكم ان الجهاد لدفع هجوم الكفار على بلاد المسلمين وثغورها، مما قام اجماع المسلمين، وضرورة الدين على وجوبه. قال سبحانه: (انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ).. هذه كفرة ايطاليا قد هجموا على ((طرابلس الغرب)) التي هي من اعظم الممالك الاسلامية وأهمها، فخربوا عامرها وأبادوا ابنيتها، وقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها. ما لكم تبلغكم دعوة الإسلام فلا تجيبون، وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون، اتنتظرون ان يزحف الكفار إلى بيت الله الحرام، وحرم النبي، والأئمة عليهم السلام، ويمحوا الديانة الاسلامية عن شرق الارض وغربها، وتكونوا معشر المسلمين أذل من قوم سبأ؟.

فالله الله في التوحيد، الله الله في الرسالة، الله الله في نواميس الدين، وقواعد الشرع المبين، فما بعد التوحيد الا التثليث، ولا بعد الاقرار بمحمد ((ص)) الا عبادة المسيح، ولا بعد استقبال الكعبة الا تعليق الصليب، ولا بعد الاذان الا قرع النواقيس.

فبادروا إلى ما افترضه الله عليكم في الجهاد في سبيله، واتفقوا ولا تفرقوا واجمعوا كلمتكم، وابذلوا اموالكم، وخذوا حذركم (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ)، لئلا يفوت وقت الدفاع وانتم غافلون، وينقضي زمن الجهاد وانتم متثاقلون (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

التوقيعات: ١/ خادم الشريعة المطهرة، محمد كاظم الخراساني، ٢/ الأحقر الجاني، عبد الله المازندراني، ٣/ الجاني، شيخ الشريعة الاصفهاني، ٤/ الاقل، علي رفيش، ٥ / اقل خدام الشريعة، محمد حسين القمشة، ٦/ اقل خدام الشريعة الغراء، حسن بن المرحوم صاحب الجواهر، ٧/ الاحقر الجاني، السيد علي التبريزي، ٨/ الاقل الجاني، مصطفى الحسيني الكاشاني، ٩/ الراجي عفو ربه الغفور، محمد آل الشيخ صاحب الجواهر، ١٠/ الراجي عفو ربه الغفور، محمد جواد الشيخ مشكور، ١١/ الأحقر، جعفر بن المرحوم الشيخ عبد الحسن، ١٢/ بسم الله الناصر المعين.. وبه انا وكل مسلم نستعين، محمد سعيد الحبوبي.

نجد هذه الفتوى في كتاب ((دعوة الموحدين إلى حماية الدين)) للعلامة الكبير، المجتهد الشيخ المرحوم حسن علي البدر القطيفي، وكان قد فرغ من تسجيل فتواه في العشرين من شوال ١٢٢٩هـ الموافق للثالث عشر من اكتوبر ١٩١١.

صميم قلبه أن يكون لها الفوز على أعدائها، وقال بأنه لا يدخر وسعا في معاضدتها))، وتبرع نيابة عن ابن سعود، فقال ان لديه ــ أي مبارك ــ ستين ألف مقاتل ما بين فارس وهجّان بما فيهم ابن سعود نفسه[549].

وفي نفس العام ١٩١١، قدم ابن سعود اكثر من عرض للانجليز لاحتلال منطقة القطيف والاحساء، وعرض عليهم امتيازات خاصة غير محددة إذا ما حموه باسطولهم البحري، وقدم مبارك هذا العرض للمعتمد السياسي البريطاني في الكويت، حيث اوضح له ان ((مصالح ابن سعود لا تتعارض مع مصلحتهم في هذا الموضوع، فكلاهما يريد التخلص من الاتراك، وبذلك يتهيأ لبريطانيا تحقيق هدفها دون الدخول في صراع مكشوف مع الامبراطورية العثمانية وإثارة ممالك أوروبا وأماراتها.. اما إذا تولى ملك نجد طرد الاتراك، فلن يتعدّى الامر نطاقا خاصا داخليا محدودا يعود بالنتائج السارّة على الجميع. واقتنع الانجليز بهذا المنطق، وأبلغوا مبارك الصباح أنهم لا يعارضون خطط ابن سعود))[550].

وفي نفس عام ١٩١١ أيضاً ــ عام الحرب مع ايطاليا ــ ورغم برقيات ابن سعود الولائية للعثمانيين فانه وثّق علاقاته مع معتمد بريطانيا في الكويت الجديد ((الكابتن شكسبير))، وكتب هذا الاخير تقريرا عن رحلة له في أعماق نجد، بعد ان التقى بابن سعود في معسكره، وادعى بأن اللقاء كان ((صدفة))، رغم انه تمّ في اعماق نجد، ولكن الوثائق البريطانية نفسها، ما لبثت ان اعترفت بأن الامر كان مدبّرا.

---

[549] عبد العزيز الرشيد، مصدر سابق، ص ٢٠٠. ويذكر حسين خلف الشيخ خزعل في كتابه تاريخ الكويت جزء ٢، ص ٨٥-٨٦، ان مبارك ارسل إلى ابن سعود ان يحني هو الآخر هامته، في كتاب وجهه اليه، فلما بلغ ابن سعود الكتاب ارسل هذه البرقيات.

((لاعتاب الخلافة.. عبوديتي وخدماتي لمقام الخلافة الاسلامية معلومة وثابتة، عند اولياء الامور، وان سكان جزيرة نجد عموما قلبا وقالبا قد تحركت النخوة العربية في عروقها حين ما بلغهم اعتداء الطغاة الطليان، جعل الله كيدهم في نحورهم، واصان الدولة الاسلامية من تجاوزاتهم، وجميعنا على استعداد للدفاع عن الدولة بسيوفنا وأموالنا وأرواحنا، ومنتظرين الاشارة من مقام الخلافة، والامر لكم.

خادم الدولة امير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز السعود)).

وأبرق إلى الصدر الأعظم سعيد حلمي: ((اليوم نفتخر نحن مع سكان نجد بتوجيه الصدارة لعهدتكم، واننا آملين في تسوية المشاكل الحاضرة بهمتكم المشهورة، واننا على استعداد لمعاونة الدولة بأرواحنا ومنتظرين امركم السامي)).

وأبرق إلى نظارة الداخلية ونظارة الحربية برقيتين بالمعنى المذكور.

[550] عبد العزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة، بنوا ميشان، ترجمة عبد الفتاح ياسين، ص ١١١. وانظر خالد السعدون، مصدر سابق، ص ١٤٢.

لقد أقام شكسبير في معسكر ابن سعود أياما عديدة، وأعدَّ تقريرا ممتعا عن توجهات السعوديين السياسية، وخططهم المستقبلية. وقال انه عومل بكرم بالغ، وهو أمر غير منتظر كما يقول. دعنا نتابع فقرات التقرير المطول، واحدة، واحدة[551].

ابتداء يثني شكسبير على معاملة ابن سعود له فيقول: ((لقد عاملني بكرم بالغ، وبأكثر اساليب الصداقة صدقا، ولم يوفر جهدا ولا عناء لجعل اقامتي عنده في غاية الامتاع، حيث لم يظهر هو ولا اخوته أي اثر للروح المتعصبة يمكن ان يتوقعها المرء من العائلة الوهابية الحاكمة.. كما عوملنا، أنا ومن معي، من قبل مستشاريه وقادة قواته بأقصى ما يمكن من الصداقة والود، وأجابوا على اسئلتي عن بلادهم وعاداتهم ومواردهم، وغير ذلك، بكل الصراحة الممكنة، ومنحت مطلق الحرية للتجوُّل بين الخيام، والتحدث إلى الجماعات والأفراد، دون ان أُثير أي مقدار من الريبة أو الشكوك التي يثيرها عادة أجنبي يقيم بين عرب الداخل. وانني اشعر بالقناعة بصحة هذا الانطباع، لأنني غالبا ما كنتُ أُناقش في قضايا العقيدة والعادات والتقاليد والدين، وهي مسائل يعتبر المذهب الوهابي النقاش فيها مع غير الوهابيين من المحرمات. وكانت الاجابات تأتيني هادئة ذكيَّة المنطق، دونما اثر لحرارة التعصُّب)).

((إن هدفي من تدوين ما أوردته أعلاه، هو ان أُظهر بأن علاقتي بعائلة آل سعود يمكن ان توصف بأنها من القُربِ والالتصاق بما لا يدع مجالا للشك في صدقهم وإخلاصهم حول ما دار بيننا.. والحقيقة فانهم اعتادوا على مناداتي باسم ((الأخ))، ولو كنتُ أخا بالفعل، لما عوملت بشكل افضل وأكرم، باعتباري واحدا من افراد العائلة المالكة)).

بعد هذا ينتقل شكسبير للحديث عمَّا يخص السعوديين، فالرجل جاء للاستطلاع، وقد أعطوه كل المعلومات التي أرادها.. وقد سأل ابن سعود الكابتن عن العلاقات البريطانية التركية، فأجاب شكسبير على الفور: ((قلت له على الفور بأنني لم آت لمناقشة قضايا سياسية، ولكن لاتمتَّع بالتجول في الصحراء، ولأقابله ان أمكن.. ولأرى كيف يعيش زعماء العرب في الصحراء، وإضافة لذلك، لستُ مخوَّلا لمناقشة قضايا سياسية معه))[552].

وبكلمة، اوضح له انه جاء ليستمع ويسجِّل المعلومات، فطلب ابن سعود اصغاءه، وأعلن عن سعادته ((لتوفُّر هذه الفرصة لفتح قلبه كاملا في الحديث))!.

---

[551] الوثيقة ((E 20868)) تقرير من الكابتن شكسبير في الكويت، إلى الميجور كوكس في بوشهر، ومن كوكس إلى مكماهون، وهناك نسخة من التقرير، وهي الاصلية في مكتب الهند ((India Office)) محفوظة تحت رقم ((I. O. R / 15 / 5 / 25, NO. C - 17)).

وانظر روبرت ليسي، مصدر سابق، ص ٧٠، ٧١.

[552] مجلة الدارة، مارس ١٩٨٦، ص ٣٩، ٤٠.

قال ابن سعود انه ((أرسل رسولا سريًا إلى بوشهر بهدف استئناف العلاقات القديمة مع المقيم، لكن الرسول لم يحمل أي رسائل، وكانت التعليمات الصادرة اليه بأن يقابل المقيم شخصيا، وان يُسرُ اليه بشكل عام، بأن ابن سعود يرغب في الدخول في علاقات مع الحكومة البريطانية، وان اية علاقة اكثر رسمية من ذلك، يمكن اجراؤها عن طريق المعتمد السياسي في الكويت)).. وقال ان اسم الرسول ((مسحوق))، وان افترق عن ابن سعود أواخر يناير ١٩١١[553].

بعد هذه المقدمة، راح ابن سعود يحدث شكسبير عن تاريخ عائلته ابتداء من ايام ابراهيم باشا قائد الحملة المصريّة، وكيف قام جدُه تركي بن عبد الله بتأسيس حكمه مؤكدا ان مملكته كانت تضم ((الاحساء والقطيف)) وهما بيت القصيد. ثم تحدث عن اغتيال تركي، وتولي جده فيصل بن تركي الحكم، ثم عودة المصريين لنجد بقيادة خورشيد باشا حيث قاموا بأسره ونفيه إلى مصر، وأكد ابن سعود ان جده فيصل ((وبعد محاولة دامت سنوات طويلة نجح في الحصول على عفو عنه ثم عاد إلى نجد))، وكان أول عمل قام به هو أنه ((جدُد المعاهدة القديمة مع الحكومة البريطانية.. وصار يتلقّى بموافقة الاخيرة جزية من سلطان مسقط بلغت ١٥ الف دولار سنوياً)).

واضاف ابن سعود ((ومع ان فيصل كان في هذا الوقت على اتصال دائم بالحكومة البريطانية، فانه لم يسمح له بمساعدة محمد بن عبد الله آل خليفة في محاولة استعادة حقوقه في البحرين، حيث كان المعتمد البريطاني قد عيُن احد افراد عائلة آل خليفة في موقع السلطة.. الا ان الحكومة البريطانية، وكدليل على صداقتها لعائلة آل سعود، عاقبت شيخ البحرين حين تحرك للقيام بهجوم على اراضي الاحساء والقطيف، والتي كانت أملاكا وهابية في ذلك الحين. وفي ذلك الوقت تقريبا، بدأت بريطانيا تظهر مدى التصاق علاقاتها بنجد، وذلك بارسالها أحد ضباطها إلى الرياض[554]، حيث جدُد المعاهدات والصداقات القديمة، رغم ان ذلك لم يكن بموجب وثائق فعلية مكتوبة)).

ويستمر ابن سعود في الحديث، كما يستمر شكسبير في الكتابة.

---

[553] قال المقيم السياسي في بوشهر، السير بيرسي كوكس، معلقا على هذه الفقرة من التقرير، في رسالة إلى السير هـ. مكماهون بتاريخ ٢٠ ابريل ١٩١١، ان مسحوق ((قدّم نفسه الينا في بوشهر، قبل حوالي ستة اسابيع – بداية مارس – حاملا رسالة شفوية، قال انها آتية من ابن سعود. ورغم ان ملامح مسحوق واسلوبه كانا يوحيان بصدق ادعاءاته، فانه لم يكن يحمل اية أوراق اعتماد تعرف هويته، بحيث لم اتمكن من معرفة شخصيته الحقيقية، وعلى هذا الاساس عاملته بحرص وحذر المرتاب، ولم أزد على ان اصدرت تعليماتي بأن يزود كغريب عربي بكل ما يحتاجه من الطعام، بانتظار مغادرته البلاد عائدا من حيث أتى على ظهر اول مركب يغادر بوشهر)) !.

[554] اشارة إلى زيارة لويس بيلي.

تحدث ابن سعود عن موت فيصل والحرب الاهلية بين عبد الله الفيصل وأخيه سعود الفيصل، وكيف أخذ الاتراك الاحساء، ووجَّه اللوم للانجليز على سماحهم للاتراك باستخدام البحر للوصول إلى موانئ القطيف، وقد اشرنا إلى ما قاله في حديثنا عن الحرب الاهلية. وأكد ابن سعود مستعرضا حديثه عن احتلاله للرياض وحربه مع ابن رشيد والقوات التركية عام ١٩٠٦، حيث انسحبت اغلب هذه القوات بعدئذ.

هنا يغري شكسبير رؤساءه بالاتراك متنهزا ضعفهم: ((منذ اخراج الاتراك الاخير هذا، لم تظهر أية علائم على وجود أي سلطة تركية في نجد، واستطاع عبد العزيز ان يوطِّد سلطانه على مسافة تمتد مسيرة يومين من حائل، حتى الشريط الساحلي للخليج الفارسي، باستثناء الهفوف والقطيف، حيث ابقى الاتراك هناك على بعض الحاميات)).

واوضح ابن سعود بفخر واعتزاز بالغ ((انه لم يعلن انه من اتباع السلطان، وانه كوهابي لا يعترف بالسلطان خليفة على المسلمين[555]، والوهابيون يكرهون الاتراك ــ كما قال عبد العزيز ــ، ولا تقل كراهيتهم تلك الا عن كراهيتهم لشيوخ فارس، وذلك بسبب الممارسات الكافرة التي أدخلها كلاهما ــ الفرس والاتراك ــ على الدين الصحيح النقي الذي انزل في القرآن))!.

وتقول الفقرة التالية من التقرير ما هو أدهى.. فقد قال ابن سعود انه استعرض مع شكسبير تاريخ آل سعود على مدى أعوام مديدة ((ليبرهن أن آل سعود كانوا دائما على علاقة وديِّة مع الانجليز، وانهم كانوا دائما يكرهون الاتراك من كل قلبهم.. ولكن حين وصل الاتراك عن طريق البحر إلى الاحساء، واستطاعوا المحافظة على مواقعهم هناك، فان آل سعود لم يتمكنوا من طردهم. ولطالما عبَّر آل سعود عن رغبتهم ــ للانجليز ــ في القيام باعمال عسكرية، ولكنهم كانوا يخلصون إلى هذه النتيجة في كل مرة، بأن حملة عسكرية من هذا النوع ستكون عديمة الجدوى، ما لم يوضع حدٌ لقدرة الاتراك على جلب قواتهم عن طريق البحر، وهذا امر لا يمكن تحقيقه الا من قبل الانجليز))!.

أما لماذا يكره ابن سعود الاتراك، ولماذا هو حريص على احتلال الاحساء فذلك ما يشرحه شكسبير بقوله:

[555] كتب عبد الرحمن الفيصل من الكويت قبل ان يغادر إلى الرياض، رسالة إلى السيد رجب النقيب في الخامس من صفر سنة ١٢٢٠هـ يعلن فيها ((اننا خدام محسوبين على الدولة العلية)) و((اننا لم نلجأ إلى احد الا إلى الله تعالى ثم عدالة امير المؤمنين أدام الله مجده)).. وكان عبد الرحمن قد ارسل للتوّ طالبا من المقيم البريطاني في بوشهر الحماية والعون.. وقال عبد الرحمن للنقيب ((أخذنا ننتظر تعطفاته الملوكية بأن نُعطى من المعاش ما يقوم بأحوالنا)) و((نحن في كل مكان وحال من الاحوال نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين، باذلين الجدّ والاجتهاد فيما يحصل به رضاه، منقادين إلى أوامر الدولة العلية، فنرجو من مراحم وتفضلات واحسان حضرة أمير المؤمنين بحلول انظاره علينا... وأجراء ما تفضل به من المعاش))!!.. انظر تاريخ الكويت، عبد العزيز الرشيد، ص ١٧٩.

((إن آل سعود يكرهون احتلال الاتراك للاحساء كراهية عمياء لسببين رئيسيين:

أ ــ لان المقاطعة تشكل جزء من ممتلكات آل سعود المتوارثة عبر سلالتهم[556].. وهي اغنى تلك الممتلكات على الاطلاق.

ب ــ لان الاحتلال التركي يحرم حاكم نجد من الميناء الطبيعي لممتلكاته، ويجعل من مهمة الاشراف والسيطرة الحقيقية على القبائل البدوية المنتشرة ما بين البحر والرياض مهمة مستحيلة، مع ما ينتج عن ذلك من عواقب وخيمة بالنسبة لازدهار نجد التجاري)).

هذه مبررات احتلال الاحساء الحقيقية، وهذه هي اهميّة الاحساء لابن سعود قبل عهد النفط، فكيف بها بعد فورانه وطغيانه؟!.. ان منطقة نجد بدون الاحساء والخليج، تصبح كعضو ذابل لا يمكنه المقاومة أو حتى الاستمرار.

ويزعم ابن سعود انه ليس وحيدا ــ كما اخبر شكسبير ــ في كراهيته للاتراك، فكل امراء الجزيرة العربية يتبادلون الرسائل وينسقون معا لطرد الاتراك نهائيا، وذلك ابن سعود انه تلقّى رسائل من إمام اليمن بهذا الشأن، وكذلك من محمد الادريسي، وحتى من ابن الرشيد!!.

وهذه مغالطة كبرى، واكبر منها قوله: ((ان العرب اصحاب الحل والعقد في الاحساء والقطيف)) كانوا ممّن طلبوا اليه يرجونه ان يساعدهم في القيام بثورة عامّة شاملة وناجحة في جميع انحاء الجزيرة العربية!.

إذا كان الادريسي فعل ذلك، فهو امر ليس بغريب ان يصدر منه، لانه تعامل مع الطليان ومع الانجليز وقبل اقدامهم، وطعن دولة الخلافة في الظهر وفي اسوء أيام محنتها، حينما هاجمت دول الصليب اطرافها!.

اما إمام اليمن فلا يجب ان تقارن كراهيته للترك بكراهية ابن سعود لهم. كلا... فتلك مغالطة لا يجوز المرور بها مرور الكرام!

ان اليمن بلد الثورات ضد الاتراك الذين مارسوا فيها ابشع واقبح ما مورس تجاه بلد من ممالكهم ــ باستثناء العراق ربما ــ .. ولكن يحيى الذي حارب الاتراك مرارا لم يكن الا سيد نفسه. دعنا ممّا يقال عن تحجُّره ورجعيته، لكن الوثائق تثبت انه كان خصما عنيدا للايطاليين والانجليز على حدٍّ سواء.

الامام يحيى لم يمدّ يده للانجليز، لكي يحارب الاتراك كما فعل ابن سعود.

والإمام يحيى لم يستغل ضعف الاتراك اثناء حربهم مع دول اوروبا في البلقان وغيرها لكي يطعنهم، فيقدم فائدة جلّى لأعداء الإسلام.

---

556 ليس لآل سعود حقوق متوارثة، بمنطق الإسلام، وبمنطق الوقائع كما سيتبين ذلك لاحقا.

كلا.. والإمام يحيى لم يحارب دولة الخلافة حينما قامت الحرب العالمية الاولى، ولم يقل ((لو كان في بدني قطرة دم تميل إلى الاتراك لأخرجتها)).. ولم يرسل تهنئة للانجليز باحتلالهم للبصرة كما فعل ابن سعود حين ارسل لكوكس قائد الحملة مهنئا: ((سيدي السير بيرسي كوكس، مندوب بريطانيا العظمى دام عزّها.. دخول جيوشكم الانكليزية العظيمة للعراق نصر مبين للمسلمين، وعزٌ مكين لنا.. عبوديتنا وخدماتنا لبريطانيا العظمى، وولاؤنا لكم إلى الابد)).

ولم يرسل الإمام يحيى ابنه إلى لندن مهنئا بهزيمة دولة الخلافة وتقسيم ديار العرب، كما فعل ابن سعود عام ١٩١٩ حينما ارسل ابنه فيصل إلى لندن لتهنئة الملك جورج الخامس!.

لا شك ان الامام يحيى كان كارها للاتراك، كما كره المسلمون ممارساتهم، أما ان يتحالف مع دول الكفر ضدهم، فتلك غلطة لم يرتكبها الامام الذي أثبت يومها انه اشرف الحكام المسلمين.. ومن أراد المزيد، فليراجع الوثائق البريطانية للسنوات ((١٩١٢ ــ ١٩١٨)).

وها هو ابن سعود يطلب عبر شكسبير ((الحماية الانجليزية)).. خوفا من ((اضطهاد)) الاتراك كما يقول.. وها هو يعلن براءته من دولة الخلافة، ولكنه في الوقت نفسه مستعد عن طيب خاطر لان يرفع العلم البريطاني في القطيف قبل ان يحتلها.

قال شكسبير على لسان ابن سعود نصًا: ((ليس لآل سعود اية اطماع في اية منطقة باستثناء الاحساء والقطيف.. ولكن ما هو اهم من ذلك كله، هو انهم ــ أي السعوديين ــ يريدون ان يكونوا على علاقة بالحكومة البريطانية، بحيث تتردد الحكومة التركية قبل ان تحاول اضطهادهم، أو التدخل في شؤونهم في نجد. وقد قدّم عبد العزيز وضع الشيخ مبارك كمثل للعلاقات التي يرغب فيها مع بريطانيا)). أي معاهدة حماية، ثم يزايد ابن سعود على مبارك الصباح، فكيف يحصل الاخير على الحماية البريطانية وهو اقل من ابن سعود؟!: ((وأضاف ابن سعود، ان آل سعود في وضع افضل من وضع مبارك، لانه لا علاقة لهم بالاتراك على الاطلاق، ولا يرفعون علمهم، كما يفعل مبارك، ولا يعترفون حتى بخليفة الإسلام ــ السلطان ــ. وهو ــ أي ابن سعود ــ يناشد الانجليز من اجل حمايته على اساس العلاقة القديمة والطويلة، ولان الانجليز يعملون دائما من اجل السلام والعدل، وإذا أعطوا وعدا فيمكن الوثوق بأنهم يحافظون على وعودهم))!!.. نعم، والدليل وعود مكماهون للشريف حسين من جهة، ووعود الانجليز لليهود باقامة وطن قومي في فلسطين من جانب اخر!.

وأظهر ابن سعود، كما يقول شكسبير في تقريره ((استعدادا كاملا لاستقبال معتمد سياسي بريطاني، ولكن بما ان الاتراك يحتلون حاليا المينائين الوحيدين اللذين يخصّان الوهابيين[557]، فلا يسعه الا الاقتراح بأن يقيم مثل هذا المعتمد إما في القطيف أو العقير، بعد أن يجبر الاتراك على الجلاء عن الاحساء. وحين يتمّ ذلك، فانه سيرحب بالعلم البريطاني عن طيب خاطر[558] كدلالة على انه لا يخاف من تركيا بعدئذ، وان الاخيرة لن تستطيع مضايقته وازعاجه بعد ذلك)).

واستمر ابن سعود يقدّم اغراءاته، وشكسبير يسجّل: ((اضاف ابن سعود مبيّنا ان آل سعود إذا ما سيطروا على الاحساء، وأقام ضابط بريطاني في احد المينائين، فان الانجليز سيستفيدون كثيرا من ازدياد النشاط التجاري الذي سينشأ من وجود سلطة مستقرة مؤثرة فعّالة، تسيطر على البدو، الذين جعلوا طرق التجارة مع الداخل ــ أعماق نجد ــ غير آمنة على الاطلاق حاليا)).

ويلاحظ ان شكسبير يكتب بعاطفة مؤيدة، وقد أُتيحت له الفرصة ليسأل سؤالا تتضح فيه سياسة ابن سعود المزدوجة طوال تسع سنوات مع الاتراك، قال الكابتن: ((حين استفسرت عن كيفية توفيقه بين استلامه لراتب منتظم من الاتراك، بين ادعائه الاستقلال المطلق، قال عبد العزيز بأن الراتب يعود تأريخه إلى توقيف والده في بغداد وكان يدفع له حينئذ كراتب يعيش عليه، وانه استمر منذ ذلك الحين كراتب شخصي يدفع لعبد الرحمن، وانه لا يزيد عن ستين جنيها ــ ليرة ــ تركيا سنويا. أما هو نفسه فلم يتسلم شيئا من أي نوع طيلة حياته من الاتراك، سواء كان ذلك أوسمة ونياشين، أو كان راتبا ماليا، ويقترح عبد العزيز ان يسمح لراتب والده ان يوقف بعد وفاته.. وان كل ما تبادله من الرسائل مع المسؤولين الاتراك ذو طبيعة دبلوماسية، اما لتحقيق جلاء القوات التركية بالتظاهر بالخضوع لهم، أو لتخفيف حدّة صعوبات ومشاكل اخرى كلّما برزت. ولو ان الانجليز ــ يقول ابن سعود ــ ابقوا على علاقاتهم القديمة مع آل سعود، ووضعوهم تحت جناحهم، وهو ما يرغبون فيه، لما وقعت هذه التقلبات، ولا هذه الذرائع

---

[557] على أي منطق استند قول ان ميناء العقير والقطيف يخصان الوهابيين، فان كان بمنطق ملك الآباء والاجداد، فأهل المنطقة أولى منه بهما، لانهم سكانها وحكامها قبل آبائه واجداده.. وحتى السلطان العثماني، بامكانه ان يغلب ابن سعود إذا استخدم هذا المنطق، لان آباء عبد الحميد الثاني أخذوا الاحساء منذ القرن العاشر الهجري، وبعد مائة وخمسين سنة، أخذها آل سعود. وان كانت المسألة تعتمد على منطق الغلبة والقوة والفتح، فالمنطقة بيد الاتراك الآن، وان كان بمنطق الإسلام، فلا الحكومة التركية ولا السعودية تقومان على الشرع ونظامه.

[558] ينقل حافظ وهبة، مستشار ابن سعود، وسفيره المفوض في لندن، هذه الحكاية: ((سألني قبل اربع سنوات ــ أي في عام ١٩٢٠ ــ احد شيوخ البحرين، عن حقيقة ما اشيع من ان جلالة الملك سيقبل تعيين احد القناصل في القطيف والاحساء، فقلت له ان الاشاعة غير صحيحة. ولكن ماذا يمنع من ذلك؟ فقال: إذا قبل الملك ذلك فعلى بلاده السلام. ان الراية الانجليزية ما رفعت على بلد، الا وأعقبها الاستيلاء عليه، ولقد رأيت ما صنعوا بالبحرين.. انهم في خمسين سنة قضوا على كل نفوذ لشيوخ البحرين)).

والحقيقة ان الراية لم ترتفع في القطيف، وانما رفعت منذ وقت مبكر في العاصمة السياسية للمملكة السعودية في جدّة. وعلى اية حال لا تحتاج الامور دائما إلى رايات مرفوعة، فوسائل الاستعمار كثيرة.

المصلحيّة، ولا كان لها لزوم على الاطلاق))!.. أي ضعونا تحت جناحكم واحمونا وساعدونا، وسنعلنها بعدئذ حربا على الاتراك.

وأخيرا يقترح شكسبير في تقريره ((جَمْع القادة الرئيسيين في الجزيرة العربية، والتنسيق معهم للقيام بثورة متزامنة يرأسها اشخاص من ذوي الميول الدينية المتفاوتة، مثل الامام يحيى، والإمام الوهابي.. وسوف يؤدي ذلك إلى توحيد العرب إلى ان يتحقق هدفهم))!.

لكن الحقيقة هي ان الانجليز لم يجدوا اصلح من الشريف حسين، فهو قرشي، ويدّعي الانتساب إلى سلالة الرسول، وهو حاكم مكة والمدينة اللتين تضمّان اقدس مقدسات المسلمين، في حين ان ابن سعود اصبح بعدئذ تابعا لأمير مكة، لان سمعة الوهابيين بين المسلمين سيئة، اما الامام يحيى فبقي على الحياد، ولم يلوّث نفسه بثورة لورنس!.

ويعتقد شكسبير في آخر التقرير، وهو في الواقع يقترح: ((أنه إذا ما وطّد آل سعود دعائم حكمهم في الاحساء، وأقاموا علاقات صداقة معنا، فان وضعنا سيزداد قوة بدرجة كبيرة، وستختفي المحاولات التي تجري حاليا لحبك الدسائس والمؤامرات بين زعماء المشيخات المتصالحة وبين الاتراك.. ومما لا شكّ فيه، فان قوة وسلطة ابن سعود في اعماق الجزيرة العربية، ستجعل طريق القوافل إلى الداخل آمنا إلى حد يمكن للتجارة ــ وهي في معظمها الان بريطاني أو هندي ــ ان تستفيد ماديا)).

سؤال اخير: ألا يحق للانجليز، ولشكسبير شخصيا، ان يرحبوا بحاكم مثل ابن سعود، فيأخذ الاحساء ويطرد الاتراك، ويرفع العلم البريطاني في القطيف، ويسمح للتجارة البريطانية في الخليج بأن تجني أرباحا طائلة.. وفوق هذا يدفع بمشايخ الساحل أن يلتزموا حدّهم، فيرتمون اكثر في الاحضان البريطانية، ويشجّع على الثورات ضد الاتراك، إلى ان تسقط الامبراطورية العثمانية وتتوزع أشلاء تتقاسمها ممالك أوروبا الصليبية؟![559].

---

[559] هذا التقرير المطول لشكسبير، والذي استعرضناه في الصفحات السابقة، لا يشير له الكتاب السعوديون ولا يتعرضون له ــ ان ارادوا ــ الا لماما، فمثلا يقول جلال كشك، الذي ابتسر كل الوثائق الانجليزية وحوّر مقتطفاتها إلى صالح السعوديين، يقول حول التقرير: انه في عام ١٩١١ اجتمع شكسبير مع ابن سعود، وتحدث معه عن كراهية للاتراك ((واستيائه الشخصي من احتلالهم للاحساء، الاقليم الذي كان ابن سعود شديد الاهتمام باسترداده، ليس فقط لانه من املاك آبائه، بل لانه يعطيه منفذا على البحر، ويمكنه من السيطرة على القبائل في المنطقة الممتدة من الرياض إلى الساحل)).. واشار كشك إلى ان ابن سعود عرض على شكسبير انه ((في حال استرداد الاحساء، فسيرحب بقبول وكيل بريطاني في احد موانئ الاقليم)).. وان الاخير رد ((بأن الحكومة البريطانية تحصر اهتمامها في الساحل ــ الساحل لا بدّ ان يشمل الاحساء والقطيف ــ ولم تنازع تركيا ابدا في سيادتها على وسط الجزيرة)) الخ.. انظر السعوديون والحل الاسلامي ص ٢٤١، ٢٤٢.

ويرى المستشرق الروسي إليكسي فاسيلييف، ان مباحثات ابن سعود وشكسبير، كانت وديّة ((واتفق معه على التعاون، وتخلى حاكم الرياض عن كل الادعاءات في مسقط وعمان، وتقرّر ان يسيطر على الاحساء والقطيف وجزيرة دارين وميرفأ العقير، وان يحول الانجليز دون تدخل اية دولة من جهة البحر))، انظر، فاسيلييف، مصدر سابق، ص ٢٢٤.

٩

المرحلة الحرجة..

ما قبل الاحتلال (١٩١٢ ــ ١٩١٣)

بحلول عام ١٩١٢ تجمّعت كل الظروف الاقليمية والدولية والمحلية المساعدة لتجعل عملية احتلال الاحساء من قبل ابن سعود سهلة يسيرة، بل لم يحدث ان احتل ابن سعود منطقة بأسهل منها.

وهناك جهات اربع يهمّنا استطلاع اوضاعها، عشيّة الاحتلال السعودي لها، وهي الاتراك، وابن سعود في نجد، والأهالي في الاحساء، والانجليز في الخليج.

بالنسبة للاتراك، يتفق المؤرخون والكتاب بالاجماع تقريبا على ان ابن سعود استغلّ انشغال دولة الخلافة في مشاكلها الدولية، وحروبها مع الغرب في اوروبا، والتمردات التي واجتها هناك، ليقوم بمباغتة الاتراك من الخلف، وهم في اقصى حالات الانشغال والضعف. وينسب بعض المؤرخين سبب تأجيل ابن سعود لاحتلال الاحساء حتى هذا الوقت، انه جاء بناء على نصيحة من مبارك الصباح حاكم الكويت، وبعضهم نسبه إلى الانجليز، ومهما كان الحال فان الامر سيّان، مع اننا لا نعتقد ان ابن سعود يقلّ ذكاء ودهاء عن مبارك.. وسنقتطف فيما يلي فقرات متعددة ممّا قاله المؤلفون ــ أكثرهم من المؤيدين ــ حول استغلال ابن سعود للضعف التركي هذا.

١ــ تحت عنوان ((تحرير المنطقة الشرقية))، كتب احمد عسّه، بعد ان يتحدث عن كيفية سيطرة ابن سعود على القصيم: ((واليوم نجد عبد العزيز في عام ١٩١٣/ ١٣٣١هـ ــ يغتنم فرصة انشغال الدولة العثمانية في حرب تشتبك فيها مع إيطاليا من اجل السيطرة على ليبيا، وبعض جزر البحر الابيض المتوسط، ليقوم بتحرير مقاطعة الاحساء ويستردها من الدولة العثمانية))[٥٦٠].

وأشار خالد السعدون، في صفحة ١٤٢، ١٤٢، إلى اللقاء بقوله: ان ابن سعود ((استغلّ فرصة اجتماعه بالوكيل السياسي البريطاني في الكويت، في ربيع الثاني ١٣٢٩هـ ــ ابريل سنة ١٩١١، فعرض عليه الفكرة ــ فكرة احتلال الاحساء ــ وألمح له بما سيعود على بريطانيا من فوائد فيما إذا وقفت بجانبه عند تنفيذ خطته المزمعة. ورغم انه لم يتلق جوابا بريطانيا حاسما، فلم يغب عن ذكائه اللماح موقف الرضا الذي يكمن في ثنايا الصمت البريطاني. إذ لم تكن السلطات البريطانية غافلة عن الفوائد التي ستعود عليها من عملية كهذه)).. وبعد ذلك يضع المؤلف اشارة عابرة للوثيقة أو التقرير الذي كتبه شكسبير نفسه.

[560] معجزة فوق الرمال، احمد عسّه، ط ٢ ١٩٧١، بيروت، ص ٦٥.

٢ـ قالت حفيدة الملك السعودي في دراسة لها[561]: ((في عام ١٩١١ هاجم الايطاليون طرابلس الغرب، وما كادت تنتهي الحرب الايطالية التركية فيها حتى نشبت حروب البلقان الاولى ١٩١٢، بينما انفجر الصراع بين آل الرشيد في حائل، وهكذا توفرت الاسباب التي جعلت غزو الاحساء فرصة موائية)).

وتابعت قائلة: ((وتعتبر الاحساء المنفذ الطبيعي لنجد إلى الخليج العربي والخارج، بالاضافة إلى مصادر الدخل منها، ولذلك كان عبد العزيز يتطلع إلى اليوم الذي يسير فيه لاسترداد الاحساء، وقد جاء هذا اليوم في جمادى الاولى ١٣٣١هـ، ١٩١٣، مستفيدا من ضعف الدولة العثمانية نتيجة حربها ضد الايطاليين وفي حروب البلقان، واضطرارها لسحب جزء من حامياتها في الهفوف))[562].

٣ـ وكتب بنوا ميشان[563]: ((ضمن ابن سعود حياد الانجليز!، ولكن خوض معركة ضد الاتراك لم يكن مع ذلك مأمون العواقب، فنصحه الامير مبارك الذي كان على اطلاع وثيق على ما يدور في الآستانة، بالتريُّث وترقب الفرص.. وصدق حدس مبارك بأسرع مما كان يتوقع، ففي نهاية العام ــ تشرين الثاني ١٩١١ ــ هاجم الايطاليون طرابلس الغرب، ولم تنته الحرب التركية/ الايطالية حتى نشبت حرب البلقان الاولى ــ تشرين الاول ١٩١٢ــ، وزحف الصرب إلى سالونيك والبلغار إلى الآستانة، واصبح الاتراك بحاجة إلى كل واحد من جنودهم.. وأدرك ابن سعود ان ساعة العمل قد أزفت)).

٤ـ وكتب آخر[564]: ((يبدو أن ابن سعود اجل تنفيذ عزمه استجابة لنصيحة مبارك له، بانتظار انتهاء فورة النشاط التي إتَسم بها نظام الحكم العثماني الجديد.. ولقد صدق ذلك الحدس، إذ تبدَّد ذلك النشاط في مواجهة مشاكل دولية عويصة، مثل الحرب العثمانية/ الايطالية سنة ١٣٢٩هـ، ١٩١١، والحرب البلقانية سنة ١٣٣٠هـ، ١٩١٢. فاستغل ابن سعود الفرصة السانحة وعبأ قواته في ربيع الاول ١٣٣١هـ ــ فبراير سنة ١٩١٣، وتحرك صوب الاحساء بحجّة اخماد بعض الفتن القبلية هناك. ثم فاجأ القوات العثمانية في الهفوف وأجلاها عن طريق البحر في ابريل ١٩١٣ ــ جمادى الاخرى سنة ١٣٣١هـ ــ، بعد قتال طفيف لم يزد عدد ضحاياه عن خمسة وعشرين رجلا)).

---

561 الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت ١٩٢٢ ــ ١٩٢٤، موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل السعود، ط ١ جدة، ١٩٨٢، ص ٢٢.

562 المصدر السابق، ص ٢٢.

563 بنو ميشان، مصدر سابق، ص ١١١، وأيضاً بنوا ميشان، فيصل، تعريب رمضان لاوند، ص ٢٢.

564 خالد السعدون، مصدر سابق، ص ١٤٢.

٥ ــ وكتب خاس: ((وترجع اسباب هذا الانتصار السريع لابن سعود في فتحه المفاجئ للاحساء، إلى انشغال الدولة العثمانية في حروبها في البلقان، إذ لم تزد قوات الاتراك في الاحساء على نحو اربعمائة رجل))[٥٦٥].

٦ــ وقال الدكتور العقاد: ((في سنة ١٩١٣، تهيأت الظروف لغزو الاقليم، فالعثمانيون يواجهون صعوبات في البلقان، وقد اضطروا إلى انقاص حامياتهم في اطراف الدولة الاخرى حتى قدرت في الاحساء بنحو ٤٠٠ رجل...، وفي مايو[٥٦٦] شنّ غارة من غاراته المفاجئة على الحاميات العثمانية، فلم يصادف مقاومة تذكر))[٥٦٧].

٧ــ وكتب الاستاذ ناصر الفرج: ((كما خططت بريطانيا لابن سعود احتلال الاحساء والقطيف، فقد وقّتت له هذا الاحتلال وحدّدته، في الوقت الذي كانت فيه الدولة التركية تحشد كل جيوشها وطاقاتها العسكرية لصدّ الزحوف المتوالية عليها في البلقان، وفي الوقت الذي تتعرّض فيه سالونيك والآستانة للسقوط بيد الصرب والبلغار.. وقد فاجأ ابن سعود تركيا بأحداث لم تكن تنتظرها في الخليج، ولم تكن في حال تمكّنها من استعادة سلطتها الفعلية على منطقة الاحساء))[٥٦٨].

٨ ــ واشار الاستاذ جمال زكريا قاسم إلى ان ((انشغال الدولة العثمانية في البلقان كان مما ساعد عبد العزيز على فتح الاحساء، إذ ترتّب على تلك الحروب سحب سليمان نظيف بك والي البصرة الاتحادي معظم القوات العثمانية من الاحساء، فلم تزد القوات الموجودة على اربعمائة نفر، منهم ٩٠ في القطيف))[٥٦٩].

٩ــ ويذكر كشك، ان شكسبير قدم لابن سعود اخر المعلومات عن احوال الاتراك في حروبهم الدولية يومئذ، وكان شكسبير قد قضى نحو اسبوعين في معسكر ابن سعود في المجمعة بين ١٩ نوفمبر حتى الثالث من ديسمبر ١٩١٢ ــ ١٣٣٠هــ، وقال الكابتن عن ذلك اللقاء ((كان الامير قلقا على سماع انباء حرب البلقان))!.

فما هو سرّ هذا القلق؟.

---

565 الدين والدولة في المملكة العربية السعودية، الدكتور ابين الابلسيني، ط لندن الاولى ١٩٨٧، ص ٤٨، ٤٩. وأيضاً الدكتور عبد العزيز منصور، مصدر سابق، ص ٢٠٤.

566 بعض المؤرخين يقول انه في شهر ((ابريل)).

567 الدكتور العقاد، مصدر سابق، ص ١٩٢، ١٩٢.

568 ناصر الفرج، مصدر سابق، ص ٤٤.

569 جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، ص ٢١٠.

يقول شكسبير انه أعطى الامير حقيقة المعلومات عن الحرب، وان الاتراك هزموا: ((فأعطيته المعلومات الحقيقية لأدهش لردّة الفعل.. فلم يكن هناك أي عطف على الاتراك، بل ان الامير وأخوته وأعيان نجد لم يجدوا في هذا الموقف الا فرصة ممتازة للتخلص نهائيا من كل بقايا النفوذ العثماني، وطرد قوتهم من القطيف والاحساء.. وقد خرجت بانطباع ان النكبات لم تثر أي عطف عليهم...))[٥٧٠].

وما دمنا قد تعرّضنا لرأي الانجليز في مسألة توقيت الاحتلال للاحساء، وما سجّلوه على لسان ابن سعود، فاننا سنتعرض لما قاله ابن سعود لشكسبير يومئذ بالتفصيل.

يبدأ شكسبير تقريره[٥٧١] المؤرخ في ١٥ مايو ١٩١٣ بالقول:

((خلال الجولة التي قمت بها مؤخرا في اعماق ــ غرب ــ الكويت في هذا الربيع، والتقيت مرة اخرى بعبد العزيز بن سعود أمير نجد، وامضيت اربعة عشر يوما في معسكره..)).

((كان هو وإخوته بالغي السرور لتجديد علاقتنا القديمة، وكان الاستقبال الذي حظيت به، وكل ذرّة منه، مليء بالصداقة والود وكرم الضيافة، كما كان الاستقبال أول مرة في مارس ١٩١١)).

((كان الامير توافا لسماع آخر الاخبار عن الحرب التركية/ البلقانية، وعن مجرى الاحداث فيها، لانه لم يكن يصدق ــ كما قال ــ الروايات التي وصلته سواء من المصادر التركية، أو من الصحف المصرية، إذ رغم ان هذه الاخبار كانت تحتوي على وصف للنجاحات التركية العديدة، فقد كانت القوات التركية تبدو دائما وكأنها تهرب وتتراجع من موقع لآخر، وقد سمع من الكويت والبحرين، بأن الجيش العثماني لم يكن يسيطر الا على العاصمة التركية فقط، وعلى بعض القلاع التي لا تبعد اكثر من مسيرة يوم عنها، اضافة إلى بعض المناطق المعزولة، في حين ان كل بقية تركيا الاوروبية قد استولى عليها الحلفاء)).

((قدّمت له من المعلومات ما كان قد وصلني ــ اخبار سقوط الدرنديل لم تكن وصلتني حينها ــ، وقد دُهشتُ حين وجدتُ انه، بدل التعبير عن روح موالية للاتراك، فقد كان العكس هو الصحيح، حتى ان الامير، وأخوته، وكل وجهاء نجد الموجودين في المعسكر، بدوا وكأنهم

---

570 جلال كشك، مصدر سابق، ص ٤٥١. ويبدو ان اللقاء تمّ في عام ١٩١٢ قبل اسابيع من احتلال الاحساء، وليس في أواخر عام ١٩١٢، لدرجة ان التقرير لم يصل إلى رؤسائه الا بعد احتلال الاحساء.

571 انظر الوثيقة ((FO. 371 / 1820)) ((E 29150)) مؤرخة في الخامس والعشرين من يونيو ١٩١٢، ومرسلة من الكابتن شكسبير في الكويت، إلى السير بيرسي كوكس في بوشهر.

ينظرون إلى هزائم تركيا وضعفها الحالي، وكأنها توفر لنجد افضل فرصة للتخلص من السيادة العثمانية ولطرد قواتها من الاحساء والقطيف))[٥٧٢].

((سأحاول الان ان ابيِّن فقط مدى تأثير أحداث العامين الماضيين ــ الحرب الايطالية في طرابلس، والحرب التركية البلقانية ــ على آراء الامير وطموحاته. لقد تحدث بعنفوان أعظم من الماضي عن كراهيته للاتراك، وكان خائب الامل بشكل ظاهر، بحيث لم اكن بحاجة إلى تشجيعه، ولا حتى إلى اعطائه اقل امل بأن طموحاته ستلقى موافقة الحكومة البريطانية، ولقد بذلت جهدا شاقا لتبيان اننا على علاقة وديَّة مع الحكومة التركية.. وأننا نجري مفاوضات معها، وان الفترة الحالية من بين جميع الفترات لم تكن مناسبة لنا للقيام بدور البطولة في الدفاع عن مطالبه، حتى ولو كنَّا راغبين في ذلك)).

وعلى أية حال، فهذا كلام لم يقنع حتى رؤساء شكسبير، فالجميع ادرك ان ابن سعود لم يكن على اطلاع كاف على اوضاع الحكومة التركية، وان المعتمد لا شك شجَّعه على احتلال المنطقة، وقال له: هذه هي الفرصة المناسبة، فاضرب ضربتك. ويبدو ان حكومة الهند ووزارة المستعمرات والمعتمدين السياسيين في الخليج، كانوا في قرار انفسهم يؤيدون شكسبير في عمله، عدا وزارة الخارجية التي وصل اليها التقرير في شهر يونيو ١٩١٣، أي بعد ان تمَّ احتلال الاحساء في ابريل ١٩١٣، وهذا اول تقرير يتأخر كل هذه الشهور!.

ورأت وزارة الخارجية أن المسألة طبخها شكسبير، ووافق عليها البقية، ولم يكن أمامها سوى الغضب، والاحتجاج الذي أدى إلى ابعاد الكابتن إلى لندن لبضعة اشهر، وكان الاخير قد أخذ احتياطه، ليس فقط بتقديم معلومات كاذبة لرؤسائه، وانما اوضح لهم بأن ابن سعود رغم تحذيره الشخصي سيحتل الاحساء، فإذا حدث ما توقعه، يخرج هو بريء من تهمة التآمر مع ابن سعود!.

وتتابع في التقرير هذه الفقرات: ((قال الامير انه منذ ان تحدث إليَّ آخر مرَّة عن هذا الموضوع، مرَّ على تركيا عامان، أظهرت فيهما عجزها عن القيام بعمليات عسكرية، وبالتالي شعر العرب أنهم قادرون على اجلاء القوات التركية من الاحساء والقطيف بأقصى السهولة. وكانوا جميعا متفقين على انه لن تسنح فرصة افضل من هذه الفرصة، حيث جيش تركيا مهزوم محطَّم، فاقد التنظيم، وأوضاعها المالية مشلولة، ورعاياها العرب في العراق وسوريا يطالبون جميعا بالاصلاح والحكم الذاتي، ولهذا فستكون تركيا منهمكة مقيدة اليدين في مقاطعاتها واقاليمها

[572] واضح ان شكسبير قدَّم المعلومات لابن سعود محرِّضا إياه على احتلال الاحساء، ويبدو انه كتب هذا التحليل على لسان ابن سعود نفسه، والغريب ان التحليل هذا وصل إلى وزارة الخارجية البريطانية بعد احتلال ابن سعود للاحساء ، أي بعد ان قَضي الامر الذي فيه تستفتيان!.

الآسيوية، وبسبب محاولة الاستتفاه بعد انتهاء الحرب، بدرجة لن تستطيع معها ارسال حملة عسكرية جادة إلى الاحساء أو إلى نجد))!.

لقد بتنا في حيرة من أمرنا، ولعلَّ القارئ يشاركنا في هذه الحيرة، فما قدرنا أن نميِّز بأن هذا الكلام هل هو تحليل لشكسبير، ام للامير السعودي نفسه، بحيث ان صديقه الانجليزي كان يكتب بالنيابة عنه؟

وقال ابن سعود محلِّلاً هزائم الاتراك من وجهة نظر دينية: ((إن العرب يعتقدون عن يقين بأن الهزائم والخسائر التركية ما هي الا حكم الله وعقابه لأناس يسمُّون انفسهم مسلمين، بينما هم قد تخلُّوا عن إيمانهم منذ أعوام طويلة، واضطهدوا رعاياهم، واستنزفوا وابتزُّوا أموال الاوقاف الدينية، وخرقوا كل حدٍّ من حدود القرآن، وخربوا حكم الخلافة.. ثم أكَّد جازما بأن السلطان الحالي لم يعد خليفة حقا بأي معنى من المعاني، بل يتمسَّك بعرشه، وهو لعبة في ايدي عصابة من السياسيين في القسطنطينية، هدفهم الوحيد ملء جيوبهم، وهم على استعداد لايجاد خليفة آخر غدا إذا أثبت التغيير انه افضل بالنسبة لمصالحهم)).

ثم يبرِّر ابن سعود العلاقة مع الانجليز، بزعم عدالتهم ونزاهتهم، يقول: ((أما العرب فليسوا فاقدي البصر، ولا يمكن الا ان يقارنوا العدالة والصدق والمساواة والازدهار، والرفاه المادي، والحريَّة الدينية[573]، التي يتمتع بها الناس في ظل حكم الامم الاخرى، خاصة تلك الخاضعة تحت العلم البريطاني.. ان يقارن العرب كل ذلك بما رأوه ويرونه في ظل سلطة الحكومة التركية)).

فابن سعود هنا واضح وصريح في آرائه.. انه يفضل ولاية الانجليز على حكم الاتراك، وبتبرير ديني أيضاً.. ولقد قال لشكسبير فيما بعد بالنصِّ:

((ان الكافر من وجهة نظره كان افضل من التركي، لان هذا الاخير كان يخالف القانون الذي يدَّعي بأنه يتبعه.. بينما الأول ــ الكافر ــ يتصرَّف بموجب القانون الخاص به[574].

هذه الجملة هي الاساس الذي يعتمده الوهابيون ــ حتى اليوم ــ في تعاملهم مع المسلمين، ممَّن لا يؤمن باعتقاداتهم، وبغض النظر عمَّا قاله ابن سعود، لأنه ليس هنا مجال مناقشة مثل هذه الآراء المتطرفة.. فان ما يجب التأكيد عليه، هو حقيقة ان السعوديين والانجليز استغلوا

---

[573] من الطريف جدًّا ان يتحدث الوهابيون عن ((الحريَّة الدينية))، التي لا يؤمن بها اساطين المذهب الوهابي، حتى وان كانت ضمن اطار الإسلام، ولذا كان قتل من خالفهم في الرأي سمة من سمات تشدُّدهم وغلوِّهم.

[574] وثيقة رقم ((FO. 371 / 3044)) ((E 35392)) مؤرخة في الرابع عشر من فبراير ١٩١٧. من تقرير مطوَّل أعدَّه الكابتن أ. ت. ويلسون، كبير الضباط السياسيين الملحقين بالقوات الامبراطورية البريطانية ((المكتب العربي)) في البصرة بعد احتلالها، ومرسل إلى المدير العام لمكتب الاستخبارات العربية، عن طريق مدير الاستخبارات العسكرية بالقاهرة.

وقد أُرسلت نسخة من التقرير المطوَّل جدًّا، إلى كل من ((وزير الخارجية، لندن ــ وزير خارجية حكومة عموم الهند البريطانية، دلهي ــ السكرتير السياسي في وزارة شؤون الهند، لندن ــ وإلى سكرتير حكومة عموم الهند للشؤون الحربية)).

الضعف التركي لاحتلال المنطقة، وكان شكسبير صادقا حينما ذكر بأن مشاعر ابن سعود ((لم تكن تتناقل سرّا))، وان ((مثل هذا الحديث كان يجري علنا في كل لقاء للامير مع رؤساء قبائله وعشائره، ولقد كوّنت انطباعا مؤكدا، بأن هزائم تركيا وتراجعاتها لم تثر أي عطف أو تعاطف معها كدولة، ولكنها اعتبرت كبرهان قاطع على ان تركيا تجاهلت دينها وتخلّت عنه ونسيته، ولذا نساها الله وتخلّى عنها، فحريٌ بكل وهابي ان يتخلص ويبتعد عن اية صلة مع مثل هؤلاء المنغمسين بالمعاصي والهالكين)).

ويمكن القول الآن، بكل وضوح، ان ليست هناك أية حجّة لمن يزعم بأن الحاكم السعودي لم يستفد من انشغال تركيا في حروبها مع ممالك أوروبا الصليبية المحتشدة ضدها.. كما قال ذلك جلال كشك[٥٧٥]، والذي اراد أن يمرّر مقولة بعيدة عن الواقع بحجم قوله، ان عملية احتلال الاحساء كانت موجّهة بالكامل ضد بريطانيا، وان اتخذت طابع المواجهة مع الاتراك!.

هذا هو حال الاتراك عشية احتلال السعوديين للمنطقة الشرقية ((واحتي الاحساء والقطيف)).. ولكن كيف كان حال ابن سعود في نجد، وهو الطرف الآخر في المعادلة؟.

كانت اوضاع نجد السياسية أواخر ١٩١٢، وبداية ١٩١٣، هادئة وتميل إلى صالح ابن سعود، فمن جهة كان الأخير قد تخلّص من منافسة ابناء عمّه المسمّون بـــ ((العرايف)) في ثورتهم التي قاموا بها ضدّه في الخرج، وتخلّص من الانتفاضات التي قامت في بريدة وغيرها بأشد الاساليب قسوة ووحشية.

ومن جهة اخرى، بدأت الخلافات تتسع وعمليات الاغتيال تتصاعد في البيت الرشيدي الحاكم في حائل، مما جعله غير قادر على مواجهة الطموح والنفوذ السعوديين.. فضلا عن ان بعض الباحثين يؤكدون بأن ابن سعود ارتبط مع ابن الرشيد في مهادنة مؤقتة لتأمين ظهره إبان حملته على الاحساء[٥٧٦].

ومسالة ثالثة ترد هنا حول وضع ابن سعود الشخصي، فهو رجل يحمل طموحات توسعية على حساب جيرانه، ولقد وصف بيرسي كوكس، المقيم البريطاني في بوشهر، والذي عرك ابن سعود سنوات طويلة، وصف مطامعه التي لا تحدّ بقوله: ((يعتقد ابن سعود من الناحية العملية ان له الحق من حيث المبدأ في استعادة اية اراض كان أجداده قبل نحو قرن قد استولوا عليها، أو جعلوها من مناطق نفوذهم[٥٧٧].

575 جلال كشك، المصدر السابق، ص ٤٥١.

576 جمال زكريا قاسم، الجزء الاول، مصدر سابق، ص ٢١٠.

577 كيلي، مصدر سابق، ص ١٨٥.

ثم ان عملية الاحساء، لا تكلّف ابن سعود شيئا كثيرا، وهي اسهل المناطق التي يمكن ان تسقط في قبضته، بل لم تسقط منطقة بالسهولة، التي سقطت بها الاحساء.

اما اوضاع الاحساء الداخلية فهي ناضجة منذ مدّة، فالاهالي اصابهم الاعياء من انفراط الأمن الذي كان احد مسببيه، ابن سعود نفسه، وقد انقطعت سُبل التجارة والمعاش، بسبب الحصار المتكرر الذي فرضه البداة على الحواضر القطيفية والاحسائية، ممّا اذهب بازدهار المنطقة التي كتبت عنها الدولة العثمانية في دائرة معارفها ((ان هذه الواحة، لولا ما يحيط بها من بوادي سوء، لازدهرت الحياة فيها ازدهارا لا نظير له، لتوفر وسائل العمران في هذه التربة الخصبة))[578].

ولم تكن لأهالي المنطقة بعد سنوات من الفتن والاضطراب، أي قدرة على مقاومة الغزاة.. شأنهم في ذلك شأن الجنود الاتراك انفسهم، وفي نفس الوقت فقدت القطيف زعيمها السياسي الأول المرحوم منصور بن جمعة، واصابت الفرقة زعماء القطيف الدينيين والسياسيين، ممّا سهّل عملية الاحتلال.. في حين ان من حاول المقاومة وحضّ الاهالي عليها قد غادر البلاد بمجرد ان وصلت القوافل السعودية للقطيف، كما حدث بالنسبة للعلامة المجتهد حسن علي البدر، ليموت بعد حوالي عامين أثناء مقاومته للاحتلال البريطاني للعراق.

وهكذا حين دخل ابن سعود القطيف والاحساء وان كانت غير راغبة فيه، فانها لم تكن قادرة على مقاومته.

بقيت نقطة جديرة بالالتفات، نحاول ان نجيب عليها، وهي: هل دعا الاهالي ابن سعود ليأخذ الاحساء وينقذهم من انفراط الأمن؟.

بالنسبة للقطيف، يمكننا الاجابة بالنفي، حتى وان زعم ابن سعود نفسه ذلك.

وأما الاحساء، فقد استعرضنا اكثر من قول لابن سعود ومؤيديه من ان الاهالي دعوه لانقاذهم.. ولكن هناك مبالغات في هذا الدعوات، لدرجة ان كشك علق عليها بأنها من ((عادة كبار الفاتحين))!.. قال: ((وإذا كانت العادة قد جرت ان يقول كل الفاتحين الكبار، أنهم جاؤوا بناء على طلب الاهالي، فان ابن سعود هو أحقّهم بهذا الادعاء، لأنه ليس غريبا على الاحساء، وفتحه عاد بالخير والاستقلال والعروبة للاقليم))[579]، وفي هذا القول نقاش طويل للتبريرات نتركه إلى حينه.

---

[578] الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية، الدكتور عبد الله ناصر السبيعي، ط ١ ١٩٨٧، ص ٢٥.

[579] جلال كشك، المصدر السابق، ص ٤٥٢.

ويبدو أن عمل مخبري ابن سعود من النجديين ــ في الغالب ــ، اعتبر دعوة مفتوحة لاحتلال المنطقة، فكانوا هم المبرِّر.. فمن هم هؤلاء؟.

قال قدري قلعجي[580] ان عبد العزيز قبل احتلال الاحساء ((كتب إلى اصدقاء له هناك من آل سويلم والقصيبي والعجاجي والغنيم، ينبئهم بهجومه، ويطلب منهم ان يطمئنوا الاهالي، فيلزموا مساكنهم ويخلدوا إلى السكينة)).. أي القيام بعملية تثبيط.. واشار آخرون إلى دور آل الملاّ، والحملي والمبارك والملحم.

هذه هي العوائل، فمتى جاءت إلى الاحساء، وما هو تصنيفها المذهبي؟.

* آل العجاجي.. نزحوا إلى الاحساء من الرياض في آخر القرن الثالث عشر[581].. أي أنهم مستوطنون جدد، وخلال أقلّ من عقدين بدأوا ينسقون مع ابن سعود في تحركاته، وهم وهابيو المذهب، واعتنق بعضهم المذهب الشيعي، كما يوجد جماعات منهم في البحرين.

* آل غنيم.. نزحوا إلى الاحساء من الرياض في القرن الثالث عشر[582]، وحالهم مثل الذين سبقوهم، واعتنق بعضهم المذهب الشيعي.

* آل ملحم.. نزحوا إلى الاحساء من بلدة الجزعة المشهورة في نجد بقرب الرياض[583] وهم وهابيو المذهب سعوديو الولاء منذ أيام الدولة السعودية الثانية، حيث عيّنهم آل سعود ولاة على الاحساء فاستقروا فيها.

* آل سويلم.. ينتمون إلى العرينات، البطن المشهور في سبيع، وقد نزحوا إلى الاحساء من الرياض[584].

* آل جميح.. نزحوا إلى الاحساء من بلدة شقراء بنجد.

* آل الملاّ.. وفدوا من الشام مع الحملة التركية الأولى في القرن العاشر الهجري، وكان عميدهم ((مطوّع)) العسكر التركي، واسمه علي الواعظ آل الملاّ[585].

* آل مبارك تميميون نجديُّون، جاؤوا إلى المنطقة حوالي منتصف القرن الثالث عشر، منهم الشيعة والسنّة، واشتهر منهم من الشيعة، الشيخ محمد بن صالح المبارك.

---

580 موعد مع الشجاعة، قبس من حياة عبد العزيز، قدري قلعجي، ص ١٧٤ .

581 آل عبد القادر، مصدر سابق، ص ٢٤.

582 المصدر السابق، ص ٢٤.

583 المصدر السابق.

584 المصدر السابق، ص ٢٧.

585 المصدر السابق، ص ٢٢٢.

* آل القصيبي، نجديون، وكانوا أول ممثلين لابن سعود في الخرج، برز منهم عبد العزيز القصيبي ممثل الملك في البحرين، والذي اشعل الفتنة الطائفية فيها أوائل العشرينات الميلادية، مما اضطر الانجليز إلى إبعاده مؤقتاً[586].

وهكذا يتبين انه لا أحد من الغالبية الشيعية في الاحساء، قد دعا ابن سعود، كما ان الغالبية السنيّة التي ارتبطت مصالحها بالحكم التركي، وهي حنفيّة وشافعية ومالكية المذهب، بقيت على ولائها، الا ما شذّ، وان كان الأخيرون قد صُهروا في بوتقة الحكم السعودي المنتصر فيما بعد.

والمشكلة الاساسية التي واجهها السكان يوم احتل ابن سعود الاحساء، هي عدم وجود القيادة السياسية مطلقا، في حين سلّمت القيادة الدينية بحكم الامر الواقع، ولم تكن لها الامكانيات الحقيقية للتمرّد على ذلك الواقع، وان كان ذلك لا يعفيها من العتاب.

بقي علينا استطلاع وضع الانجليز لنكون قد ألممنا بالصورة الكاملة لما كان يجري عشيّة احتلال الاحساء.

فازاء الضعف الذي ألمّ بالاتراك، تقدّم الانجليز خطوة لأخذ الشرعية الكاملة لتواجدهم في الخليج، فقاموا بالتفاوض مع الاتراك واعترفوا لهم بالاحساء والقطيف على الساحل، في حين تخلّى الاخيرون عن حقوقهم في الامارات الخليجية الاخرى، واعترفوا للانجليز بالسيادة الكاملة على مياه الخليج.. وقد كان ذلك مشروع اتفاق لم يوقع الا بعد الاحتلال السعودي للمنطقة، وهو ((مشروع اتفاق ولد ميّتا)) كما وصفه العقاد[587].

ورغم ان الخلاف في وجهات النظر بين حكومة الهند ووزارة الخارجية، لم يكن استراتيجيا بأية حال، فان الآراء تتفق حول تصفية الامبراطورية ((الذاهبة))، أو ((الرجل المريض))، ولكن الخلاف في التوقيت.

فوزارة الخارجية تتعامل مع الدولة العثمانية، كما تتعامل مع اية دولة قاصرة، وكانت ترى في هذا القصور فرصة ممتازة لتوطيد المصالح البريطانية على حساب تلك الدولة المهلهلة رويدا رويدا.. في حين ان حكومة الهند ووزارة المستعمرات ووراءهما كل الاستعماريين يستعجلون الحرب مع الدولة العثمانية لانهائها كليّة مرة واحدة، وقد انتصرت وجهة النظر هذه، حينما بدأت بريطانيا الحرب ضد دولة الخلافة دون أي مبرر ودونما استفزاز مسبق من الاخيرة.

---

586 لمزيد من التفاصيل عن هذه العائلة راجع كتاب ((The Merchant)) للكاتب مايكل فيلد، والكتاب مترجم ويحمل اسم ((التجار))، جزءان، ترجمة دهام عطاونة، لندن.

587 العقاد، مصدر سابق، ص ١٩٢، ١٩٢.

وقد كانت وجهة نظر حكومة الهند تجاه ابن سعود على خلاف مع وجهة نظر وزارة الخارجية، مما جعل الاولى تلتف بشتى الطرق على تذرعات الثانية، وراحت رغم القرار الرسمي تشجعه عن طريق المعتمد السياسي في الكويت والذي اعتاد على مقابلة ابن سعود في اعماق نجد.

وفي لقائه الاخير والذي تمَّ بعده مباشرة احتلال الاحساء، كتب شكسبير: ((حين راح ابن سعود يناقش طموحاته الشخصية، وقال ان الوقت قد حان ليختار سياسته المحددة الواضحة بالنسبة للمستقبل. فلقد إزدادت سلطته في وسط الجزيرة العربية، ولم يعد يخشى أيا من شيوخها أو حكامها، والأكثر من ذلك أنه متحالف معهم جميعا، باستثناء واحد فقط، هو شريف مكة، وهو الذي عاد فتحالف مع الاتراك خوفا من غزو وهابي جديد)).

وقال شكسبير: ((أن آل سعود قادرون على الاحتفاظ بما استعادوه من املاكهم القديمة في الجزيرة العربية على مدى الخمسة عشر عاما الاخيرة، وهم يشعرون بأنهم قادرون على ذلك بسهولة نسبيا، لولا التهديد الدائم بغزو تركي يأتي من الشرق عن طريق الاحساء، ومن الغرب عن طريق مكة والمدينة، وان آل سعود لا يستطيعون مواجهة الاتراك من الجهتين، ولكي يأمنوا حدودهم الغربية بحشد قواتهم العسكرية هناك، تحدوهم الرغبة في طرد الاتراك من الاحساء والقطيف. وهناك سبب آخر من أهم الاسباب أيضاً لتحقيق تلك الرغبة، وهو امتلاك هاتين المقاطعتين الغنيتين وامتلاك مينائيهما، خاصة العقير، لأنهما سيوفران موردا عظيم القيمة من العائدات لدولة هي الآن من اشد الدول فقرا.. واضافة لذلك، فان لآل سعود مبررات اخرى في مطالبتهم بالاحساء والقطيف، احدها هو ان هاتين المقاطعتين كانتا من أملاك عائلتهم، وأن الاتراك في وثيقة اعطاها نافذ باشا لعبد الله الفيصل، وافقوا على ان المنطقة من حق عبد الله وعائلته وهم الذين يحكمونها، وقد اخبرني الامير بأن هذه الوثيقة لم تقع في يده الا منذ فترة قريبة، وانه سيرسل إلي بعد عودته إلى الرياض نسخة منها))[588].

وقال ابن سعود ((ان هناك وثيقة اخرى سمع بها ولكنه لم يستطع العثور عليها حتى الان، تصل في فحواها أن تكون معاهدة عقدها الكولونيل السير لويس بيلي، تضمن بالنيابة عن الحكومة البريطانية، بأن يُعترف بآل سعود شيوخا على مقاطعة القطيف. وقال ان هذه الوثيقة جاءت نتيجة مفاوضات جرت بعد العمليات العسكرية البحرية التي وقعت في القطيف والدمام

---

[588] انظر أيضاً، كشك، مصدر سابق، ص ٢٤١، ٢٤٢. وربما لا تعدو الوثيقة المذكورة منشورا من منشورات نافذ باشا لتبرير الاستيلاء على الاحساء، وإذا كانت مواعيد الاتراك قد ذهبت هباء، فان مواعيد السعوديين لأهالي المنطقة قد اخلفوها مرّات ومرّات، وفي شتّى المجالات.

عام ١٨٦٥ [٥٨٩]، حين قام اربعة رجال هم: محمد بن مانع، عبد العزيز بن عمر، صالح الوداوي، ابراهيم بن غانم، بزيارة للمقيم البريطاني في بوشهر كممثلين لعبد الله الفيصل بن سعود الذي أرسلهم إلى هناك)).

لقد أوضحنا في صفحات سابقة أنه لم تكن هناك معاهدة، وانما تعهدا سعوديا دون مقابل، وأوردنا نص التعهد، ولعلّ ذلك هو ما كان يبحث عنه ابن سعود. وبناء على ذلك، ولان شكسبير يبحث عن كل المبررات لدى حكومته وللآخرين التي تدعم الاحتلال السعودي للاحساء والقطيف، فقد راجع ارشيفات بريطانية قديمة للتحقق من ادعاء ابن سعود الاخير، فلم يجد سوى التعهد السعودي الذي قدمه محمد المانع، نيابة عن الحاكم السعودي الجديد عبد الله الفيصل، وقال ان هذا التعهد الصريح، ربما يكون له دلالة فيما يتعلق بالاتفاقية.

ولكن ما هو الموقف الانجليزي من احتلال الاحساء؟

قال المستشرق الروسي [٥٩٠]: ((لم تقف بريطانيا حجر عثرة أمام طرد الحامية التركية من الاحساء، وقد قام المندوب البريطاني في البحرين بزيارة مجاملة لعبد العزيز في مرفأ العقير بعد سقوط الاحساء)).. وكتبت القنصلية الروسية في البصرة بعد سقوط الاحساء: ((من المحتمل ان يكون قد حدث كل ذلك، ليس بدون علم الانجليز وليس بدون نصائحهم، فان دسائسهم بين الشيوخ العرب معروفة جيدا)) [٥٩١]. وصار من الثابت ان مما ((ساعد على نجاح ابن سعود في المرحلة الاولى من حكمه، دعم بريطانيا له في كفاحه ضد الامبراطورية العثمانية وولاتها، وانهيار هذه الامبراطورية نتيجة للحرب العالمية الاولى)) [٥٩٢].

والذي حدث اثناء لقاء ابن سعود مع شكسبير، كان يجري في هذا الاتجاه، اتجاه الحثّ والتحريض لابن سعود على احتلال الاحساء، ولكن ما كتبه شكسبير في التقرير مخالف للواقع، حيث قال انه حذره من ان الدعم الانجليزي لن يأتيه ان فعل ذلك.. وقبل ان نستعرض ما جاء في التقرير نطرح تفسيرا لما جاء فيه:

أولا: كانت اجوبة المعتمد في الكويت على طلب ابن سعود في توفير الحماية له إذا ما احتل الاحساء، مبالغة في التقيُّد بوجهة نظر وزارة الخارجية، وكأنما كتب التقرير ((ابراء للذمة))، من انه حذر ابن سعود بأن لا يحتل الاحساء.

589 اشارة انجليزية مهذّبة للقصف البريطاني للقطيف في فبراير ١٨٦٦.

590 ألكسي فاسلييف، ص ٢٤٢.

591 المصدر السابق، ص ٢٤٢.

592 المصدر السابق، ص ٢٢٠.

ثانيا: ان توقيت زيارة شكسبير إلى اعماق نجد، لم يكن دون هدف، وان يمضي في معسكره اسبوعين ليس أمرا اعتياديا، وان تأتي عملية احتلال الاحساء بعد اسابيع قليلة من اللقاء، يزيد في الشكوك حول حقيقة ما قاله شكسبير.

ثالثا: لم يبعث الكابتن شكسبير تقريره الا متأخرا، خلاف المألوف، لرؤسائه، فاذا كانت المسألة على درجة عالية من الاهمية فان الرسائل تبعث برقيا في حينها، بينما لم يصل التقرير إلى وزارة الخارجية الا بعد شهرين من احتلال الاحساء، وبعد حوالي اربعة اشهر من اللقاء مع ابن سعود، فبماذا يمكن ان يفسر تأخير وصول تقرير مهم عن منطقة مهمة للانجليز؟!.

رابعا: ان حكومة الهند، والتي يبدو أنها على اطلاع على ما فعله شكسبير، لم تعترض على فعلته، وانما جاء الاعتراض من وزارة الخارجية، إلى حد طلب ابعاده إلى لندن.

خامسا: ان شكسبير نفسه من اقوى المؤيدين لآل سعود، ودليلنا على ذلك ((حب وهيام)) عبد العزيز به والاطراء على موافقه[593]، وأيضاً قتال شكسبير إلى صف ابن سعود في مواقع الخطر، لدرجة ان يقتل في احدى معاركه، مما يدل على ايمان تام بأن مصلحة بريطانيا تكمن في دعم ابن سعود إلى ابعد مدى. ولقد صدق فيلبي ــ الذي خلف شكسبير في منصبه ــ بانه لو بقي شكسبير على قيد الحياة، لما اصبح لورنس أسطورة يتغنّى بها المستعمرون لسنوات طويلة، ولكان شكسبير هو الذي استحق هذا ((المجد))!.

والآن إلى ما قاله شكسبير في تقريره[594]:

((وجد ابن سعود نفسه مجبرا على طلب الحماية البريطانية ــ من النوع الذي منحناه للكويت وللشيوخ الآخرين نتيجة علاقات الصداقة القديمة ــ، أو ان يعتمد على سيفه وإيمانه، وهو مصمِّم على طرد الاتراك من الاحساء والقطيف عاجلا أم آجلا، وان لم يكن ذلك بالدبلوماسية فسينفذه باللجوء إلى السلاح)).

((وابن سعود لا يستطيع ان يتنبأ بفرصة أفضل من المتاحة حاليا، ولكن قبل ان يندفع حتى آخر الطريق، فانه يرغب في أن يكون على اطلاع حول الموقف الذي يجب ان نتخذه نحن. حول هذه النقطة أخبرته على الفور بأنه إذا ما هاجم الاحساء فانني على يقين من أننا لن نعرض

---

[593] ينقل روبرت ليسي طرفة تقول ان احد اعضاء وفد بريطاني سأل الملك عبد العزيز في الرياض، عن اعظم شخصية بريطانية أُعجب بها، فردّ بدون تردّد ((شكسبير))، فظنّ الزائر السائل، ان الملك يقصد الأديب الانجليزي شكسبير، وتعجّب كيف ان بدويا منزويا في نجد يتابع باهتمام الادب الانجليزي، ولكن الملك أكمل حديثه مثنيا على شكسبير، وتبيّن لهم ان المقصود، هو المعتمد السياسي البريطاني في بلاطه، والذي قُتل معه في معركة جراب.

[594] انظر الوثيقة ((FO. 371 / 1820 / E 29150))، مرسلة من الكابتن شكسبير، إلى المقيم في بوشهر، بتاريخ ١٥ مايو ١٩١٢.

علاقاتنا مع تركيا للخطر من أجله، وعليه ان يدرك بأنه سيكون من الصعب جدا علينا، أن نثير مثل هذا الخلاف حين يصل إلى حد الصدام، أو بعد هجوم غير مبرر يقوم به ضد الاتراك في الاحساء)).

((بالطبع قد يكون بامكانه طرد الاتراك في الفترة الحالية، لان الاتراك لا يحتفظون بحامية كبيرة، ولكن ذلك قد يعني معارك ضارية، وفي هذه الحالة عليه ان يفكر بما سيكون عليه تتابع الاحداث فيما بعد. ان أي عمل يقوم به ضد الاحساء، سيستتبع بالتأكيد عملا انتقاميا، قد يتطور إلى حالة حرب شبيهة بتلك التي وقعت مؤخرا في اليمن، وقد تؤدي إلى تقدم تركي جديد داخل نجد، وفي هذا الحالة قد يفقد كل ما يسيطر عليه الآن)).

((لا يمكن انكار الحقيقة القائلة بأنه سيحاول قتال قوة عالمية إذا حاولت بجد ان تحطمه وتدمِّر قواته نهائيا.. ويبدو لي ان مثل هذا المشروع ــ احتلال الاحساء ــ احمق، نهايته محتومة، وسيؤدي إلى ان يفقد كل ما يملكه الآن.. ولأنني صديقه، فلم اكن لأتركه يخطط ضمن فهم وتقدير خاطئين إلى هذا الحد فيما يتعلق بالقوة التركية، رغم أن مجرى الاحداث في حرب البلقان كان يبرر مثل هذا الفهم الخاطئ)).

هذه مبالغات شكسبير التي لم يقتنع بها هو ولا رؤساؤه ولا ابن سعود عن قوة تركيا، وهو يورد هذه المبالغات ــ كتابة ــ ليقول بأنه فعل كل جهده لاثناء عبد العزيز على احتلال الاحساء!.

مع هذا تتحدث فقرة التقرير التالية، عن عدم قناعة ابن سعود بالرأي وانه مصمِّم على احتلال الاحساء.

((من كل ما سمعته في معسكر ابن سعود، لا أشك في انه سيقوم في يوم من الأيام بمحاولة لاحتلال الاحساء والقطيف، فكل النقاشات كانت تشير إلى أن العرب يحتقرون القوات التركية الموجودة في الحاميات هناك، باعتبارها عديمة الفائدة، وإلى ان العرب واثقون من انتصارهم الفوري، وإلى ان تفكيرهم الرئيسي ينحصر الان في الطريقة التي يمكن ان ينجز بها هذا الامر على أكمل وجه، وان امكن، دون اراقة الدماء. لأنهم حينها سيشعرون بأنهم قد يكسبون تعاطف البريطانيين في هذه الحالة)).

((شعرت انه من الضروري ان أبيِّن ما كان يبدو لي محتَّم الوقوع، أي الردود الانتقامية العنيفة من قبل الاتراك، وعدم امكانية أي تدخل من جانبنا لدعم قضية ابن سعود، وقد فعلت ذلك في كل مناسبة أُثير فيها هذا الموضوع)).

ويقدِّم شكسبير تحليلا يحمل الصبغة الوطنية والسياسية لأطماع السعوديين فيقول:

((مما لا شك فيه ان العرب ــ أي البدو ــ في جميع أنحاء الجزيرة العربية ــ تقريبا ــ يحتقرون الاتراك الان إلى حد يشعرون معه بأنهم قادرون تماما على تصفية حسابهم معهم. ذلك ان الحربين اللتين خاضتهما تركيا مسؤولتان عن انهيار هيبتها، بينما عدم الثقة بالاتراك واحتقارهم قد إزداد حدّة نتيجة انفضاح حقيقة الهزيمة التركية، والتي تزداد جلاء يوما بعد آخر، بأن انتصارات المزعومة لم تكن الا أكاذيب تشيعها الحكومة التركية عمدا لأخفاء ضعفها وفشلها، وان الرغبة في التحرر من نير الحكم التركي لا تقتصر على نجد، فالصحافة تعجُّ بالروايات والتقارير عن قيام حركات مماثلة تطالب بالحكم الذاتي)).

وقال شكسبير في تقرير عن ابن سعود في ١٥ مايو ١٩١٣: ((في الأعوام الاخيرة، خاصة خلال حروب تركيا مع إيطاليا ودول البلقان، كان المسؤولون الاتراك يلحون على عبد العزيز ليقدم لهم الدعم والمساعدة، خاصة بالرجال والمال وان يبرهن على انه من رعايا السلطان المخلصين:

أ ــ بارسال ثلاثة من آل سعود إلى القسطنطينية للدراسة والخدمة في الجيش العثماني.

ب ــ وبالاعتراف بالسيادة التركية علنا، وذلك بأن يقبل لقبا تركيا، مع فرمان سلطاني يُعيِّن بموجبه حاكما على نجد.

ج ــ وان يسلِّم لهم كل الرسائل والوثائق التي تبودلت في أية فترة بين آل سعود والمسؤولين البريطانيين)).

((وقد رفض ابن سعود حتى الان كل هذه المطالب، بلغة مهذبة قدر الامكان. لأنه يعلم أن الاتراك ما ان يمسكوا به حتى يتحول في الواقع إلى واحد من الرعايا الاتراك، وهو ما لا يعترف بأنه واقع حاليا)).

((وإلى جانب ذلك فالاتراك مقتنعون بأن شكلا ما من اشكال التفاهم موجود وقائم فعلا بين آل سعود والحكومة البريطانية. هذا الاعتقاد هو احد اسباب محاولاتهم المتكررة لجعله يتخلّى عن استقلاله.. وهو ــ أي ابن سعود ــ على استعداد شخصيا لان يعلن بصراحة على الملأ عن أيّ اتفاق واضح ومحدَّد معنا، إذ ان مجرد وجود مثل هذا الاتفاق سيريحه من الأذى والتحرّش التركي. وما لم يكن مسلحا بشكل ما من اشكال التفاهم مع الحكومة البريطانية.. يجبر الاتراك على التمهل والتردد في مهاجمته، فانه سيكون دائما عرضة للمكائد والدسائس والمؤامرات)).

أما ما يريد أن يصل اليه المعتمد فهو: ((آمل أن تولوا عناية جدّية لشؤون ابن سعود، وقضايا وسط الجزيرة العربية، فالرجل حاكم من افضل ما ينتجه العرب.. ولا أظن انه سيكون هناك أدنى شك بأن تحرك ابن سعود الاول سيكون هجوما على الاحساء والقطيف.. وهو في الوقت

الحاضر عميق الصداقة والود نحونا، وهو ميّال إلى إلزام نفسه بالتزامات تجاهنا.. واني أميل إلى الاعتقاد بأن الطريق ستكون طويلة إذا ما توفرت له الاسباب للاعتقاد بأننا سنساعده في طرد الاتراك من الاحساء والقطيف.. ومن الناحية الاخرى فان رفض مبادرات الامير ستولد بلا شك مرارة لديه قد تنعكس على مصالحنا على طول الساحل العربي للخليج، ربما ليس على الفور، ولكن في المستقبل القريب.. وانني مقتنع بأن ابن سعود سيكون مسرورا بأن يقدم لنا أي تعهد نرغبه في الحفاظ على ((الوضع الراهن)) في المستقبل. وختاما لي الشرف بأن استحثّ دعمكم ومساندتكم لإعادة النظر في كل مسألة علاقاتنا مع امير نجد... الخ))[٥٩٥].

هذا هو تقرير شكسبير الذي أجراه قبل احتلال الاحساء بفترة قصيرة مع ابن سعود، وأرسله بعد سقوطها إلى رؤسائه.. فماذا قال هؤلاء؟!.

علّق رئيس شكسبير، وهو المقيم السياسي في بوشهر، السير بيرسي زكريا كوكس، وهو عادة ما يعبّر عن وجهة نظر حكومة الهند، علّق بقوله انه ((تقرير هام وممتع أُرسل اليّ قبل ان يسمع الكابتن شكسبير بسقوط الاحساء والقطيف.. ومما لا شك فيه انه من الغريب حقا، من وجهة نظرنا، ان يصل ابن سعود باحتلال الاحساء، إلى آخر المدى في هذه المرحلة من المفاوضات الانجلو ـ تركية، وبعد فترة وجيزة جدا من ذلك اللقاء الودّي مع معتمدنا)).. ومع هذا الشك الذي طرحه كوكس، وأبدى استغرابه من توقيت عملية الاحتلال، الا انه يقفز على ذلك متجاهلا: انه لا بدّ من الرضوخ للأمر الواقع، ثم يثني على العملية وتوقيتها قائلا بأن ((اللحظة كانت مثالية بالتأكيد))[٥٩٦].

وحين وصلت المراسلات إلى حكومة الهند، أرسلت نسخة منها إلى وزارة الخارجية واستلمتها في ٢٥ يونيو ١٩١٣، في وقت متأخر، وبعد أن انتهى الاحتلال وتوابعه.. مع هذا وضع الماركيز كراو ـ وزير شؤون الهند ـ خطا أمام الجمل الهامة من تقرير شكسبير والتي تثبت تواطؤه مع ابن سعود، وكتب تعليقا مقتضبا: ((الرجاء التركيز على الفقرات التي وضع الماركيز علامات عليها. يجب الطلب من الكابتن شكسبير الامتناع عن الظهور بمظهر المشترك في مؤامرات ودسائس ابن سعود. التوقيع/ الوزير، في ٢٦ يونيو ١٩١٣)).

وهذه الجملة بالغة الدلالة في اتهام الكابتن وحكومة الهند بالتوطؤ، وان جاءت بتعبير مبطّن. وعلّق آخر في حكومة الهند: ((لقد حُذّر الكابتن شكسبير بألاّ يظهر هناك..[٥٩٧]، فحتى حكومة الهند التي ينتمي إليها شكسبير حاولت ارضاء وزارة الخارجية وتبرئة نفسها من العمليّة!.

---

[595] الوثيقة السابقة.

[596] رسالة من اللفتنات كولونيل، السير بيرسي كوكس، إلى حكومة الهند، في ١٦ مايو ١٩١٢.

[597] راجع التعليقات على الوثيقة ((FO. 371 / 1820 / E 29150)).

أما وزير الخارجية فقد طلب من أحد موظفيه في الوزارة ان يرسل رسالة شديدة اللهجة إلى وزارة شؤون الهند وحكومتها، وإلى السير بيرسي كوكس شخصيا، وإلى كل المعتمدين الذين هم تحت امرته، محذرا إياهم من التمادي في دعم ابن سعود لان وزارة الخارجية هي المسؤولة في التعاطي مع قضيته المرتبطة بالعلاقة مع تركيا. وما علينا الان أن نضع أمام القارئ بعض نصوص تلك الرسالة.

فقد كتب ((لويس ماليت)) نيابة عن وزير الخارجية السير ادوارد غري، إلى وزارة شؤون الهند، رسالة بتاريخ الثاني من يوليو ١٩١٣ قائلا[٥٩٨]:

((أمرني الوزير السير غري أن أُبيِّن بأنه درس بعناية فائقة المراسلة المؤرخة في ٢٦ مايو ١٩١٣، الصادرة عن المقيم السياسي في بوشهر، والمرسلة إلى حكومة الهند، وكذلك درس مرفقاتها، وهي المراسلة المؤرخة في ١٥ مايو ١٩١٣، الصادرة عن المعتمد السياسي في الكويت والمتعلقة بالأوضاع في نجد)).

((لقد علم السير غري ببالغ الأسف أن الكابتن شكسبير قد أمضى أربعة ـــ عشر ـــ يوما مؤخرا في معسكر ابن سعود، وهو عمل لم يكن يبدو أنه امر اساسي وضروري لأية مهمة يمكن ان يكون ذلك الضابط قد كُلِّف بها في اعماق الكويت، وهو عمل سيكون له بكل تأكيد أثر كبير في اثارة الشكوك حول الاطماع والنوايا البريطانية)).

ويرد غري على ما جاء في رسالة شكسبير والتي يقول فيها ان اهمال مبادرات ابن سعود ستترك شعورا بالمرارة وتعرض المصالح البريطانية للخطر على الساحل.. يرد بقوله ((إن السير غري، ليس في موقع يستطيع من خلاله ان يقدِّر مدى صحَّة هذا التنبؤ. ولكنه مقتنع تماما بأن عواقب مثل هذا الاستياء وهذه المرارة لن تكون ذات قيمة أبدا، بالمقارنة مع مرارة واستياء الاتراك..)).

((وبالنظر إلى هذه المراسلة، والمراسلات التي وصلت مؤخرا من المعتمدين البريطانيين في منطقة الخليج الفارسي، فان السير بيرسي كوكس، تحظر عليه وعلى مرؤوسيه، وتأمره بالامتناع وبيالغ الحذر والعناية، من اجراء أيَّة اتصالات مهما كان نوعها مع ابن سعود، باستثناء ما كان منها ذا طابع شكلي محض، وباستثناء ما كان منها محتما لا مفر منه)).

وفعلا أُبلغ كوكس والمعتمدون بطلبات وزارة الخارجية، وان كان هؤلاء كعادتهم يلتفون حول احتجاجات وزارة الخارجية، لأنهم يرون ان مصلحة بريطانيا تفرض دعم ابن سعود. وقد سبق للوزير إدوارد غري أن بعث برقية في ١٨ يونيو ١٩١٣، إلى وزارة شؤون الهند بأنه ((سيسره

---

598 الوثيقة ((E 29150))، تاريخ ٢ / ٧ / ١٩١٢، من وزارة الخارجية إلى وزارة شؤون الهند.

أن لم يكن هناك مانع لدى الماركيز كرو ــ وزير شؤون الهند بأنه ــ وزير شؤون الهند ــ، أن يطلب من المعتمد السياسي في الكويت برقيا، الامتناع قدر الامكان عن الاتصال بأمير نجد، أو إلزام حكومة جلالة الملك بأية سياسة مهما كان نوعها[٥٩٩].

وتتابعت الاحتجاجات، فكتب وزير الدولة للشؤون الخارجية في التاسع من يوليو ١٩١٣، يقول: ((كنا نود لو أن شكسبير لم يقم برحلته هذه.. إننا نعتقد أنه أخطأ، أو أُسيء نصحه بالسفر بعيدا إلى هذا الحد)) وأنه ((ستصدر التعليمات إلى حكومة الهند بضرورة التنبيه على الوكلاء السياسيين بأن يلتزموا في المستقبل، بالحدود المقررة في الاتفاق الانجلو تركي))، وان الامر يستدعي ((بصفة عاجلة تقليل الوكلاء السياسيين قدر الامكان من اتصالاتهم بابن سعود. وان حكومة صاحب الجلالة لا تريد في هذه المرحلة ان يصدر قول أو فعل يمكن ان يثير الشكوك لدى تركيا أو غيرها، بأن حكومة صاحب الجلالة ترغب أو تشجّع على تمزيق السلطة التركية في آسيا))[٦٠٠].

وأصدر المكتب الهندي في ١١ يوليو ١٩١٣ نسخة من التعليمات المتعلقة بموضوع العلاقات السعودية/ البريطانية من قبل الحاكم العام للهند، تضمّن ما يلي: ((لاحظنا أنه في مارس ١٩١٣ كان الكابتن شكسبير في المجمعة التي تقع على بعد مائة وخمسين ميلا خارج حدود الكويت عندما سمع بوجود ابن سعود في المنطقة المجاورة. أرجو أن تبلغوا ملاحظاتي للكابتن شكسبير، وهي أنه لا يُسمح للوكلاء السياسيين ــ ما لم تصدر تعليمات مباشرة من حكومة صاحب الجلالة ــ بتجاوز حدود المنطقة المتعارف عليها باسم الكويت في الاتفاق الانجلو / تركي))[٦٠١].

وأدلى السفير البريطاني في القسطنطينية والمحسوب على وزارة الخارجية، بدلوه فانتقد تصرفات شكسبير في معرض حديثه عن اتفاقية ٢٦ يوليو ١٩١٣، فقال ((لقد وقعت حوادث عدّة تعزّز شك الحكومة التركية في اننا نريد التعامل مع ابن سعود، فمثلا قبل شهر واحد من هجوم ابن سعود على الاحساء، كان الوكيل البريطاني بالكويت يزوره في الداخل. وفي مطلع هذا العام ١٩١٤ زاره موظفون بريطانيون آخرون مما أدّى إلى صدور التعليمات لحقي باشا للشكوى في لندن))[٦٠٢].

---

599 انظر ((FO. 371 / 1820 / E 27206))، برقية في الثامن عشر من يونيو ١٩١٢.

600 جلال كشك، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

601 المصدر السابق، هناك ملاحظة هامة، هي ان احتلال الاحساء تمّ في الحادي عشر من ابريل ١٩١٢، أي ان اللقاء تمّ مع ابن سعود قبل أقلّ من شهر من اقدامه على احتلال المنطقة.

602 المصدر السابق، ص ٢٥٥.

وإزاء هذه المعارضة الصلبة من وزارة الخارجية ضد وزارة شؤون الهند وتوابعها ــ ((حكومة الهند، المقيم في بوشهر السير بيرسي كوكس، والمعتمدين التابعين له في الخليج))، على دعمهم لابن سعود وتشجيعهم إيّاه على احتلال الاحساء، اضطر الجميع إلى ابعاد معتمدها شكسبير عن منصبه إلى لندن، حيث ضحّت وزارة شؤون الهند به وهي مرغمة لاسكات وزارة الخارجية.

غادر المعتمد الكويت وهو مصرٌ على تحدٍّ رأي وزارة الخارجية، ربما بإيعاز من حكومة الهند التي كان رأيها ــ من وجهة المصلحة الاستعمارية البريطانية ــ اكثر صوابية، فمرّ شكسبير بالرياض التي وصلها في التاسع من مارس ١٩١٤ برًّا بعد رحلة طويلة مضنية، وهناك قابل ابن سعود وأباه عبد الرحمن، واطلع على الحركة العسكرية النشطة في نجد لمواجهة احتمالات الهجوم التركي لاعادة احتلال الاحساء والقطيف. وبعث من هناك بتقاريره التي تفيض بالتأكيدات على ان مصالح بريطانيا ستتأكد وتتدعّم باحتضان حركة ابن سعود، وسوف نستعرض هذه التقارير في موقعها.

ومهما يكن من امر، فقد استمرّ شكسبير في مراسلة ابن سعود محافظا على العلاقة الشخصية معه، فيطلب منه أحيانا ان يبلغ سلامه وتحياته لوالده ((الامام عبد الرحمن!))، وأخيرا وصل شكسبير إلى لندن في شهر مايو ١٩١٤، وما هي الا اشهر قلائل حتى طلب منه العودة للخدمة في اكتوبر ١٩١٤ ليمثّل مصالح بلاده في الرياض بسبب اندلاع الحرب مع الاتراك[٦٠٢].

وملخص الامر أن الموقف البريطاني عشيّة احتلال ابن سعود للرياض كان موائما للأخير، رغم أن الخلاف مع وزارة الخارجية والممثلين المحليين البريطانيين انتهى باحتلال ابن سعود للاحساء اولا، وبتعديل رأي وزارة الخارجية بعد اقل من عام فقط.. فالمهم أن الممثلين المحليين هم الذين ينفذون السياسة الواجب اتباعها، وان صناع السياسة ليسوا جهة واحدة وإنما جهات عديدة أهمها حكومة الهند.

لهذا كلّه تهيّأ لابن سعود السيطرة على المقاطعة الغنيّة.

فكانت ضربة الاحتلال.

---

603 انظر الوثيقة ((FO. 371 / 1820 / E 29150))، ومؤرخة في ١٤ فبراير ١٩١٧. أعدّ التقرير في ١٢ يناير ١٩١٧، وانظر أيضاً جلال كشك، مصدر سابق، ص ٢٥٨، ٢٦٠.